إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شــرور أنفســنا وســيئات أعمالنــا، من يهــده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ[1].

ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭼ[2].

ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ[3].

أما بعد: فإن أصدق الحـديث كتـاب الله وخـير الهـدي هــدي محمد ﷺ، وشــرّ الأمــور محــدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة[4].

وبعــد: فــإن الإيمــان بالله ﻷ هو أعظم نعم الله ﻷ على عباده وأكبر مننه على خلقه من إنسه وجنــه، فهو أعلى ما ناله الإنســان، وأعظم ما اكتســبه من ربه وخالقه الكــريم المنــان، فبه عــرف ربه واهتــدى إلى ســبيله، وارتقى إلى درجات فضله ومقامات كرمه، وبه فاز بنيل عظيم رضوانه وواسع رحماته وفسـيح جنانــه، الــتي هي غاية كل إنســان عابد للرحمن.

---

[1] (?) سورة آل عمران الآية: 102.

[2] (?) سورة النساء الآية: 1.

[3] (?) سورة الأحزاب الآية: 70-71.

[4] (?) رواه مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث 867.

وهو الذي إذا اقترن بالعمل الصالح حصلت به الحياة الطيبة والراحة النفسية وطمأنينة العيش من خلال ما يثمره من صلاح القلوب والأبدان.

وأهله هم الفائزون المنعمون المكرمون الناجون من جميع الشرور والحاصلون على الثواب المطلق في الدارين.

وهو أفضل ما شمر إليه المشمرون وسعى إليه الساعون من أهل الدين والعرفان. فقد نهل بعضهم من كماله وغايته وحقيقته حتى صاروا من أهل الزيادة في الإيمان، وآخرون حققوا أصله واكتفوا، وتوسطوا فكانوا من أهل الاقتصاد في الإيمان. وهناك طرف ثالث نزلوا عن هذه المنازل حتى تردوا إلى أهل الظلم والنقصان. وربنا قد جعل الإيمان قابلا للزيادة والتفاوت والتفاضل والنقصان.

وأما من وفق إلى الزيادة فيه وترقى إلى علو درجاته واجتنى أعلى ثمراته، فقد أذاقه الله حلاوة ولذة يجدها في قلبه كما يجد حلاوة طعام لذيذ في لسانه، وهي حلاوة الإيمان.

تلك مرتبة من أعلى مراتب الإيمان، من وصل إليها كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وكان ما يناله من طيب الحياة ولذة الروح وبهجة النفس وسعادة العيش أعظم مما يناله صاحب مجرد الإيمان.

وجودها دليل على صحة العمل والقربان، وفوز العبد بأوفر نصيب من وَلاية الرحمن، كما أن لها آثارا طيبة في حياة العبد وإيمانه، نحو الزيادة في أسباب الإيمان

وتحقيق موجبات حلاوته، وحب الطاعـات والـدوام عليهـا، وتحمل أعظم مشقات البدن فيهـا، بل إنها تسـلية له عن المحبوبـات الدنيوية والأغـراض النفسـية، ومحصـنة لقلبه ضد أعمال الفسق والعصيان.

وعليه، فـإن البحث في حقيقة هـذه الحلاوة وأسـباب حصـــولها، والوقـــوف على دلالاتها وآثارها الطيبة يعد من أهم ما يشتغل فيه طالب العلم والإيمان، وذلك لمسـيس الحاجة لـدى النـاس إلى معرفة طريق سـعادتهم في دار الحياة والحيوان، بعد أن تعب الكثـير في البحث عنها مما سبب العديد من حـالات القلق والحـيرة والاضـطراب في بعض الناس.

لكنها كغيرها من ثمـــرات الإيمـــان وفيضـــان فضل الرحمن لا تنال إلا بسلوك طريق الكتاب والسـنة وطريق أهل السـلف أهل الإيمـان، لا ما يسـلكه غـيرهم من أهل البـدع والضـلال والحرمـان، فهم عن بـاب ولاية الـرحمن مطرودون ومن ذوق حلاوة الإيمان محرومون. وعليه فإن العمل على كشف طـــرقهم وتنبيه المغـــترّ بهم عليها من أعظم ما يُسْهِم في بيان الحق وإحقاقـه، وإبطـال الباطل وزهقه، حتى يتميز الطريق الصـحيح عن الباطل في ذوق حلاوة الإيمان والفوز برضا الرحمن.

ولما كـــان لزامـــاً علي بعد الماجســـتير أن أختـــار موضـوعا لنيل درجة العالمية العالية الـدكتوراه في قسم العقيدة، رأيت أن أسـجل هـذا الموضـوع بعنـوان: **حلاوة الإيمان موجباتها وآثارها والرد على الانحرافـات**

المتعلقة بها، والله نسـأل أن يرزقنا جميعا حلاوة الإيمان وسعادة الدارين آمين يا رب العالمين.

أسباب اختيار الموضوع

كان من أهم الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع ما يلي:

أولا- كون هذا الموضوع يتعلق بأهم مسائل الدين وغاية مطالبه وهو الإيمان بالله .

ثانيا- حاجة المسلمين إلى مثل هذا الموضوع في تحقيق الحياة السعيدة في الدارين حيث إن وجود حلاوة الإيمان من أعظم الأسباب الموجبة للسعادة.

ثالثا- بيان الطرق الصحيحة الموجبة لحلاوة الإيمان والتنبيه على الطرق المبتدعة فيها

رابعا- كون هذا الباب من المباحث المتعلقة بالإيمان التي لم تنل حقها من البحث -حسب ظني - مع جلالة قدره وعظم شأنه في الدين.

خامسا- أن هذا الموضوع فيه إضافة علمية تسهم ــ بإذن الله ــ في ترسيخ العقيدة الصحيحة وتفنيد العقائد المنحرفة فيها.

سادسا- الفائدة العظيمة العائدة إلى الباحث بمشيئة الله تعالى من خلال دراسة موجبات حلاوة الإيمان وآثارها لعل الله أن يجعل لنا من ذلك نصيبا.

الدراسات السابقة

بتوفيق من الله قمت بتتبع كل ما كتب من الرسائل الجامعية حــول مبــاحث الإيمــان في مختلف الجامعــات بالمملكة العربية السـعودية ولم أجد عنوانا مشـابها لهـذا الموضـــوع في مباحثه وخطتـــه. وهنـــاك رســـائل قليلة تطرقت في بعض مباحثها إلى هذا الموضـوع غـير أنها لم تبحث موضــوع حلاوة الإيمــان بالتفصــيل، فــأكثر هــذه الرسائل سـعت في بيـان أثر الإيمـان في بنـاء الأخلاق أو في تحصــين الأمة ضد الأفكــار الهدامة أو في بيــان أثرها في تزكية النفس وتهذيب السلوك ونحو ذلك.

ومن هذه الرسائل:

1- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة رسالة ماجستير لفضيلة الشـيخ الـدكتور عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع

2- أعمال القلوب وأثرها في الإيمان رسـالة دكتـوراه للشيخ محمد دوكوري

3- الإيمـان حقيقته وآثـاره رسـالة ماجسـتير للبـاحث محمد بن إبراهيم العجلان

4- زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه رســالة دكتــوراه لفضــيلة الأســتاذ الــدكتور عبد الــرزاق بن عبد المحسن البدر

5- الإيمـان وأثـره في بنـاء الأخلاق رسـالة ماجسـتير للشيخ صباح أبكر الأهدل

6- الحاجة إلى الإيمـــان وأثرها على التوافق النفسي رسالة ماجستير للباحثة: سميرة حسن عبد الله أبكر

7- الإيمان بالقضاء والقدر وأثــره على القلق النفسي رسالة ماجستير للباحثة طريفة سعود الشويعر

وسوف تتبين من خلال هذا الموضوع - إن شاء اللــه- الحلاوة واللـذة الـتي تحصل لمن حقق الإيمـان وقـام بما هو مطلــوب منه من أنــواع الطاعــات، والطــرق الموجبة لهــذه الحلاوة وكيفية الحصــول عليهــا، وهي عبــارة عن اســتلذاذ الطاعــات وأثر ذلك في تحقيق الكمــال للــدين والحياة كلها.

خطة البحث

قســمت هــذا الموضــوع إلى مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة

المقدمـــة: تشـــتمل على الافتتاحية وبيـــان أهمية الموضوع وأسـباب اختيـاره والدراسـات السـابقة، وخطة البحث ومنهجه والشكر والتقدير.

تمهيـد: بيـان معـنى حلاوة الإيمـان وتعريف المفردات المتعلقة بها وتحته مباحث:

المبحث الأول: تعريف حلاوة الإيمـــــان وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف كلمة "الحلاوة"

المطلب الثاني: تعريف كلمة "الإيمان"

المطلب الثالث: المراد بحلاوة الإيمان

المبحث الثـــاني: تعريف الألفـــاظ المرادفة لكلمة الحلاوة وبيــان مناســبة إضــافتها إلى الإيمــان وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف كلمة "طعم" وبيــان مناســبة إضافتها إلى الإيمان

المطلب الثاني: تعريف كلمة "لذة" وبيان مناسبة إضافتها إلى الإيمان

المطلب الثالث: تعريف كلمة "وجد" و"ذاق"

المطلب الرابع: بيان الفرق بين وجود حلاوة الإيمان وذوقه

الباب الأول: أدلة حلاوة الإيمان وبيان معانيها وحقيقتها، ودرجات الناس وأحوالهم فيها وتحته فصلان:

الفصل الأول: أدلة ثبوت حلاوة الإيمان وبيان معانيها في الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أدلة ثبوت حلاوة الإيمان في القرآن الكريم وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ما ورد في أن حلاوة الإيمان لها علاقة بحقيقة الإيمان في القلب

المطلب الثاني: ورودها بمعنى إنابة القلب إلى الله تعالى

المطلب الثالث: ورودها بمعنى زينة الإيمان في القلب

المطلب الرابع: ورودها بمعنى الحياة الطيبة

المطلب الخامس: ورودها بمعنى فرح القلب وسروره

المبحث الثاني: أدلة ثبوت حلاوة الإيمان من السنة النبوية وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: ورودها بلفظ حلاوة الإيمان

المطلب الثاني: ورودها بلفظ طعم الإيمان

المطلب الثالث: حديث يجمع بين اللفظين الطعم والحلاوة

المطلب الرابع: ورودها بلفظ حلاوة الإسلام

المطلب الخامس: ورودها بلفظ حقيقة الإيمان

المطلب السادس: ما ورد في بيان العلاقة بين حلاوة الإيمان وصريح الإيمان

المبحث الأول: حلاوة توحيد الربوبية

المبحث الثاني: حلاوة توحيد أسماء الله وصفاته

المبحث الثالث: حلاوة توحيد العبادة وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: حلاوة تحقيق العبودية لله وحده لا شريك له

المطلب الثاني: حلاوة العبادات القلبية المحضة

1- حلاوة الإخلاص

2- حلاوة المحبة

3- حلاوة الخوف والخشية والرجاء

المطلب الثالث: حلاوة العبادات المشتركة بين القلب والجوارح

1- حلاوة الرضا

2- حلاوة الصبر

3- حلاوة التوكل على الله

4- حلاوة الولاء والبراء

5- حلاوة الشح بالدين

6- حلاوة الزهد

المطلب الرابع: حلاوة عبادات اللسان

1- حلاوة الدعاء

2- حلاوة الذكر

3- حلاوة قراءة القرآن وتدبره

4- حلاوة مذاكرة العلم ومدارسته

5- حلاوة الاستغفار والتوبة

الفصل الثاني: آثار حلاوة الإيمان وتحته سـبعة مباحث:

المبحث الأول: أثر حلاوة الإيمــان في تقوية صــلة العبد بربه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأنس بالله ومحبته

المطلب الثاني: الانقطاع لذكر الله ودعائه ومناجاته

المطلب الثالث: الاستغناء بالله عما سواه

المبحث الثـــاني: أثر حلاوة الإيمـــان في إقبـــال النفس نحو الطاعات وتحمل المشاق فيها

المبحث الثالث: أثر حلاوة الإيمان في الثبـات على الحق وإيثار ذلك على النفس

المبحث الرابـــع: أثر حلاوة الإيمــــان في تحقيق السعادة والطمأنينة في الحياة

المبحث الخـــامس: أثر حلاوة الإيمـــان في تزكية النفس وتهذيب السلوك والأخلاق

المبحث السـادس: أثر حلاوة الإيمـان في تحصـين القلب ضد أعمــال الكفر والفسق والعصــيان وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كراهية أعمـــــــال الكفر والمعاصي ومرارتها في القلب

المطلب الثاني: دفع الخطرات والوسـاوس وما يتولد عنهما من الشبهات والشهوات

المطلب الثـالث: الخـوف على الإيمـان والعمل على حفظه

المبحث الســـــابع: أثر حلاوة الإيمـــــان في علاج الأمراض النفسية والعصبية

البـاب الرابع: الـرد على الانحرافـات المتعلقة بحلاوة الإيمان وتحته تمهيد وفصلان:

تمهيد: بيان أثر الأهـواء والبـدع على حلاوة الإيمـان، والفــرق بين ما يحصل لأهل البــدع من حلاوة وما يحصل لأهل الإيمان

الفصل الأول: الرد على انحرافات الفلاسفة والجهمية والمعتزلة في حلاوة الإيمـــــــان وتحته مبحثان:

المبحث الأول: الــرد على انحرافــات الفلاســفة في حلاوة الإيمان وتحته تمهيد ومطلبان:

تمهيد: تعريف الفلاسفة

المطلب الأول: المقصود باللذة عند الفلاسفة

المطلب الثــاني: طريقة الفلاســفة في تحقيق لـــذة الإيمان والرد عليهم

المبحث الثـاني: بيــان موقف الجهمية والمعتزلة من حلاوة الإيمان وتحته تمهيد وثلاثة مطالب:

تمهيد: تعريف الجهمية والمعتزلة

المطلب الأول: بيــان أن من لــوازم إنكــارهم المحبة نفي حلاوة الإيمان

المطلب الثـاني: بيـان أن من لـوازم إنكـارهم الرؤية نفي حلاوة الإيمان

المطلب الثالث: بيان أن من لوازم تعطيلهم صفات الله عز وجل نفي حلاوة الإيمان

الفصل الثاني: الرد على انحرافات الصوفية في حلاوة الإيمان

وتحته تمهيد ومبحثان:

تمهيد: تعريف الصوفية

المبحث الأول: الرد على الصوفية في زعمهم أنهم يحققون حلاوة الإيمان عن طريق"السماع" و"الوجد" وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان حقيقة السماع والوجد عند الصوفية

المطلب الثاني**:** الرد على مزاعم الصوفية وأوهامهم في السماع والوجد

المطلب الثالث: بيان حقيقة السماع عند السلف والصالحين

المبحث الثاني: الرد على بعض المتعبدين أنهم يجدون للذكر حلاوة لا يجدونها عند قراءة القرآن.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج.

منهج البحث

سرت بتوفيق الله في هذا البحث وفق المنهج التالي:

أولا- جمعت كل ما له الدلالة إلى حلاوة الإيمان وشعبه من خلال النظر في المصادر والمراجع المعتمدة.

ثانيا- عزوت الآيات إلى سورها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.

ثالثا- خرجت الأحاديث والآثار من مصادرها بذكر اسم المصـــدر ورقم الصــفحة والجــزء وكــذلك اسم الكتــاب والباب ورقم الحديث.

رابعـا- وإذا كـان الحـديث في الصـحيحين أو أحـدهما اكتفيت بــذلك، وأما إذا كــان عند غيرهما فــإني أذكر ما وقفت عليه من أقــوال أهل العلم - في هــذا الحــديث - تصحيحا أو تضعيفا.

خامســا- إذا تكــرر الحــديث أو الأثــر، فــإني لا أعيد تخريجه، وأكتفي بذكر المكان الذي تقدم ذكره فيه.

سادســا- تــرجمت للأعلام غــير المشــهورين عند أول موضع يرد فيه اسم أحدهم.

ســابعا- عــرفت الفــرق والبلــدان وشــرحت الكلمــات الغريبة التي تحتاج إلى إيضاح

ثامنا – التزمت بعلامات الترقيم وضبط ما يحتــاج إلى الضبط.

تاسعا- ذيلت البحث بالفهارس اللازمة وهي:

1- قائمة المصادر والمراجع

2- فهرس الآيات القرآنية

3- فهرس الأحاديث النبوية

4- فهرس الآثار عن أئمة السلف

5- فهرس الأعلام

5- فهرس الموضوعات

شكر وتقدير

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه، أحمده وأشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فقد منّ عليّ ووفّقني لطلب العلم الشرعي على منهج أهل السنة، في بلد السنة، وفي مدينة المصطفى ﷺ، وفي جامعة إسلامية مباركة، حتى وصلت إلى هذه المرحلة بجوده وكرمه، إنه أكرم الأكرمين. فله الحمد والشكر من قبل ومن بعد. رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه.

وأثني بالشكر لوالدي الكريمين الذين ربياني، وحبياني برعايتهما وعنايتهما منذ الصغر، وصبرا على طول الغربة، وعظيم العناء في الكبر، مع دوام النصح والتوجيه والدعاء مما كان له الأثر في وصولي إلى هذه المرحلة، فالله أسأل أن يجزيهما عني خيرا وأن يمتعهما بدوام الصحة والعافية، وأن يرحمهما كما ربياني صغيرا ويوفقني لحسن برهما.

ثم إنني في هذه المناسبة أشعر بعظيم الشكر والامتنان تجاه شيخي وأستاذي الأول فضيلة الشيخ محمد علي مجتبى الداعي الشهيد الذي كان له الفضل بعد الله سبحانه في تحولي إلى الدراسات الإسلامية بعد حصولي على الشهادة الثانوية في الدراسات العلمية باللغة الإنجليزية، وقد كان رحمه الله من أكبر الدعاة في سيراليون وأكبر المجاهدين في سبيل إعلاء كلمة الله ومحاربة الشرك والبدع والخرافات حتى أكرمه الله ﷻ

بالشـهادة على أيـدي أعـداء اللـه، وإني أرجو من الله أن أكون ثمـرة العلم النـافع الـذي تركه والولد الصـالح الـذي يـدعو لـه، كما أسـأله سـبحانه أن يتغمـده بواسع رحماته ويدخله فسيح جنانه آمين يا رب العالمين.

ثم إنـــني أتقـــدم بخـــالص الشـــكر وعظيم الامتنـــان للجامعة الإســـلامية ممثلة في القـــائمين عليهـــا، وفي مقدمتهم معالي مدير الجامعة الأسـتاذ الـدكتور محمد بن علي العقلا ثم جميع منســـوبيها من الأســـاتذة والإداريين وكل من يشـــارك في تســـيير أمـــور هـــذه الجامعة نحو الأفضل فالأفضــل، فجــزاهم الله خــيرا ووفقهم لما فيه الخير للإسلام والمسلمين.

ثم أخص بخــالص الشــكر وعظيم التقــدير شــيخي وأستاذي الجليل فضيلة الدكتور عطية بن عتيق الزهراني لما أحاطني به من رعاية كريمة وتوجيهـات سـديدة طيلة عشر سنوات وذلك من خلال إشـرافه علي في مرحلـتي الماجستير والـدكتوراه، ولم يـأل جهـدا خلال هـذه المـدة في النصح والإرشاد والمتابعة المسـتمرة والوقـوف معي في حـالات الصـعوبة والشـدة، فكـان بعد الله خـير معين على إكمالي الدراسة في هذه المراحل وإخـراج رسـائلها إلى الصـور المطلوبة فجـزاه الله عـني خـيرا، وأجـزل له المثوبة، وأقر عينه في عقبه إنه تعـالى ولي ذلك والقـادر عليه.

كما أخص بالشكر فضيلة الشيخ الـدكتور عبد الله بن عبد الـــــرحمن الجربـــــوع - يحفظه الله - عضو هيئة التـــدريس في قسم العقيـــدة ورئيسه الســـابق، وإمـــام مســـجد حي الشـــهداء حيث منحـــني كثـــيرا من وقته مع كثرة أشـغاله، وأفـادني بما عنـده من خـبرة في مبـاحث

الإيمان، فكان لجلساتي معه في مسجده المبارك أثره الطيب على كثير من مباحث هذه الرسالة.

وأشكر الشيخين الكريمين مناقشي هذه الرسالة فضيلة الدكتور فهد بن سليمان الفهيد عميد كلية أصول الدين السابق في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض، وفضيلة الأستاذ الدكتور محمد بن عبد الرحمن أبو سيف على قبولهما مناقشة هذه الرسالة على كثرة أعمالهم وثقل المسؤوليات المنوطة بهم، وآمل إن شاء الله الاستفادة من ملحوظاتهما، كما أسأل الله تعالى أن يجزيهم عني خير الجزاء ويوفقهم لخيري الدنيا والآخرة.

كما أشكر كل من مدّ إليّ يد العون في هذا البحث من إعارة كتاب، أو إبداء رأي من كافة أساتذتي وزملائي، فجزاهم الله عني خيرا، وأسأل الله تعالى أن يتقبل من الجميع تعاونهم، وأن يوفقني وإياهم لكل خير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

بيان معنى حلاوة الإيمان وتعريف المفردات المتعلقة بها

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف حلاوة الإيمان

المبحث الثاني: تعريف الألفاظ المرادفة لكلمة الحلاوة وبيـان مناسـبة إضـافتها إلى الإيمان

المبحث الأول

تعريف حلاوة الإيمان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف كلمة الحلاوة

المطلب الثاني: تعريف كلمة الإيمان

المطلب الثالث: المراد بحلاوة الإيمان

المطلب الأول
تعريف كلمة "الحلاوة"

الحلاوة لغة:

أصل الكلمـة: الحلاوة مصـدر من الفعل حَلاَ يَحْلُـو، والحــاء واللام والحــرف المعتــلُّ بعــدهما، ثلاثة أصــول: فالأول: طيب الشيء في ميل من النفس إليـه، والثـاني: تحسين الشيء، والثالث وهو مهموز تنمية الشيء[1].

تصاريفها: يقال: حلاَ يَحْلُو حلاوةً وهو حُلْوٌ من بــاب دَعَا ورَضَا [2].

معانيها: تطلق كلمة الحلاوة على عدة معانٍ منها:

1- الطيب اللذيذ المضــاد للمُــرّ يقــال: حلاَ في فمِي يَحْلُو حَلاوةً وهو حُلْـــوٌ أي: خلاف المـــر، فـــالحلاوة ضد المرارة[3].

2- تحسين الشيء والإعجـاب منه يقـال: حَلِيَ بعيـني وبصـــدري يَحْلَى حَلاوةً وحُلوانـــاً إذا أعجبـــك، وتقـــول: استَحْلَيْتُ الشَّيْءَ أي: رأيته حُلواً[4].

3- العطاء والجزاء يقال: حلَوْتُ الرَّجُـلَ أَحْلُـوهُ حَلْـواً وحُلْوَاناً إذا أعطيته[5]، وحلاَّهُ حُلْوَانَهُ أي: جزاه جزاءه[6].

---

1 (?) انظر: معجم مقاييس اللغة 2/94.

2 (?) انظــر: تهــذيب اللغة للأزهــري 5/233، معجم مقــاييس اللغة 2/94، لسان العرب 3/308، المصباح المنير ص 129.

3 (?) انظر: معجم مقاييس اللغة 2/94، لسان العـرب 3/309، المصباح المنير ص 129.

4 (?) انظر: معجم مقاييس اللغة 2/94، لسان العرب 3/309.

5 (?) انظــر: معجم مقــاييس اللغة 2/94، الصــحاح للجــوهري 6/2318.

6 (?) انظر: معجم مقاييس اللغة 2/94.

4- إصابة الخير، يقال: حلاَ منه حَلِي حُلْوَاناً أي: أصاب منه خيراً[1].

ومن خلال ما سبق من المعاني يلاحظ أن كلمة الحلاوة يدور معناها في اللغة حول استلذاذ الشيء واستحسانه، والشعور بطيبه ولذته، إما بالفم وإما بالقلب.

الحلاوة اصطلاحا:

الحلاوة في الاصطلاح اسم لكل حلو لا يكون من جنسه غير حلو، ويغلب استعمالها على الطعام والشراب، فكل طعام وشراب تحدث فيه حلاوة فهو حُلْوٌ[2].

ويطلق اسم الحلاوة في العُرف على كل طعام مُعالجٍ بالسّكر، أو ما جُهّز بشكلٍ خاصٍ يضمن فيه الجودة والحلاوة، وهذا قد يختلف فيه الناس باختلاف أذواقهم وميولهم فالطعام الذي يكون حلواً عند قومٍ قد يكون مُرّاً عند آخرين، لأسباب عديدة كأن لا يكون هذا النوع معروفاً عندهم فلا شهية لهم فيه، أو باختلاف طريقة الإعداد أو غير ذلك.

ولكن هناك ما هو حلوٌ لذاته باتفاق الناس كالعسل والسّكر مثلاً، لم يقل أحد من العقلاء بأن العسل مُرٌّ، وإن كان هذا قد يحصل فيه اختلاف الذوق على حسب قوة الشخص أو ضعفه في إدراك هذه الحلاوة وعدم إدراكها،

---

1 (?) انظر: لسان العرب 3/309، معجم متن اللغة للشيخ أحمد رضا 2/155.

2 (?) انظر: كتاب العين 3/295، الكليات ص 360.

فالمريض قد يجد طعم العسل مُرًّا والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، فكلما نقصت الصـحة شـيئا نقص ذوقه بقـدر ذلك[1] وهـذا أمر مجـرب، وقاعـدة مهمة في هـذا الموضوع. إذن فالشـيء قد يكـون حلـوا لذاته ولغـيره، أو حلوا لذاته مُرّاً لغيره بسبب مرض أو علّة، فكل ما يلتذ به الإنسان وينتفع به من طعامٍ وشـرابٍ ولبـاسٍ ونحوها فهو حُلْوٌ، ويطلق على مذاقه اسم الحلاوة.

---

[1] (?) انظر: فتح الباري لابن حجر 1/77.

المطلب الثاني
تعريف كلمة "الإيمان"

الإيمان في اللغة:

أصل الكلمة: الإيمان مصدر من الفعل آمَنَ، وأصل آمن أَأْمَنَ بهمــزتين لُيِّنَتْ الثانيــة، ومنه المهيمن وأصــله مُؤَأْمِنٌ لُيِّنَتْ الثانية وقُلِبَت ياءً وقُلِبَت الأول هاءً[1].

تصاريفها: يقال: آمن يُؤْمِنُ إِيمَاناً فهو مُؤْمِن[2].

معانيها: وردت عــدة معــانٍ لغوية في لفظ الإيمــان منها:

1- التصديق: تقول: آمَنْتُ بالشيء إيماناً أي: صــدقت به[3]، وقوله تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭼ[4] أي: بمصدق لنا[5].

2- الثقة يقال: ما آمن أن يجد صحابةً، إيماناً أي: ما وثق[6].

3- الطمأنينة يقال: أَمِنَ أَمْناً وأماناً: اطمــأنّ فهو أَمِنٌ وآمِنٌ[7].

---

1 (?) انظر: الصحاح للجوهري 5/2071.
2 (?) انظر: تهذيب اللغة 15/513.
3 (?) انظر: تهذيب اللغة 15/513.
4 (?) سورة يوسف الآية: 17.
5 (?) انظر: مفردات ألفاظ القـرآن ص 91، مجمـوع الفتـاوى 7/637.
6 (?) انظــر: الصــحاح للجــوهري 5/2071، تهــذيب اللغة 15/516.
7 (?) انظر: تهذيب اللغة 15/516.

قـــال الـــراغب الأصـــفهاني: (أصل الأمن: طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان في الأصل مصادر)[8].

8 (?) مفردات ألفاظ القرآن ص 19.

4- الإقرار: وهو اختيار شـيخ الإسـلام ابن تيمية -رحمه الله- لأنه رأى لفظة "أقـر" أصـدق في الدلالة على معـنى الإيمـان من غيرها من الألفـاظ الـتي فسر بها الإيمـان[1]، ولأن "قــر" وآمن متقاربــان، فالإيمــان دخــول في الأمن، والإقرار دخول في الإقرار، ولأن الإيمان مــأخوذ من الأمن الـذي هو الطمأنينـة، كما أن لفظ الإقـرار مـأخوذ من قَـرَّ يُقِرُّ، وهو قريب من آمن يؤمن والإقرار ضمن قـول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الـذي هو الانقيـاد، كما أن الإقرار هو الاعتراف بالله والعبادة له[2].

الإيمان شرعا:

والإيمان في الشرع**:** هو قول باللسان واعتقاد بـالقلب وعمل بالجوارح يزيد وينقص. هـذا هو التعريف الـذي أجمع عليه السلف رحمهم الله.

يقـــول شـــيخ الإســـلام ابن تيمية - رحمه الله - : (وجمهـــور الســـلف، وهو مـــذهب أهل الحـــديث، وهو المنسـوب إلى أهل السـنة، أن الإيمـان قـول وعمل يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية)[3].

والمقصـــود بـــالقول والعمل هـــو: العبـــادات القولية والعملية، فقد بين السـلف رحمهم الله بـأن الإيمـان جميع ما يحبه الله ورســـوله من أقـــوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة، فيراد بالإيمان إذن ما يراد بالطاعة والعبادة.

قـال القاضي أبو يعلى - رحمه الله في تعريف الإيمـان -: (هو جميع الطاعات الباطنة والظـاهرة، فالباطنة أعمـال

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى 7/638-639.
2 (?) انظر: مجموع الفتاوى 7/530، 637، 638-639.
3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 7/505.

القلب، وهو تصــديق القلب، والظـــاهرة أعمـــال البـــدن الواجبات والمندوبات)[1].

وقـــال شـــيخ الإســـلام: (فلفظ الإيمـــان إذا أطلق في القـــرآن والســـنة يـــراد به ما يـــراد بلفظ "الـــبر" وبلفظ "التقـــوى" وبلفظ "الـــدين" ... فكل ما يحبه الله ورســـوله يدخل في اسم الإيمان)[2].

ويؤكد هذا المعنى حديث شعب الإيمان، وفيه أن النبي قال: «الإيمان بضعة وسبعون- أو بضعة وســتون شــعبة - فأعلاها: قـــــول لا إله إلا اللـــــه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان»[3].

فأخبر أن الإيمان أصل له شعب متعددة، وكل شــعبة منها تســمى إيمانــاً؛ فالصــلاة من الإيمــان، وكــذلك الزكــاة والصوم والحج، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل والخشية من الله والإنابة إليه حــتى تنتهي هــذه الشــعب إلى إماطة الأذى عن الطريق[4].

فاتضح من هذا أن العبادات تسمى إيمانا، وأن الإيمـــان شامل لجميع العبادات، بل هي مقوماتــه، وبقــدر قوتها في القلب يقوى الإيمــان، ويجــني ثمرتــه، وقد يــرتقي بصــاحبه

---

1 (?) مسائل الإيمان للقاضي أبي يعلى ص 152.

2 (?) مجموع الفتاوى 7/179.

3 (?) رواه البخــاري في صــحيحه بلفظ: "بضع وســتون" كتــاب الإيمان باب أمور الإيمان حديث 9، ومسلم في صحيحه بلفظ: "بضع وسبعون" كتاب الإيمــان بــاب بيــان عــدد شــعب الإيمــان حديث 35.

4 (?) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي 2/476.

إلى درجة التلــذذ والاســتحلاء بالطاعــات، فيســهل عليه القيــام بهــا، ولا يشق عليه معاناتها كما سيتضح معنا في هذه الرسالة إن شاء الله.

المطلب الثالث
المراد بحلاوة الإيمان

وإذا عرفنا معاني كل من الحلاوة والإيمان، يسهل بعد ذلك بيان المراد بحلاوة الإيمان باستخراج نتيجة الجمع بينهما إلى قول واحد يتضح فيه المقصود.

فحلاوة الإيمان على ضوء ما تقدم هي: ما يجده قلب المؤمن من اللذة وطيب النفس والطمأنينة عند القيام بالطاعات الباطنة والظاهرة على الوجه الذي يرضي الله . وقد وجدت أقوال العلماء حول هذا المعنى:

1- قال ابن بطال[1] - رحمه الله -: (حلاوة الإيمان هو استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات فيما يرضي الله تعالى ورسوله ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا؛ رغبة في نعيم الآخرة الذي لا يبيد ولا يفنى)[2].

---

1 (?) هو العلامة أبو الحسن، علي بن خلف ابن بطال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، ويعرف بابن اللجام، كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة، شرح " الصحيح " في عدة أسفار، توفي في صفر سنة 449هـ (انظر: سير أعلام النبلاء 18/47، وشذرات الذهب 3/282).

2 (?) شرح صحيح البخاري لابن بطال 1/66، ونقل النووي هذا المعنى في شرح صحيح مسلم 2/13 وابن حجر في فتح الباري 1/78.

2- وقال أبو العباس القرطـبي[1] - رحمه الله -: (هي عبـارة عما يجـده المـؤمن المحقّق في إيمانـه، المطمئنّ قلبه به؛ من انشـراح صـدره وتنـويره بمعرفة الله تعـالى ومعرفة رســوله ﷺ، ومعرفة مِنّة الله تعــالى عليه في أن أنعم عليه بالإســلام، ونَظَمه في ســلك أمّة محمد خــير الأنـام، وحَبّب إليه الإيمـان والمؤمـنين، وبَغَّض إليه الكفر والكافرين، وأنجاه من قبيح أفعالهم، وركاكةِ أحوالهم)[2].

3- وقال القسطلاني[3] - رحمه الله -: (حلاوة الإيمان استلذاذه بالطاعات عند قـوة النفس بالإيمـان، وانشـراح الصدر له بحيث يخالط لحمه ودمه)[4].

---

1 (?) هو أحمد بن عمر إبراهيم الأنصاري أبو العباس القرطبي، المالكي ولد بقرطبة واشتغل بالحديث صاحب كتـاب "المفهم لما أشكل تلخيص كتاب مسـلم"، واختصـار صـحيح البخـاري، تــوفي ســنة 656هـ بالإســكندرية. (انظــر: البداية والنهاية 17/381، الوافي بالوفيات 7/264).

2 (?) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم 1/210.

3 (?) هو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك أبو العباس شـهاب الـدين القسـطلاني الشـافعي المصـري، من علمـاء الحديث. مولده في سنة 851هـ ووفاته في سـنة 923هـ في القـاهرة. (انظـر: نيل الابتهـاج للتنبكـتي ص 563، والأعلام للزركلي 1/232).

4 (?) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري 1/140.

4- وقال السنوسي[1] -رحمه الله-: (وجد حلاوة الإيمان أي: استلذه واستطلبه وأخذ بجامع قلبه حتى يود أن لا يفارقه ولو في نفس كأحب الأشياء عنده)[2].

5- وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-: (وحلاوة الإيمان: ما يجده الإنسان في نفسه وقلبه من الطمأنينة والراحة والانشراح، وليست مدركة باللعاب والفم فالمقصود بالحلاوة هنا: الحلاوة القلبية)[3].

6- وقال الشيخ سعد الصالح: (ما يجده المسلم من راحة النفس وسعادة القلب وانشراح الصدر وسعة البال أثناء العبادة وعقب الانتهاء منها)[4].

7- وقال محمود فرج العقده: (هي ما تجده القلوب السليمة والعقول الصحيحة والصدور النقية باعتقاد الإيمان والعمل به من البشاشة والابتهاج، والطمأنينة والارتياح والسرور والانشراح)[5].

---

1 (?) هو محمد بن محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبد الله السنوسي الحسني، التلمساني محدث متكلم منطقي مقرئ ولد سنة 832هـ وتوفي سنة 895 هـ (الأعلام للزركلي 7/154).

2 (?) مكمل إكمال الإكمال شرح إكمال الإكمال للإمام محمد بن محمد بن يوسف السنوسي 1/233.

3 (?) القول المفيد على كتاب التوحيد شرح الشيخ محمد بن العثيمين -رحمه الله- 2/187.

4 (?) لذة العبادة حقيقتها وأسباب تحصيلها تأليف: الشيخ سعد الصالح ص 8.

5 (?) مقالة في حلاوة الإيمان محمود فرج العقده مجلة الأزهر صفر 1375 هـ، 1955م مركز الملك الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض رقم: 018365 ص 172.

8- وقال خالد السيد روشـه: (إنها تلك السـعادة الـتي تغمر المرء المؤمن أثناء عبادته لربـه، وتلك الحلاوة الـتي يستشـعرها الصـالحون أثنـاء أدائهم لطاعـات ربهم، وهي ذلك الفيض النـوراني الـذي يعم القلب إذا أقبل الإنسـان على ربه مخلصا صادقا، فترى المؤمن وقد علته السكينة، وسـكنته الطمأنينـة، واشـتعر بالسـرور والهنـاءة، وأحس بمعاني الإيمان)[1].

فتلك جملة من التعريفـات الـتي وقفت عليها وكلها متقاربة، وتـؤدي إلى معـنى واحد وهو وجـود حلاوة ولـذة في القلب لأمر يوجب تلك الحلاوة واللذة.

---

1 (?) لذة العبادة تأليف خالد السيد روشه ص 498.

المبحث الثاني

تعريف الألفاظ المرادفة لكلمة الحلاوة وبيان مناسبة إضافتها إلى الإيمان

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف كلمة "طعم" وبيان مناسبة إضافتها إلى الإيمان

المطلب الثاني: تعريف كلمة "لذة" وبيان مناسبة إضافتها إلى الإيمان

المطلب الثالث: تعريف كلمة "وَجَد" و"ذَاقَ"

المطلب الرابع: بيان الفرق بين وجود حلاوة الإيمان وذوقه

المطلب الأول
تعريف كلمة الطَّعْمُ وبيان مناسبة إضافتها إلى الإيمان

تقتضي ضرورة البحث التعريف ببعض الكلمـات الـتي لها علاقة بمصــطلح الحلاوة، وذلك لــدخولها في صــلب موضــوعنا وكــثرة اســتعمالها فيــه، فــإن لفظ "الطعم" و"اللذة" و"الوجد" و"الذوق" من الألفاظ التي وردت في أحاديث حلاوة الإيمان[1]، ويكثر ورودها في الأمــور القلبية والمشاعر النفسية، والأحوال الإيمانية، كل يعبر لما يجده بما يحقق مطلوبه من هذه الألفـاظ، فلا بد إذن من بيـان المـراد من هـذه الألفـاظ وتحديد المفـاهيم الصـحيحة لها منذ البداية.

الطعم لغة:

أصل الكلمـة: الطّعْمُ مصـدر من الفعل طعِمَ، قـال ابن فـارس: (الطـاء والعين والميم أصل مطّـرد مِنقـاسٌ في تذوق الشيء)[2].

تصـــاريفها: يقـــال: طَعِم يَطْعَمُ طَعْمـــاً وطُعْمـــاً وطَعَاماً على وزن فَعِلَ يَفْعَلُ مثل تَعِبَ يَتْعَبُ[3].

معانيها: تطلق كلمة الطعم على معانٍ هي:

1- الطَّعْمُ بالفتح: ما يؤديه ذوق الشــيء من حلاوة أو مـرارة أو غيرهمـا، يقـال: طعمه حلْـوٌ أو مـرٌّ أو حـامضٌ، وتغير طعمه إذا خرج عن وصفه الخلقي[4].

---

1 (?) ستأتي هذه الأحاديث في ص 26، 29، 32.

2 (?) معجم مقاييس اللغة 3/411.

3 (?) انظر: الصحاح للجوهري 5/1974.

4 (?) الصحاح للجهوري 5/1974، الكليات ص 585، المصباح المنير ص 304.

2- ما يُشــتهى منــه، يقــال: ليس له طَعْمٌ، وما فلان بذي طَعْمٍ إذا كان غثاً[1][2].

3- الطَّعْمُ: الحَبُّ الذي يلقى للطير[3].

4- الطُّعْمُ بالضم: الأكـل، وقد طَعِمَ يَطْعَم طُعْمـاً فهو طاعِمٌ إذا أكل أو ذاق، ومنه قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ[4] وقوله ﷻ: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ[5] أي: من لم يذقه[6].

الطعم اصطلاحا:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي لكلمة الطعم عن المعـنى اللغـوي، فهـو اسـم يطلـق على كـل مـا يدركـه الـذوق أو اللســان من الحلاوة أو المــرارة، فطعم الشــيء: حلاوتــه ومرارتــه ومــا بينهما[7]، غـير أنـه لا يقتصـر اسـتعماله على الطعام والشراب فحسب؛ فقد ورد استعماله في غـير هـذا البـاب كمـا يقـال: اسـتطعمه الحـديث أي: سـأله أن يذيقـه طعم حديثه[8] ويريد بــذلك حلاوتــه، فالإنســان يجــد طعم الحديث كما يجـد طعم أكـلٍ لذيـذ، ومن هـذا الوجـه أطلـق كلمــة الطعم على الإيمــان، يقــال: طَعِم الإيمــان أو ذاق

---

1 (?) الغَثُّ: المهــزول، وقد غثّ يَغِثّ ويَغَثّ، وغثّ الحــديث: فسد (القاموس المحيط ص 274).

2 (?) الصحاح للجهوري 5/1974، المصباح المنير ص 304.

3 (?) كتاب العين 2/26.

4 (?) سورة الأحزاب الآية 53.

5 (?) سورة البقرة الآية 249.

6 (?) انظـر: تفسـير القرطـبي 1/423، الصـحاح للجهـوري 5/1974.

7 (?) انظر: القاموس المحيط 2/1492.

8 (?) انظر: معجم مقاييس اللغة 3/411.

طعمه. قال ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا ... »[1] أي: وجد لذته في قلبه.

المطلب الثاني
تعريف كلمة "اللذّة" وبيان مناسبة إضافتها إلى الإيمان

اللذة لغة:

أصل الكلمة: اللّذّة مأخوذ من الفعل لذّ، قال ابن فارس: (لذ: اللام والذال أصل صحيح واحدٌ يدلُّ على طِيبِ طعمٍ في الشَّيء)[2].

تصاريفها: تقول: لَذّ الشيءُ يَلَذُّ، لَذَاذاً ولذاذةً، ولَذِذْتُه أَلَذُّه لذاذاً، وهو لَذٌّ ولَذِيذٌ واللّذّة اسم والجمع: لذّات[3].

معانيها: تطلق كلمة اللذة في اللغة على معان منها:

1- الشيء المشتهى واللذيذ تقول: لذّ الشيءُ يلَذُّ فهو لذيذٌ أي: مشتهى، ولذِذْتُ الشيءَ لَذَاذاً أي: وجدته

---

[1] (?) رواه مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من رضي بالله ربا، وبمحمد رسولا فهو مؤمن حديث 34.

[2] (?) معجم مقاييس اللغة 5/204.

[3] (?) انظر: لسان العرب 12/267، المصباح المنير ص 450

لَذِيذاً[1] وفي التنـزيل قوله ﴿: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟﭼ[2] أي: لذيذة الطعم طيبة الشرب[3].

2- وقيـل: اللّـذّة واللّـذَاذَة واللَّذِيـذُ واللَّذْوَى: الأكـل والشرب بنعمةٍ وكفاية[4].

3- واللّذُّ بضم الذال: النّوم[5].

4- واللّذْلَذَةُ واللُّذْلاَذُ: السريع الخفيف في عمله[6].

اللذة اصطلاحا:

اللـذة في الاصـطلاح هـو ذلـك الشـعور الطيب الـذي يحصل عقب إدراك الملائم، مثل البهجة والسرور[7].

قال شيخ الإسلام - رحمه اللـه – (كـل محبـة وبغضـة فإنـه يتبعهـا لـذة وألم ففي نيـل المحبـوب لـذة، وفراقـه يكون فيه ألم، وفي نيـل المكـروه ألم، وفي العافيـة منـه تكون فيه لذة، فاللذة تكون بعد إدراك المشتهى والمحبـة تدعو إلى إدراكه)[8].

وقد عرفها الجرجـاني[9] فقـال: (اللـذة إدراك الملائم من حيث أنــه مُلائم كطعم الحلاوة عنــد حاســة الــذوق

---

1 (?) انظر: لسان العرب 12/267.

2 (?) سورة محمد الآية 15.

3 (?) تفسير القرطبي 16/237.

4 (?) لسان العرب 12/267.

5 (?) معجم مقـاييس اللغة 5/204، القـاموس المحيط 1/484، مختار الصحاح ص 596، لسان العرب 12/267.

6 (?) القاموس المحيط 1/484، لسان العرب 12/267.

7 (?) انظـر: قاعـدة في المحبة ص 60، روضة المحـبين لابن القيم ص 171.

8 (?) قاعدة في المحبة ص 60.

9 (?) هو علي بن محمد بن علي المعـــــروف بالشـــــريف الجرجاني، فيلسوف متكلم، ولد ومات في شيراز سنة 816هـ (انظر: الأعلام 2/115، 5/7).

والنور عند البصر، وحضور المرجو عند القوة الوهمية ...)[1].

يلاحظ على هذا التعريف استعمال اللذة على إدراك المنفعة بغض النظر عن حيثية الأمر الملْتَذ، سواء كان لذيذاً بذاته أو لغيره، فالمطلوب حسب التعريف هو إدراك الملائم من حيث ملاءمته للإنسان ومنفعته ومصلحته له، كإدراك حلاوة طعام لذيذ، وملاءمة ثوب جديد، ومنفعة الدواء المُرّ، لأنه ملائم من حيث إنه نافع، فيكون لذيذاً مع كونه مُرّاً. فجعلوا إدراك المنفعة هو نفس اللذة، وليست هذه هي اللذة التي نريد الوصول إليها، فإن اللذة المرادفة للحلاوة هي ذلك الشعور الطيب الذي يحصل للإنسان عقب إدراك الملائم، فهي حالة أخرى تنشأ عن الإدراك كالبهجة والسرور، ثم إن هذا الأمر الملائم إذا كان دواءً لا يكون مُرّاً بالنسبة إلى من يتناوله، فالحلاوة والمرارة لا يجتمعان، لأن في اللذة والحلاوة ما يدفع أشد المرارت، لذا كانت اللذة والحلاوة مطلوبة محبوبة بخلاف المرارة.

وقد اعترض شيخ الإسلام وغيره على هذا التعريف، وذلك قولهم: إن اللذة هو إدراك الملائم[2]، وبينوا أن الصواب أن يقال: إدراك الملائم سبب اللذة، فهي حاصلة عنه كحصول الصوت عن الحركة، والشبع عن الأكل، وذلك أن الإنسان يشتهي الطعام فيأكله فيلتذ به، وهنا ثلاثة أشياء: شهوة وإدراك ولذة، فليست اللذة هي نفس الأكل والذوق وإنما هي أمر آخر يحصل بالأكل والذوق وهو أمر يجده

---

1 (?) التعريفات للجرجاني ص 245.

2 (?) هذا التعريف في الأصل هو تعريف الفلاسفة للذة، وقد رده شيخ الإسلام وبين ما يتضمنه من لوازم باطلة (انظر: مجموع الفتاوى 7/536، 10/205، 325)ـ وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل في آخر أبواب هذه الرسالة.

الإنسان من نفسه فلا يعبر عنه بعبارة بمعنى أبين منه، وكل حي يجد في نفسه اللذة والألم[1].

والحديث عن اللذة وأقسامها ومراتبها طويل لا يسع المقام بيان كل ذلك حتى لا نخرج عن المقصود الذي هو التعريف بكلمة اللذة من ضمن الكلمات المرادفة للحلاوة.

وأما مناسبة إطلاق اللذة على الإيمان[2] فهي مناسبة جلية من كون الإيمان بالنسبة للمؤمن حُلواً ولذيذاً، يجد لذته عقب ذوقه كما يجد لذة طعام لذيذ عقب طعمه، وإذا كان الطعام ملائماً للإنسان في جسمه وبدنه، فالإيمان ملائم له في قلبه وروحه، ولا نسبة بين اللذتين، لأن ما يحصل لهم بالإيمان بالله ومعرفته من اللذة والنعيم والفرح والسرور وقرة العين فوق ما يحصل لهم من التمتع بالأكل والشرب كما سيتضح من خلال هذه الرسالة إن شاء الله.

---

1 (?) انظر: الصفدية 2/235-236، روضة المحبين لابن القيم ص 171.

2 (?) لم يرد إضافة اللذة إلى الإيمان في نص صريح، إنما ورد إضافته إلى بعض ثواب الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ [الزخرف: ٧١] أي: في الجنة، وقوله ﷺ: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ...» رواه النسائي كتاب السهو باب نوع آخر حديث 1288، ورواه أحمد في المسند 4/264، وصححه المحققون في الموسوعة الحديثية للمسند: 30/265: والإيمان بالجنة وملذاتها بما فيها النظر إلى وجه الله ﻷ ركن من أركان الإيمان باليوم الآخر.

المطلب الثالث:
تعريف كلمة "وَجَدَ" و"ذَاقَ"

إنما عبرت بالفعل الماضي وَجَدَ وذَاقَ بدلاً من المصـدر "الوَجْـد" و"الـذَّوْق" تمسـكاً بالألفـاظ الـواردة في السـنة بتصاريفها[1]، وبُعدا عن مصادر هذه الألفاظ لما حصل فيهـا من سوء استعمال عند بعض الصـوفية[2] ممـا أدى بهم إلى الانحراف عن المفهوم الصحيح لهذه الألفاظ كمـا سيتضـح ذلك قريبا إن شاء الله.

1- تعريف كلمة: وَجَدَ

وَجَدَ لغة:

أصل الكلمة: وَجَدَ فعل مـاض من الوَجْـد، قـال ابن فارس: (الواو والجيم والدال يـدل على أصـل واحـد وهـو الشيء يُلْفِيه)[3].

تصاريفها: تقـول: وَجَـد يَجِـدُ وَجْـداً وَوُجْـداً ، وجِـدَةً ووُجوداً ووِجْدَاناً[4].

معانيها: استعملت كلمة الوجد في اللغـة على عـدة معان هي:

1- الحصول على المطلوب والظفر به بعـد عدمـه أو ذهابه، يقال: وَجَدَ ضالّته يَجِدُها وُجُوداً ووِجْـدَاناً وجِـدَة أي: حصل عليها بعد أن لم تكن موجودة[5].

2- القدرة: تقـول هـذا من وَجْـدِي أي: من قـدرتي، وأنا واجد للشيء: قادر عليه[6].

---

1 (?) سيأتي ذكر الحديث في ص 32.

2 (?) سيأتي التعريف بهذه الفرقة في ص 435.

3 (?) معجم مقاييس اللغة 6/86.

4 (?) لسان العرب 15/218.

5 (?) الصـحاح للجـوهري 2/547، النهاية في غـريب الحـديث 5/334، لسان العرب 15/218.

6 (?) لسان العرب 15/219، المصباح المنير ص 531-532.

3- الغـنى: وقد أوجـده الله أي: أغنـاه، ويقـال: وَجَد يَجِدُ جِدَةً أي: استغنى غنىً لا فقر بعده[7].

4- اليسار والسّعة: الوُجْدُ والوَجْدُ والوِجْدُ بمعنى وفي التنـزيل ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ[2] وقد قُرئ بالثلاث أي: من سعتكم وما ملكتم[3].

5- الحُبُّ الشديد، تقـول: وَوَجَـد بِـه وَجْـداً في الحُبِّ، وإنه ليَجِدُ بفُلاَنَةٍ وَجْداً شديداً إذا كـان يهواهـا ويُحِبُّهـا حُبّـاً شديداً[4].

6- الغضب: يقـال: وَجَـدَ عليـه يَجِـدُ ويَجُـدُ وَجْـداً وجِـدَة ومَوْجِدَة ووِجْـدَاناً إذا غضـب، ومنـه الحـديث: «إني سـائلك فمشــدد عليــك في المســألة فلا تَجِــدْ عليَّ ...» [5] أي: لا تغضب من سؤالي[6].

7- الحــزن: تقـول: وَجِـدْتُ بفلان فأنـا أَجِـدُ وَجْـداً إذا حزنت له[7].

يتلخص لنـا من خلال هـذا العـرض للمعـاني اللغويـة لكلمة "وَجَد" أنها دائرة في الجملة حول استعمالين:

---

7 (?) انظر: النهاية في غريب الحـديث 5/334، لسـان العـرب 15/219.

2 (?) سورة الطلاق الآية 6.

3 (?) لسان العرب 15/219.

4 (?) النهاية في غــريب الحــديث 5/334، لســان العــرب 15/219.

5 (?) رواه البخاري كتاب العلم باب ما جاء في العلم ... حديث 63.

6 (?) انظر: النهاية في غريب الحديث 5/334، المصباح المنـير ص 531-532، لسان العرب 15/219.

7 (?) انظر: تهـذيب اللغة للأزهـري 11/160، المصـباح المنـير ص 532، لسان العرب 15/220.

الأول: في الحصول على المطلوب والمحبوب كالغنى بعد الفقر، والسعة واليسر بعد الضيق والعسـر، والقـدرة بعد الضعف، وكذلك الحلاوة واللذة فالحصـول عليهـا أمـر مطلوب ومحبوب.

والاستعمال الثـاني: في التعبـير عن الأحـوال القلبيـة والنفسية كالحب والغضب والحزن.

الوَجْدُ اصطلاحا:

ســـبقت الإشـــارة إلى أن الوجـــد (المصـــدر) من المصــطلحات الــتي حصــل فيهــا انحــراف من طائفــة الصوفية، فقد كثرت فيه أقاويلهم واعتنوا بـه عنايـة فائقـة حتى أصبح الناس لا يعرفون للوجد معـنى عنـد الإطلاق إلا الوجد الصوفي، ولكن الشريعة الإسلامية كانت قد عــبرت عن الوجد على لسان نبيها قبل وجود الصوفية.

إذن نقول: الوجد نوعـان: وجـد شـرعي ديـني، ووجـد صوفي بدعي.

أما الوجد الشرعي الديني، فهو مـا عـبر عنـه النـبي في قوله: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليـه ممـا سـواهما، وأن يحب المـرء لا يحبه إلا لله، وأن يكـره أن يعـود في الكفـر كمـا يكـره أن يقذف في النار» [1].

فجعل الوجد الديني مـا كـان معلقـاً بـالأمور الثلاثـة المـذكورة في الحـديث، ومرجعهـا إلى المحبـة الإيمانيـة الموجبة لحلاوة الإيمان.

قال ابن القيم - في بيان المقصود بالوجد -: (هو ثمرة أعمال القلوب، من الحب في الله والبغض فيه، كما جعله

---

[1] (?) رواه البخاري كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان حديث 16، ومسلم كتاب الإيمـان بـاب بيـان خصـال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان حديث 43.

النـبي ثمـرة كـون اللـه ورسـوله أحب إلى العبـد ممـا سواهما، وثمرة الحب فيه، وكراهة عـوده في الكفـر كمـا يكره أن يقذف في النار. فهذا الوجـد ثمـرة هـذه الأعمـال القلبية، التي هي الحب في الله والبغض في الله)[1].

هـذا هـو الوجـد الـديني الشـرعي، وهـو حالـة إيمانيـة يجـدها المـؤمن في قلبـه بعـد أو أثنـاء قيامـه بطاعـة ربـه ظاهراً وباطناً. وهذا الوجد محكوم عليـه وليس حاكمـاً، فلا يحتكم إليه ولا يعول إليه لعدم الدليل على ذلـك، فالحـاكم هو كتاب الله وسنة رسوله .

أما الوجد الصوفي البدعي، فلم يتفق القـوم أنفسـهم في تعريفه وتحديد مفهومه، حيث جاءت أقوالهم في ذلـك أكثر من أن تحصر، وسيأتي بيانهـا بالتفصـيل في الحـديث عن انحرافات الصوفية في حلاوة الإيمان في آخر فصـول هذه الرسالة إن شاء الله[2]، وسأكتفي هنا بإعطـاء صـورة موجزة عن الوجد الصوفي وبيان الفـرق بينـه وبين الوجـد الشرعي.

قـال الكلابـاذي: (ومعـنى الوجد: هو ما صـادف القلب من فزع أو غم أو رؤية معنى من أحوال الآخرة، أو كشف حالة بين العبد والله)[3].

وقال الغزالي: (الوجد عبارة عن حالة يثمرها السـماع)[4] ثم أخذ يـبين مرجـع هـذه الحالـة فقـال: (فإنهـا إمـا أن

---

1 (?) مدارج السالكين 3/72.

2 (?) انظر: ص 434 وما بعدها.

3 (?) التعرف لمذهب التصوف ص 89.

4 (?) سيأتي التعريف بالسـماع الصـوفي وبيـان حقيقته في ص 438.

ترجع إلى مكاشفات[1] ومشاهدات[2] من قبيل العلوم والتنبيهات وإما أن ترجع إلى تغيرات الأحوال يهيجها السماع ويقويها ...)[3].

هذا هو الوجد الصوفي، وحاصله مكاشفات ومشاهدات، ثم إن الأمر لا ينتهي إلى هذا الحد بل عظموا قضية الوجد ومجدوا وأسرفوا فيه حتى جعلوه هو الميزان وهو الغاية، وبه يعرف الحق من الباطل، فما وافق مواجيدهم قُبل وما خالفها رُد، من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف هذه الأمة.

قال شيخ الإسلام: (وأصل ضلال من ضل هو بتقديم قياسه على النص المنزّل من عند الله واختياره الهوى على اتباع أمر الله، فإن الذوق والوجد ونحو ذلك هو بحسب ما يحبه العبد، فكل محب له ذوق ووجد بحسب

---

1 (?) الكشف لغة: رفع الحجاب، وفي الاصطلاح الصوفي يعرفونه بأنه الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية وجوداً وشهوداً (التعريفات للجرجاني ص 237).
والكشف عند الصوفية هو المكاشفة، ويطلقون المكاشفة على رفع الحجاب الذي يكون بين الروح الجسماني والذي لا يمكن إدراكه بالحواس الظاهرة، وقد يطلق المكاشفة على المشاهدة أيضا. (معجم مصطلحات الصوفية د. أنور فؤاد ص 147). قال الغزالي: (فنعني بعلم المكاشفة: أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه) إحياء علوم الدين 1/20.

2 (?) المشاهدة عند القوم تعني: المحاضرة والمداناة، وقيل: هي رؤية الحق ببصر القلب من غير شبهة كأنه رآه بالعين (معجم مصطلحات الصوفية للحفني ص 244).

3 (?) إحياء علوم الدين 2/293.

محبته، فأهل الإيمان لهم من الذوق والوجد مثل ما بينه النبي ... وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكل بحسبه ... وهؤلاء الذين يتبعون أذواقهم ومواجيدهم من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة)[1].

وبهذا اتضح لنا الفرق بين الوجد الديني الشرعي المستمد من كتاب الله وسنة رسوله ، والذي هو أصل الأعمال الظاهرة وثمرة الأعمال الباطنة، وبين الوجد الصوفي البدعي المستمد من أهواء القوم وأذواقهم، وكل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فهو باطل[2].

2- تعريف كلمة: ذَاقَ

ذَاقَ لغة:

أصل الكلمة: ذَاقَ فعل ماضٍ من الذَّوق، والذال والواو والقاف أصل واحد، وهو اختبار الشيء من جهة تَطَعُّم[3].

تصاريفها: تقول: ذَاقَ يَذُوقُ ذَوْقاً وذَوَاقاً ومَذَاقاً ومذاقةً على وزن قَالَ يَقُول قَوْلاً[4].

معانيها: تستعمل كلمة الذوق في اللغة على عدة معان هي:

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/169-170.
2 (?) انظر: مجموع الفتاوى 2/454.
3 (?) معجم مقاييس اللغة 2/364-365.
4 (?) لسان العرب 5/71، القاموس المحيط 2/1176، مختار الصحاح ص 225.

1- إدراك طعم الشـيء، يقـال: ذاق الشـيء يذوقـه ذوقـاً وذواقـاً ومـذاقاً أي: أدرك طعمـه بلسـانه، وذواقـه ومذاقه طيب وهو مُرُّ المذاق أي: الطعم[1].

2- اختبار الشيء وتجربته، تقول: ذقت فلانا وذقت ما عنده أي اختبرته، وذقت الشيء: جربتـه، وأمـر مسـتذاق أي: مجرّبٌ معلوم[2].

3- اســتعمالها في كل ما يحس به ويجد ألمه أو لذته ظاهرا وباطنا، فقد بين العلماء بأن لفـظ الـذوق لا يختص بحاسة الفم في لغة القرآن ولا في لغة لعرب[3].

قال شـيخ الإسـلام: (ولفظ الـذوق وإن كـان قد يظن أنه في الأصل مختص بــذوق اللســان فاســتعماله في الكتاب والسنة يدل على أنه أعم من ذلك، مسـتعمل في الإحساس بالملائم والمنافر)[4].

ومن استعمالات القرآن للفظ الذوق ما يلي:

---

1 (?) انظــر: المصــباح المنــير ص 177، معجم متن اللغة 2/515.

2 (?) انظر: معجم مقاييس اللغة 2/365، المصباح المنـير ص 177، كتاب العين 5/210، لسان العرب 5/71.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 7/110، مـدارج السـالكين 3/90-91، تاج العروس 1/6322-6323.

4 (?) مجموع الفتاوى 10/334.

1- استعماله في الإحساس بالعذاب والألم، ومن ذلك قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﭼ[1] وقوله تعالى: ﭽ   ﭼ[2]، وقوله تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[3].

2- استعماله في الإحساس بالرحمة والنعمة كما في قوله تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ   ﭼ[4]، وقوله: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ   ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ[5].

3- استعماله تعبيرا عن الابتلاء والاختبار كقوله تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ[6].

ومن استعمالات السنة النبوية:

1- استعماله تعبيرا عن الإحساس بحلاوة الجماع كما في قوله : لامرأة رفاعة: «حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك»[7].

2- استعماله في الإحساس بسكرات الموت، كما في قصة أبي بكر لما مات رسول الله ، أنه جاء فكشف عنه وقبّله ثم قال: «بأبي

---

[1] (?) سورة الأنعام الآية: 30.

[2] (?) سورة القمر الآية: 48.

[3] (?) سورة النبأ الآية: 24.

[4] (?) سورة هود الآية: 9.

[5] (?) سورة هود الآية: 10.

[6] (?) سورة النحل الآية: 112.

[7] (?) رواه البخاري كتاب الشهادات باب شهادة المختبئ حديث 2639.

أنت وأمّي، طبت حيّاً وميّتاً، والذي نفسـي بيـده لا يُـذِيقك الله الموتتين أبدا»[1].

3- استعماله في الإحساس بحلاوة الإيمان في القلب كما في قوله : «ذاق طعم الإيمان من رضـي باللـه ربـاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ رسولاً »[2].

وهذا هو محور بحثنا، وهو المقصـود بالـذوق في هـذه الرسالة، وقد اتضـح من كـل مـا سـبق من المعـاني بـأن لفظ الذوق عام في كل ما يحس به الإنسان ويذوقــه من طعـام وغــيره، ويكـون بـالفم وبغـير الفم، وفيمـا يكـره ويحمد.

الذوق اصطلاحا:

عرفه ابن القيم - رحمه الله - فقال: (الذوق مباشـرة الحاسـة الظـاهرة والباطنـة للملائم والمنـافر، ولا يختص ذلك بحاسة الفم في لغة القرآن، بل ولا في لغة العـرب)[3].

وقال أبـو البقـاء الكفـوي[4] في الكليـات: (الـذوق هـو عبارة عن قوة مرتبة في العصـبة البسـيطة على السـطح الظـاهر من اللسـان، من شـأنها إدراك مـا يـرد عليـه من

---

1 (?) رواه البخاري كتاب فضائل الصحابة باب قوله : «لو كنت متخذا خليلا» حديث 3667.

2 (?) تقدم تخريجه في ص 26.

3 (?) مدارج السالكين 3/90.

4 (?) هو أيوب بن موسى الحسيني القريمي أبو البقاء الكفوي، صاحب الكليات كان من قضاة الأحناف، عـاش وولي القضـاء في (كفه) بتركيـا، وبالقـدس، وببغـداد. وعـاد إلى اسـتانبول فتوفي بها ودفن في تربة خالد. (الأعلام 2/38).

خـــارج الكيفيـــات الملموســـة وهي الحـــرارة والرطوبـــة والبرودة واليبوسة)[1] وكذا الحلاوة والمرارة. هـذا تعريـف من جعل الذوق مختصا بالفم فقـط، ويـرده مـا سـبق من بيان استعمالات الذوق في غير الفم.

ويقال في مصطلح "الذوق" مثل ما قيل في مصطلح "الوجـد" من أنـه ينقســم من حيث الاســتعمال إلى ذوق شرعي سني وذوق صوفي بدعي.

أما الذوق الشرعي السني، فهو ما عبّـر عنـه النـبي في الحديث المتقدم بقوله: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا»[2].

فـأخبر أن للإيمـان طعمـا، وأن القلب يذوقـه كمـا يذوق الفم الطعام والشراب[3]، وحقيقة هذا الذوق هو أن يذوق القلب حلاوة عبوديته لله ومحبته له، فلا يجـد بعـد ذلك شيئا أحب إليـه من ذلـك حـتى يقدمـه عليه، هـذا هو الذوق الشرعي[4].

وأما الذوق الصوفي البدعي فقد عرفه القوم بأنه نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل، من غـير أن ينقلـوا ذلك من كتـاب أو غيره[5]. فهو عندهم حال من الأحوال ينتقل به صاحبه بعد

---

1 (?) الكليات ص 462، انظر أيضا: المصباح المنـير ص 177، التعريفات للجرجاني ص 107 والتعاريف للمناوي 351.

2 (?) انظر: ص 26.

3 (?) مدارج السالكين 3/91.

4 (?) انظر: مجموع الفتاوى 10/215.

5 (?) التعريفــات للجرجــاني ص 144، معجم المصــطلحات

ذلـك إلى الشـرب[1]، وهـو نـاتج عن تجلي اللـه سـبحانه وتعالى على قلوب أوليائه، بـل هـو أول مبـادئ التجليـات الإلهية[2].

هذا هو الذوق الصوفي الـذي جعلـوه أصـلاً من أصـول الـدين، ومصـدراً من مصـادر التلقي يحـل محـل الكتـاب والسنة في أمور الدين، فمـا وافـق أذواقهم قُبـل ومـا لم يوافقها لا يقبـل ولا يكـون من الـدين، فهم يحتكمـون إلى أذواقهم ومواجيدهم التي لا حدّ لها ولا حصر، فكـان ذلـك سبباً لضلالهم.

قـــال ابن القيم: (إن الـــذوق والحـــال والوجد: هل هو حاكم أو محكوم عليه، فيحكم عليه بحاكم آخر، أو ويتحـاكم إليه؟ فهـذا منشأ ضـلال من ضل من المفسـدين لطريق القـوم الصـحيحة حيث جعلـوه حاكما فتحـاكموا إليه فيما يســوغ ويمتنع، وفيما هو صــحيح وفاسد، وجعلــوه محكًّا للحق والباطل، فنبـذوا لـذلك مـوجب العلم والنصـوص، وحكّمـــوا فيها الأذواق والأحـــوال والمواجيد، فعظم الأمر وتفاقم الفساد والشرّ، وطمست معالم الإيمان والسلوك

الصوفية للحفني ص 104.

[1] (?) الشّــرب عند الصــوفية تعــني تلقي الأرواح والأســرار الطـاهرة لما يَـرِدُ عليها من الكرامـات وتنعمها بـذلك، فشـبه ذلك بالشــــرب لتهنّيه وتنعمه بما يــــرد على قلبه من أنــــوار مشاهدة قـرب سـيده، ويسـمون حلاوة الطاعة ولـذة الكرامة وراحة الأنس شـرباً. (معجم المصـطلحات الصـوفية د. أنــور فؤاد ص 103).

[2] (?) انظر: الرسالة القشـيرية ص 108، معجم المصـطلحات الصوفية د. أنور فؤاد ص 87.

المستقيم، وانعكس السير، وكـان إلى الله، فصـيروه إلى النفـوس، فالنـاس المحجوبـون عن أذواقهم يعبـدون الله وهؤلاء يعبدون نفوسهم ...)[1].

[1] (?) مدارج السالكين 1/531.

المطلب الرابع
بيان الفرق بين وجود حلاوة الإيمان وذوقه

أخبر النبي في الحديثن المتقدمين عن وجـود حلاوة الإيمان وذوقها، وقال في الوجود: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمـان: أن يكـون اللـه ورسـوله أحب إليـه ممـا سـواهما، وأن يحب المـرء لا يحبـه إلا للـه، وأن يكـره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[1].

وقال في الذوق: «ذاق طعم الإيمان من رضـي باللـه ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا»[2] يظهر من الحديثين أن هناك فرق بين وجود حلاوة الإيمان وذوقها، وبيان ذلك كما يلي:

1- أنه قـرن في الحـديث الأول الوجد بـالحلاوة وفي الحديث الثاني: الذوق بـالطعم، ليعـبر عن اختصـاص الوجد بـــالحلاوة والـــذوق بـــالطعم، وقد بين ابن القيم وجه ذلك فقال: (فوجد حلاوة الشيء المذوق أخص من مجرد ذوقـه، ولما كانت الحلاوة أخص من الطعم، قـرن بها الوجد الـذي هو أخص من مجرد الـذوق، فقـرن الأخص بـالأخص والأعم بالأعم)[3].

2- أن وجود حلاوة الإيمان يعني ثبوتها واسـتقرارها في القلب، بخلاف الذوق المجـرد، فقد يثبت الشـيء بعد ذوقه وقد لا يثبت، فوجود الحلاوة ذوق لها وزيادة[4].

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 32.
2 (?) تقدم تخريجه في ص 26.
3 (?) مدارج السالكين 3/93-94.
4 (?) انظر: مدارج السالكين 3/94.

3- أن النبي جعل وجود حلاوة الإيمان معلقا بمحبة الله ورسوله، وبالمحبة فيه، وبكراهة ضد الإيمان، وجعل ذوق طعم الإيمان معلقا بالرضى بهذه الأصول، ليفرق بين الذوق والوجد، الذي هو أصل الأعمال الظاهرة وثمرة الأعمال الباطنة[1].

[1] (?) انظر: مجموع الفتاوى 2/453-454.

أدلة حلاوة الإيمان وبيان معانيها وحقيقتها ودرجات الناس وأحوالهم فيها

وتحته فصلان:

الفصل الأول: أدلة ثبـــوت حلاوة الإيمـــان وبيان معانيها في الكتـاب والسـنة وأقـوال أهل العلم

الفصل الثـاني: بيـان حقيقة حلاوة الإيمـان ودرجات الناس وأحوالهم فيها

الفصل الأول:
أدلة ثبوت حلاوة الإيمان وبيان معانيها في الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم

وتحته ثلاثة مباحث

المبحث الأول: أدلة ثبوت حلاوة الإيمــان في القرآن الكريم

المبحث الثاني: أدلة ثبوت حلاوة الإيمان من السنة النبوية

المبحث الثــالث: أقــوال أهل العلم في إثبات حلاوة الإيمان

المبحث الأول
أدلة ثبوت حلاوة الإيمان في القرآن الكريم

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: ما ورد في أن حلاوة الإيمـــان لها علاقة بحقيقة الإيمـــان في القلب

المطلب الثـــاني: ورودها بمعـــنى إنابة القلب إلى الله تعالى

المطلب الثـــالث: ورودها بمعـــنى زينة الإيمان في القلب

المطلب الرابـع: ورودها بمعـنى الحيـاة الطيبة

المطلب الخـامس: ورودها بمعـنى فـرح القلب وسروره

المطلب الأول

ما ورد في أن حلاوة الإيمان لها علاقة بحقيقة الإيمان في القلب

لم يـرد ذكر حلاوة الإيمـان بنص صـريح في القـرآن الكـريم، ولكن ورد ما يـدل عليه من المعـاني، لأن حلاوة الإيمان هي مباشـرة الإيمـان للقلـوب ومخالطة بشاشـته لهـا، وما ينتج من ذلك من ســرور وفــرح ونعيم ولــذة يستشعرها المؤمن في نفسه، وينعكس ذلك على سلوكه نحو الزيادة في أعمال الخير والثبـات على الإيمـان، فهي إذن حقيقة الإيمـان وغايته المنشـودة، وقد أشـار القـرآن إلى ذلك في آيات كثيرة منها:

1- قوله تعالى: ﭽﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ[1].

والمقصـود من نفي الإيمــان في هــذه الآية هو نفي حقيقته، ونفي أن يكون صاحبه ذاق حلاوته في قلبه.

قال ابن كثير- رحمه الله في تفسير قوله تعالى-: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﭼ (أي: لم تصلوا إلى حقيقة الإيمان بعد)[2].

وقــال الســعدي -رحمه اللــه-: (لم تــدخل بشاشة الإيمان في قلوبكم)[3].

وقـال ابن القيم - رحمه اللـه-: (وقد نفى الله تعـالى الإيمان عمن ادعاه وليس له فيه ذوق) ثم ذكر الآية وقـال: (فهؤلاء مسلمون، وليسوا بمؤمنين؛ لأنهم ليسوا ممن باشر

---

1 (?) سورة الحجرات الآية 14.

2 (?) تفسير ابن كثير 4/278.

3 (?) تفسير السعدي ص 802.

الإيمــان قلبــه، فــذاق حلاوته وطعمــه، وهــذا حــال أكــثر المنتســبين إلى الإســلام وليس هــؤلاء كفــارا، فإنه ســبحانه أثبت لهم الإسلام بقوله ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ، ولم يــرد قولــوا بألسنتكم من غير مواطأة القلب، فإنه فرق بين قولهم آمنا وقــولهم أســلمنا، ولكن لما لم يــذوقوا طعم الإيمــان، قــال: ﭽﮕ ﮖ ﭼ ، ووعــدهم ســبحانه وتعــالى - مع ذلك - على طاعتهم أن لا ينقصهم من أجور أعمالهم شيئا)[1].

وفي موضع آخر عــدّهم ابن القيم من أهل نقصـــان الإيمان لفقدان حقيقتــه، وذلك بعد أن ذكر حلاوة الإيمــان فقال: (فإن للإيمــان فرحة وحلاوة ولــذة في القلب، فمن لم يجـــدها فهو فاقد للإيمـــان أو ناقصه، وهو من القسم الذين قال الله فيهم ﭽ ﮉ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﭼ فهؤلاء على أصح القولين مسلمون غير منافقين، وليسوا بمؤمنين إذ لم يدخل الإيمان في قلوبهم فيباشرها حقيقة)[2].

2- وقال تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ[3].

قــال ابن القيم: (ثم ذكر أهل الإيمــان الــذين ذاقــوا طعمه، وهم الذين آمنــوا به وبرســوله ثم لم يرتــابوا في إيمــانهم، وإنما انتفى عنهم الــريب، لأن الإيمــان قد باشر قلــوبهم وخالطتها بشاشــته، فلم يبق للــريب فيه موضــع، وصــدّق ذلك الــذوق: بــذلهم أحب شــيء إليهم في رضى ربهم تعالى وهو أموالهم وأنفســهم، ومن الممتنع حصــول

---

1 (?) مدارج السالكين 3/95-96.
2 (?) الرسالة التبوكية لابن القيم ص 40-41.
3 (?) سورة الحجرات الآية: 15.

هذا البذل من غير ذوق طعم الإيمان ووجود حلاوته، فإن ذلك إنما يحصل بصدق الذوق والوجد ...) [1].

3- وقال تعالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ
ﭵﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ [2].

والربط على قلوبهم هو الشد والثبات من رَبَطَهُ يَرْبِطُه ويَرْبُطُه إذا شَدَّهُ [3]. وربط القلوب بالإيمان تعبير عن تمكن الإيمان وتحققه فيها.

قال البغوي -رحمه الله- (ﭽ ﯙ ﭼ شددنا ﭽ ﭑ ﭒ ﭼ بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من العز وخصب العيش وفروا بدينهم إلى الكهف) [4].

قال ابن القيم: (وهذا من أحسن الاستدلال والاستشهاد، فإن هؤلاء كانوا بين قومهم الكفار في خدمة ملكهم الكافر، فما هو إلا أن وجدوا حقيقة الإيمان والتوفيق وذاقوا حلاوته، وباشر قلوبهم، فقاموا من بين قومهم، وقالوا: ﭽ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ [5].

فدل كل ذلك على أن حلاوة الإيمان هي حقيقته وكماله.

---

1 (?) مدارج السالكين 3/96.
2 (?) سورة الكهف الآية: 14.
3 (?) انظر: معجم مقاييس اللغة 2/478.
4 (?) تفسير البغوي 5/156، وانظر: مدارج السالكين 3/70.
5 (?) مدارج السالكين 3/70.

المطلب الثاني
ورودها بمعنى إنابة القلب إلى الله تعالى

قال تعالى: ﭽ ﭼ[1].

والقلب المـــنيب هو القلب الخـــالص المقبل على الطاعة والمعرض عن المعصية، المنجذب إلى الله [2].

قـــال ابن القيم: (وحقيقة الإنابة: عكـــوف القلب على طاعة الله ومحبته والإقبال عليه)[3]. وهذه إنابة أولياء الله، وهي إنابة عبودية ومحبة، وتتضـــمن أربعة أمـــور: محبته، والخضـــوع له، والإقبـــال عليه، والإعـــراض عما ســـواه، فلا يســـتحق اسم المـــنيب إلا من اجتمعت فيه هـــذه الأربعة، والمـــنيب إلى الله: هو المســـرع إلى مرضـــاته الراجع إليه كل وقت، المتقدم إلى محابه[4].

ولا شك أن من ذاق حلاوة الإيمان كـان هـذا حاله كما بين ذلك شـــيخ الإســـلام ابن تيمية -رحمه اللـــه-، فقـــال: (ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبودية الله ومحبته لـــه، وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي انجـــذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيبا إلى الله خائفاً منه راغباً راهباً)[5].

فـــدل ذلك على أن حلاوة الإيمـــان تعبـــير عن إنابة القلب إلى اللـــه، فـــالقلوب مجبولة على حب الخـــير والطيب واللـــذة، فـــإذا أدركت أن كمـــال ذلك عند الله ظلت متوجهة إليه متعلقة به وحـــده لضـــمان بقـــاء الحـــال الطيب والاستزادة منه، والله تعالى أعلم.

---

1 (?) سورة ق الآية: 33.

2 (?) انظر: تقسير القرطبي 17/21، تفسير البغوي 4/225.

3 (?) الفوائد ص 26.

4 (?) انظر: مدارج السالكين 1/467.

5 (?) الفتاوى الكبرى 5/ 196.

المطلب الثالث
ورودها بمعنى زينة الإيمان في القلب

إنّ لقلب العبد المــؤمن زينــةً وجمــالاً كما أن لبدنه زينـــــة، والبـــــدن يســــتمد زينته وجماله من زينة القلب وجمالــــه، وذوق القلب لحلاوة الإيمــــان هو أعظم زينة وأكملها على الإطلاق، لذا امتن الله به على خيــار خلقه فقال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﭼ[1].

قـال ابن كثـير: (أي: حببه إلى نفوسـكم وحسـنه في قلوبكم)[2].

فهذه الآية دليل على ثبوت حلاوة الإيمان ونص عليها، وذلك لأن تحســين الإيمــان في القلب وتحبيبه إليه منقبة زائدة على الإيمان، وقد تقدم معنا من معاني الحلاوة في اللغة أنها تأتي بمعـنى تحسـين الشـيء[3]، فيكـون معـنى زينة الإيمان في القلب حلاوته ولذته، وهذه أكبر منن الله على العبـد: أن يحبب الله إليه الإيمـان، ويزينه في قلبـه، ويذيقة حلاوتـــه، فيكـــون الإيمــــان في القلب أعظم المحبوبات وأجمل الأشياء، فتنقاد جوارحه للعمل بشـرائع الإسلام ويتجمل الباطن بأصول الإيمان وحقائقه، وتتجمل الجوارح بأعمال الإيمان[4].

---

1 (?) سورة الحجرات الآية: 7.
2 (?) تفسير ابن كثير 4/266.
3 (?) انظر: ص 16.
4 (?) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي رحمه الله 3/94 و 114.

وفي دعاء النـبي : «اللهم زيّنا بزينة الإيمـان واجعلنا هداةً مهتدين»[5].

5 (?) رواه النسائي كتاب السـهو بـاب نـوع آخر حـديث 1305 وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي 1/281.

المطلب الرابع
ورودها بمعنى الحياة الطيبة

قال تعالى: ﮋﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡﮊ[1].

وقد وردت في معنى الحياة الطيبة عدة أقوال:

الأول: أنها الـرزق الحلال، قاله ابن عبـاس رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وغيرهما رحمهم الله.

والثـــاني: القناعة، قاله الحسن البصـــري وزيد بن وهب[2] ووهب بن منبه[3]، وهو قــول علي بن أبي طــالب .

الثـالث: أن الحيـاة الطيبة هي توفيقه إلى الطاعـات، فإنها تؤديه إلى رضوان الله قاله الضحاك.

الرابــع: أنها الجنة، قــال الحسن البصــري: (لا تطيب الحياة لأحد إلا في الجنة).

الخامس: أنها السـعادة. رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

---

1 (?) سورة النحل الآية: 97.

2 (?) هو زيد بن وهب الجهـني أبو سـليمان الكـوفي رحل إلى النـبي فقبض وهو في الطريق تـوفي في ولاية الحجـاج بعد الجماجم سنة ست وتسعين (تهذيب التهذيب 2/368).

3 (?) وهب بن منبه بن كامل بن سـيح اليمـاني الصـنعاني أبو عبد الله الأبنــاوي قاضي الصــنعاء ولد ســنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان ومـات سـنة أربع عشـرة ومائة (التـاريخ الكبـير 8/164، وسير أعلام النبلاء 4/544، والتهذيب 11/147).

السـادس: أنها حلاوة الطاعة، قالـه أبو بكر الـوراق[1] .[2]

وقد روى أبو نعيم الأصـبهاني عن الحسـين بن يحـيى الحسني أنه قال - في معنى قول الله تعالى: ﭼ ﮔ ﮕ ﮖﭽ -: (لنرزقنّه طاعةً يجد لذتها في قلبه)[3].

وقد رجح ابن كثير أن تكون الحياة الطيبة شاملة لكل ذلك[4].

وجمع الشيخ السعدي بين هذه الأقـوال فقـال: (وذلك بطمأنينة قلبه وسـكون نفسه وعـدم التفاته لما يشـوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقاً حلالاً طيباً، من حيث لا يحتسب)[5].

وأما الإمـام ابن القيم -رحمه اللـه-، فقد جعل الحيـاة الطيبة خاصة لما يحصل للقلب من سـرور وفرحـة ولـذة وابتهـاج وطمأنينـة، وانشـراح ونـور وسعة وعافيـة، وهو عيش من ذاق حلاوة الإيمان. قال - بعد أن ذكر بعضا من الأقـوال المتقدمة -: (والصـواب أنها حيـاة القلب ونعيمه وبهجته وسـروره بالإيمـان ومعرفة الله، ومحبته، والإنابة

---

1 (?) محمد بن إسـماعيل بن العبـاس بن محمد بن عمر بن مهران بن فيروز بن سعيد أبو بكر المستملى الوراق ولد ببغداد سنة 293هـ ومات سنة 378هـ (انظر: تاريخ بغداد 2/53، سير أعلام النبلاء 16/389).

2 (?) انظر لهـذه الأقـوال: تفسـير القرطـبي 10/174، وزاد المسير لابن الجوزي 4/488-489، وتفسير ابن كثير 2/762.

3 (?) حلية الأولياء 8/318.

4 (?) انظر: تفسير ابن كثير 2/762.

5 (?) تفسير السعدي ص 449.

إليه، والتوكل عليه، فإنه لا حياة أطيب من حياة صـاحبها، ولا نعيم فـوق نعيمه إلا نعيم الجنة ... وإذا كـانت حيـاة القلب حياة طيبة تبعته حياة الجوارح، فإنه ملكها)[1].

وقال السعدي -رحمه الله-: (ومن الحياة الطيبة التي يرزقونها: ذوقُ حلاوة الطاعات، واستعذاب المشقات في رضا الله تعـالى، فهـذه الأحـوال كلها خـير للمـؤمن، إن سـهل الله له طريق العبـادة وهونها حَمِـدَ اللـهَ وشـكره، وإن قامت العقبـات صـبر في اقتحامهـا، واحتسب الخـير في عنائه وجهاده ورجا عظيم الثواب)[2].

وهــذا القــول قــريب من التعريف المتقــدم لحلاوة الإيمان، وهو قولهم: "استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في رضا الله "[3].

---

1 (?) مدارج السالكين 3/270-271.

2 (?) القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ 8/134.

3 (?) انظر: ص 21.

المطلب الخامس
ورودها بمعنى فرح القلب وسروره

أخـبر الله سـبحانه وتعـالى عن فـرح القلب المـؤمن وســـروره بما تفضل عليه ســـبحانه من نعمة الإســـلام والقـرآن، ونـور الإيمـان والهداية إلى طريق الفلاح، فضلا منه ورحمة على من يشـــاء من عبـــاده، وذلك في عـــدة آيات:

1- قال تعالى: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭿ[1].

قـال ابن القيم: (والفـرح لـذة تقع في القلب بـإدراك المحبـوب، ونيل المشـتهى... والفـرح أعلى أنـواع نعيم القلب ولذته وبهجته، والفـــرح والســـرور نعيمه والهم والحزن عذابه)[2].

وقد تعـددت عبـارات أهل العلم في بيـان المقصـود بفضل الله ورحمته في الآية الكريمة كما يلي:

الأول: أن فضل الله: الإسلام، ورحمته: القـرآن، قـال به عبد الله بن عباس وقتادة[3] وابن قتيبة[4] وغيرهم.

---

1 (?) سورة يونس الآية 58.

2 (?) مدارج السالكين 3/164، 166.

3 (?) هـو قتـادة بن دعامة بن قتـادة بن عزيز بن عمـرو أبو الخطاب السدوسي البصري، حافظ العصر وقدوة المفسرين والمحدثين، ولد أكمه سنة 61هـ ومـات سـنة 117هـ (تهـذيب التهذيب 8/315، سير أعلام النبلاء 5/269).

4 (?) هـو أبو محمـد، عبد الله بن مسـلم بن قتيبة الـدينوري، وقيل: المـروزي، الكـاتب، صـاحب التصـانيف. كـان ثقة دينا فاضلا مات سنة 276هـ. (سير أعلام النبلاء 13/296).

والثــاني: أن فضل الله: القــرآن ورحمته: أن جعلهم من أهله، قال به أبو سعيد الخدري والحسن البصـري في رواية.

والثـــالث: أن فضل الله: العلم ورحمته محمد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والرابع: أن فضل الله: الإســلام، ورحمته: تزيينه في القلوب قاله عبد الله بن عمر .

والخــامس: أن فضل الله الإيمــان ورحمته القــرآن، روي ذلك عن الحسن البصري والضحاك وغيرهما رحمهم الله.

والســادس: أن فضل الله: التوفيق ورحمته: العصــمة قاله سفيان بن عيينة -رحمه الله-[1].

هذه الأقوال كلها متقاربة، والأمور المــذكورة كلها من فضل الله ورحمته الموجبة للحلاوة واللــــذة، والفــــرح والســرور، وقد رجح الشــوكاني عمــوم ذلــك، فقــال: (والأولى حمل الفضل والرحمة على العموم، ويــدخل في ذلك ما في القرآن منهما دخولا أوليا ...)[2].

وقــال شــيخ الإســلام: (ففضل الله ورحمته القــرآن والإيمان، من فرح به فقد فــرح بــأعظم مفــروح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه ووضع الفرح في غير موضعه، فــإذا اســتقر في القلب وتمكن فيه العلم بكفايته لعبــده ورحمته له وحلمه عنــده، وبــره بــه، وإحســانه إليه على الــدوام، أوجب له الفــرح والســرور أعظم من فــرح كل محب بكل محبوب سواه)[3].

---

1 (?) انظر لهــذه الأقــوال: تفســير الطــبري 15/106، وزاد المســير لابن الجــوزي 4/40-41، وفتح القــدير للشــوكاني 2/454.

2 (?) فتح القدير للشوكاني 2/454.

3 (?) مجموع الفتاوى 16/49.

وقال ابن القيم: (فالفرح بفضله ورحمته تبع للفرح به سبحانه، فالمؤمن يفـرح بربه أعظم من فـرح كل أحد بما يفرح به من حـبيب، أو حيـاة، أو مـال، أو نعمـة، أو ملـك، يفـرح المـؤمن بربه أعظم من هـذا كلـه، ولا ينـال القلب حقيقة الحياة حتى يجد طعم هذه الفرحة والبهجة، فيظهر سرورها في قلبه، ونضرتها في وجهه، فيصير له حـال من حال أهل الجنة حيث لقاهم الله نضرة وسرورا)[1].

2- وقال تعالى: ﭼ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[2].

في هذه الآية، امتن الله على أهل الكتاب المؤمنين بـالقرآن المنــزل على النـبي بما منحهم به من الفـرح، والسـرور بعد إيمـانهم به ومعـرفتهم ما فيه من تصـديق وتوافق لما جاء في كتبهم[3].

وقد استدل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - بهذه الآية على أن أرفع درجـات القلـوب هو فرحها التـام بما جاء به الرسول وابتهاجها وسرورها[4].

ولا شك أن هذا الفرح والسـرور بكتـاب الله المنــزل على رسـوله إنما هو نـاتج عما يجدونه في قلـوبهم من الحلاوة واللذة للإيمان.

قال ابن القيم: (فالفرح بالعلم والإيمان والسـنة دليل على تعظيمه عند صــاحبه، ومحبته لــه، وإيثــاره له على غيره، فإن فـرح العبد بالشـيء عند حصـوله له على قـدر محبته له، ورغبته فيـه، فمن ليس له رغبة في الشـيء لا يفرحه حصوله له، ولا يحزنه فواته)[5].

---

1 (?) طريق الهجرتين ص 232.

2 (?) سورة الرعد الآية: 36.

3 (?) انظـر: تفسـير ابن كثـير 2/674، وتفسـير السـعدي ص 419.

4 (?) مجموع الفتاوى 16/49.

5 (?) مدارج السالكين 3/165.

3- وقال تعالى: ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ[1]. أي: يفرحون بما أعطاهم الله من الإيمان واليقين[2].

قال شيخ الإسلام: (فـأخبر سـبحانه أنهم يستبشـرون بما أنزل من القـرآن، والاستبشـار: هو الفـرح والسـرور، وذلك لما يجدونه في قلـوبهم من الحلاوة واللـذة والبهجة بما أنزل الله)[3].

وقال السعدي: ﮓ ﮔ ﮕ (أي: يبشر بعضهم بعضا بما منّ اللّه عليهم من آياتــــه، والتوفيق لفهمها والعمل بها، وهـذا دال على انشـراح صـدورهم لآيـات اللّـه، وطمأنينة قلوبهم، وسرعة انقيادهم لما تحثهم عليه)[4].

فــدل ذلك على أن الاستبشــار من الفــرح وهو عمل قلبي، ويفرق بينهما بكـون الفـرح إنما يكـون بعد حصـول المحبـوب، وأما الاستبشـار فيكـون قبل حصـوله[5]. والله تعالى أعلم.

المبحث الثاني
أدلة ثبوت حلاوة الإيمان من السنة النبوية

وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: ورودها بلفظ حلاوة الإيمان

---

1 (?) سورة التوبة الآية 124.

2 (?) تفسير الطبري 14/577.

3 (?) مجموع الفتاوى 10/648.

4 (?) تفسير السعدي ص 356.

5 (?) انظر: مدارج السالكين 3/165.

المطلب الأول
ورودها بلفظ حلاوة الإيمان

وذلك في الحـــديث المتقـــدم عن أنس أن النـــبي قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المـرء لا يحبـه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكـره أن يقـذف في النار»[1].

وفي لفظ عنه أنه قـال: «لا يجد أحد حلاوة الإيمـان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر ...» الحديث[2]

هذا الحديث يعد نصا صريحا من النبي يخـبر بوجـود الحلاوة في الإيمـان وإحسـاس القلب بها كما يحس الفم بحلاوة طعـام لذيـذ، وقد تقـدم معنا بيـان المـراد بحلاوة الإيمـــان ونقل عبـــارات أهل العلم في ذلك[3]، وأنها تلك الحالة الطيبة من البشاشة والابتهـــــــاج، والســـــــرور والانشـراح، وتلك اللـذة الـتي تقع في قلب المـؤمن وهو يتقـرب إلى خالقه ومعبـوده، بامتثـال أوامـره واجتنـاب نواهيه.

قال ابن حجر -رحمه الله-: (وعبّر الشارع عن هـذه الحالة بـــالحلاوة، لأنها أظهر اللذائذ المحسوســـة)[4]،

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 32.

2 (?) رواه البخـــاري كتـــاب الأدب بـــاب الحب في الله حـــديث 5581.

3 (?) انظر: ص 21.

4 (?) انظر: فتح الباري لابن حجر 1/78.

وذهب بعض العلماء إلى أن ذلك تشبيه للإيمان بالشجرة في قوله تعالى: ﭽ [illegible] ﭼ[1].

قالوا: إن الكلمة الطيبة هي كلمة الإخلاص، وهي أس الدين وبها قوامه، وهي في الإيمان كأصل الشجرة لا بد منه أولا، وأغصان الشجرة في الإيمان عبارة عما تضمنته كلمة الإخلاص من اتباع الأوامر واجتناب النواهي، والزاهر في الشجرة، هو في الإيمان عبارة عما يحدث للمؤمن في باطنه من أفعال البر، وما ينبت في الشجرة من الثمر هو في الإيمان عبارة عن أفعال الطاعات، وحلاوة الثمر في الشجرة، هي في الإيمان عبارة عن كماله، وعلامة كماله ما ذكر ﷺ في الحديث، لأن غاية فائدة الثمرة تناهي حلاوة ثمرها وكمالها[2].

قلت: هذا استنباط جيد وتشبيه حسن، شبهوا فيه حلاوة الإيمان في قلب المؤمن بحلاوة ثمرة الشجرة، كما أن الشجرة لها ثمرة، والثمرة لها حلاوة، فكذلك شجرة الإيمان لابد لها من ثمرة ولا بد لتلك الثمرة من حلاوة.

ولكن ينبغي التنبيه إلى أن الحلاوة أمر محسوس ومعقول في الأمرين، فيكون التشبيه هنا، تشبيه أمر

---

1 (?) سورة إبراهيم الآية: 24.

2 (?) انظر: فتح الباري لابن حجر 1/77-78 ، وتيسير العزيز الحميد ص 354، وحلاوة الإيمان في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة تأليف: سليم الهلالي ص 7-9، ومقالة في حلاوة الإيمان للأستاذ موسى محمد علي مجلة الأزهر شوال 1401 هـ مركز الملك الفيصل رقم: 018673 ص 1790.

معقول محسوس بأمر آخر معقول ومحسوس، فـالحلاوة حقيقة في الاثـنين وليس كما قـال بعض شـراح الحـديث بأنه اسـتعارة تخييليـة، أو أنه اسـتعارة بالكنايـة، بحجة أن الحلاوة إنما تكـــون في المطعومـــات والإيمـــان ليس مطعومـــا، وانتهى الأمر بهـؤلاء إلى أن قـالوا بـأن إطلاق الحلاوة على الإيمان مجاز[1].

وهــذا القــول يــرده ما تقــدم من إطلاق الحلاوة في اللغة حقيقة على المطعومـات وعلى غـير المطعومـات، فإنه يقـــال: حلا فلان في صـــدري وفي عيـــني وهو حلو اللقاء وحلو الكلام[2].

وهنا أخبر النـبي بوجـود الحلاوة في الإيمـان، فيجب حمل النص على ظــاهره، وإبقــاء دلالته على ما هو عليه من غــير تأويل ولا تعطيــل، وســيأتي معنا قريبا في بيــان حقيقة هــــذه الحلاوة من خلال وصف حــــالات من ذاقها بقلبه ما يؤكد بأنها أمر محســــوس، وليس مجــــرد أمر معنوي.

---

1 (?) انظر: فتح الباري لابن حجر 1/77، إكمـال إكمـال المعلم للأبي 1/142، عمدة القاري 1/149.

2 (?) انظر: ص 16.

المطلب الثاني
ورودها بلفظ طعم الإيمان

وذلك في حديث العباس بن عبد المطلب أنه سـمع النـبي يقـول: «ذاق طعم الإيمـان من رضـي باللـه ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا»[1].

وعن أنس قـال: قـال رسـول الله : «ثلاث من كن فيه وجد طعم الإيمـان: من كـان يحب المـرء لا يحبه إلا لله، ومن كان الله ورسـوله أحب إليه مما سـواهما، ومن كـان أن يلقى في النـار أحب إليه من أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه»[2].

وعن عبد الله بن معاوية الغاضري قال: قال النبي : «ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان: من عبد اللـه وحده، وأنه لا إلـه إلا اللـه، وأعطى زكـاة مالـه طيبـة بهـا نفسه رافدة عليه كل عام ... »[3].

في هـذه الأحـاديث عبّر النـبي عن حلاوة الإيمـان بلفظ طعم الإيمان، والمراد لذته[4].

قـال القاضي عيـاض: (معـنى الحـديث: صح إيمانـه، واطمأنت به نفسه، وخامر باطنه، لأن رضاه بالمـذكورات دليل لثبـوت معرفتـه، ونفـاذ بصـيرته ومخالطة بشاشـته قلبه) [5].

وفيه تشبيه الإيمان بالطعم الطيب لكونه خـيرا باطنيا لا يظهر لكل أحد[6].

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 26.

2 (?) رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان حديث 43.

3 (?) رواه أبو داود كتاب الزكاة باب في زكاة السـائمة حـديث 1582 وصـححه الشـيخ الألبـاني في صـحيح سـنن أبي داود 1/297- 298، وفي السلسلة الصحيحة 3/73.

4 (?) انظر: تحفة الأحوذي 7/312.

5 (?) شـرح صـحيح مسـلم للقاضي عيـاض 1/270، وشـرح صحيح مسلم للنووي 1/111.

6 (?) حاشية السندي على النسائي 8/125.

المطلب الثالث
حديث يجمع بين اللفظين:" الطعم" و"الحلاوة"

عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله : «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئا»[1].

جمع هذا الحديث بين الطعم والحلاوة، وهما بمعنى واحد، وقد تقدم بأن الحلاوة أخص من الطعم، والطعم أعم[2]، فيكون الجمع هنا من باب عطف العام على الخاص زيادة في تأكيد المعنى والله تعالى أعلم.

---

1 (?) رواه النسائي كتاب الإيمان وشرائعه باب طعم الإيمان حديث 4987، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي 3/1024.

2 (?) انظر: ص 39.

المطلب الرابع
ورودها بلفظ حلاوة الإسلام

عن أنس عن النـبي قـال: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإسـلام، من كـان الله ورسـوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب المـرء لا يحبه إلا للـه، ومن يكـره أن يرجع إلى الكفر كما يكره أن يلقى في النار»[1].

في هذا الحديث عبر النبي عن حلاوة الإيمـان بحلاوة الإسـلام، وهـذا يعد من المواضع الـتي يطلق فيها الإسـلام ويتضــمن الإيمــان، كما قــرر ذلك أهل العلم، فــإن لفظ الإسلام والإيمان إذا أفـرد كل منهما شـمل الآخـر، وأما إذا اقترنا فالإسـلام يفسر عندئذ بالأعمـال الظـاهرة والإيمـان بالأعمال الباطنة، كما فسرهما النبي في حديث جبريل ، فقــال في الإســلام: »أن تشــهد أن لا إله إلا اللــه، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصـلاة، وتـؤتي الزكـاة وتصـوم رمضـان، وتحج الـبيت« ثم قـال في الإيمـان: »أن تـؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليـوم الآخـر، وتـؤمن بالقـدر خيره وشره«[2]، فسر الإسلام بالأعمال الظاهرة والإيمـان بالاعتقادات الباطنة.

وقد ورد عنه كـــذلك تفســـير الإيمـــان بالأعمـــال الظـاهرة في حـديث وفد عبد القيس عند ما قـال: »هل تـدرون ما الإيمـان باللـه؟ شـهادة أن لا إله إلا الله وإقـام الصـلاة، وإيتـاء الزكـاة، وصـوم رمضـان وأن تعطـوا من المغانم الخمس...« الحديث[3]. هنا فسر الإيمان في حالة

---

[1] (?) رواه النسائي كتاب الإيمان وشرائعه بـاب حلاوة الإسـلام حـديث 4989، وصـححه الشـيخ الألبـاني في صـحيح سـنن النسائي 3/1025.

[2] (?) رواه البخاري كتـاب الإيمـان بـاب سـؤال جبريل النـبي حديث 50، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان الإيمـان والإسـلام والإحسان حديث 1.

[3] (?) رواه البخاري كتاب المغازي بـاب وفد عبد القيس حـديث 4368، ومسلم كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه ... حديث 17.

الانفراد بالأعمال الظاهرة التي فسر بها الإسلام في حالة الاقـــــتران مما يؤكد بــــأن كلا من اللفظين يأخذ محل الآخر[1].

يقــول ابن رجب -في تقرير هــذه القاعــدة-: (إن من الأسماء ما يكـون شـاملا لمسـميات متعـددة عند إفـراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صـار دالا على بعض تلك المســميات، والاسم المقــرون به دال على باقيهــا، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتــاج، فــإذا قــرن أحــدهما بــالآخر دل أحد الاســمين على بعض أنـــواع ذوي الحاجـــات والآخر على باقيهـا، فهكـذا اسم الإسـلام والإيمـان، إذا أفـرد أحـدهما دخل فيه الآخــر، ودل بــانفراده على ما يــدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما دل أحــدهما على بعض ما يــدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقي)[2].

وعليــه، فــإن حلاوة الإسـلام في هـذا الحـديث يعـني حلاوة الإيمـان على أن الإيمـان يقصد به أعمـال القلـوب من الحب في الله والبغض فيه وكراهية العــــــودة إلى الكفر.

---

[1] (?) انظر: مجموع الفتاوى 7/13-14، 361، وجـامع العلـوم والحكم لابن رجب 1/ 105-109.

[2] (?) جامع العلوم والحكم 1/ 105-106.

المطلب الخامس
ورودها بلفظ حقيقة الإيمان

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : «من أراد أن يصيب حقيقة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا في الله» [1].

والمقصود بحقيقة الإيمان في الحديث: حلاوته وطعمه كما في الحديث المتقدم: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإسلام» ومنها: قوله «ومن أحب المرء لا يحبه إلا لله»[2].

وفي رواية عن أبي هريرة عن النبي قال: «من سره أن يجد حلاوة الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله »[3] فدل هذا على أن محبة المرء لأخيه في الله موجب من موجبات حقيقة الإيمان ووجدان حلاوته وطعمه، كما دل على أن حلاوة الإيمان هي تعبير عن حقيقته وغايته.

وعن أبي حفصة قال: قال عبادة بن الصامت لابنه: «يا بني، إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ...» الحديث[4].

في هذا الحديث جاء التعبير عن حلاوة الإيمان بلفظ "حقيقة الإيمان"، فقوله: (لن تجد طعم حقيقة الإيمان) أي: لن تذوق حلاوته

---

1 (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان 16/26، وقال محققه: "إسناده حسن".

2 (?) تقدم في ص 57.

3 (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان 16/24، وقال محققه: "إسناده حسن".

4 (?) رواه أبو داود كتاب السنة باب في القدر حديث 4700، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة 5/607.

وطعمه حتى تكون كـذلك، وقد تقـدم من أدلة القـرآن ما يؤكد العلاقة بين حلاوة الإيمان وحقيقته.

وفي الحديث دليل على أن الإيمان بالقدر موجب من موجبـات حلاوة الإيمـان كما سـيأتي بيانه بالتفصـيل في موضعه[1].

قــال ابن القيم: (وقد عبّر النــبي ﷺ عن إدراك حقيقة الإيمان والإحسـان وحصـوله للقلب ومباشـرته له بالـذوق تارة وبالطعام والشراب تارة وبوجود الحلاوة تارة ...)[2].

---

1 (?) انظر: ص 309.

2 (?) مدارج السالكين 3/91.

المطلب السادس
ما ورد في بيان العلاقة بين حلاوة الإيمان وصريح الإيمان

عن أبي هريرة قال: جاء ناس من أصحاب النبي فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نعم، قال: «ذاك صريح الإيمان»[1].

ومعنى الحديث: أن هذا الذي يمنعكم من قبول وسوسة الشيطان، هذا المانع، وهذه الدرجة والمرتبة الإيمانية هي صريح الإيمان، والصريح: الخالص من كل شيء[2]، فصريح الإيمان هو الإيمان الخالص الذي يمنع صاحبه من التفكير في الذنب فضلا عن الوقوع فيه.

قال النووي -رحمه الله-: (معناه استعظامكم الكلام به هو صريح الإيمان، فإن استعظام هذا، وشدة الخوف منه، ومن النطق به فضلا عن اعتقاده، إنما يكون لمن استكمل الايمان استكمالا محققا وانتفت عنه الريبة والشكوك)[3].

وهذا المعنى موجود كذلك في حلاوة الإيمان، فإن من ذاق هذه الحلاوة، يمنعه ذلك من أن يقع في المعاصي، بل يجعل في نفسه كراهية كل ما له صلة بالكفر والمعاصي، كما أخبر بذلك في حديث: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان» ومن ذلك قوله : «وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار». وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل في مبحث مستقل إن شاء الله[4].

---

[1] (?) رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الوسوسة في الإيمان حديث 132.

[2] (?) النهاية في غريب الحديث 3/40

[3] (?) شرح صحيح مسلم للنووي 2/154.

[4] (?) انظر: ص 383.

المطلب السابع
ما ورد في بيان العلاقة بين حلاوة الإيمان واستكمال الإيمان

عن أبي أمامة عن رسول الله أنه قال: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[1].

في هذا الحديث بين النبي صفات من اتصف بهن استكمل الإيمان، أي: كَمُل عنده الإيمان[2]، وهي الحب في الله والبغض فيه، والفعل والترك لأجله، فهذه عين الصفات التي من اتصف بهن كذلك ذاق حلاوة الإيمان وطعمه، كما في الحديث المتقدم: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله ...»[3]، فدل هذا على أن من ذاق حلاوة الإيمان من خلال اتصافه بهذه الصفات، فقد استكمل الإيمان، فينتج من هذا أن حلاوة الإيمان هي نفسها استكمال الإيمان.

وقد بين العلماء وجه هذا الاستكمال للإيمان، فقالوا: (وجه جعله ذلك استكمالا للإيمان أن مدار الدين على أربعة قواعد: قاعدتان باطنتان وقاعدتان ظاهرتان، فالباطنتان: الحب والبغض والظاهرتان: الفعل والترك، فمن استقامت نيته في حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل مراتب الإيمان)[4].

---

1 (?) رواه أبو داود كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه حديث 4681، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة 1/728.

2 (?) انظر: فيض القدير للمناوي 6/29.

3 (?) تقدم في ص 56.

4 (?) فيض القدير للمناوي 6/29.

المطلب الثامن
ما ورد في بيان العلاقة بين حلاوة الإيمان ودرجة اليقين

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي دعا وقال: «... اللهم أعطني إيماناً ويقيناً ليس بعده كفر ...» [1].

وعن ابن مسعود أنه قال: «اليقين الإيمان كله»[2].

وعنه أنه كـان يـدعو الله ويقـول: «اللهم زدنا إيمانا ويقيناً وفقهاً»[3].

دلت هـذه الآثـار على علاقة اليقين بالإيمـان وارتباطه به ارتباطا وثيقا، فاليقين منـزلة من أرفع منـازل الإيمـان التي حرص عليها أصحاب الهمم العالية في الدين.

وحقيقة اليقين هو العلم الثـابت الراسخ التـام المثمر للعمل القلبي والعمل البدني[4].

وإذا وصل القلب إلى درجة اليقين ارتفع عنه ضـده وهو الشك والريب الموصل إلى الكفـر، فتحقق عنـده من

---

1 (?) رواه الترمذي كتاب الدعوات عن رسول الله بـاب منه حـديث 3419، وقـال: "هـذا حـديث غـريب لا نعرفه إلا من حـديث ابن أبي ليلي من هـذا الوجه"، وقد ضـعفه الشـيخ الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ص 312.

2 (?) رواه البخاري تعليقا كتاب الإيمان باب بني الإسـلام على خمس، انظر: فتح الباري 1/60.

3 (?) السـنة لعبد الله بن الإمـام أحمد 1/368-369، وشـعب الإيمان للبيهقي 2/300، وفتح الباري لابن حجر 1/63، قال: "وإسناده صحيح".

4 (?) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للسعدي ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفـات الشـيخ رحمه الله ج 8/456.

درجة الإيمــان ما يجد به حلاوة ولــذة في قلبــه، وذلك لأن حلاوة الإيمان إنما هي أثر من آثار الإيمان الصادق اليقيـني الذي لا يشوبه الشك ولا ريب، لهذا كانت الثمــرة: الحماية التامة من الوقوع في الكفر والمعاصي كما هو ظــاهر من قوله النبي : «وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكــره أن يلقى في النـار» وهنا يسـأل النـبي «إيمانـاً ويقينـاً ليس بعده كفر»، ليشـترك كل من درجة اليقين وحلاوة الإيمـان في هذه المنقبة.

وقد بين أهل العلم بــأن اليقين له ثلاث درجــات: علم اليقين، وهي العلوم الناتجة عن الأدلة والبراهين الصــادقة الخبرية، وعين اليقين، وهي مشـاهدة المعلومـات بـالعين حقيقة، وحق اليقين، وهي المعلومات التي تحقق بالذوق، كــذوق القلب لطعم الإيمــان، والــذوق باللســان للأشــياء المحسة[1]. وكــأن حلاوة الإيمــان هي الإحســاس القلــبي الذي يجده صـاحب الإيمـان اليقيـني الـذي يُعَبّر عنه بحق اليقين.

قـــال ابن القيم -رحمه اللـــه-: (فينتقل من العلم إلى اليقين، ومن اليقين إلى عين اليقين ومن علم الإيمان إلى ذوق طعم الإيمـان، ووجـدان حلاوتـه، فـإن هـذا قـدر زائد على مجرد علمه)[2].

فعبر -رحمه الله- عن حق اليقين بذوق طعم الإيمــان ووجدان حلاوته الذي أوجبه علم الإيمان، وهو اليقين.

---

1 (?) انظر: تيسير اللطيف المنـان في خلاصة تفسـير القـرآن للسعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشـيخ رحمه الله ج8/456.

2 (?) مدارج السالكين 2/157.

وقال السعدي -رحمه الله-: (... وهـذه بـراهين ذوقية وجدانية تكـون في حق هـؤلاء حق اليقين، وهي أعلى من عين اليقين)[1].

هــذا، ويشــترك كل من درجة اليقين وحلاوة الإيمــان كـذلك في الآثـار المترتبة عنهمـا، فكل منهما يحقق للعبد المؤمن سكون القلب وطمأنينة النفس ولذة الروح.

وفي ذلك يقول السعدي -رحمه الله-: (فـإن العبد إذا وصل إلى درجة اليقين في علومه اطمـــــأن قلبه لعقائد الإيمان كلها، واطمأن قلبه لحقائق الإيمـان وأحواله الـتي تدور على محبة الله وذكره، وهما متلازمـان، ... فتسـكن القلوب عند الأخبار فلا يبقى في القلب شك ولا ريب في كل خبر أخبر الله به في كتابه وعلى لسان رسـوله ، بل يفـرح بـذلك مطمئنا عالما أن هـذا أعظم فائـدة حصَّـلتها القلوب، ويطمئن عند الأوامر والنواهي مكملا للمـأمورات تاركا للمنهيات، راجيا لثواب الله، واثقا بوعده)[2].

فـــدل كل هـــذا على وجـــود علاقة وثيقة بين حلاوة الإيمـــان ودرجة اليقين، وأن الحلاوة ثمـــرة من ثمـــرات الإيمان الحقيقي اليقيني الصريح الخالص لله .

المبحث الثالث

أقوال أهل العلم في إثبات حلاوة الإيمان

لقد وردت عدة أقوال عن بعض أئمة السلف والعلماء تقرر ما دلت عليه الكتـاب والسـنة من أن للإيمـان حلاوة ولذة يذوقها العبد المؤمن بقلبه كما يـذوق الطعـام اللذيذ بلسانه. أذكر منها ما يلي:

---

1 (?) وجوب التعاون بين المسلمين للسعدي، ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ 5/ج1 ص 233.

2 (?) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للسعدي ضـــمن المجموعة الكاملة لمؤلفـــات الشـــيخ رحمه الله ج 8/457.

1- روى ابن عساكر بسنده عن أحمد بن أبي الحواري[1] قال: سمعت أبا سليمان[2] يقول: (لو لم يبك العاقل فيما بقي من عمره حتى يخرج من الدنيا إلا على ما فاته من لذة طاعة الله فيما مضى من عمره، لكان ينبغي له أن يبكيه ذلك حتى يخرج من الدنيا، فقلت: يا أبا سليمان، إنما نبكي على ما مضى من وجد لذة الإيمان فقال: صدقت)[3].

2- وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (فالإيمان إذا باشر القلب وخالطته بشاشته لا يسخطه القلب، بل يحبه ويرضاه، فإن له من الحلاوة في القلب واللذة والسرور والبهجة ما لا يمكن التعبير عنه لمن لم يذقه) [4].

3- وقال أيضا: (والإيمان له حلاوة في القلب ولذة لا يعدلها شىء ألبتة)[5].

---

1 (?) هو أحمد بن عبد الله بن ميمون أبو الحسن بن أبي الحواري الدمشقي الزاهد ولد سنة 164هـ، قال ابن أبي حاتم: "سمعت أبي يحسن الثناء عليه ويطنب فيه" توفي سنة 346هـ (الجرح والتعديل 2/47 وتهذيب التهذيب 1/43).

2 (?) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية أبو سليمان العنسي الداراني، كان أحد عباد الله الصالحين ومن الزهاد المتعبدين ورد بغداد وأقام بها مدة ثم عاد إلى الشام فأقام بداريا حتى توفي في سنة 212هـ وقيل توفي سنة 215هـ (تاريخ بغداد 10/248، سير أعلام النبلاء 10/182، تهذيب التهذيب 6/171).

3 (?) تاريخ دمشق 34/147.

4 (?) مجموع الفتاوى 10/648.

5 (?) مجموع الفتاوى 18/295.

4- وقال ابن القيم -رحمه الله-: (فـإن للإيمـان فرحة وحلاوة ولذة في القلب، فمن لم يجدها فهو فاقد الإيمـان أو ناقصه)[1].

5- وقـال أيضـا: (فـإن للإيمـان حلاوة من لم يـذقها فليرجع وليقتبس نورا يجد به حلاوة الإيمان)[2].

6- وقـال أيضـا: (والمقصـود: أن ذوق حلاوة الإيمـان والإحسـان، أمر يجـده القلب، تكـون نسـبته إليه كنسـبة ذوق حلاوة الطعـام إلى الفم، وذوق حلاوة الجمـاع إلى إلفة النفس ... فللإيمـان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد)[3].

7- وقـال أيضـا: (ولـولا جهل الأكـثرين بحلاوة هـذه اللـذة وعظم قـدرها لتجالـدوا عليها بالسـيوف، ولكن حفت بحجـاب من المكـاره وحجبـوا عنها بحجـاب من الجهل ليختص الله لها من يشـاء من عبـاده والله ذو الفضل العظيم)[4].

8- وقال ابن رجب - رحمه الله -: (فالإيمان له حلاوة وطعم يذاق بـالقلوب كما يـذاق حلاوة الطعـام والشـراب بـالفم، فـإن الإيمـان هو غـذاء القلـوب وقوتها كما أن الطعام والشراب غذاء الأبدان وقوتها) [5].

9- وقـال السـندي -رحمه الله -: (وبالجملة فللإيمـان لذة في القلب تشبه الحلاوة الحسـية بل ربما يغلب عليها حتى يدفع بها أشد المرارات، وهذا مما يعلم به من شرح الله صدره للإسلام)[6].

10- وقال المناوي - رحمه الله -: (فإذا أراد الله بعبد خـيرا قـذف في قلبه النـور، فأضـاء ووجـدت النفس لها حلاوة وروحا ولـذة، تلهي عن لـذات الـدنيا وشـهواتها،

---

[1] (?) الرسالة التبوكية ص 40.
[2] (?) مدارج السالكين 2/67.
[3] (?) مدارج السالكين 3/92.
[4] (?) مفتاح دار السعادة 1/175.
[5] (?) فتح الباري لابن رجب 1/45.
[6] (?) حاشية السندي على النسائي 8/95.

وتـــــــذهب مخاوفها، وعجلتها وحرقتها وتلهبها، فيطمئن القلب فيصير غنيا بالله ...)[1].

11- وقال الشيخ السعدي - رحمه الله -: (إن للإيمان حلاوة في القلب، إذا وجـدها العبد سـلته عن المحبوبـات الدنيوية وعن الأغـــراض النفســـية، وأوجبت له الحيـــاة الطيبــة. ... من كــان كــذلك فنفسه مطمئنة مســتحلية للطاعات، قد انشرح صدر صاحبها للإسلام، فهو على نور من ربــه، وكثــير من المؤمــنين لا يصل إلى هــذه المرتبة العالية)[2].

12- وقــال الشــيخ محمد بن العــثيمين -رحمه اللــه-: (فالإيمــان له حلاوة، وله طعم لا يدركه إلا من أســبغ الله عليه نعمته بهــذه الحلاوة وهــذا الطعم) ثم نبه رحمه الله إلى وجـــود فـــرق بين طعم الإيمـــان وطعم الأشـــياء المحسوسة فقــال: (طعم الإيمــان ليس كطعم الأشــياء المحسوســة، فطعم الأشــياء المحسوسة إذا أتى بعــدها طعم آخر أزالهــا، لكن طعم الإيمــان يبقي مــدة طويلــة، حتى إن الإنســان أحيانــاً يفعل عبـادة في صـفاء وحضـور قلب وخشـــوع لله فتجـــده يتطعم بتلك العبـــادة مـــدة طويلة)[3]. هذه من آثار حلاوة الإيمان، فـإن لها من الآثـار على حيـــــاة المـــــؤمن ما يميزها عن حلاوة الأشـــــياء المحسوسة من أوجه كثـــــيرة ســـــيأتي بيانها في فصل مستقل إن شاء الله[4].

13- وقـــال الشـــيخ أحمد الشرباصي - في مقالة شــرح فيها حــديث "حلاوة الإيمــان": (وللإيمــان طعم يفوق الطعوم، ومذاق يعلو كل مذاق، ونشـوة دونها كل نشـوة، لأن حلاوة الإيمـان حلاوة نفسـية روحية قلبيـة، تسري سريان الماء في العـود، وتجـري جريـان الـدماء

---

[1] (?) فيض القدير 1/254.

[2] (?) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي ضـمن المجموعـة الكاملة لمؤلفات الشيخ رحمه الله 3/95.

[3] (?) القول المفيد على كتاب التوحيد 3/228.

[4] (?) انظر: ص 336 وما بعدها.

في العـروق، وتشع على صـاحبها إشـعاع الأضـواء خلال الـــدياجي، فلا قلق ولا أرق، ولا ضـــيق ولا تضـــييق، بل سعة ورحمة، ورضى ونعمة)[1].

تلك أقـوال أئمة السـلف وبعض أهل العلم في إثبـات حلاوة الإيمـــان، ويشـــير بعضـــها إلى آثـــار هـــذه المرتبة الإيمانية في حياة من ذاقها.

---

[1] (?) مقالة في حلاوة الإيمان أحمد عبده الشرباصي مجلة لـواء الإســـلام ربيع الأول 1385 هـ مركز الملك الفيصل رقم: 035434 ص 405-406.

الفصل الثاني

بيان حقيقة حلاوة الإيمان ودرجات الناس وأحوالهم فيها

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: وصف حقيقة الحلاوة في قلب الإنسان

المبحث الثاني: درجات الناس وأحوالهم في حلاوة الإيمان

المبحث الأول
وصف حقيقة الحلاوة في قلب الإنسان

من خلال ما تقـدم من أدلة الكتـاب والسـنة وأقـوال أهل العلم في إثبات حلاوة الإيمـان، يتضح لنا حقيقة هـذه الحلاوة واللـذة الإيمانيـة، وحقيقة حالة من يـذوقها. فقد أوضـحت لنا الأدلة أن حلاوة الإيمـان هي حقيقة الإيمـان وكماله، وصريحه وجوهره، وزينته وجمالـه، وهي طمأنينة النفس وسكونها، وفرح القلب وسروره، ونـوره وهدايتـه، بل هي جنة القلب ونعيمه العالي.

وقد وردت عدة تعبـيرات عن بعض من قيل أنه وصل إلى هذه المرتبة، وذاق هـذه الحلاوة، كل يصف ما وجـده في قلبه. أنقل منها ما يلي:

1- قـال بعضـهم: (إنه لتمر بـالقلب أوقـات يهـتز فيها طربا بأنسه بالله وحبه له)[1].

2- وقـال آخـر: (إنه لتمر على القلب أوقـات يـرقص منها طربا)[2].

3- وقال بعضهم: (إنى أقول يا رب، يا الله، فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال)[3].

4- وقال آخر: (إنه لتمر بالقلب أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب)[4].

---

1 (?) إغاثة اللهفان 2/194.

2 (?) مجموع الفتاوى 10/647.

3 (?) إحياء علوم الدين 4/311.

4 (?) مجموع الفتاوى 10/647، إغاثة اللهفان 2/194، مدارج السالكين 1/489.

5- وقــال أبو ســليمان الــداراني: (لأهل الطاعة في ليلهم ألذ من أهل اللهو بلهـوهم، وربما اسـتقبلني الفـرح في جوف الليل، وربما رأيت القلب يضحك ضحكا)[1].

6- وقـال بعضـهم: (مسـاكين أهل الـدنيا خرجـوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قـالوا: وما أطيب ما فيها؟ قــال: محبة الله والأنس به والشــوق إلى لقائه والإقبــال عليه والإعراض عما سواه)[2].

6- وقال إبــراهيم بن أدهم[3]: (لو علم الملـوك وأبنـاء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف)[4].

وقال ابن القيم: (فإن سرور القلب مع الله وفرحه به وقرة العين به لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا ألبتة، وليس له نظير يقاس به، وهو حال من أحوال أهل الجنة)[5].

هكــذا يصف أهل الإيمــان ما وجــدوه في قلــوبهم من حلاوة ولذة، فمنهم من يقـول: إنها طـربٌ وهـزٌّ، أو رقصٌ في القلب أو ضحكةٌ فيه، أو إنها مثل جبــال، أو إنها أطيب شيء في الدنيا، ومنهم من لم يجد ما يصفها بـه، فشـبهها بمنتهى اللذائـــــذ، وهي الجنـــــة، وذلك لما في الجنة من أصناف اللذائذ ما لا يقدر أحد على وصفها، ومن فضل الله

---

1 (?) تاريخ دمشق 34/147.

2 (?) مدارج السالكين 1/489.

3 (?) إبـراهيم بن أدهم بن منصـور العجلي، وقيل: التميمي أبو إسحاق البلخي سيد الزاهدين سـكن الشـام كـان مولـده في حدود المائة، ومات سنة 162هـ (انظر: التاريخ الكبير 1/273، وسير أعلام النبلاء 7/396، وتهذيب التهذيب 1/88).

4 (?) حلية الأولياء 7/370، إغاثة اللهفان 2/194.

5 (?) مدارج السالكين 2/70.

لأوليائه وأهل طاعتـــه، أن عجّل لهم من نفحـــات هـــذه النعماء، وهذه اللذائذ ما يجدونها و يشهدونها بقلوبهم.

قـال ابن القيم - رحمه الله -: (فصـاحب هـذه اللـذة في جنّة عاجلة نسبتها إلى لذات الدنيا، كنسبة لـذة الجنّة إلى لذة الدنيا، فإنه ليس للقلب والروح ألذّ ولا أطيب ولا أحلى ولا أنعم من محبة الله والإقبال عليه وعبادته وحـده وقـــرة العين بـــه، والأنس بقربـــه، والشـــوق إلى لقائه ورؤيته...)[1].

ونقل عن شيخ الإسـلام أنه قـال: (إن في الـدنيا جنّـة من لم يدخلها لم يدخل جنّة الآخرة)[2].

وقد أوضح ذلك شـيخ الإسـلام فقـال: (فالإنسـان إذا كـان مقيما على طاعة الله باطنا و ظـاهرا كـان في نعيم الإيمان، و العلم وارد عليه من جهاته، و هو في جنة الدنيا ... وكلما كـان قلبه في محبة الله وذكـره وطاعته كـان معلقا بالمحل الأعلى، فلا يـزال في علـوه ما دام كـذلك)[3].

وفي هـــذه الأوصـــاف دلالة واضـــحة على أن حلاوة الإيمان أعظم منحة يمنحها الله عبـاده في الـدنيا، وأعلى مرتبة يصل إليها العبد المـــؤمن، كما دلت على أن هـــذه الحلاوة أمر حقيقي حسي يجـــدها المـــؤمن في قلبه كما يجد حلاوة طعـــام لذيذ أو أشـــد، ولكن النـــاس في ذلك متفاوتون، حسب تفـاوتهم في الإيمـان، فلكل مـؤمن من

---

[1](?) روضة المحبين ص 180.

[2](?) مدارج السالكين 1/488.

[3](?) مجموع الفتاوى 14/160.

ذلك نصـيب إيمانـه، كما سيتضح ذلك في المبحث القـادم إن شاء الله.

المبحث الثاني
درجات الناس وأحوالهم في حلاوة الإيمان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تفـــاوت درجـــات أهل الإيمان فيما يجدونه من حلاوة الإيمان

1- درجة الظـالمين لأنفسـهم في حلاوة الإيمان

2- درجة المقتصدين في حلاوة الإيمان

3- درجة السـابقين بـالخيرات في حلاوة الإيمان

المطلب الثاني: أحوال الناس في حلاوة الإيمان

الأولى: حالة من علم بذلك

الثانية: حالة من شاهد دلالات ذلك

الثالثة: حالة من حصل له الـذوق والوجد واستشعر ذلك في نفسه

المطلب الأول
تفاوت درجات أهل الإيمان فيما يجدونه من حلاوة الإيمان

دلت نصوص الكتاب والسنة على أن الناس متفاوتون في إيمـانهم، وأنهم ليسـوا على رتبة واحـدة، بل هم في ذلك على درجات بعضها فوق بعض. ومن ذلك:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭼ[1].

في هذه الآية قسم سـبحانه الأمة التي أورثها الكتـاب واصـطفاها إلى ثلاثة أقسـام: قسم ظـالم لنفسه وقسم مقتصد، وقسم سابق بالخيرات.

قـال ابن كثـير -رحمه اللـه-: (يقـول تعـالى: ثم جعلنا القـــائمين بالكتـــاب العظيم المصـــدق لما بين يديه من الكتب الـــذين اصـــطفينا من عبادنا وهم هـــذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع، فقال تعـالى: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭼ وهو المفـــرط في فعل بعض الواجبـــات المـــرتكب لبعض المحرمات ﭽ ﭰ ﭱ ﭼ وهو المؤدي للواجبات، التارك للمحرمـــات وقد يـــترك بعض المســـتحبات ويفعل بعض المكروهات ﭽﭳ ﭴ ﭵﭼ وهو الفاعل للواجبات والمستحبات، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات)[2].

فـدلت الآية الكريمة على أن أهل الإيمـان متفـاوتون في إيمـانهم إلى ثلاث درجـات: أعلاها السـابق بـالخيرات وأوســطها المقتصـــد، وأدناها الظـــالم لنفســـه، وكلهم مشتركون في أصل الإيمان.

قال السـعدي -رحمه اللـه-: (اشـترك هـؤلاء الثلاثة في أصل الإيمـان، وفي اختيـار الله لهم من بين الخليقـة، وفي أنه منّ عليهم بالكتـاب، وفي دخـول الجنـة، وافـترقوا في تكميل مـراتب الإيمـان، وفي مقـدار الاصـطفاء من اللـه،

---

[1] (?) سورة فاطر الآية 32.

[2] (?) تفسير ابن كثير 3/726.

ومـــيراث الكتـــاب، وفي منـــازل الجنة ودرجاتها بحسب أوصافهم)[1].

2- حــديث جبريل والــذي سـأل فيه النــبي عن الإسلام، فأجاب: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتـؤتي الزكـاة وتصـوم رمضان وتحج البيت إن اسـتطعت إليه سـبيلا»، ثم سـأله عن الإيمان، فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتـؤمن بالقـدر خـيره وشـره» ثم سـأله عن الإحسـان، فقـال: «أن تعبد الله كأنك تـراه فـإن لم تكن تراه فإنه يراك»[2].

دل هذا الحديث على تفـاوت النـاس في أمـور دينهم، حيث جعل النـــبي الـــدين وأهله ثلاث طبقـــات أولهـــا: الإسلام، وأوسطها الإيمان، وأعلاها الإحسان، كما قسمهم القـــرآن في الآية الســـابقة إلى الثلاثـــة: الظـــالم لنفسه والمقتصد والســـابق بـــالخيرات، فالمســـلم الـــذي لم يقم بواجب الإيمان هو الظالم لنفســه، والمقتصد هو المـؤمن المطلق الــذي أدى الــواجب وتــرك المحــرم، والســابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه[3].

3- ما جاء في صـحيح البخـاري عن أبي هريـرة عن النبي أنه قال: «إن الله تعـالى قـال: من عـادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبـدي بشـيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يـزال عبـدي يتقـرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصــره الذي يبصر به، ويده الــتي يبطش بها، ورجله الــتي يمشي بها، وإن ســـألني لأعطينه ولئن اســـتعاذ بي لأعيذنه ...» الحديث [4].

قال ابن رجب - تعليقا على هـذا الحـديث -: (ذكر في هذا الحديث أن أولياء الله على درجتين:

---

1 (?) فوائد قرآنية للسعدي ص 60.

2 (?) تقدم تخريجه في ص 57.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 7/358.

4 (?) رواه البخاري كتاب الرقاق باب التواضع حديث 6502.

إحداهما: المتقربون إليه بأداء الفـرائض، وهـذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين...

والثانية: درجة السابقين المقربين، وهم الذين تقربـوا إلى الله بعد الفـــرائض بالاجتهـــاد في نوافل الطاعـــات، والانكفاف عن دقائق المكروهات بالورع...)[1].

وقال شيخ الإسلام: (وهذا الحـديث قد بين فيه أوليـاء الله المقتصدين أصحاب اليمين والمقربين السابقين.

فالصــنف الأول الــذين تقربــوا إلى الله بــالفرائض، والصنف الثاني الذين تقربـوا إليه بالنوافل بعد الفـرائض، وهم الذين لم يزالـوا يتقربـون إليه بالنوافل حـتى أحبهم، وهذان الصنفان قد ذكرهم الله في غـير موضع من كتابه)[2].

والأدلة في هـــذا كثـــيرة، ذكرها الإمـــام ابن القيم مســـــتوفاة في كتابه النفيس "طريق الهجـــــرتين"[3] ، فليراجعه من أراد الاســـتزادة في هـــذه المســـألة، إذ المقصود بيان تفاوت الناس وتفاضلهم في الإيمان تمهيدا لبيان تفاوتهم وتفاضـلهم فيما يجـدون من حلاوة الإيمـان، لأن حلاوة الإيمــان ليست إلا ثمــرة من ثمــرات الإيمــان الراسخ في القلب، فعلى قــدر قــوة هــذا الإيمــان وثباته والاجتهــاد في تحقيقه تجتــنى الثمــرة وتــذاق حلاوتهــا، فالظالم لنفسه لا يمكن أن يكـون في درجة المقتصد في ذوق الحلاوة، ولا المقتصد يمكن أن يكـــــون في درجة

---

1 (?) جامع العلوم والحكم 2/336-337.

2 (?) مجموع الفتاوى 11/23.

3 (?) انظر: طريق الهجرتين ص 154-167.

السابق بـالخيرات إلا بالسـعي والاجتهـاد، وبيـان ذلك كما يلي:

أولا- درجة الظـــالمين لأنفســـهم في حلاوة الإيمان

تعددت عبارات أهل العلم في بيان المقصود بالظـالم لنفسه، وإن كانت كلها تؤدي إلى معـنى واحــد، أذكر منها ما يلي:

1- هو المسلم الذي لم يقم بواجب الإيمان[1].

2- هو صاحب الذنوب المصر عليها[2].

3- هو المفــرط في فعل بعض الواجبــات المــرتكب لبعض المحرمات[3].

4- هو المـؤمن الـذي خلط عملاً صـالحاً وآخر سـيئاً، وتــرك من واجبــات الإيمــان ما لا يــزول معه الإيمــان بالكلية[4].

5- هو من أهل الـــذنوب والمعاصي الـــتي هي دون النفاق والشرك[5].

وخلاصة القــول: أن أهل هــذه الدرجة هم من جــاء بأصل الإيمان، وأدُّوا الصلاة، ثم زادوا عليه أعمالا صالحة،

---

1 (?) مجموع الفتاوى 7/358.

2 (?) انظر: مجموع الفتاوى 11/183.

3 (?) تفسير ابن كثير 3/726.

4 (?) انظر: تفسـير ابن كثـير 3/729، وفوائد قرآنية للسـعدي ص 60.

5 (?) تفسير الطبري 20/469.

إلا أنهم خلطوها بـأخرى سـيئة، لعـدم تمكن الإيمـان في قلوبهم ما يمنعهم من الوقوع في المحرمات، فإيمان هذا لا يــزداد بل من نقص إلى نقص إن لم يتداركه ولا يــذوق حلاوتــه، لأن الــذنوب إن لم تــؤثر في أصل الإيمــان من حيث ذهابه وبقائه إلا أنها تسلب العبد حلاوته.

قيل لـــوهيب بن الـــورد[1] -رحمه اللـــه-: يجد حلاوة الإيمـــــــــــــــان من يعمل بالمعاصـــــــــــــــي؟ قال: لا، ولا من همّ بمعصية) [2].

وعن بشر بن الحــارث[3]-رحمه اللـــه- قــال: (لا يجد العبد حلاوة العبادة حتى يجعل بينه وبين الشهوات حائطاً من حديد) [4].

وعن سفيان الثوري -رحمه الله- قال: (لا يجد العبـد طعم الإيمان إلا بالورع الشافي)[5].

---

1 (?) هو وهيب بن الورد بن أبي الـورد القرشي أبو عثمـان ويقال أبو أمية أخو عبد الجبار بن الورد مولى بني مخزوم واســمه عبد الوهــاب، ووهيب لقب، ثقة عابد مــات ســنة 153هـ (انظر: الجـرح والتعـديل 9/34، وتهـذيب التهـذيب 11/150).

2 (?) تاريخ بغـداد 7/189، ورواه الـبيهقي في شـعب الإيمـان 12/507، بـاختلاف يسـير في اللفـظ، وأورده ابن رجب في فتح الباري 1/46.

3 (?) هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطـاء بن هلال المروزي نزيل بغداد أبو نصر الحـافي وكـان ممن فـاق أهل عصره في الورع والزهد ثقة قدوة، مات سنة 227هـ (تاريخ بغداد 7/67 وتقريب التهذيب ص 122).

4 (?) حلية الأولياء 8/ 354.

5 (?) تاريخ بغداد 7/189.

وقال شيخ الإسلام عن صاحب الذنوب: (فإن لم يحصل له ما يمحو ذلك من توبة أو حسنات ماحية، أو شفاعة غيره، أو غير ذلك، وإلا فقد يعاقب: إما بأن يسلب ما عنده من ذوق طعم الإيمان ووجود حلاوته، فينزل عن درجته، وإما أن يسلب عمل الإيمان فيصير فاسقا، وإما بأن يسلب أصل الإيمان، فيصير كافرا منافقا أو غير منافق)[1].

وقال ابن القيم - وهو يبين قبح أثر الذنوب والضرر الناشئ منها -: (ومنها أنه يحرم حلاوة الطاعة، فإذا فعلها، لم يجد أثرها في قلبه من الحلاوة والقوة ومزيد الإيمان والعقل والرغبة في الآخرة، فإن الطاعة تثمر هذه الثمرات ولا بد)[2].

وقال أيضا: (فالعبد في حال معصيته واشتغاله عنه بشهوته ولذته، تكون تلك اللذة والحلاوة الإيمانية قد استترت عنه وتوارت، أو نقصت أو ذهبت، فإنها لو كانت موجودة كاملة لما قدم عليها لذة وشهوة، لا نسبة بينها وبينها بوجه ما، بل هي أدنى من حبة خردل بالنسبة إلى الدنيا وما فيها)[3].

وقد شبه بعض أهل العلم حالة هذا بحالة المريض، كما أن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مُرًّا، فكذا صاحب الذنوب لا يجد طعم الإيمان حلوا في قلبه، وكلما نقصت الصحة شيئا ما نقص ذوقه بقدر ذلك[4].

قال ابن رجب -رحمه الله-: (فإن الإيمان هو غذاء القلوب وقوتها كما أن الطعام و الشراب غذاء الأبدان وقوتها، وكما أن الجسد لا يجد حلاوة الطعام والشراب إلا عند صحته، فإذا سقم لم يجد حلاوة ما ينفعه من ذلك،

---

1 (?) اقتضاء الصراط المستقيم 2/220.

2 (?) طريق الهجرتين ص 226.

3 (?) إغاثة اللهفان 2/195- 196.

4 (?) انظر: فتح الباري لابن حجر 1/77.

بل قد يستحلي ما يضره وما ليس فيه حلاوة لغلبة السقم عليه.

فكذلك القلب إنما يجد حلاوة الإيمان من أسقامه وآفاته، فإذا سلم من مرض الأهواء المضلة والشهوات المحرمة وجد حلاوة الإيمان حينئذ، ومتى مرض وسقم لم يجد حلاوة الإيمان، بل يستحلي ما فيه هلاكه من الأهواء والمعاصي، ومن هنا قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[1]، لأنه لو كمل إيمانه لوجد حلاوة الإيمان، فاستغنى بها عن استحلاء المعاصي)[2].

هذه الأقوال تدل صراحة على حرمان الظالم لنفسه - بارتكابه ما حرمه الله عليه-من ذوق حلاوة الإيمان وطعمه، وأنه في حالة تلبسه بالمعاصي لا يجد لذة العبادة في قلبه، لأنه ذاق لذة المعصية، التي سلبته عن لذة الإيمان، ولا يمكن اجتماع اللذتين، إذ لا نسبة بينهما، وما يجده صاحب المعصية من لذة شهوانية وقتية وعاقبتها ألم، وتُفَوِّت على صاحبها خير اللذات وأكملها وأنفعها.

قال ابن القيم: (وكل لذة أعقبت ألماً أو منعت لذة أكمل منها فليست بلذة في الحقيقة، وإن غالطت النفس في الالتذاذ بها، فأي لذة لآكل طعام شهي مسموم يُقَطِّع أمعاءه عن قريب؟ وهذه هي لذات الكفار والفساق

---

1 (?) رواه البخاري كتاب المظالم باب النهي بغير إذن صاحبه حديث 2475، ومسلم كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإيمان بالمعاصي حديث 57.

2 (?) فتح الباري لابن رجب 1/45-46.

بعلـوِّهم في الأرض وفسـادهم وفـرحهم فيها بغـير الحق ومرحهم، وذلك مثل لذة الذين اتخذوا من دون الله أولياء يحبـونهم كحب اللـه، فنـالوا بهم مـودة بينهم في الحيـاة الدنيا، ثم استحالت تلك اللذة أعظم ألمٍ وأمرّه ...)[1].

وقال ابن رجب: (إن لذات الذنوب لا نسبة لها إلى ما فيها من الآلام والمفاسد ألبتـه، فـإن لـذاتها سـريعة الانقضاء، وعقوباتها وآلامها أضعاف ذلك، ولهذا قيـل: "إن الصبر على المعاصي أهون من الصبر على عـذاب اللـه"، وقيـل: "رب شـهوة سـاعة أورثت حزنا طـويلا" وما في الذنوب من اللذات كما في الطعام الطيب المسموم من اللـذة، فهي مغمـورة بما فيه من المفسـدة، ومـؤثر لـذة الـذنب كمـؤثر لـذة الطعـام المسـموم الـذي فيه من السموم بما يمـرض أو يقتـل. ومن هاهنا يعلم أنه لا يـؤثر لذات الذنوب إلا من هو جاهل بحقيقة عواقبها كما لا يؤثر أكل الطعـام المسـموم للذته إلا من هو جاهل بحاله أو غير عاقل ...)[2].

وإذا ثبت أن الظالم لنفسه محروم من حلاوة الإيمـان من حيث الجملة، فقد يختلف الأمر من حيث التفصيل، إذ لا يمكن القـول بـأنهم على درجة واحـدة في ظلمهم لأنفسـهم، لا شك أنهم متفـاوتون في مقـدار الظلم والوصـف، والأمر إذن يتطلب ذكر أقسـامهم وبيـان درجة كل قسم في حلاوة الإيمان.

قد قسم ابن القيم ظلم النفس إلى قسمين:

الأول: من لا يبقى معه شـيء من الإيمـان والولاية والصديقية والاصطفاء وهو ظلمها بالشرك والكفر. هذا لا

---

1 (?) روضة المحـبين ص 176، وانظر كـذلك الاسـتقامة لابن تيمية 2/153.

2 (?) رسالة في الكلام على قوله تعالى: ﴿ ... ﴾ [فاطر: ٢٨] لابن رجب ضمن مجموع رسائله 1/343-344.

يثبت له إيمـان فضلا عن حلاوتـه، ولا يـدخل في الأقسـام الثلاثة المذكورة في الآية الكريمة.

والثاني: من يبقى معه حظه من الإيمـان والاصـطفاء والولايـة، وهو ظلمها بالمعاصـي، وهي درجـات متفاوتة[1] أي: أصــحاب هــذا القسم يتفــاوتون ليســوا على درجة واحـدة، فمن غلبت عليه المعاصي والـذنوب ولا يفكر في التوبة ليس مثل من تغلب عليه الطاعة وتقع منه بعض الهفوات والأخطاء أحيانا. فالأول فاسـق، والفاسق لا حظ له من حلاوة الإيمـان كما دلت عليه النصـوص المتقدمـة، وأما الثــاني، فيــذوقها على حسب ما فيه من الإيمــان ويحرم منها حالة وقوعه في الذنوب، ويذوقها فور رجوعه وتوبته، فإن للاستغفار والتوبة حلاوة كما سـيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله[2].

~~وقد يكــون من هــؤلاء من هو في درجة الأوليــاء والمصـطفين، وكـون العبد وليـاً لله مصـطفى لا ينـافي ظلمه نفسه أحيانا بالــذنوب والمعاصــي، وقد أخــبر ســبحانه عن صــفات المتقين، وأنهم يقع منهم ظلم النفس، لكن لا يصرون على ذلك، قال تعالى: ﭽ ﭥ ﭦ~~

ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ

ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ[3].

فهؤلاء الصديقون المتقـون قـد أخـبر سـبحانه أن لهم أعمالا سيئة يكفرها، ولا ريب أنها ظلم للنفس، وكما أخبر عن موسى أنه قال: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ

ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ[4] .

---

1 (?) انظر: طريق الهجرتين ص: 165.

2 (?) انظر: ص 195.

3 (?) سورة الزمر الآية: 32-35.

4 (?) سورة القصص الآية: 16.

وقال يونس : ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ[1].

وعلى هـذا فيكـون هـذا القسـم مصـطفى من وجـه، ظالما لنفسه من وجه آخر[2].

ثانيا- درجة المقتصدين في حلاوة الإيمان

وردت في بيـان المقصـود بالمقتصد عبـارات كثـيرة منها:

1- أنه المـؤمن المطلق الـذي أدى الـواجب وتـرك المحرم[3].

2- أنه المؤدي للفرائض المجتنب للمحارم[4].

3- أنه المـؤدي للواجبـات التـارك للمحرمـات، وقد يترك بعض المستحبات ويفعل بعض المكروهات[5].

4- هو غـير المبـالغ في طاعة ربه وغـير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه حتى يكون عمله في ذلك قصدا[6].

وفي الجملة هو من أتى بأصل الإيمـــان صـــحيحا، وتقـرب إلى الله بما افترضه الله عليـه، وانتهى عما نهى عنه، ثم اكتفى بذلك واقتصـد، ولم يتطـوع بالنوافـل، وقد يتسـاهل ببعض المسـتحبات ويفعل بعض المكروهـات، ويتوسع في المباحـــات، لكنه يبـــادر إلى التوبة عند المعاصي والخطيئات، وهي أدنى مراتب التقوى المعتبرة في حصول ولاية الله[7].

---

1 (?) سورة الأنبياء الآية: 87.

2 (?) انظر: طريق الهجرتين ص 164- 165.

3 (?) مجموع الفتاوى 7/358.

4 (?) مجموع الفتاوى 11/183.

5 (?) تفسير ابن كثير 3/726.

6 (?) تفسير الطبري 20/471.

7 (?) انظر: أثر الإيمـان في تحصـين الأمة الإسـلامية ... د. عبد

وأهل هـــذه المرتبة هم أهل الاســـتقامة الـــذين ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﭽ   ﭼ[1].

نقل ابن القيم عن شيخ الإسلام أنه قـال: (اسـتقاموا على محبته وعبوديته، فلم يلتفتوا عنه يَمْنَةً ولا يَسْرَةً)[2].

وفي حـــديث ســـفيان بن عبد الله ، قـــال: قلت يا رسول الله، قل لي في الإسلام قـولا، لا أسـأل عنه أحـدا غيرك، قال: «قل آمنت بالله فاستقم»[3].

قـال ابن دقيق العيد -رحمه اللــه-: (أمــره أن يجــدد إيمانه بلســانه متــذكراً بقلبــه، وأمــره أن يســتقيم على أعمال الطاعات والانتهاء عن جميع المخالفات)[4].

وهم أهل الفلاح الـوارد ذكـرهم في حـديث الأعـرابي الذي أتى إلى النبي يسأله عن الإسلام فقال رسول الله : «خمس صــلوات في اليــوم والليلة» فقــال: هل عليّ غيرهن؟ قـال: «لا، إلا أن تطـوع، وصـيام شـهر رمضـان» فقال: هل علي غيره؟ فقـال: «لا، إلا أن تطـوع» وذكر له رسول الله الزكاة، فقال: هل علي غيرها؟ قـال: لا، «إلا أن تطــوع» قــال: فــأدبر الرجل وهو يقــول: والله لا أزيد على هــذا ولا أنقص منه، فقــال رســول الله : «أفلح إن صدق»[5].

الله الجربوع 1/201.

1 (?) سورة الأحقاف الآية: 13.

2 (?) مدارج السالكين 2/109.

3 (?) رواه مسلم كتـاب الإيمـان بـاب جـامع أوصـاف الإسـلام حديث 38.

4 (?) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص 85.

5 (?) رواه البخاري كتاب الإيمان باب الزكاة من الإسلام حديث 46، ومسلم كتاب الإيمان باب بيـان الصـلوات الـتي هي أحد

وفي رواية أنه قـال: فـأخبره رسـول الله بشـرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك لا أتطوع شـيئا ولا أنقص مما فـرض الله علي شـيئا، فقـال رسـول الله : «أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق»[1].

فهـذا اقتصد على الفـرائض وحلف أن لا يزيد عليهـا، ومع ذلك وصفه النبي بالفلاح، وذكره من أهل الجنة، لأنه أتى بما عليه ومن أتى بما عليه فهو مفلح[2].

وإذا ثبت أن المقتصد من أهل الاسـتقامة على طاعة الله ومحبته وعبوديتـه، وأنه من أهل الفلاح والبهجة والسـرور، فهو إذن من أهل حلاوة الإيمـان، لأن هـذه الصـفات لا تجتمع إلا في من قـوي بالإيمـان يقينـه، واطمـأنت به نفسـه، وانشـرح له صـدره وخالط لحمه ودمه، وهذا هو الذي وجد حلاوة الإيمـان وذاق طعمه كما سبق بيانه.

فهو يجد حلاوة الإيمـان، ولكنه يكـون في درجة المقتصـد، ولا يصل إلى الدرجة العاليـة، لأن تلك درجة السابقين بـالخيرات، المتفـوقين في الإيمـان والطاعـات، فكلما ارتفع العبد في منازل الإيمان كلما ذاق أقـوى لـذة وطعم، لأن الحلاوة متعلقة بالإيمـان ومتـأثرة به في الزيادة والنقص.

أركان الإسلام حديث 11.

[1] (?) رواه البخـاري كتـاب الحيل بـاب في الزكـاة ... حـديث 6956.

[2] (?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 1/167.

ثالثـا- درجة السـابقين بـالخيرات في حلاوة الإيمان

هذه أرفع درجـات أهل الإيمـان وأعلى مراتبهـا، ومما قيل في التعريف بأهل هذه المرتبة ما يلي:

1- هو المـــؤدي للفـــرائض والنوافـــل، والمتقـــرب بالحسنات والواجبات[1].

2- هو الفاعل للواجبـــات والمســـتحبات التـــارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات[2].

3- هو المـبرِّزُ الـذي قد تقـدم المجتهـدين في خدمة ربـه، وأداء ما ألزمه من فرائضــه، فسـبقهم بصـالحات الأعمال وهي الخيرات[3].

4- هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه[4].

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى 11/183، 13/337.
2 (?) تفسير ابن كثير 3/729.
3 (?) تفسير الطبري 20/471.
4 (?) مجموع الفتاوى 7/358.

5- هو المـؤدي للفـرائض المكـثر من النوافل التـارك للمحرم والمكروه[1].

والأوصاف القرآنية والسنية في حق هؤلاء كثيرة جـدا لا يسع المجال ذكرها[2].

فهم أهل كمـال الإيمـان المسـتحب الـذين أكملـوا مراتب الإسـلام والإيمـان، وارتفعـوا إلى مرتبة الإحسـان، فعبـدوا الله كـأنهم يرونـه، فـإن لم يكونـوا يرونه فقد استشعروا رؤيته لهم.

وهم السابقون المقربون المذكورون في قوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[3].

وهم أهل التقـوى والإحسـان الـذين ورد ذكـرهم في قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ[4].

وهم أوليـاء الله المقـربين المـذكورين في حـديث الأولياء المتقدم، والـذي جـاء فيه قوله ﷺ «ولا يـزال عبـدي يتقـرب إلي بالنوافل حـتى أحبه، فـإذا أحببته كنت سـمعه الذي يسمع به وبصـره الـذي يبصر به، ويـده الـتي يبطش بها، ورجله الـتي يمشي بها، وإن سـألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ...» الحديث[5].

قال شيخ الإسلام: (وأما السابقون المقربـون فتقربـوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقـدرون عليه من محبوبـاتهم أحبهم الـرب حبا تاما ... فهـؤلاء المقربـون صـارت المباحـات في حقهم طاعـات

---

1 (?) تفسير السعدي ص 689.

2 (?) انظر: "أثر الإيمان في تحصين الأمة 1/212-223.

3 (?) سورة الواقعة الآية: 10-12.

4 (?) سورة الذاريات الآية: 15-19.

5 (?) تقدم تخريجه في ص 73.

يتقربـون بها إلى الله فكـانت أعمـالهم كلها عبـادات لله فشربوا صرفا كما عملوا له صرفا ...)[1].

وهم الفائزون الذين وصـلوا بقـوة إيمـانهم إلى درجة اليقين، وامتلأت قلـــوبهم نـــورا، وإشـــراقا، واطمـــأنت نفوسهم بطاعة الله، وخضـعت جـوارحهم لاتبـاع شـرعه، فذاقوا من حلاوة الإيمـان ما حملهم على تقـديم أرواحهم وقواتهم وأوقاتهم في سبيل الله[2].

وهم الذين حققـوا موجبـات حلاوة الإيمـان المـذكورة في حـديث: «ثلاث من كن فيـه وجـد حلاوة الإيمـان: أن يكـون اللـه ورسـوله أحب إليـه ممـا سـواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للـه، وأن يكـره أن يعـود في الكفـر كمـا يكره أن يقذف في النار»، فكان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما، وكانوا أن يقذفوا في النار أهــون عليهم من الرجوع إلى الكفـر، لـذا كـان لهم السـبق في ذوق حلاوة الإيمان، بل يذوقون أحلى هـذه الحلاوة وألـذها لوصـولهم إلى أعلى مراتب الإيمان وأكمله.

قال شـيخ الإسـلام: (وهـؤلاء هم الـذين يطلبـون لـذة النظر إلى وجهه الكريم ويتلذذون بذكره ومناجاته، ويكون لهم أعظم من المـاء للسـمك حـتى لو انقطعـوا عن ذلك لوجدوا من الألم ما لا يطيقون)[3].

تلك هي درجـات أهل الإيمـان فيما يجدونه من حلاوة الإيمان، فالسابق بالخيرات في أعلى الـدرجات، ثم يـأتي بعده المقتصد، ثم يأتي الظالم لنفسه في أدنى الدرجات، ومن كـان أعمل لما يحبه الله وأتـرك لما يبغضه الله فهو أقـوى النـاس إيمانا وأذوقهم لحلاوتـه، هـذه قاعـدة مهمة في هذا الموضوع، وعليها مدار تحقيق حلاوة الإيمان.

---

1 (?) مجموع الفتاوى 11/179-180.

2 (?) انظر: أثر الإيمان في تحصين الأمة 1/214.

3 (?) مجموع الفتاوى 10/85.

المطلب الثاني
أحوال الناس في حلاوة الإيمان

والمقصود بيان أحوال من ذاق حلاوة الإيمان بالنسبة لما يجده في قلبه من وجد وذوق، كما أنهم متفاوتون في ذوق هذه الحلاوة على الدرجات التي سبقت الإشارة إليها، فهم كذلك متفاوتون فيما يظهر عليهم من أحوال، فحالة السابق بالخيرات أفضل من حالة المقتصد، وحالة المقتصد كذلك أفضل من حالة الظالم لنفسه.

وقد مثلهم شيخ الإسلام بمقامات ثلاث: حق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين. ثم قال: (علم اليقين: ما علمه بالسماع والخبر والقياس والنظر.

وعين اليقين: ما شاهده وعاينه بالبصر.

وحق اليقين ما باشره ووجده وذاقه وعرفه بالاعتبار.

فالأول: مثل من أُخبر أن هناك عسلا وصدّق المخبر أو رأى آثار العسل فاستدل على وجوده.

والثاني: مثل من رأى العسل وشاهده وعاينه، وهذا أعلى كما قال النبي ﷺ: «ليس الْمُخْبَر كالْمُعَاين»[1].

والثالث: مثل من ذاق العسل ووجد طعمه وحلاوته، ومعلوم أن هذا أعلى مما قبله ... فالناس فيما يجده

---

[1] (?) رواه الإمام أحمد في المسند 1/215، وهو من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ولفظه: «ليس الخَبَرُ كالمُعَايَنة» وقال محققو الموسوعة الحديثية للمسند (3/341): "حديث صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين".

أهل الإيمـــان ويذوقونه من حلاوة الإيمـــان وطعمه على ثلاث درجات:

الأولى: حالة من علم بذلك مثل من يخبره به شيخ له يصدقه أو يبلغه ما أخبر به العارفون عن أنفسهم أو يجد من آثار أحوالهم ما يدل على ذلك.

والثانيــة: حالة من شــاهد ذلك وعاينه مثل أن يعاين من أحوال أهل المعرفة والصدق واليقين ما يعـرف به مواجيـــدهم وأذواقهم وإن كـــان هـــذا في الحقيقة لم يشاهد ما ذاقـوه ووجـدوه ولكن شـاهد ما دل عليـه، لكن هو أبلغ من المخبر والمستدل بآثارهم.

والثالثة: أن يحصل له من الـذوق والوجد في نفسه ما كان سمعه، كما قال بعض الشــيوخ: "لقد كنت في حال أقول فيها إن كـان أهل الجنة في الجنة في مثل هذا الحـال إنهم لفي عيش طيب"، وقـال آخـر: "إنه ليمر على القلب أوقات يرقص منها طربا ..."

فالنـــاس فيما يوجد في القلـــوب، وفيما يوجد خـــارج القلوب على هذه الدرجات الثلاث) [1].

هكذا جعل شيخ الإسلام أحوال من ذاق حلاوة الإيمان إلى هـذه المنـازل والمقامـات وأعلاها مقـام من هو في درجة حق اليقين الذي ذاق حقيقة حلاوة الإيمـان ووجـده في نفسه، ثم ظهر ذلك على جوارحه، إذ لا سبيل لإدراك حقيقة ما في القلب من لـــذة الإيمـــان إلا من خلال ما

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/645-647.

يظهر من أعمـال الجـوارح، فالـذوق والوجد أمر بـاطن، والعمل دليل عليه ومصدق له[1].

فحال هذا أفضل من حال من شـاهد من آثـار أحـوال الآخـرين ما يـدل على ذوق حلاوة الإيمـان، أو من عنـده مجرد العلم والخبر عن أحوال هؤلاء، فالأول حصل له كل المقصـــود، لأنه جمع بين العلم والمشـــاهدة والـــذوق، والثاني حصل له بعض المقصـود، وهو العلم والمشـاهدة، والثالث حصل له واحد من الثلاثة، وهو العلم بالخبر.

وأما العلامة ابن القيم، فقد قسم النـــــاس في ذلك إلى قسمين:

الأول: النفوس المطمئنة إلى ربهـا: وذكر من علامـات هـؤلاء اشـتغال قلـوبهم بما هو أحب إليها من الوقـوع في الـذنوب. وهو حـال من حصل له من ذوق حلاوة الإيمان وحقائقه والتنعم به ما عوض قلبه عن ميله إلى الذنوب.

والثاني: أهل الجهاد والصبر، وهو حال من عنده داع وإرادة لهـا، وعنـده إيمـان وتصـديق بوعد الله تعـالى ووعيده، فهو يخاف إن واقعها أن يقع فيما هو أكـره إليـه، وأشق عليه.

ثم قـــال: (وهاتـــان النفســـان هما المخصوصـــتان بالسعادة والفلاح)[2].

وأحـوال من ذاق حلاوة الإيمـان إنما تظهر على العبد من خلال آثارها الطيبة الظـاهرة عليه والمتمثلة في ثباته

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين 3/96.

2 (?) إغاثة اللهفان 2/196.

على الإيمان وقربه من ولاية الرحمن، وسـيأتي بيـان ذلك بالتفصيل في الحديث عن آثار حلاوة الإيمان.

موجبات حلاوة الإيمان

وتحته تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: بيان تعدد موجبات حلاوة الإيمان وعدم حصرها على العدد المذكور في الحديث

الفصل الأول: بيان أن تحقيق التوحيد من أهم موجبات حلاوة الإيمان

الفصل الثاني: حلاوة الإيمان بالملائكة والكتب والنبيين

الفصل الثالث: حلاوة الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر

بيان تعدد موجبات حلاوة الإيمان وعدم حصرها على العدد المذكور في الحديث

مُـوجِب الشـيء (بالكسـر) سـببه والمـوُجَب (بـالفتح) المسَبَّب[1]، والمقصود بيان الأمور التي بوجودها يجد العبد حلاوة الإيمـان، أو أسـباب تلك الحلاوة، فـالبحث عن هـذه الأسـباب أمر في غاية الأهميـة، وخاصة بعد ما عرفنا فيما سبق أن التلذذ بالإيمان من أعظم المنح الـتي يمنحها الله عبـاده المؤمـنين، وأن النـاس متفـاوتون في ذلك حسب قوة إيمانهم وضعفه.

وهـــذه الحلاوة واللـــذة الإيمانية لا شك أنها تحصل بحصـول أسـبابها وتـزول بزوالهـا، فعلى كل مـؤمن يريد الوصول إلى هذه الدرجة، التعرف على الأسباب والطرق المؤدية إلى ذوق حلاوة إيمانه ليسعى جاهدا في تحصيلها وينعم بالحياة السعيدة.

وهذه الأسباب والموجبات متعددة بعدد شعب الإيمان وداخلة في سائرها، وليست منحصرة على العدد المذكور في حـــديث: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمـــان ...» ويدل على ذلك ما يلي:

أولا- أن هذا العدد لا يفهم منه الحصر، وقد ورد نحـوه في نصوص أخرى مثل:

قوله : «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يــزكيهم ولهم عــذاب أليم: رجل على فضل مــاء بطريق يمنع منه ابن السـبيل، ورجل بـايع رجلا لا يبايعه إلا للـدنيا فإن أعطـاه ما يريد وفىَّ له وإلا لم يف له، ورجل سـاوم رجلا بسـلعة بعد العصر فحلف بالله لقد أعطى بها كـــذا وكذا فأخذها»[2].

---

[1] (?) انظر: المصباح المنير ص 531.

[2] (?) رواه البخـاري كتـاب الشـهادات بـاب اليمين بعد العصر حديث: 2672، ومسلم كتاب الإيمان بـاب بيـان غلظ تحـريم إسبال الإزار ... حديث: 108.

وفي لفظ آخر عن أبي ذر عن النـبي قـال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنّان الذي لا يعطي شيئا إلا منة، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره»[1].

وعن أبي هريرة قـال: قـال رسـول الله : «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: الشيخ الزاني والعائل المَزْهُــو والإمام الكذَّاب»[2].

فهذه ثلاثة أحاديث ذُكر فيها العدد (ثلاثة) والمعدودون الـذين لا يكلمهم الله يـوم القيامة في كل حـديث غـير المعـدودين في الحـديث الآخـر، إذ يصل مجمـوعهم إلى ثمانية أصناف مما يدل على أن العدد غـير مطلـوب، وأن المقصود ذكر البعض لا الكل.

وكـذا حـديث: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمـان ...» المقصود: ثلاث خصال من الخصال الكثيرة التي يجد بها المرء حلاوة الإيمان[3].

وقد ذكر العيني أن في هذه الجملة محـذوفا تقـديره: "ثلاث من كن فيه منها وجد حلاوة الإيمـــان"[4]، فتـــبين بذلك أن المراد ذكر بعض من هذه الخصال وليس الكل.

وإنما خصت الأمـــور الثلاثة بالـــذكر وهي: محبة الله ورسوله، ومحبة المـرء للـه، وكراهية العـودة إلى الكفـر، لأنها جامعة لأهم مبادئ الإيمان وأعلى خصاله.

قـال ابن رجب - رحمه الله -: (فهـذه الثلاث خصـال من أعلى خصـــال الإيمـــان، فمن كملها فقد وجد حلاوة الإيمان وطعم طعمه)[5].

---

1 (?) رواه مسلم كتاب الإيمان بـاب بيـان غلظ تحـريم إسـبال الإزار حديث: 106.

2 (?) رواه النسائي كتاب الزكاة باب الفقـير المختـال حـديث: 2575 وصـححه الشـيخ الألبـاني في صـحيح سـنن النسـائي 2/544.

3 (?) انظــر: كتــاب: حــديث ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان وقفات وتأملات أ. د. فالح ابن محمد الصغير ص 18.

4 (?) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني 1/148.

5 (?) فتح الباري لابن رجب 1/45.

ثانيا- أنه وردت نصوص أخرى تبين العديد من خصال حلاوة الإيمان وموجباتها، ففي جميع شعب الإيمان حلاوة، فإذا كان الإيمان قولا وعملا واعتقادا، يتفرع عن أعمال القلب واللسان والجوارح، فحلاوة الإيمان كذلك تكون في جميعها، ففي الخوف والرجاء والخشية والتوكل وغيرها من أعمال القلوب حلاوة، وفي قراءة القرآن والذكر والدعاء وغيرها من أعمال اللسان حلاوة، وفي الصلاة والحج والجهاد وغيرها من أعمال الجوارح حلاوة وهذا ما سيأتي بيانه بالتفصيل في الفصول الآتية.

ولكن قبل الشروع في بيانها، يجب التنبيه إلى أن حلاوة الإيمان إنما تتحقق إذا تضمن الموجب أكمل الوجه وأعظمه كما بينه النبي في قوله: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» فعبر النبي في هذا الحديث بصيغة أفعل التفضيل "أحب" ولا يكفي مجرد الحب بل لا بد أن يكون أحب الأشياء في القلب هو الله ، وهكذا في سائر أعمال القلوب.

مثلاً إذا كان الخوف من الله من موجبات الإيمان وشعبه، فإن هذا الخوف الموجود في القلب لا يحقق حلاوة الإيمان حتى يكون الله هو أخوف شيء إلى العبد، فمتى اشترك غيره في هذا الخوف، تذهب حلاوة الإيمان ولذته بقدر ذلك، فهذه قاعدة مهمة في تحقيق حلاوة الإيمان وذوق لذته.

الفصل الأول
بيان أن تحقيق التوحيد من أهم موجبات حلاوة الإيمان

وتحته تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد في تعريف التوحيد وبيان أقسامه

المبحث الأول: حلاوة توحيد الربوبية

المبحث الثاني: حلاوة توحيد أسـماء الله وصفاته

المبحث الثالث: حلاوة توحيد العبادة

تعريف التوحيد وبيان أقسامه

التوحيد لغة:

أصل الكلمة: التوحيد مصدر من مادة "وحـد"، قـال ابن فـارس: (الـواو والحـاء والـدال أصل واحد يـدل على الانفراد)[1].

تصريفها: يقال: وَحَّدَ يُوَحِّد توحيداً على وزن تفعيل، ووحَّدَه وأحّـده مثـل: ثنّـاه وثلَّثَـه، ورجل وحَـدٌ ووَحِـدٌ أي: منفرد[2].

معناها: معنى التوحيد هو جعل الشيء واحدا، يقال: وَحّدَه تَوْحِيداً أي: جعله واحدا[3].

والتوحيد شرعا: هو الاعتقاد الجازم أن الله تعـالى واحد في ذاته وصـــفاته لا شـــبيه له وواحد في أفعاله لا شـــريك لـــه، وواحد في ألوهيته لا ند لـــه، فيُقصد وحـــده بالعبادة دون سواه.

قال السفاريني: (هو إفراد المعبود بالعبـادة مع اعتقـاد وحدته ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً)[4].

---

1 (?) معجم مقاييس اللغة 6/90.
2 (?) انظر: الصحاح للجوهري 2/548.
3 (?) انظر: القاموس المحيط 1/467.
4 (?) لوامع الأنوار البهية 1/57.

وقـال الشـيخ محمد بن عـثيمين -رحمه اللـه-: (هو إفـراد الله سـبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات)[5].

وقد قسم العلمـاء التوحيد من خلال اسـتقراءهم للنصوص إلى ثلاثة أقسام[2]:

الأول: توحيد الربوبية، وهو إفـراد الله تعـالى بـالخلق والرزق والتدبير[3].

والثـاني: توحيد الأسـماء والصـفات وهو إفـراد الله بأسـمائه الحسـنى وصـفاته العليا الـواردة في القـرآن والسنة والإيمان بمعانيها وأحكامها[4].

والثالث: توحيد الألوهية، ويقـال له توحيد العبـادة وهو إفراد الله بالعبادة[5].

وسـيأتي الآن بيـان ما يجـده العبد ويحققه من حلاوة الإيمان خلال تحقيقه لأنواع التوحيد الثلاثة.

---

5 (?) القول المفيد على كتاب التوحيد 1/11.

2 (?) انظر لهذه التقسيمات: شـرح العقيـدة الطحاوية لابن أبي العز 1/23، ولوامع الأنـوار البهية 1/56-57، والقـول السـديد في الـرد على من أنكر تقسـيم التوحيد د. عبد الرزاق البدر ص 16 وما بعدها.

3 (?) القول المفيد على كتاب التوحيد 1/11.

4 (?) معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصـفات د. محمد بن خليفة التميمي ص 31.

5 (?) انظر: القول السـديد في مقاصد التوحيد للسـعدي ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشـيخ 3/11 والقـول المفيد على كتاب التوحيد 1/11.

المبحث الأول
حلاوة توحيد الربوبية

والمقصود بيان ما يذوقه العبد من حلاوة الإيمان إذا حقق توحيد الربوبية، واعتقد أن الله هو وحده الخالق الرازق والمدبر لشؤونه، ثم عبده وحده بموجب هذا الاعتقاد.

وقد أخبر النبي بذلك في حديث العباس بن المطلب المتقدم عند ما قال: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا»[1].

في هذا الحديث، علّق النبي طعم الإيمان بأن يرضى العبد بأن الله وحده ربه ومالكه ومدبر شؤونه، ويكتفي به وحده دون سواه.

والرّبّ يطلق ويراد به المالك والسيد والمدبر والقيم والمصلح والمنعم[2].

قال النووي -رحمه الله-: (معنى رضيت بالشيء: قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث لم يطلب غير الله تعالى ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ، ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه)[3].

فدل هذا على أن توحيد الربوبية موجب من موجبات طعم الإيمان وسبب من أسباب حصوله، والمقصود رضا المؤمن وقناعته التام بربوبية الله له والفرح بذلك وبكل ما يأتيه من أقدار الله .

قال ابن القيم -رحمه الله-: (والرضا بربوبيته يتضمن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمن إفراده بالتوكل

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 26.

2 (?) انظر: النهاية لابن الأثير 2/179، وتهذيب اللغة للأزهري 15/176، ومفردات ألفاظ القرآن ص 184.

3 (?) شرح صحيح مسلم للنووي 2/2.

عليه، والاستعلنة به، والثقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضيا بكل ما يفعل به)[1].

وقال السعدي -رحمه الله-: (والرضا بذلك يقتضي الفرح بذلك والسرور بربوبية الله له، وحسن تدبيره وأقضيته عليه)[2].

وهذا يتضمن اتخاذه معبودا دون ما سواه، وإبطال عبادة كل ما سواه، قال تعالى: ﴿ ﴾[3].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي: أطلب ربا سواه ﴿ ﴾ يربيني ويحفظني ويكلؤني ويدبر أمري، أي: لا أتوكل إلا عليه ولا أنيب إلا إليه، لأنه رب كل شيء ومليكه وله الخلق والأمر)[4].

وقد جعل حقيقة الرضا به ربّـاً أن يسخط عبادة ما دونه، فمتى سخط العبد عبادة ما سوى الله من الآلهة الباطلة حُبّـاً وخوفاً ورجـاءً وتعظيماً وإجلالاً فقد تحقق بالرضا به رباً الذي هو قطب رحى الإسلام[5].

والمقصود أن الرضا بالله ربا لا يتحقق إلا بعبادة الله وحده، واتخاذه وحده ربّـاً وإلهـاً، لأن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، الذي أمر الله به العباد بأن

---

1 (?) مدارج السالكين 2/180.

2 (?) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ 3/98.

3 (?) سورة الأنعام الآية: 164.

4 (?) تفسير ابن كثير 2/268.

5 (?) مدارج السالكين 2/194.

يعبدوا الله وحده لا يشركون به شـيئا، فيكـون الـدين كله لله ولا يخـاف إلا الله ولا يـدعو إلا الله ويكـون الله أحب إلى العبد من كل شـــيء فيحبـــون لله ويبغضـــون لله ويعبدون الله ويتوكلون عليه[1].

ومتى حقق العبد ذلك نال رضا الله ومثوبتـه، فيفتح الله قلبه للإيمان ويذوق حلاوته وطعمـه في الـدنيا، ويـوم القيامة يرضيه بجنات تجري من تحتهـا الأنهـار، كمـا أخـبر بذلك في كتابه فقال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ[2].

وقال تعالى: ﭽ ﯿ ﰀ ... ﭼ[3].

فتضمنت هذه الآيات: جزاءهم على صدقهم وإيمانهم، وأعمالهم الصالحة، ومجاهدة أعدائه، وعـدم ولايتهم، بـأن رضي الله عنهم، فأرضاهم، فرضوا عنه، وإنما حصـل لهم هذا بعد الرضا به رباً، وبمحمدٍ نبياً، وبالإسلام ديناً[4].

وفي الحـديث أن النـبي قـال: «ما من عبدٍ مسـلمٍ يقول حين يصـبح وحين يمسي ثلاث مـرات: رضـيت بالله ربّاً وبالإسـلام ديناً وبمحمد نبياً إلا كـان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة»[5].

---

[1] (?) انظـر: منهـاج السـنة 3/289-290، ومـدارج السـالكين 2/190.

[2] (?) سورة المجادلة الآية: 22.

[3] (?) سورة المائدة الآية: 119.

[4] (?) مدارج السالكين 2/196.

[5] (?) رواه الإمـام أحمد في المسـند 4/337، وقـال محققو الموسوعة (31/302): "صحيح لغيره".

المبحث الثاني
حلاوة توحيد أسماء الله وصفاته

إن توحيد الله بأسمائه وصفاته ومعرفة معانيها وتعبد الله بمقتضاها من أعظم روافد الإيمان وأجل الموجبات لحلاوته، وذلك لأنه أصل الإيمان وأساسه، وإليه ترجع جميع معاني حلاوة الإيمان ومسبباتها.

وقد دل على ذلك حديث: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا ...» حيث جعل الرضا بالله ربّاً متعلقا بذاته وصفاته وأسمائه، وربوبيته العامة والخاصة، فهو الرضا به خالقا ومدبرا، وآمرا وناهيا، وملكا ومعطيا، ومانعا وحكما، ووكيلا ووليا، وناصرا ومعينا، وكافيا وحسيبا ورقيبا، ومبتليا ومعافيا، وقابضا وباسطا، إلى غير ذلك من صفات الربوبية[1].

فمن عبد الله بمقتضى هذه الأسماء والصفات فقد رضي به ربا وذاق طعم الإيمان، فدل ذلك أن معرفة الله بأسمائه وصفاته هي المرجع الأساس لتحقيق حلاوة الإيمان. ويتأكد ذلك من خلال الأمور الآتية:

أولا: أنه إذا كانت حلاوة الإيمان هي كمال الإيمان، فإن معرفة الله بأسمائه وصفاته والتعبد لله بها طريقة إلى تحقيق هذا الكمال.

قال شيخ الإسلام: (من عرف أسماء الله ومعانيها، فآمن بها كان إيمانه أكمل ممن لم يعرف تلك الأسماء،

---

[1] (?) انظر: مدارج السالكين 2/192.

بل آمن بها إيمانــاً مجملاً، أو عــرف بعضــها، وكلما ازداد الإنسان معرفة بأسماء الله وصفاته وآياته، كـان إيمانه به أكمل)[1].

ثانيا: وإذا كـانت حلاوة الإيمـان تعـني سـعادة القلب وسـروره، فـإن توحيـد الأسـماء والصـفات هي الطريــق لتحقيق هذه السعادة.

قال ابن القيم: (فالسير إلى الله من طريـق الأسـماء والصفات شأنه عجب وفتحه عجب، صاحبه قد سيقت لـه السعادة وهو مستلق على فراشه غير تعب ولا مكدود ولا مشتت عن وطنه ولا مشرد عن سكنه)[2].

ثالثا: وإذا كـانت محبـة اللـه من أهم موجبـات حلاوة الإيمان، فإن العلم بالأسـماء والصـفات هي الطريــق إلى محبة الله، بل به يتحقـق الوصـف المـذكور في الحـديث: «أن يكون الله أحب إليه مما سـواهما» وذلــك لأن الحب تــابع للعلم بــالمحبوب ومعرفــة صــفات جمالــه وكمالــه الظاهر والباطن.

قال ابن القيم: (إن اللـذة بـالمحبوب تضـعف وتقـوى بحسب قوة الحب وضعفه، فكلما كان الحب أقوى كــانت اللذة أعظم، ولهذا تعظم لذة الظمآن بشرب الماء البارد بحسب شدة طلبه للماء، وكذلك الجائع، وكذلك من أحب شـيئا كـانت لذتـه على قـدر حبـه إيـاه والحب تـابع للعلم بالمحبوب ومعرفة جماله الظـاهر والبـاطن، فلـذة النظـر

---

1 (?) مجموع الفتاوى 7/233-234.

2 (?) طريق الهجرتين ص 179.

إلى الله بعد لقائه بحسب قوة حبه وإرادته، وذلك بحسب العلم به وبصفات كماله، فإذن العلم هو أقرب الطرق إلى أعظم اللذات)[1].

وقال شيخ الإسلام: (فإذا عرف الله أحبه فعبده وتنعم بعبادته وحده لا شريك له وعرف ما في التأله له من اللذة العظيمة التي لا يعدلها لذة)[2].

وهذه اللذة التي تحصل من خلال أسماء الله وصفاته إنما تتحقق للعبد من خلال تحقيقه لثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بجميع أسماء الله وصفاته، الواردة في الكتاب والسنة، وإثباتها وعدم تعطيلها، لأن الإيمان بها ركن من أركان الإيمان بالله ، فلا يكتمل إيمان العبد حتى يؤمن بجميع أسماء الله وصفاته. فهو أصل الإيمان، ومرجعه، وعليه يتوقف قوة الإيمان وضعفه، فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه وقوي يقينه[3].

والثاني: العلم بالأسماء والصفات، وذلك لأنه أشرف العلوم لتعلقه بأشرف المعلوم وهو الباري سبحانه، ولا طريق لمعرفته إلا من خلال معرفة أسمائه وصفاته، فهو إذن أصل العلوم وأفضلها، وبه تحصل سعادة العبد وكماله، فلا حياة للقلوب ولا نعيم ولا سرور

---

1 (?) مفتاح دار السعادة 1/141-142.

2 (?) رسالة في تحقيق الشكر لابن تيمية ضمن جامع الرسائل ص110.

3 (?) انظر: التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ 3/107-108.

ولا طمأنينة إلا بمعرفة ربها وخالقها من خلال أسمائه وصفاته، فهو أقرب الطرق لذوق أعظم لذات الإيمان[1].

ويدل على ذلك قوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة«[2].

وقد ورد من معاني الإحصاء: العلم والتعقل بمعاني الأسماء والإيمان بها، فيكون معنى "من أحصاها دخل الجنة": أن من عرفها وعقل معانيها، وآمن بها دخل الجنة[3].

والعلم بأسماء الله وصفاته أقرب الطرق لمعرفته سبحانه وحبه والحصول على أعظم اللذات، فإن أعظم لذات الدنيا على الإطلاق هي لذة معرفته سبحانه ولذة محبته فتلك جنة الدنيا ونعيمها العالي[4].

---

1 (?) انظر: مفتاح دار السعادة 1/140.

2 (?) رواه البخاري كتاب التوحيد باب إن لله مائة اسم إلا واحدة حديث: 7392، ومسلم كتاب الذكر والدعاء والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى حديث 2677.

3 (?) انظر: فتح الباري لابن حجر 11/229، ومعتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ص 460.

4 (?) انظر: الداء والدواء ص 441.

روي عن مالك بن دينار[1] أنه قال: (خـرج أهـل الـدنيا من الدنيا ولم يـذوقوا أطيب شـيء فيها، قيـل: ومـا هـو؟ قال: معرفة الله)[2].

وقـال ابن القيم: (فمن كـان بالله سـبحانه وأسـمائه وصفاته أعـرف، وفيه أرغب، وله أحب، وإليه أقـرب وجد من هــذه الحلاوة في قلبه مــالا يمكن التعبــير عنــه، ولا يعرف إلا بالذوق والوجد، ومتى ذاق القلب ذلك لم يمكنه أن يقدم عليه حبا لغـيره، ولا أنسا بـه، وكلما ازداد له حبا ازداد له عبوديــة، وذلا وخضــوعا ورقا لــه، وحرية عن رق غيره فالقلب لا يفلح ولا يصـلح ولا يتنعم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبه)[3].

وقد تحدث شـيخ الإسـلام عن اللـذة الـتي تحصل من خلال معرفة الله بأسـمائه وصـفاته، فقـال: (فـإن اللــذة والفرحــة والسـرور وطيب الـوقت والنعيم الـذي لا يمكن التعبـير عنـه إنمـا هـو في معرفـة اللـه سـبحانه وتعـالى وتوحيده والإيمان به، وانفتاح الحقائق الإيمانية والمعـارف القرآنية كما قال بعض الشيوخ: "لقد كنت في حال أقـول

---

1 (?) مالك بن دينار أبو يحيى مولى لامرأة من بـني سـلمة بن لــؤي، كــان عابــدا زاهــدا ثقــة قليل الحــديث وكــان يكتب المصاحف ومات قبل الطاعون بيسـير وكـان الطـاعون سـنة 131هـ (طبقات الكبرى لابن سعد 7/243، وسير أعلام النبلاء 5/362، وتهذيب التهذيب 10/13).

2 (?) سير لأعلام النبلاء 5/363.

3 (?) إغاثة اللهفان 2/194.

فيها: إن كان أهل الجنـة في هـذه الحـال إنهم لفي عيش طيب" ...)[1].

والثـالث: التعبـد بأسـماء اللـه وصـفاته، وهي الغاية التي من أجلها أظهر الله أسماءه وصفاته في كتابه العزيز وعلى لسـان رسـوله الكـريم، حـتى يتعـرف عليـه العباد من خلالها ويعبدونه بمقتضاها. قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ[2].

قـال ابن القيم: (والـدعاء بها يتنـاول دعـاء المسـألة، ودعاء الثناء، ودعاء التعبد، وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويثنوا عليه بهـا، ويأخـذوا بحظهم من عبوديتها)[3].

وقـد ورد من معـاني الإحصـاء كـذلك: العمـل والتعبـد بأسماء الله الحسنى، بل أعلى منازل الإحصاء: التعبد.

قال السعدي في قوله «من أحصـاها دخـل الجنة»: (أي: من حفظها وفهم معانيهـا واعتقـدها، وتعبـد للـه بهـا دخل الجنة ...)[4].

وقـد بين -رحمـه اللـه- أركـان الإيمـان بأسـماء اللـه الحسنى، فقـال: (ولا يتم الإيمـان بالاسم عند أهل السـنة

---

1 (?) مجموع الفتاوى 28/31.

2 (?) سورة الأعراف الآية: ١٨٠.

3 (?) مدارج السالكين 1/452.

4 (?) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي 3/108.

والجماعة إلا بثلاثة أركان: الإيمـان بالاسم وبما يـدل عليه من المعنى وبما تعلق به من أثر)[1].

وطريقـة ذلـك هـو أن يقـر بالاسـم ومـا دل عليـه من صفة، ثم يعامل كل اسم أو صفة بما يقتضيه ذلك الاســم أو تقتضـيه تلـك الصـفة، فـإن لكـل صـفة عبوديـة تختص بها[2].

(وأكمل النـــــاس عبودية: المتعبد بجميع الأســــماء والصـفات التي يطلع عليها البشر، فلا تحجبه عبودية اسم عن عبودية اسم آخر كمن يحجبه التعبد باســمه القـــدير عن التعبد باسمه الحليم الرحيم، أو تحجبه عبودية اســمه المعطي عن عبودية اســمه المـــانع، أو عبودية اســمه الـــرحيم والعفو والغفـــور عن اســمه المنتقم، أو التعبد بأسماء التودد والبر واللطف والإحسان عن أسماء العـدل والجبروت والعظمة والكبرياء ونحو ذلك)[3].

ومن حقق عبوديـة الأسـماء والصـفات بهـذه الصـفة، فقد حقق أعظم السبل الموصلة للأنس بالله والمحبة لـه والتعظيم لشأنه وما ذلك إلا العبودية الحقـة الـتي تـوجب حلاوة الإيمان وذوق طعمه.

ومن هنا يظهر عظم جرم من ينفي عن اللـه أسـمائه وصـفاته، أو شـيئا منهـا، ويعطـل اللـه عن كمالـه اللائـق بعظمته وجلال سلطانه، فهـو بـذلك يغفـل بـاب المعرفـة

1 (?) القواعد الحسان لتفسير القرآن ، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات السعدي ج8/91.

2 (?) انظر: مفتاح دار السعادة 2/127-128.

3 (?) مفتاح دار السعادة 2/127-128.

بالله تعالى، ويسد أقرب طريق لذوق حلاوة الإيمـان كمـا سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله[1].

---

[1] (?) انظر: ص 430.

المبحث الثالث
حلاوة توحيد العبادة

وتحته خمسة مطالب:

المطلب الأول: حلاوة تحقيق العبادة لله وحده لا شريك له

المطلب الثـاني: حلاوة العبـادات القلبية المحضة

المطلب الثـــالث: حلاوة العبــــادات المشتركة بين القلب والجوارح

المطلب الرابع: حلاوة عبادات اللسان

المطلب الخـــامس: حلاوة عبـــادات الجوارح

المطلب الأول
حـلاوة تحـقيق العبادة لله وحده لا شريـك له

إن تحقيـق العبـادة للـه وحـده هي الغايـة الـتي من أجلهـا خلـق الإنس والجن، وأرسـلت الرسـل وأنـزلت الكتب، ولأجلها خلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، وعليها مدار سعادة العبد وتحقيق أعظم اللذات في الدارين[1].

والعبـادة تطلق باعتبـار فعـل العبـد ويـراد بهـا: التعبد بمعـنى التـذلل لله بفعل أوامـره واجتنـاب نواهيه; محبة وتعظيما. كما تطلق باعتبار المتعبد به، ويكون معناها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: اسم جـامع لكل ما يحبه الله ويرضـاه من الأقـوال والأعمـال الظـاهرة والباطنة مثل الصلاة; ففعلها عبادة، وهو التعبد [2].

ولا صلاح للعباد ولا فلاح ولا لذة ولا طمأنينة إلا بعبادة ربه باطنا وظاهرا، والإنابـة إليـه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من لذات الدنيا لم يطمئن إليها لمـا فيـه من فقر ذاتي إلى ربه ، ومن حيث هو معبـوده ومحبوبه ومطلوبه، وبـذلك يحصل له الفـرح والسـرور واللـذة والنعمة والسكون والطمأنينة[3].

ويدل عليه حديث عبد الله بن معاوية الغاضري حيث قال: قال رسول الله : «ثلاثٌ من فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمـان: **من عبد اللـه وحـده وأنـه لا إلـه إلا اللـه،**

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين 1/110 ومعارج القبول 2/437.

2 (?) انظر: القول المفيد على كتـاب التوحيد 1/16، مجمـوع الفتاوى 10/149.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 10/194.

وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه رافدة عليه كل عام ...»[1].

فقد علّق النبي طعم الإيمان في هذا الحديث بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا، أي: لا يجد العبد طعم الإيمان ولا يذوق حلاوته حتى يقصد الله وحده بالعبادة، إذ ليس هناك من يستحق أن يعبد سواه، ولهذا أضاف قوله: «وأنه لا إله إلا الله» زيادة لتأكيد الأمر بتوحيده في ألوهيته، وبيان أن المقصود عبادة الله وحده، وجعله هو وحده المستحق لذلك، إذ معنى "لا إله إلا الله" لا معبود بحق إلا الله[2].

فدل الحديث على أن طعم الإيمان يتحقق بأمرين اثنين:

الأول: وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، والإقرار بذلك قولا وعملا واعتقادا، وذلك بامتثال ما أمره واجتناب ما نهى عنه، والبراءة مما ينافي ذلك عقداً وقولاً وعملاً[3]. وأن تكون العبادة وفق ما شرعه الله ، إذ لا كمال للإنسان إلا بعبادة الله علماً وعملاً كما أمره ربه[4].

والثاني: تحقيق معنى لا إله إلا الله في العبادة، وذلك بإخلاص العبادة كلها لله، وفي ذلك قطع الطمع أمام

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 55.

2 (?) معارج القبول 2/416، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص 65.

3 (?) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ 3/17.

4 (?) انظر: مجموع الفتاوى 2/96.

المشرك الذي قد يفرد ما يزعم أنه إله فيعبده وحـده من دون الله، فبين أن المطلـوب عبـادة الإلـه الحـق الـذي لا معبود يستحق العبادة سـواه، لأن معـنى لا إلـه إلا اللـه لا يتحقق إلا بأمرين اثنين:

أحـدهما: نفي الألوهيـة كلهـا عن غـير اللـه بـأن يعلم ويعتقد أنه لا يستحق الإلهية ولا شيئا من العبودية أحد من الخلق، لا نبي مرسـل ولا ملـك مقـرب ولا غيرهمـا، وأنـه ليس لأحد من الخلق في ذلك حظ ولا نصيب.

وثانيهما: إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك لــه، وتفرده بمعاني الألوهية كلها وهي نعوت الكمال كلهـا، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص الـدين كله لله[1]، ولا يأله قلبه غير الله حبا ورجاء وخوفا وطمعـا وتوكلا واستعانة وخضوعا وإنابة وطلبا، ولا يجعل شيئا من العبادات لغيره سبحانه[2].

و"لا إلـه إلا اللـه" هي كلمـة التوحيـد الـتي هي أصـل الدين وأساسه ورأس أمره وعمود فسطاطه وبقية أركان الدين وفرائضه متفرعـة عنهـا متشـعبة منهـا مكملات لها مقيدة بالتزام معناها والعمل بمقتضاها[3].

وهي أصل شجرة الإيمان الثابت في قلب المؤمن ، وفرعها العمل الصالح في السـماء الصـاعد إلى اللـه، ولا تـزال تثمر الخـير في كل وقت، بحسب ثباتها في القلب،

---

[1] (?) القول القول السديد في مقاصد التوحيد ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ 3/ 16- 17.

[2] (?) انظر: معارج القبـول 2/432، وتيسـير العزيز الحميد ص 22.

[3] (?) انظر: معارج القبول 2/411.

ومحبة القلب لهـــا، وإخلاصه فيهـــا، ومعرفته بحقيقتها وقيامه بحقها، فيعـرف حقيقة ألوهية الله الـتي يثبتها لـه، ويشهد بها لسـانه، وتصـدقها جوارحـه، ونفي تلك الحقيقة ولوازمها عن كل ما سوى الله، ومواطأة قلبه لســانَه في هذا النفي والإثبات هو الذي يحقق حلاوة الإيمان[1].

وهي أفضل الذكر كما جاء في حديث جابر بن عبد اللـه قال: سمعت رسول الله يقول: «أفضل الـذكر لا إله إلا الله»[2].

ومتى استقرت هــذه الكلمة في النفس والقلب، فإنه لا يعدلها شيء، ولا يفضل عليها، فإن حبهـا يملأ القلب فلا يتسع لغيرها، وعندئذ يجد حلاوة الإيمان.

قـال المنـاوي -وهـو يتحـدث عن أثـر هـذا الـذكر في تحقيق حلاوة الإيمـان-: (لا يصـح الإيمـان إلا بـه، ولأن فيـه إثبات الإلهية لله ونفيها عما عـداه وليس ذا في سـواه من الأذكـــار، ولأن للتهليـــل تـــأثيرا في تطهـــير البـــاطن عن الأوصاف الذميمة التي هي معبودات في الظاهر ... فيفيد نفي عموم الإلهية بقوله "لا إله" ويثبت الواحـد بقولـه "إلا اللــه" ويعــود الـذكر من ظـاهر لسـانه إلى بـاطن قلبـه، فيتمكن ويستولي على جوارحه ويجد حلاوة هذا من ذاق)[3]. أي: من ذاق أثر كلمة التوحيد في قلبـه، وجوارحـه من

---

1 (?) انظر: طريق الهجرتين ص 10، وحلاوة الإيمان في ضوء القرآن والسنة ص 7-8.

2 (?) رواه الترمـذي كتـاب الـدعوات بـاب ما جـاء أن دعـوة المسلم مستجابة حديث: 8333 وحسـنه الشـيخ الألبـاني في صحيح سنن الترمذي 3/140.

3 (?) فيض القدير 2/33.

خلال ما يظهر عليه من حب الطاعات وتحقيقها على وجه الكمال، فإن تحقيق التوحيد مطلوب في جميع عبادات القلب واللسان والجوارح لوجدان حلاوة الإيمان.

وذلك أن هذه الكلمة من أعظم أسباب شرح الصدر، وفرح القلب وسروره.

قال ابن القيم: (فأعظم أسباب شرح الصدر: التوحيد وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه) ثم ذكر قوله تعالى: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ﭼ[1]. وقوله تعالى : ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ﭼ[2].

ثم قال: (فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه، ومنها: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر ويوسِّعه، ويُفْرح القلب، فإذا فُقِد هذا النور من قلب العبد ضاق وحرج وصار في أضيق سجن وأصعبه)[3].

وقال أيضا: (فالتوحيد يفتح للعبد باب الخير والسرور واللذة والفرح والابتهاج)[4].

وقال السعدي - في حديثه عن فوائد كلمة التوحيد -: (ومنها أن التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان وجعله من الراشدين، ومنها أنه يخفف على

---

1 (?) سورة الزمر الآية: 22.
2 (?) سورة الأنعام الآية: 125.
3 (?) زاد المعاد 2/22-23.
4 (?) زاد المعاد 4/186.

العبد المكاره ويهون عليـه الآلام، فبحسـب تكميـل العبـد للتوحيـد والإيمـان يتلقى المكـاره والآلام بقلب منشـرح، ونفس مطمئنة، وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة)[1].

فعلم من هذا كله أن حلاوة الإيمان وطعمه لا تتحقــق إلا بتوحيد الله وإفراده بالعبادة.

ولكن التوحيـد الـذي يـوجب حلاوة الإيمـان كلهـا هـو التوحيــد الخــالص من جميــع شــوائب الشــرك الأكــبر والأصغر، والبدع والمعاصي، وهو قـدر زائـد على مطلـق التوحيد، فقد بوب الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابـه "التوحيد" باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب"

قـال السـعدي - رحمـه اللـه -: (فـإن تحقيـق التوحيـد تهذيبـه وتصـفيته من الشـرك الأكـبر والأصـغر ومن البـدع القوليه والاعتقادية والبدع الفعلية العمليـة ومن المعاصـي، وذلك بكمال الإخلاص لله في الأقـوال والأفعـال والإرادات وبالسلامة من الشرك الأكبر المناقض لأصل التوحيد ومن الشـرك الأصـغر المنـافي لكمالـه، وبالسـلامة من البـدع والمعاصي التي تكدر التوحيـد وتمنـع كمالـه، وتعوقـه عن حصول آثاره.

فمن حقــق التوحيــد بــأن امتلأ قلبــه من الإيمــان والتوحيد والإخلاص, وصدقته الأعمال بأن انقـادت لأوامـر الله طائعة منيبة مخبتة إلى الله, ولم يجرح ذلك بالإصرار على المعاصـي، فهـذا الـذي يـدخل الجنـة بغـير حسـاب ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوء المنازل منها.

ومن أخص ما يـدل على تحقيقـه: كمـال القنـوت للـه وقـــوة التوكـــل على اللـــه بحيث لا يلتفت القلب إلى المخلــوقين في شــأن من شــؤونه, ولا يستشــرف إليهم بقلبه, ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله, بل يكون ظـاهره

---

1 (?) القـــول الســـديد في مقاصد التوحيد ضـــمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي 3/12.

وباطنه وأقواله وأفعاله وحبه وبغضه, وجميع أحواله كلها مقصوداً بها وجه الله متبعاً فيها رسول الله ﷺ)[1].

[1] (?) القول السديد في مقاصد التوحيد ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ 3/13-14.

المطلب الثاني:

حلاوة العبادات القلبية المحضة

1- حلاوة الإخلاص

2- حلاوة محبة الله ﷻ

3- حلاوة الخوف والخشية والرجاء

بيان أن العبادات القلبية هي أصل أعمال العباد التعبدية

تنقسم العبودية باعتبار محلها في قلب العبد ولسانه وجوارحه، ولكل منها عبودية تختص به قولا وعملا: قول اللسان والقلب، وعمل القلب والجوارح.

وقول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه به عن نفسه، وعن أسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه على لسان رسله.

وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك، والدعوة إليه، والذب عنه، وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره وتبليغ أوامره.

وعمل القلب: كالمحبة له، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره وعن نواهيه ونحو ذلك.

وعمل الجوارح: كالصلاة والجهاد، ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك[1].

ثم إن القلب أصل جميع أعمال العباد التعبدية، منه تنبعث أعمال الجوارح، وعليه مدار صحتها، ولا تقبل الأعمال الظاهرة ما لم يساعدها عمل القلب[2].

والقلب ملك الجسد كما قال أبو هريرة : (القلب ملك والأعضاء جنوده، فإذا طاب الملك طابت جنوده، وإذا خبث الملك خبثت جنوده)[3].

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين 1/113- 114.

2 (?) انظر: معارج القبول 2/437.

3 (?) رواه عبد الرزاق في مصنفه 11/221، والبيهقي في

وتحقيق ذلك ما في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: «... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ...»[1].

فالإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، وأعمال القلوب هي أصول الإيمان وقواعد الدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (إن الإيمان والتوحيد لا بد فيهما من عمل القلب كحب القلب، فلا بد من إخلاص الدين لله، والدين لا يكون دينا إلا بعمل، فإن الدين يتضمن الطاعة والعبادة)[2].

وإذا كانت العبادات القلبية هي أصول الإيمان، وحلاوة الإيمان هي استلذاذ العبادات والطاعات، دل ذلك على أن العبادات القلبية هي أساس موجبات حلاوة الإيمان، كما سيتضح ذلك في الأمثلة الآتية إن شاء الله.

شعب الإيمان 1/350، باختلاف يسير في اللفظ، وقال محققه: "إسناده صحيح"، انظر كذلك: مجموع الفتاوى 10/736.

1 (?) رواه البخاري كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه حديث: 52، ومسلم كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات حديث: 1599.

2 (?) مجموع الفتاوى 10/273.

1- حـلاوة الإخـلاص

الإخلاص من أهم العبادات القلبية الـتي تـوجب حلاوة الإيمــان، وذلك لأنه أصل الــدين وأساســه، وعليه مــدار قبول جميع الأعمال، ، وهو أقـوى البـواعث على الأعمـال الصالحة التي بزيادتها زيادة الإيمان[1].

وحقيقتــه: إفــراد الله ســبحانه بالقصد في العبــادة، وقطع التعلق بما ســـــواه، واستســـــلام القلب كله لله وتصفية العمل عن جميع الشوائب[2]، فلا عبـادة ولا صـلاة ولا صيام ولا خوف ولا رجـاء إلا لله حـتى يكـون العبد كما قال تعالى: ﭽﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝﭼ[3]. أي: أن ذلك كله خالصا لله دون ما أشرك به المشركون[4].

وقد أمر الله تعالى بالإخلاص في كتابه وجعله شــرطا لصلاح الأعمال.

قال تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ[5]، وقال تعالى: ﭽ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ[6]، وقال : ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ[7]، روي عن الفضيل بن عيـاض- رحمه اللــه- في هــذه الآية أنه قــال: (هو أخلصه

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى 18/257، وأعمال القلـوب وأثرها في الإيمان ص 106.

2 (?) انظــر: مجمــوع الفتــاوى 10/650، ومــدارج الســالكين 2/95،

3 (?) سورة الأنعام الآية: 162.

4 (?) انظر: تفسير الطبري 12/283.

5 (?) سورة البينة الآية: 5.

6 (?) سورة الزمر الآية: 2-3 .

7 (?) سورة الملك الآية: 2.

وأصوبه، قالوا: يا أبا علي، ما أخلصه وأصـوبه؟ فقـال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صـوابا لم يقبـل، وإذا كـان صـــوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حـــتى يكـــون خالصـــا، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة)[1].

وفي الحـديث أن النـبي ﷺ قـال: «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتُغِيَ به وجهه»[2].

فـــدلت هـــذه النصـــوص على عظم شـــأن الإخلاص ووجوب استحضاره في جميع الأعمـال، وأنه لا حظ لعمل في القبول إلا أن يكون معه الإخلاص.

قال السـعدي -رحمه اللـه-: (ينبغي للعبد أن يتعبد لله بـــإخلاص في كل جـــزء من أعمالـــه، فيستحضر بقلبه أن يعمله لله متقربا به إليـــه، راجيا ثوابه من الله وحـــده، لم يحمله على ذلك العمل غـرض من الأغـراض سـوى قصد الله وثوابـه، ويسـأل ربه تعـالى أن يحقق له الإخلاص في كل ما يـــأتي وما يـــذر، وأن يقـــوِّي إيمانه ويخلصه من الشوائب المنقصة ...)[3].

وإذا كـــان صـــلاح الأعمـــال متوقفا على اقترانها بالإخلاص، فإن حلاوة الإيمان كـذلك متوقف على قـدر ما

---

1 (?) حلية الأولياء 8/95، وتفسـير البغـوي 4/369، ومجمـوع الفتاوى 1/333، 3/124.

2 (?) رواه النسـائي كتـاب الجهـاد بـاب من غـزا يلتمس الأجر والـذكر حـديث 3140، وصـححه الشـيخ الألبـاني في صـحيح سنن النسائي 2/659.

3 (?) الرياض الناضرة والحـدائق الزاهـرة في العقائد والفنـون المتنوعة الفاخرة للسعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ 5/ج1 ص 509- 510.

في القلب من الإخلاص، لأن الحلاوة دليل على الصـــحة كما سـيأتي بيــان ذلك في موضـعه[1]، فالعمل الفاسد لا يـوجب الحلاوة، وإذا تحقق للعبد الإخلاص وجد حلاوة ذلك ولذته في قلبه بقدر ما عنده من الإخلاص.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (فإذا ذاق هذا أو غيره حلاوة الإخلاص لله والعبـادة لـه، وحلاوة ذكـره ومناجاته، وفهم كتابه، وأســلم وجهه لله وهو محسن بحيث يكـــون عمله صـــالحا ويكـــون لوجه الله خالصا، فإنه يجد من السـرور واللـذة والفـرح ما هو أعظم مما يجـده الـداعي المتوكل ... ولا أنفع للقلب من التوحيد وإخلاص الـــدين لله، ولا أضر عليه من الإشراك، فإذا وجد حقيقة الإخلاص الـتي هي حقيقة ﭼ ﭡ ﭢ ﭣﭼ مع حقيقة التوكل الـتي هي حقيقة ﭼ ﭤ ﭥﭼ كان هذا فوق ما يجده كل أحد لم يجد مثل هذا والله أعلم)[2].

ومما يؤكد أن الإخلاص من أجل موجبـــــات حلاوة الإيمـان ما يحققه من معـاني الحلاوة من خلال ما يحصل فيه من الأحوال والنتائج والفوائد، ومن ذلك:

1- أن الإخلاص أقــرب الطــرق الوصــولة إلى الله وذلك لأن القرب من الله إنما هو بخلو القلب مما سـواه، وسـكونه إليـه، وهـذا بتحقيق الإخلاص والتوحيد الـذي من حققه كـــان أقـــرب الخلق إلى الله وهو تحقيق كلمة الإخلاص "لا إله إلا الله"[3].

---

1 (?) انظر: ص 329.
2 (?) مجموع الفتاوى 10/651-652.
3 (?) انظر: الاستقامة لابن تيمية 1/195.

2- أن الإخلاص يوصل العبد إلى درجة الإحسان الــتي هي أعلى درجات الإيمان التي تحقق اللذة والحلاوة.

قال شيخ الإسـلام: (والإحسـان يجمع كمـال الإخلاص لله، ويجمع الإتيان بالفعل الحسن الذي يحبه الله)[1].

قال تعالى: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ￼ ￼ ￼ ￼ ￼ ￼ ￼ ￼ ￼ ￼ ￼ ￼ ￼ ￼ ￼ ﭼ[2]. وقال تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ[3].

قـال شـيخ الإسـلام: (ومن يسـلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى، فإن إسـلام الوجه لله يتضـــمن إخلاص العمل لله، والإحســـان هو إحســـان العمل لله وهو فعل ما أمر به فيه ... فـــــإذا أخلص العبد دينه لله وأحسن العمل له كان ممن أسـلم وجهه لله وهو محسن فكان من الـذين لهم أجـرهم عند ربهم ولا خـوف عليهم ولا هم يحزنون)[4].

3- أن الإخلاص من أكبر أسباب المحبة (فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته لله ما يمنعه عن محبة غـيره، إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمـان المتضـمن عبوديته لله ومحبته له وإخلاصه الدين له ...) [5].

4- أن الإخلاص لله تعالى أكبر الأسـباب لحصـول كـل خير واندفاع كل شر، فالله يصرف عن عبـده مـا يسـوؤه

---

1 (?) مجموع الفتاوى 7/622.
2 (?) سورة البقرة الآية: 112.
3 (?) سورة النساء الآية: 125.
4 (?) مجموع الفتاوى 18/251.
5 (?) مجموع الفتاوى 10/215.

من الميل إلى الصور والتعلق بها، ويصرف عنه الفحشـاء بإخلاصه لله[1].

قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ[2].

قال شيخ الإسلام: (وإذا كان العبد مخلصا لـه، اجتبـاه ربه فيحيي قلبه، واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلـك من السـوء والفحشـاء، ويخـاف من حصـول ضـد ذلـك؛ بخلاف القلب الذي لم يخلص للـه، فإنـه في طلب وإرادة وحب مطلق فيهوى ما يسنح له ويتشبث بما يهواه ...)[3].

5- أن الإخلاص طريق التخلص من آفة الشرك الأكبر والأصـــــــغر كمـــــــا قـــــــال تعـــــــالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[4] (أي: لا يـرائي بعملـه، بل يعمله خالصا لوجه الله تعـالى، فهـذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينـال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخـراه، وقد فاته القرب من مولاه ونيل رضاه)[5].

هذه بعض ثمـرات الإخلاص وفوائـده الـتي تـبين أثـره في قــرب العبد من ربه وذوق حلاوة العبــادة في قلبــه. وكل ما كـــان الإنســـان أشد إخلاصا لله في عمله كـــان إيمانه أقوى، والحلاوة التي يجدها أعظم.

---

1 (?) مجموع الفتـاوى 10/188، المـواهب الربانية من الآيـات القرآنية ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفاته الشـيخ السـعدي 5 /ج1 ص 121.

2 (?) سورة يوسف الآية: 24.

3 (?) مجموع الفتاوى 10/216.

4 (?) سورة الكهف الآية: 110.

5 (?) تفسير السعدي ص 489.

2- حلاوة محـبة الله

إن محبة الله من أعظم واجبــات الإيمــان وأكــبر أصـوله وأجل قواعـده، بل هي أصل كل عمل من أعمـال الإيمـان والـدين، وهي أصل التوحيد العملي وأصل التأليه الـذي هو عبـادة الله وحـده لا شـريك لـه، فـإن العبـادة: أصلها أكمل أنـواع المحبة مع أكمل أنـواع الخضـوع، وهي حيــاة القلــوب ونعيم الأرواح، وبهجة النفــوس، وقــرة العيـون، وأعلى نعيم الــدنيا والآخــرة، فبها تتحقق أعظم اللذات وأفضل القربات وأطيب الحياة[1].

وحقيقتهـــا: ميل القلب إلى الله وتعلقه به وحـــده، ومن ثم إيثـــاره على كل ما ســـواه إذلالا وتعظيمــــا، وخضوعا[2]. وقد أخبر الله سبحانه بأن المؤمـنين يحبونه وهو يحبهم، فقال: ﭽ ﮯ ﮰ ﭼ[3]. وعلى هذه العقيدة أجمعت سـلف الأمة كما قـال شـيخ الإسـلام: (وقد أجمع سـلف الأمة وأئمتها على إثبـــات محبة الله تعـــالى لعبـــاده المؤمـــنين ومحبتهم له وهـــذا أصل دين الخليل إمـــام الحنفاء)[4].

فالله سبحانه أحق أن يكـون هو المحبـوب والمقصـود وحــده بالمحبة إذ به تتم جميع أســباب المحبة ودواعيهــا، وبمحبته سـبحانه صـلاح النفـوس ونعيمهـا، ولا يـذوق العبد حلاوة الإيمان إلا بها.

---

1 (?) انظر: مجمـوع الفتـاوى 10/48، وقاعـدة في المحبة ص 68، ومدارج السالكين 3/24.

2 (?) انظــر: شــرح العقيــدة الطحاوية لابن أبي العز 1/165، وأعمال القلوب وأثرها في الإيمان ص 126 وقد بين ابن القيم بأن "المحبة" لا يمكن حدها بحد أوضح منها، وأن جميع ما قيل في حـــدها هي إما أســـبابها أو موجباتها أو أحكامها أو ثمارها (انظر: مدارج السالكين 3/10).

3 (?) سورة المائدة الآية: 54.

4 (?) مجموع الفتاوى 2/354.

وهذا ما بينه النبي في حـديث أنس المتقـدم «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان **أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما** ...».

وفي رواية قـال: «من كـان الله ورسـوله أحب إليه مما سواهما»[1].

وفي رواية: «وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[2].

وفي رواية أخرى قال: «من لم يكن شيء أحب إليه من الله و رسوله»[3].

دلت مجمـوع هـذه الروايـات على أن محبة الله شـرط أسـاس لتحقيق حلاوة الإيمـان، وأنها غاية هـذه الحلاوة، بل أصل من أصـــولها، وأن العبد لا يجد حلاوة الإيمان حتى يكون الله أحب الأشـياء في قلبه ثم يعبـده بمقتضى هذه المحبة.

قال ابن القيم -رحمه الله- : (فإنه لا شـيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرهـا، فهو إلهها ومعبودهـا، ووليها ومولاهـا، وربها ومـدبرها ورازقهـا، ومميتها ومحييهـا، فمحبته نعيم النفـوس، وحيـاة الأرواح، وسـرور النفـوس، وقـوت القلـوب، ونـور العقـول وقـرة العيـون، وعمـارة البـاطن، فليس عند القلـوب السـليمة، والأرواح الطيبة والعقـــول الزاكية أحلى، ولا ألذ ولا أطيب، ولا أسر ولا

[1] (?) تقدم تخريجه في ص 55.

[2] (?) رواه البخـاري كتـاب الأدب بـاب الحب في الله حـديث 5581.

[3] (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان 16/523، وقال محققـه: "الحديث حسن في الشواهد".

أنعم من محبته والأنس به، والشـوق إلى لقائـه، والحلاوة الــتي يجــدها المــؤمن في قلبه بــذلك فــوق كل حلاوة، والنعيم الــذي يحصل له بــذلك أتم من كل نعيم، واللــذة التي تناله أعلى من كل لذة ...)[1].

وقد تحدث عن أثر المحبة في انشراح الصـدر فقـال: (ومنها - أي: من أسـباب انشـراح الصـدر- الإنابة إلى الله ســبحانه وتعــالى، ومحبته بكل القلب، والإقبــال عليــه، والتنعم بعبادتـه، فلا شـيء أشـرح لصـدر العبد من ذلـك، حتى إنه ليقـول أحيانـاً: "إن كنت في الجنة في مثل هـذه الحالة، فإني إذاً في عيش طيب" ، وللمحبة تـأثير عجيب في انشـــراح الصـــدر، وطيبِ النفس، ونعيمِ القلب، لا يعرفه إلا من له حِسٌّ بـــه، وكلما كـــانت المحبة أقـــوى وأشد، كان الصدر أفسح وأشـرح، ولا يضـيق إلا عند رؤية البطالين الفارغين من هذا الشأن ، فـرؤيتهم قَـذَى عينـه، ومخالطتهم حُمَّى روحه)[2].

ويشـــترط في تحصـــيل حلاوة محبة الله تحقيق خمسة أمور، هي من لـوازم هـذه المحبة ومقتضياتها.

أولا: أن يكون الله أحب الأشـياء إلى قلبـه: هذا شرط أساس في تحقيق حلاوة محبة الله ، وقد جاء ذلك صريحا في قوله «أن يكون الله ورسـوله أحب إليه مما سـواهما» حيث عـبر النـبي بصـيغة أفعل التفضـيل

---

1 (?) إغاثة اللهفان 2/194.

2 (?) زاد المعاد 2/23-24.

"أحب" ليبين أن مجرد الحب لا يكفي في هـذا البـاب، بل لا بد أن يكون أحب الأشياء في قلبه هو اللـه، والمقصـود أعلى مراتب المحبة وأكملها .

قـال شـيخ الإسـلام -رحمه اللـه-: (فحلاوة الإيمـان المتضمنة من اللـذة به والفـرح ما يجـده المـؤمن الواجد من حلاوة الإيمـان تتبع كمـال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمور: تكميل هذه المحبة وتفريعها ودفع ضدها. فتكميلها: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سـواهما، فـإن محبة الله ورســـــــوله لا يُكتفى فيها بأصل الحب، بل لا بد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما ســواهما، و تفريعها: أن يحب المــرء لا يحبه إلا لله، ودفع ضـــدها: أن يكــره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار)[1].

وقـــال ابن رجب -رحمه اللـــه-: (فقد جعل النـــبي ﷺ تقـديم محبة الله ورسـوله على محبة غيرهما من خصـال الإيمان ومن علامات وجود حلاوة الإيمان في القلوب)[2].

وقد وصف الله المؤمنين بأنهم أشد حبا لله فقال ﷻ: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍﮎ ﭼ[3].

وهذا يـدل على أن إيمـان العبد لا يكتمل إلا أن يكـون حبه لله أعظم من حبه لكل شــيء بما لا نســبة بينهمــا، فالمؤمنون هم أشد حبا لـربهم، ومعبـودهم من كل محب لكل محبوب[4].

ثانيـا: أن يـؤثر حب الله على حب كل شـيء، وهــذا لازم الأول ومقتضــاه، فــإذا اســتقرت المحبة في القلب استدعت من المحبة إيثار محبوبه على غيره، وهذا الإيثار علامة ثبوتها وصحتها[5]. قال تعالى: ﭽﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/205-206.

2 (?) استنشاق نسيم الأنس لابن رجب ضمن مجمـوع رسـائله 1/167.

3 (?) سورة البقرة الآية: 165.

4 (?) انظر: طريق الهجرتين ص 263.

5 (?) انظر: طريق الهجرتين ص 245.

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﭼ[1].

قـال السـعدي - رحمـه اللـه -: (هـذه الآيـة الكريمـة أعظم دليـل على وجـوب محبـة اللـه ورسـوله، وعلى تقـديمها على محبـة كـل شـيء، وعلى الوعيـد الشـديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هـذه المـذكورات أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله) [2].

ومن صور هذه المحبة ما روي عن عمر بن الخطـاب قـال: نظر النـبي إلى مصـعب بن عمـير مقبلاً وعليه إهاب كبش قد تنطق به، فقال النبي : «انظروا إلى هـذا الرجل الذي قد نور الله قلبه، لقد رأيته بين أبويه يغذوانه بأطيب الطعام والشـراب، فـدعاه حب الله ورسـوله إلى ما ترون»[3]. وصور ذلك كثيرة في حياة الصحابة رضـوان الله عليهم الذين تركوا الدنيا وما فيهـا، وأقبلـوا على الله وقدموا محبته على محبة النفوس والأموال.

وقد بين الغزالي -رحمه الله- أسـباب ضـرورة تقـديم حب الله على حب النفس والمـــال، وملخص ذلك كما يلي:

الأول: أن الإنسـان مجبـول على حب نفسه وبقـاء كماله وبغض ما ينافي ذلك، وهذا يقتضي غاية المحبة لله تعالى، فإن من عـرف نفسه وعـرف ربه عـرف قطعا أنه لا وجود له من ذاته، وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجـوده من الله وإلى الله وباللـه، فحـري أن يكـون الله أحب إليه من نفسه، لأن إليه مرجع وجوده وكماله.

الثـاني: حبّ الإنسـان لمن يحسن إليـه، ويواسـيه بالمـال ويجلب إليه ما ينفعه ويـدفع عنه ما يضـره، هـذا بعينه يقتضي أن لا يحب محبة العبادة إلا الله تعـالى، فإنه لو عـــــرف حق المعرفة لعَلِم أنّ المحسن إليه هو الله

---

1 (?) سورة التوبة الآية: 24.

2 (?) تفسير السعدي ص 332.

3 (?) حلية الأولياء 1/108، تاريخ دمشق 36/333.

تعالى فقـط، وإحسـانه إلى خلقه لا يحيط به حصر حاصر كما قال تعالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭼ[1] وهذا النوع من الإحسان لا يمكن تصوره من أي محبوب آخر[2].

ثالثا: أن لا يحب مخلوقا مثل محبته لله، وهـذا من لوازم المحبة الصادقة فهي تقتضـي توحيـد المحبـوب وأن لا يشرك بينه وبين غيره في محبته، ومرجع ذلك إلى قوة الحب الموجود في القلب، فمتى كانت قوة حبه كلها لله ﷻ الذي محبة مـا سـواه باطلـة وعـذاب على صـاحبها، صرفه ذلك عن محبة ما سواه[3].

وقد ذم الله المشـركين الـذين سـووا بين الله وبين آلهتهم في المحبة فقال ﷻ: ﭽ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[4].

(والمعـنى يحبـونهم كمـا يحبـون اللـه وسـووا بين اللـه وبين أندادهم في الحب، ثم نفى ذلك عن المؤمنين، فقال: ﭽ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ فإن الذين آمنوا وأخلصوا حبهم لله لم يشركوا به معه غيره، وأمـا المشـركون فلم يخلصـوا للـه، والمقصود من الخلق والأمر إنما هو هذه المحبة)[5].

قـال شـيخ الإسـلام -رحمه اللـه-: (وليس للقلـوب سـرور ولا لـذة تامة إلا في محبة الله والتقـرب إليه بما يحبـه، ولا تمكن محبته إلا بـالإعراض عن كل محبـوب سـواه، وهـذا حقيقة لا إله إلا الله وهي ملة إبـراهيم الخليل ﷺ، وسائر الأنبياء والمرسـلين صـلاة الله وسـلامه عليهم أجمعين)[6].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (ولهذا كان أعظم صـلاح العبد أن يصـرف قـوى حبه كلها لله تعـالى وحـده بحيث

---

1 (?) سورة إبراهيم الآية: 34.

2 (?) انظر: إحياء علوم الدين 4/301-302.

3 (?) انظر: الداء والدواء ص 355.

4 (?) سورة البقرة الآية: 165.

5 (?) طريق الهجرتين ص 245.

6 (?) مجموع الفتاوى 28/32.

يحب الله بكل قلبه وروحه وجوارحه، فيُوَحِّد محبوبه ويُوَحِّد حبه ... فتوحيد المحبوب أن لا يتعدد محبوبه، وتوحيد الحب أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى يبذلها له، فهذا الحب وإن سمي عشقا فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله فلا يحب إلا لله)[1].

رابعا: أن يحب ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه: فمن أحب الله ورسوله محبة صادقة من قلبه، أوجب له ذلك أن يحب بقلبه ما يحبه الله ورسوله، ويكره ما يكرهه الله ورسوله ويرضى ما يرضي الله ورسوله، ويسخط ما يسخط الله ورسوله، وأن يعمل بجوارحه بمقتضى هذا الحب والبغض[2].

فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب وهي موافقته في حب ما يحب، وبغض ما يبغض، والله يحب الإيمان والتقوى، ويبغض الكفر والفسوق والعصيان ، فيحب ما يحبه الله من الأعيان والأعمال الباطنة والظاهرة ، والواجبات والمستحبات[3].

خامسا: أن يعمل بما يحبه الله ويترك ما يكرهه الله، فمن تمام محبة الله فعله ما يحب الله من أعمال العبادة والطاعة مثل قراءة القرآن والتسبيح والدعاء والصدقة والعتق والإحسان إلى الناس، وترك ما

---

1 (?) روضة المحبين ص 211.

2 (?) جامع العلوم والحكم 2/396-397.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 10/192، وقاعدة في المحبة ص 70.

يكرهه الله من أعمال الكفر والنفاق والعصيان مثل الكذب والخيانة والقتل ونحو ذلك[1].

قال ابن رجب -رحمه الله-: (فالواجب على كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله محبة توجب له الإتيان بما وجب عليه منه، فإن زادت المحبة، حتى أتى بما ندب إليه منه، كان ذلك فضلا، وأن يكره ما كرهه الله تعالى كراهة توجب له الكفُّ عما حرم عليه منه، فإن زادت الكراهة حتى أوجبت الكف عما كرهه تنـزيها كان ذلك فضلا)[2].

وطريقة ذلك هو متابعة الرسول كما قال تعالى: ﭽ ڤ ڦ ڦ ڤ ڄ ڃ ڄ ڃ ڃ ڇ ڇ ڃڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ﭼ[3]. (فإن الرسول يأمر بما يحبه الله وينهى عما يبغضه الله، ويفعل ما يحبه الله، ويخبر بما يحب الله التصديق به، فمن كان محبا لله لزم أن يتبع الرسول فيصدقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ويتأسى به فيما فعل، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله فيحبه الله)[4].

فمن حقق هذه الأمور الخمسة، كان محققاً للمحبة العبودية الموجبة لحلاوة الإيمان ومن كان أشد حبا لله كان أذوق الناس لحلاوة الإيمان ولذته، وذلك لأن قوله : **"أحب"** يدل على أن حلاوة الإيمان تتبع أفضل أحوال شعبه، وكما هو مقرر فإن بعض الشعب أفضل من بعض، فالشهادتان أفضل شعب الإيمان ثم الصلاة، ثم الزكاة، والناس كذلك يتفاضلون في هذه الشعب من حيث الزيادة فيها والنقص، وعلى حسب تفاضلهم في أعمال القلوب كالإخلاص والمحبة والتوكل والإنابة وغيرها، وقد تفضل بعض الشعب على بعض حسب ما يقترن بها من أحوال فاضلة ومواسم شريفة[5].

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى 18/65.

2 (?) جامع العلوم والحكم 2/395-396.

3 (?) سورة آل عمران الآية: 31.

4 (?) مجموع الفتاوى 10/191.

5 (?) انظر: مجموع الفتاوى 7/563، 610، 611، وفتح الباري لابن رجب 4/417، ولطائف المعارف له ص 497.

والمقصود بيــان أن حلاوة الإيمــان تابعــة لأعلى درجات الإيمان بأي اعتبــار كــان، وأن هــذه قاعــدة مهمة في هذا الموضوع وستتكرر معنا حسب ما يقتضــيه السير في البحث بإذن الله تعالى.

3- حلاوة الخوف والخشية والرجاء

إن الخوف والخشية والرجاء من أجل أعمال القلوب وأعلى مقامات الإيمان، بل بها تصح الإيمان، وتتحقق الحلاوة المرجوة منه[1].

أولا: حلاوة الخوف والخشية

قد تعددت عبارات أهل العلم في تعريف "الخوف" وبيان الفرق بينه وبين الخشية[2]. وأما الخوف الذي يوجب حلاوة الإيمان، فهو ما يحصل في القلب المؤمن من عبادة تدفعه إلى الإعراض عن المعاصي والفرار إلى الله سبحانه[3].

قال شيخ الإسلام: (الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله)[4].

وأما الخشية فهي نوع من الخوف غير أنها أخص منه، فهي خاصة للعلماء العارفين بخلاف الخوف فقد يكون من الجاهل، فالخشية خوف مقرون بالمعرفة كما قال سبحانه: ﭽ ۋ ۋ ې ې ى ى ېي[5] ﭼ[6]، وصاحب الخشية إذن يكون أبعد الناس عن المعاصي لعلمه ما يترتب عليها من العقاب، ويكون أقرب الناس إلى الطاعة لعلمه ما يترتب عليها من الثواب، وهو بذلك أذوق الناس لحلاوة الإيمان.

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين 1/548، وطريق الهجرتين ص 234.

2 (?) انظر: مدارج السالكين 1/549-550.

3 (?) انظر: مدارج السالكين 1/551، أعمال القلوب وأثرها في الإيمان ص 178.

4 (?) مدارج السالكين 1/551.

5 (?) سورة فاطر الآية: 28.

6 (?) انظر: مدارج السالكين 1/549، القول المفيد على كتاب التوحيد 2/210-211.

وإنما كانت الخوف والخشية من أعظم موجبات حلاوة الإيمان لتوقف أعظم شروطها عليهما، وهو كراهية العودة إلى الكفر كما نص على ذلك في الحديث: «... وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[1]، وهذا الشرط لا يتحقق إلا بعد سكون الخوف والخشية في قلب المؤمن.

قال إبراهيم بن سفيان[2]: (إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات منها، وطرد الدنيا عنها)[3].

وقال ابن قدامة -رحمه الله-: (من ثمرات الخوف أنه يقمع الشهوات ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سما، فتحترق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويذل القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحقد والحسد ... ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضِّنّة بالأنفاس واللحظات ... وقوة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوة الخوف وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله...)[4].

ثانيا: حلاوة الرجاء

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 32.

2 (?) إبراهيم بن محمد بن سفيان أبو إسحاق النيسابوري الفقيه الزاهد صاحب الرأي الفقهي الحنفي مات سنة 308هـ (الطبقات السنية في تراجم الحنفية ص 263).

3 (?) مدارج السالكين 1/550.

4 (?) مختصر منهاج القاصدين ص 306-307.

الرجاء هو تعليق العبد أمله بالله تعالى وتوقع الخير منه[1]، وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه[2].

وهو كالخوف والخشية، فالرجاء عبادة الله في فعل ما يرضيه وترك ما يبغضه ويسخطه، فالراجي يجد حلاوة الإيمان ولذة العبادة بما يرجوه ويؤمله من ربه من ثواب الطاعات وجزائها العاجل والآجل، فإن الرجاء والتطلع إلى رضوان الله وما عنده من الثواب من أهم أسباب الثبات على العبادة والمداومة عليها حتى تكون أحب الأشياء عنده، وتكون بالنسبة له كالسمك في الماء فبها يتغذى قلبه وتلتذ روحه.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (ولولا روح الرجاء لعُطِّلت عبودية القلب والجوارح، وهُدِّمت صوامع وبيع، وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات)[3].

ويجد العبد المؤمن حلاوة الإيمان من خلال الخوف والخشية والرجاء إذا توفر فيه شرطان أساسيان:

أولهما: إخلاص الخوف والخشية والرجاء لله ، وأن لا يشرك فيها غيره سبحانه، وهو ما أمر الله به عباده في كتابه، فقال في الخوف: ﭼ ﭞ ﭟ ﭠ ﭬ

---

1 (?) انظر: المنهاج لشعب الإيمان للحليمي 1/518.
2 (?) مدارج السالكين 2/37.
3 (?) مدارج السالكين 2/43- 44.

ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ[1]، حيث جعل من لوازم الإيمان وجوب خوفه وحده دون سواه.

وقال في الخشية: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖﭼ[2]، وقال تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰﭼ[3]. قال الشيخ محمد العثيمين -رحمه الله-: (في هذه الآية حصر طريقة الإثبات والنفي ﭽ ﮬ ﮭ ﭼ نفي ﭽ ﮮ ﮯ ﭼ إثبات، والمعنى: إن خشيته انحصرت في الله ﷻ فلا يخشى غيره)[4].

وقال في الرجاء: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﭼ[5]، وقال تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ[6]، حيث جعل الرجاء متعلقا به وحده دون سواه.

والثاني: هو أن يكون حال العبد المؤمن دائما بين الخوف والرجاء ولا يغلب أحدهما الآخر كما أخبر سبحانه عن خواص عباده فقال: ﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ[7]. إنما استحقوا هذا المدح لجمعهم بين الخوف والرجاء، لا على الخوف وحده، ولا على الرجاء وحده.

قال شيخ الإسلام: (وينبغي للمؤمن أن يكون خوفه ورجاؤه واحدا، فأيهما غلب هلك صاحبه ، لأن من غلب

---

1 (?) سورة آل عمران الآية: 175.
2 (?) سورة المائدة الآية: 44.
3 (?) سورة التوبة الآية: 18.
4 (?) القول المفيد على كتاب التوحيد 2/210.
5 (?) سورة البقرة الآية: ٢١٨ .
6 (?) سورة النساء الآية: 104.
7 (?) سورة الاسراء الآية: 57.

خوفه وقع في نوع من اليأس ومن غلب رجاؤه وقع في نوع من الأمن من مكر الله)[1].

وقال السعدي -رحمه الله- (يجب على العبد أن يكون خائفاً من الله، راجياً له راغبا راهبا، إن نظر إلى ذنوبه وعدل الله وشدة عقابه، خشي ربه وخافه، وإن نظر إلى فضله العام والخاص، وعفوه الشامل رجا وطمع)[2].

وباجتماع الخوف والرجاء في قلب المؤمن تتحقق المحبة الموجبة لحلاوة الإيمان، لأن المحب يخاف من زوال مطلوبه ويرجو حصول مرغوبه، فلا يكون عبد الله ومحبه إلا بين خوف ورجاء[3].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فكل محب راجٍ خائف بالضرورة، فهو أرجى ما يكون لحبيبه أحب ما يكون إليه، وكذلك خوفه، فإنه يخاف سقوطه من عينه، وطرد محبوبه له وإبعاده واحتجابه عنه، فخوفه أشد خوف ورجاؤه ذاتي للمحبة، فإنه يرجوه قبل لقائه والوصول إليه، فإذا لقيه ووصل إليه اشتد الرجاء له، لما يحصل له به من حياة روحه، ونعيم قلبه من ألطاف محبوبه، وبره وإقباله عليه، ونظره إليه بعين الرضى، وتأهيله في محبته، وغير ذلك مما لا حياة للمحب ولا

---

1 (?) الفتاوى الكبرى 5/359.

2 (?) القول السديد في مقاصد التوحيد، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي رحمه الله 3/ 36.

3 (?) انظر: الفتاوى الكبرى 5/196.

نعيم ولا فـوز إلا بوصـوله إليه من محبوبـه، فرجـاؤه أعظم رجاء، وأجله وأتمه)[4].

فـدل كل ما تقـدم على أن الخـوف والخشـية والرجـاء، واجتماعهما في قلب المـؤمن من أهم موجبات حلاوة الإيمـان ولذته في القلـوب، وكلما كـان الله أخـوف في قلب المـؤمن وأرجى إليه من غـيره كلما ازداد قوة الإيمان ولذته.

---

4 (?) مدارج السالكين 2/44.

المطلب الثالث:
حلاوة العبادات المشتركة بين القلب والجوارح

1- حلاوة الرضا
2- حلاوة الصبر
3- حلاوة التوكل على الله
4- حلاوة الولاء والبراء
5- حلاوة الشح بالدين
6- حلاوة الزهد

1- حـلاوة الـرضا

الرضا من أجل أعمال القلوب التي تحقـق لهـا اللـذة والحلاوة بأكمل وجه، وهو من أهم شعب الإيمان الـذي لا بد منه في تحقيـق كمـال الإيمـان، وقـد وصـفه ابن القيم بأنه باب الله الأعظم، وجنـة الـدنيا، ومسـتراح العـارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيـون المشـتاقين، وهو آخـر درجـات التوكـل، فمن رسـخ قدمـه في التوكـل والتسليم والتفويض حصل له الرضا ولا بد[1].

وقد تعددت أقوال أهل العلم في بيان المراد بالرضا، ويمكن استخلاصـــها إلى القـــول بأنـــه ارتيـــاح النفس وطمأنينتهـا وركونهـا إلى اللـه تعـالى وحـده ربّـاً وإلهـاً، وانشــراح الصــدر وقبوله ما اختــاره الله له من الأمــور الشــرعية والكونيــة، والتســليم التــام وعــدم الحــرج والسخط[2].

فمن حقق الرضا بهــــذا المعــــنى، ذاق حلاوة ذلك وطعمه في قلبه كما دل على ذلك حديث العباس بن عبد المطلب المتقـدم، أن النـبي قـال: «ذاق طعم الإيمـان **من رضي بالله ربا،** وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا»

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين 2/181.

2 (?) هذا التعريف مستخلص من جملة التعريفـات الـواردة عن أهل العلم في بيــان المقصــود بالرضــا، وأكثرها تركز على جـانب العبد وما ينبغي أن يكـون في قلبه من تسـليم لقضـاء الله وقــدره، وتعميم ذلك إلى بــاقي أعمــال العبــاد التعبدية أولى، وفي مقدمة ذلك قضــية التوحيــد، وهو أعظم مــوجب للرضا. انظر: مدارج السالكين 2/183، 184، 185، وجامع العلوم والحكم 1/488، وأعمـال القلـوب وأثرها في الإيمـان ص 316.

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله قــال: «يا أبا ســعيد، من رضي بالله ربا وبالإســلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة »[1].

وقد أشــار ابن القيم إلى أن هــذين الحــديثين عليهما مــدار مقامــات الــدين، وإليهما تنتهي حيث تضــمنا الرضا بربوبيته ســبحانه وألوهيتــه، والرضا برســوله ، والانقيــاد له، والرضا بدينــه، والتســليم لــه، ومن اجتمعت له هــذه الأربعة فهو الصديق حقا[2].

وأما الرضا به ربا فهو الرضا بربوبيته المتضـــــــــمنة لعبادته وحـــده لا شـــريك لـــه، وقد تقـــدم بيـــان ذلك في الحــديث عن حلاوة توحيد الربوبية بما يغــني عن الإعــادة هنا.

وأما الرضا بالإســلام دينا فهو يقتضي اختيــاره على سائر الأديان، والاكتفاء به طريقا ومنهجا، وجعله وحـــده مصــدر ســعادته وراحته وطمأنينتــه، ولا يعــدل عنه إلى غيره[3]، كما دل عليه قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ[4]، وقوله تعالى: ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ[5]، وقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ[6].

---

[1] (?) رواه مسلم كتاب الإمــارة بــاب بيــان ما أعــده الله تعــالى للمجاهد في الجنة حديث: 1884.

[2] (?) انظر: مدارج السالكين 2/179.

[3] (?) انظر: جامع العلــوم والحكم 1/118، وحلاوة الإيمــان في ضوء القرآن والسنة ص 25.

[4] (?) سورة آل عمران الآية: 19.

[5] (?) سورة آل عمران الآية: 85.

[6] (?) سورة المائدة الآية 3.

وأما الرضا بمحمد رسـولا فهـذا يقتضي الرضا به وبجميع ما جـاء به من عند الله وقبـول ذلك بالتسـليم والانشراح[1]، وسيأتي تفصيل هذا الموضـوع في الحـديث عن حلاوة الإيمان بنبينا محمد .

والمطلوب هنا بيان حلاوة الرضا باعتبـاره عملاً قلبيـاً يحقق أعظم اللذات وأطيب طعوم الإيمان من خلال رضا العبد بالله ربـاً وإلهـاً يعبـده وحـده ولا يشـرك به شـيئا، ومن ثم يرضى بجميع ما جـاء عنه سـبحانه من أحكـام شـرعية وكونيـة، فيتقبلها كلها بانشـراح الصـدر وطمأنينة النفس، وعدم الحرج والسخط، لأنه صـادر من ربه الـذي لا رب له سواه، وهو أعلم بما فيه صـلاح نفسه وفسـاده، وبهذا ينال رضا الله وهو الطريق الـذي تحصل به اللـذة والفرح.

قـال ابن القيم -رحمه اللـه-: (ويا عجبا لو صـحت العقول لعلمت أن طريق تحصيل اللذة والفرحة والسرور وطيب العيش، إنما هو في رضـاء من النعيم)[2] وذلك أن الرضا من النعيم يوجب شكر المنعم ونيل رضوانه، وهـذا الرضا منه سبحانه هو سـرُّ تحقيق الحيـاة السـعيدة ولـذة العيش في الدارين.

قـال ابن القيم: (ففي رضـاه قـرة العيـون وسـرور النفوس، وحياة القلوب، ولذة الأرواح وطيب الحياة، ولذة العيش وأطيب النعيم، مما لو وزن منه مثقـال ذرة بنعيم

---

[1] (?) انظر: جامع العلوم والحكم 1/118.

[2] (?) الداء والدواء ص 169.

الـــــدنيا لم يـــــف به، بل إذا حصل للقلب من ذلك أيسر نصيب لم يرض بالـدنيا وما فيها عوضا منه، ومع هـذا فهو يتنعم بنصيبه من الدنيا أعظم من تنعم المترفين فيها ...)[1].

وقد كـان من منهج السـلف رحمهم الله الرضا التـام والتسليم لكل ما جاء عن الله ورســوله كما روي عن عمر بن الخطاب أنه كان إذا أكثر الصحابة سؤال النــبي كان يبرك بركبتيه ويقول: «رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا»[2].

أي: رضـينا بما عنـدنا من كتـاب الله تعـالى وسـنة نبينا محمد واكتفينا به عن السؤال[3]. وفي هذا استسـلام تـام لما جاء عن الرسول قولا وفعلا.

وقد قيل ليحيى بن معاذ[4]: متى يبلغ العبد إلى مقــام الرضــا؟ فقــال: (إذا أقــام نفسه على أربعة أصــول فيما يعامل به ربه، فيقــول: إن أعطيتــني قبلت وإن منعتــني رضيت وإن تركتني عبدت وإن دعوتني أجبت)[5].

---

1 (?) الداء والدواء ص 169.

2 (?) رواه البخــاري كتــاب الــدعوات بــاب التعــوذ من الفتن حديث: 6363، ومسـلم كتـاب الفضـائل بـاب توقـيره وتـرك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ... حديث: 2359.

3 (?) شرح صحيح مسلم للنووي 15/113.

4 (?) هو يحـيى بن معـاذ بن جعفر الـرازي، أبو زكريا: واعـظ، زاهـد، من أهل الــري. أقــام ببلخ، ومــات في نيســابور ســنة 258هـ. (شذرات الذهب 2/137، الأعلام للزركلي 8/172).

5 (?) مدارج السالكين 2/182.

هكذا كان السلف رحمهم الله، وصـور ذلك وأقـوالهم فيه كثيرة لا يسع المجال ذكرها، وسأشـير الآن إلى أبـرز الأمور التي لا بد منها في تحقيق حلاوة الرضا، والـتي هي من لوازم الرضا ومقتضياته:

أولا: أن يلزم ما جعل الله رضـاه فيه، فإنه من لزم ما يرضي الله من امتثال أوامره واجتنـاب نواهيـه، لا سـيما إذا قـام بواجبها ومسـتحبها، فـإن الله يرضى عنـه، كما أن من لـــزم محبوبـــات الحق أحبه الله[1]. وذلك من خلال تحقيق ثلاثة أمور:

أولها: فعل ما يرضي الله وتـرك ما يبغضه ويكرهـه، وهذا من تمام الرضا بالله إذ كيف يكون راضـيا عن الله من لا يفعل ما يرضاه الله، وهـذا يتنـاول ما أباحه الله من غير تعد إلى المحظور كما قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭼ[2]

وقال تعالى: ﭽ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﭼ[3]، وهذا الرضا واجب، ولهذا ذم من تركه بقوله: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇﭼ[4][5].

والثاني: أن يرضى بالمصائب كالفقر والمرض، والذل فهـذا الرضا مسـتحب في أحد قـولي العلمـاء، وليس

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى 10/681-682.

2 (?) سورة التوبة الآية: 62.

3 (?) سورة التوبة الآية: 59.

4 (?) سورة التوبة الآية: 58.

5 (?) انظر: مجموع الفتاوى 10/682.

بواجب، وقد قيل إنه واجب، والصحيح أن الواجب هو الصبر، كما قال الحسن البصري -رحمه الله-: (الرضا غريزة، ولكن الصبر معول المؤمن)[1].

والثالث: أن لا يرضى بالكفر والفسوق والعصيان، لأنه لا يؤمر بالرضا به، بل يؤمر ببغضه وسخطه، فإن الله لا يحبه ولا يرضاه كما قال تعالى: ﭽ ﭾ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﭼ[2]. وقال تعالى: ﭽ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ﭼ[3] وقال تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ[4]

فإذا كان الله سبحانه لا يرضى لهم ما عملوه، بل يسخطه ذلك، وهو يسخط عليهم ويغضب عليهم، فكيف يشرع للمؤمن أن يرضى ذلك[5].

ثانيا: أن لا يعترض على الحكم ولا يتسخطه، بل يتحمل ما فيه من آلام ومكاره، فهذه حقيقة عبودية الرضا والغاية المنشودة منه، فمن رضي بالله ﷻ تمام الرضا، فإنه يلتذ بأقدار الله المؤلمة وإن أحس بالألم، لكن الرضا يخففه لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرضا، فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية[6].

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/682. وقد روي نحو هذا الأثر عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: (الرضا قليل والصبر معول المؤمن) رواه ابن سعد في الطبقات 5/372، والإمام أحمد في كتاب الزهد ص 293، وأبو نعيم في الحلية 5/342، وابن عساكر في تاريخ دمشق 10/105.

2 (?) سورة الزمر الآية: 7.

3 (?) سورة التوبة الآية: 96.

4 (?) سورة محمد الآية: 28.

5 (?) مجموع الفتاوى 10/683.

6 (?) انظر: جامع العلوم والحكم 1/488.

وقد جعل الإمام الغـزالي ما أسـماه بالرضا بأفعـال الحبيب من وجهين:

أحدهما: الرضا بالألم لما يتوقع من الثـواب الموجـود كالرضا بالفصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للشفاء.

والثـــاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مـــراد المحبـــوب ورضا له، فقد يغلب الحب بحيث ينغمر مـــراد المحب في مـراد المحبـوب، فيكـون ألذ الأشـياء عنـده ســرور قلب محبوبه ورضــاه ونفــوذ إرادته ولو في هلاك روحه كما قيل:

"**فَـمَـا لـجـرح إذا أرضـاكُـمُ ألـمُ**"[1].

وقد يقال بأن هذه القوة في تحمـل المكـاره إنمـا هـو بسبب ما حققـه الرضـا من الحلاوة، فتكـون هـذه الحلاوة هي سبب هذا التحمل وأثره، كما بين ذلـك شـيخ الإسـلام فقال: (الراضي إنما يحملـه على احتمـال المكـاره والآلام ما يجده من لـذة الرضـا وحلاوتـه، فـإذا فقـد تلـك الحلاوة واللـذة امتنـع أن يتحمـل ألمـا ومـرارة، فكيـف يتصـور أن يكون راضـيا وليس معـه من حلاوة الرضـا مـا يتحمـل بـه مرارة المكاره؟)[2]. وسيأتي معنا بيـان أثـر حلاوة الإيمـان في الثبات على الطاعات وتحمل المكاره فيها.

---

1 (?) هـذا الـبيت شـطر من شـعر المتنـبي – أحمد بن الحسـين الجعفي الكنـدي رحمه اللـه- وأولـه: "إن كـان سـرّكم ما قـال حاسدنا فما لجرح ... (انظر: ديوان المتنبي ص 204).

2 (?) مجموع الفتاوى 10/704-705.

2- حــلاوة الــصـبر

الصبر من العبادات الجليلة الـتي يشـترك فيهـا القلب واللسـان والجـوارح، وهـو أصـل مقامـات الإيمـان وأعلى منازله، وهو أصل لكمـال العبـد الـذي لا كمـال لـه بدونـه، وعليه تتوقف سـعادة الـدنيا والآخـرة وذوق أعظم اللـذات فيهما[1].

وقد ذكر اللـه تعـالى الصـبر في القـرآن في نحـو من تسعين موضعا، وأضاف إليه الخـيرات الكثـيرة والـدرجات الرفيعة وجعلها ثمرة له[2].

ومما يدل على رفعة منـزلة الصبر وعظم شـأنه قولـه ﷺ: «ما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر»[3].

وما روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنـه قـال: (الصـبر نصف الإيمان واليقين الإيمـان كلـه)[4]، حيث جعل الصـبر نصف الإيمـان أي: نصف هـذا الـدين، ونصـفه الآخر هو الشكر، لأن العبد دائر دومـاً بين نعمة أو بليـة، فيشـكر النعمة ويصبر على البلية[5].

---

1 (?) انظر: طريق الهجرتين ص 220، 223، وعدة الصابرين ص 11، وزاد المعاد 4/305.

2 (?) مختصر منهـاج القاصـدين ص 272، وقد ذكر ابن القيم نحو ستة عشر ثمرة من ثمرات الصبر المستنبطة من الآيات القرآنية الواردة فيه (انظر: مدارج السالكين 2/159-161).

3 (?) رواه البخاري كتاب الزكاة بـاب الاسـتعفاف عن المسـألة حـديث 1469، ومسـلم كتـاب الزكـاة بـاب فضل التعفف والصبر حديث 1053.

4 (?) رواه الطـبراني في المعجم الكبـير 9/104، والحـاكم في المسـتدرك 2/484، وقـال: هـذا حـديث صـحيح الإسـناد ولم يخرجـاه، وقـال الشـيخ الألبـاني في صـحيح الـترغيب 3/178: "صحيح موقوف".

5 (?) انظر: طريق الهجرتين ص 219.

وقـد تعـددت عبـارات أهـل العلم في تعريـف الصـبر، فمن ذلـك مـا ذكـره ابن القيم بـأن (الصـبر حبس النفس على مكــروه، وعقــل اللســان عن الشــكوى، ومكابــدة الغصص في تحمله، وانتظار الفرج عنـد عاقبتـه) ثم عقب ذلك بقولـه: (هـذا أحد أقسـام الصـبر، وهو الصـبر على البلاء)[1]، وأكـثر تعريفـات أهـل العلم على هـذا النحو[2]، ولعـل الأفضـل أن يشـمل التعريـف جميـع أنـواع الصـبر، فيقال بأنـه حبس النفس على القيـام بـالأوامر والطاعـات والمداومة عليها، وحبسها عن المعاصي والمخالفات حـتى لا تقــع فيهــا، وحبســها على الأقــدار والأقضــية حــتى لا تتسخطها[3]، ومرجع ذلك كله هو تحقيق العبودية من خلال فعـل المـأمور وتـرك المحظـور والصـبر على المقـدور، فالعبد يحتـاج إلى الصـبر في تحقيـق كـل ذلـك على وجـه الكمال[4].

وقد ذكر المعلق على كتـاب "مـدارج السـالكين" عنـد هذه المسألة كلاماً جميلاً حيث قـال: (ويكـون الصـبر على حقيقته: إذا حبس العبد نفسه ووقفها مع سنن الله وآياتــه في نفسه وفي الآفاق ومع نعم الله عليه، ومع أسماء الله

---

1 (?) طريق الهجرتين ص 221.

2 (?) انظر: عدة الصـابرين ص 16، مـدارج السـالكين 2/162، 164، مختصر منهاج القاصدين ص 273.

3 (?) انظـر: عـدة الصـابرين ص 13، وطريق الهجـرتين ص 221، وتفسير السعدي ص 162.

4 (?) انظر: مجموع الفتاوى 1/85، و مختصر منهاج القاصدين ص 275.

وصفاته وآثارها، وما تقتضيه من هدي الفطرة ونورها، ومع رسله وكتبه ورسالاته، فعندئذ يذوق حلاوة الصبر)[1].

ولا شك أن من حقق الصبر على هذه الصفة فإنه يجد حلاوة ذلك في قلبه، لأن الصبر له حلاوة، بل هو من أعظم أسباب تحقيق حلاوة الإيمان.

قال سفيان الثوري -رحمه الله-: (لا يذوق العبد حلاوة الإيمان حتى يأتيه البلاء من كل مكان)[2].

وفي رواية أنه قال: (لا يستكمل المؤمن حقيقة الإيمان حتى يأتيه البلاء من كل مكان)[3]. أي: حتى يأتيه البلاء فيرضى به ويصبر، وذلك لأن المرء لا يؤجر على المصيبة، لأنها ليست من صنعه وإنما يؤجر على حسن تثبته وجميل صبره[4].

وروي عن شقيق بن إبراهيم البلخي[5] أنه قال: (من شكا مصيبة نزلت به إلى غير الله لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبدا)[6].

وقال ابن الجوزي -رحمه الله-: (وللصبر حلاوة تبين في العواقب ...)[7].

وقال ابن القيم في حديثه عن علاج حرّ المصيبة: (ومن علاجها: أن يعلم أن ما يُعقبه الصبر والاحتساب

---

1 (?) مدارج السالكين 2/162.
2 (?) تاريخ بغداد 7/78، وتاريخ دمشق 10/204.
3 (?) تاريخ بغداد 13/228.
4 (?) انظر: فتح الباري لابن حجر 3/179.
5 (?) هو شقيق بن إبراهيم أبو علي الأزدي البلخي شيخ خراسان. مات سنة 194هـ (سير أعلام النبلاء 9/313)
6 (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان 18/66، وقال محققه: "إسناده جيد"، والأثر في مختصر منهاج القاصدين ص 278، وعدة الصابرين ص 281.
7 (?) صيد الخاطر ص 135.

من اللذة والمسرة أضعاف ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه ...)[1].

وقال أيضا: (ولذة الدنيا والآخرة ونعيمها، والفوز والظفر فيهما، لا يصل إليه أحد إلا على جسر الصبر، كما لا يصل أحد إلى الجنة إلا على الصراط)[2].

ولكن الصبر الذي يحقق للعبد المؤمن حلاوة الإيمان ولذة الدارين هو ما كان فيه الأمور الآتية:

أولا- أن يكون الصبر لله وحده، أي: أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله، وإرادة وجهه، والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس، والاستحماد إلى الخلق، وغير ذلك من الأغراض[3]، فالصبر إنما يحمد إذا كان لله، وإنما يكون إذا كان بالله فما لم يكن به لا يكون، وما لم يكن له لا ينفع ولا يثمر، وقد أمر الله رسوله بالصبر لحكمه، وأخبر أن صبره إنما هو لربه، وبذلك جميع المصائب تهون[4]، فقال: ﭼ ﭼ[5] وقال: ﭼ ﭼ[6]، وقد امتدح الله الصابرين لأجله والمبتغين فيه وجهه فقال تعالى: ﭼ ﭼ[7].

قال السعدي: (ﭼ على المأمورات بالامتثال، وعن المنهيات بالانكفاف عنها والبعد عنها، وعلى أقدار الله المؤلمة بعدم تسخطها، ولكن بشرط أن يكون ذلك الصبر ﭼ لا لغير ذلك من المقاصد والأغراض الفاسدة، فإن هذا هو الصبر النافع الذي يحبس به العبد

---

1 (?) زاد المعاد 4/176.

2 (?) زاد المعاد 4/305.

3 (?) مدارج السالكين 2/164.

4 (?) انظر: طريق الهجرتين ص 222، وعدة الصابرين ص 10.

5 (?) سورة الطور الآية: ٤٨.

6 (?) سورة النحل الآية: ١٢٧.

7 (?) سورة الرعد الآية: 22.

نفسه، طلبا لمرضاة ربه، ورجاء للقرب منه، والحظوة بثوابه وهو الصبر الذي من خصائص أهل الإيمان، وأما الصبر المشترك الذي غايته التجلد ومنتهاه الفخر، فهذا يصدر من البَرِّ والفاجر، والمؤمن والكافر، فليس هو الممدوح على الحقيقة)[1].

فعلم من هذا كله أن كامل الصبر ونافعه ما كان لله ﷻ، وابتغي فيه مرضاة الله وحده دون سواه، ومن حقق هذا الصبر أثابه الله بحلاوة يجدها في قلبه، تحرق أنوار هذه الحلاوة ما يجده من مرارة المصائب، ومشقة الطاعات، فينشرح صدره ويصبر على كل ما يصيبه في طاعة الله ﷻ.

وما أعظم صبر خبيب[2] عند ما قال - وهو بين يدي الموت-:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً ... على أي شِقٍّ كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله، وإن يشأ ... يبارك على أَوْصَال شِلْوٍ مُمَزَّع[3].

---

1 (?) تفسير السعدي ص 417.

2 (?) هو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر بن مجدعة بن جحجبا الأنصاري الشهيد. وكان فيمن بعثه النبي ﷺ مع بني لحيان، فلما صاروا بالرجيع، غدروا بهم، واستصرخوا عليهم، وقتلوا فيهم، وأسروا خبيبا، وزيد بن الدثنة، فباعوهما بمكة، فقتلوهما بالتنعيم (سير أعلام النبلاء 1/246-247، الإصابة 2/262).

3 (?) رواه البخاري كتاب الجهاد باب هل يستأسر الرجل؟ ... حديث: 3045.

ثانيا- أن يخلو هذا الصبر من الجزع والسخط والشكوى، فإن الصبر الذي يحقق للعبد الحلاوة هو ما كان بعيدا عن الجزع والسخط والشكوى إلى الناس، ومن ذلك ما يفعله بعض الناس من شقّ الثياب عند المصيبة، ولَطْم الوجه والضرب بإحدى اليدين على الأخرى، وحَلق الشعر والدعاء بالوَيْل، فهذه الأمور تنافي الصبر وتضاده، بل هو بهذا الفعل يُغضب ربّه ويَسُرّ شيطانه ويزيد مُصيبَته ويُحْبط أجره ويُضْعف نفسه[1].

وأنفع الصبر وأكمله ما كان فيه حبس النفس عن الجزع والهلع والتشكي إلى الخلق، فيحبس النفس عن التسخط واللسان عن الشكوى والجوارح عما لا ينبغي فعله، وهو ثبات القلب على الأحكام القدرية والشرعية[2]، فهذا هو الصبر الجميل الذي وصف الله به نبيه يعقوب في قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ[3] (أي: أما أنا فوظيفتي سأحرص على القيام بها، وهي أني أصبر على هذه المحنة صبرا جميلا سالما من السخط والتَّشكِّي إلى الخلق، وأستعين الله على ذلك، لا على حولي وقوتي، فوعد من نفسه هذا الأمر وشكى إلى خالقه في قوله: ﭽ

[1] (?) انظر: عدة الصابرين ص 281، زاد المعاد 4/173، مدارج السالكين 2/162.

[2] (?) انظر: الروح لابن القيم ص 241.

[3] (?) سورة يوسف الآية: 18.

ﮊ چ[1]، لأن الشكوى إلى الخالق لا تنافي الصبر الجميل، لأن النبي ﷺ إذا وعد وفى)[2].

وقد تقدم أثر شقيق البلخي: (من شكا مصيبة نزلت به إلى غير الله ﷻ لم يجد في قلبه لطاعة الله حلاوة أبدا)[3]، وروي عن الفضيل بن عياض أنه نظر إلى رجل يشكو فقال: (يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟)[4].

وقد قيل: إن تحقيق الصبر: هو الخروج عن الشكوى بالتلذذ بالبلوى، والاستبشار باختيار المولى، وطريقة ذلك حسب ما بينه ابن القيم هو (أن يشاهد العبد في تضاعيف البلاء لطف صنع الله به وحسن اختياره له وبره به في حمله عنه مؤنة محمله، وتشتغل النفس باستخراج لطائف صنع الله به وبره وحسن اختياره عن شهود حمله فيحصل له لذة بما شهده من ذلك، وفوق هذا مرتبة أرفع منه، وهي أن يشهد أن هذا مراد محبوبه، وأنه بمرأى منه ومسمع، وأنه هديته إلى عبده وخلعته التي خلعها عليه ليرفل له في أذيال التذلل والمسكنة، والتضرع لعزته وجلاله، فيعلم العبد أن حقيقة المحبة هي موافقة المحبوب في محابه، فيحب ما يحبه محبوبه، فيحب العبد تلك الحال من

---

1 (?) سورة يوسف الآية: 86.

2 (?) تفسير السعدي ص 395.

3 (?) تقدم في ص 133.

4 (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان 18/66، وقال محققه: "إسناده حسن" وأورده ابن القيم في مدارج السالكين 2/168.

حيث موافقته لمحبوبه، وإن كرهها من حيث الطبع البشــري، فــإن هــذه الكراهة لا تنــافي محبته لها، كما يكره طبعه الداء الكريه وهو يحبه من وجه آخر، وهذا لا ينكر في المحبة المتعلقة بالمخلوق مع ضعفها وضعف أسبابها)[1].

وهذا الذي بينه- رحمه الله - هو الذي عليه مدار العمل القلــبي الــذي تنبثق منه حلاوة الصــبر وحبس النفس عن الجـــزع واللســـان عن الشـــكوى، وقد يصل به الأمر إلى التلذذ بالبلوى لقوة علمه ويقينه بأن ما عند الله من الخـير أعظم من هـــذا الـــذي أصـــابه، وخاصة أن الله قد وعد الصابرين بأجر عظيم فقال: ﭽ   ﭼ[2].

ومن الأمـور الـتي لا تنـافي الصـبر ولا تقـدح فيـه: الإخبـــار بالحـــال لمن يـــرجى الاســـتعانة به في زوال الضرر، وما يصحب صاحب البلية من حزن القلب وبكاء العين[3].

فقد قال : «إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقــول إلا ما يرضي ربنا»[4].

ثالثا: أن يكـون الصـبر عند الصـدمة الأولى،

أي: أن يحبس نفسه عن الجـــزع ومقتضـــياته عند أول نزول المصيبة، وأما إذا تأخر صبره إلى أيـام، فـإن ذلك لا ينفعه.

ففي الصـحيحين من حـديث أنس بن مالك قـال: مـرّ النـبي بـامرأة تبكي عند قـبر، فقـال: «اتقي الله واصـبري»، قـالت: إليك عنّي، فإنك لم تصب بمصـيبتي

---

1 (?) طريق الهجرتين ص 221-222

2 (?) سورة الزمر الآية: 10.

3 (?) انظر: عدة الصابرين ص 280، 281.

4 (?) رواه البخاري كتاب الجنائز بـاب قـول النـبي : «إنـا بـك لمحزونون» حديث: 1303.

ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي ، فأتت النبي فلم تجد عنده بوابين، فقالت: لم أعرفك، فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[1].

والمعنى أن الصبر الكامل الذي يحمد عليه صاحبه ويترتب عليه الجزاء هو ما كان عند مفاجأة المصيبة، وعند حدتها وحرارتها[2].

وقد بين ابن القيم وجه ذلك فقال: (فإن مفاجآت المصيبة بغتة لها روعة تزعزع القلب وتزعجه بصدمها، فإن صبر للصدمة الأولى انكسر حدها وضعفت قوتها، فهان عليه استدامة الصبر، وأيضا فإن المصيبة ترد على القلب وهو غير موطن لها فتزعجه، وهي الصدمة الأولى، وأما إذا وردت عليه بعد ذلك توطن لها، وعلم أنه لا بد له منها فيصير صبره شبيه الاضطرار، وهذه المرأة لما علمت أن جزعها لا يجدي عليها شيئا جاءت تعتذر إلى النبي كأنها تقول له قد صبرت، فأخبرها أن الصبر إنما هو عند الصدمة الأولى)[3].

وهذا الصبر هو المطلوب لتحقيق حلاوة الإيمان، وهو المبشر عليه بالصلاة والرحمة والهداية في قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﭼ[4].

فأخبر سبحانه بأن المؤمن إذا صبر، وسلّم أمره إلى الله، واسترجع، كتب له ثلاث خصال: الصلاة من الله، والرحمة، وتحقيق سبل الهدى[5].

---

1 (?) رواه البخاري كتاب الجنائز باب زيارة القبور حديث 1283، ومسلم كتاب الجنائز باب في الصبر على المصيبة عند الصدمة الأولى، حديث 926.

2 (?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 6/227، وفتح الباري لابن حجر 3/179، وعدة الصابرين ص 83.

3 (?) عدة الصابرين ص 82.

4 (?) سورة البقرة الآية: 155-157.

5 (?) انظر فتح الباري لابن حجر 3/205.

وهـذه الخصـال من كمـال اللـذات وأدومهـا، فعلى العبد المؤمن أن يـوازن بين لـذة تمتعه بما أصـيب بـه، ولذة تمتعه بثواب الله له[1].

والصـــــبر عند الصـــــدمة الأولى وإن غلب على المصائب، لكنه يدخل في باقي أنواع الصبر، مثل الصبر على الطاعـات عند حـدة المشـقة، وعن المعاصي عند غليان الشـهوة مع قـوة دواعي ذلـك، لأن المقصـود هو مقاومة هـوى النفس الضـعيفة الـتي تميل إلى الجـزع عند المصـــــيبة، وإلى الكسل في الطاعـــــات، وإلى الموافقة في الشهوات، فهذا من أشق الصبر، لذا قيـل بأن الصبر عن المعاصي أكمل الصبر، لأنه صـبر اختيـار ورضا بخلاف الصبر على المصـائب فهـو صـبر اضـطرار[2].

قال السعدي -رحمه اللـه-: (فكلمـا عظمت مشـقة الصبر في فعل الطاعـات، وفي تـرك المحرمـات لقـوة الداعي إليها، وفي الصبر على المصيبات لشدة وقعهـا، كان الأجر أعظم والثواب أكبر)[3].

ومن صور هذا الصبر، صـبر نـبي اللـه يوسـف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها، مع قوة دواعي ذلك، فالمرأة جميلة، وذات منصب، وهي سـيدته، وقـد غـاب الرقيب، وهي الداعيـة لـه إلى نفسـها، والحريصـة على ذلـك أشـد الحـرص، ومـع ذلـك توعدتـه إن لم يفعـل بالسجن والصغار، ومع هذه الدواعي كلها، صبر اختيارا، وإيثارا لما عند الله، وأين هذا من صبره في الجب على ما ليس من كسبه[4].

---

1 (?) انظر: زاد المعاد 4/178.

2 (?) انظـر: عـدة الصـابرين ص 74-76،. ومـدارج السـالكين 2/163.

3 (?) القواعــد الحســان لتفســير القــرآن للســعدي ضــمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ج8/133.

4 (?) انظر: مدارج السالكين 2/163 .

ومن صور الصبر على المصيبة ما جاء في حديث المرأة السوداء التي أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك» . فقالت: أصبر، فقالت إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها[5].

وقد اختارت هذه المرأة الصبر على المصيبة وتحمل مشقة ذلك لقوة علمها ويقينها بأن ما عند الله من اللذات أعظم من هذا المرض الذي أصابها، وهذا مطابق تماما للتعريف الذي ذكر لحلاوة الإيمان في أول هذه الرسالة، وهو قولهم: بأنها (استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات فيما يرضي الله – تعالى - ورسوله ﷺ ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا؛ رغبة في نعيم الآخرة الذي لا يبيد ولا يفنى)[1]. ويتضمن هذا المثال صبر اختيار ورضا.

ومن صور الصبر على مشقة الطاعة ما كان يلاقيه الصحابة -رضوان الله عليهم- من تعذيب الكفار لهم في أول الإسلام حتى شكوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه ...»[2].

~~وحياة الصحابة والسلف الصالح مليئة بأروع أمثلة الصبر، غير أن المجال لا يسعنا لبيان ذلك كله، ولكني أذكر بقاعدة الكمال في ذوق حلاوة الصبر، وهو أن من كان أصبر لله على القيام بالطاعات، وعن الوقوع في المعاصي، وعلى تحمل المصائب، فهو لا شك أذوق~~

---

5 (?) رواه البخاري كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح حديث: 5652، ومسلم كتاب البر والصلة باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن ... حديث: 2576.

1 (?) انظر: ص 21.

2 (?) رواه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام حديث: 3612.

الناس لحلاوة الصبر ولذة الإيمان، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

3- حــلاوة الـتوكــل علـى الله

إن التوكل على الله من أجل أعمـــال القلـــوب والجوارح، وأعظم واجبات التوحيد والإيمــان، بل هو أصل لجميع مقامـــات الإيمـــان والإحســـان، ولجميع أعمـــال الإســـلام، وبحسب قـــوة توكل العبد على الله يقـــوى إيمانه، ويذوق حلاوته[1].

قال تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ[2]ـ (فجعل دليل صحة الإسلام التوكل)[3]ـ وقال تعالى: ﭽ   ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ   ﭼ[4] فجعل تـوكلهم على الله بعد زيـادة إيمـانهم، فـدل ذلك على أن قوة التوكل وضـعفه بحسب قـوة الإيمـان وضـعفه، وكلما قـوي إيمـان العبد كـان توكله أقـوى، وعلى حسب زيـادة الإيمـــــان يجد العبد حلاوتـــــه، وقد جمع الله بين التوكل والعبـادة، وبين التوكل والإيمـان، وبين التوكل والتقـوى، وبين التوكل والهداية وغيرها من مقامات الإيمان[5]ـ

وقد عرّف ابن القيم التوكل بأنه (اعتمـاد القلب على الله في حصـــول ما ينفع العبد في دينه ودنيـــاه، ودفع ما

---

[1] (?) انظر: مجموع الفتاوى 7/16، ومدارج السالكين 2/119، وطريق الهجرتين ص 214.

[2] (?) سورة يونس الآية: 84.

[3] (?) طريق الهجرتين ص 212.

[4] (?) سورة آل عمران الاية: 173.

[5] (?) انظر: طريق الهجرتين ص 212.

يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب)[1].

ونقل ابن بطـــال عن ابن جرير الطـــبري أنه قـــال: (الصواب في حد التوكل: الثقة بالله تعالى والاعتمـاد في الأمـور عليـه، وتفـويض كل ذلك إليه بعد استفراغ الوسع في السعي فيما بالعبد الحاجة إليه من أمر دينه ودنيـــاه على ما أمر به من السعي فيه)[2].

فـدل هـذا على أن التوكل يتعلق بجميع أمـور العبـاد وشـؤونه الدينية والدنيويـة، في تحصـيل مصـالحه ودفع مضاره، وأن عليه أن يعتمد في كل ذلك على اللـه، ويلجأ إليه بقلبه ويتعلق به وحده دون سـواه، وذلك لعلمه أنه لا أحد أعلم بمصـــالحه وأقـــدر على جلبها وتحصـــيلها منه سبحانه، كما لا أحد أعلم بمضاره وأقـدر على دفعها منـه، فهو النـافع الضـار، المعطي المـانع، ما شـاء كـان وما لم يشأ لم يكن، وهو على كل شـيء قـدير، فلا خيـار له بعد هذا العلم إلا أن يسلم نفسـه، ويفـوض أمـوره كلها إليـه، وينطـرح بين يديه انطـراح عبد مملـوك ضـعيف بين يـدي ملك عزيز قـاهر، له التصـرف في عبـده بكل ما يشـاء، وليس للعبد التصـرف فيه بوجه من الوجـوه، فيسـتريح حينئذ من الهمـوم والغمـوم، والأنكـاد والحسـرات، وحمّل كله وحوائجه ومصالحه من لا يبـالي بحملهـا، ولا يثقله ولا

---

1 (?) زاد المعاد 4/14.

2 (?) شرح صحيح البخاري لابن بطال 9/408.

يكـــترث بهـــا، فتولاها دونه وأراه لطفه وبـــره، ورحمته وإحسـاـنه فيها من غــير تعب من العبـــد، ولا نصب ولا اهتمام منه، لأنه قد صرف اهتمامه كله إليه وجعله وحـده همه، فصرف عنه اهتمامه بحوائجه ومصالح دنيـاه، وفـرغ قلبه منهـــا، فما أطيب عيشه وما أنعم قلبــــه، وأعظم سروره وفرحه[1].

وهكــــذا تتحقق له الســــعادة والطمأنينة والراحة النفســية، ويـذوق أعظم لـذات الإيمـان من خلال توكله على الله .

قال إسماعيل الدهلوي[2]-رحمه الله-: (وأما من توكل على الله ولم تنشـغب به المـذاهب عدّه الله في عبـاده المقبـــولين، وفتح الله عليه طريق الهداية، وهـــدى قلبه فأذاقه حلاوة الإيمان، وغشيته غاشية من السكينة، ورزق من اجتماع الخـاطر ورباطة الجـأش وبـرد اليقين وهـدوء النفس ما لا سبيل إليه لمن تشتت فكره، وتفرق هواه ثم إنه لا يخطئه ما قـــدر له وقسم ولكن ضــعيف العقيـــدة متشـتت البـال يعـاني الحـزن والقلق من غـير جـدوى، والمــــؤمن المتوكل الموحد ينعم بالهـــــدوء والطمأنينة والسكينة)[3].

---

[1] (?) انظر: الفوائد لابن القيم ص 153-154.

[2] (?) هو إسماعيل بن عبد الغني بن ولي الله بن عبـد الـرحيم العمري الدهلوي العالم الكبـير المجاهـد الشـهيد ولـد بـدهلي سـنة 1193هـ واستشهد بمعركة بالاكوت سنة 1246 هـ. (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام لفخر الدين الحسـني 3/914).

[3] (?) رسالة التوحيد للدهلوي ص 91-92.

وقد وصف شيخ الإسلام ما يجده العبد المؤمن من حلاوة التوكل، فقال:

(فإذا وجد حقيقة الإخلاص التي هي حقيقة ﭽ ﭢ ﭣ ﭼ مع حقيقة التوكل التي هي حقيقة ﭽ ﭤ ﭼ كان هذا فوق ما يجده كل أحد لم يجد مثل هذا)[1]، وما ذلك إلا ما يجده في قلبه من ارتياح وطمأنينة، ولذة وسكون، بعد اعتماد قلبه على الله ﷻ فمن وجد هذا فهو في درجة عالية من الإيمان، لم يصل إليها إلا من وجد مثله، وهذه المنقبة لا تكون إلا لمن وجد حقيقة التوكل.

وقد أشار العلماء إلى أن التوكل لا يكون حقيقة حتى يتوفر فيه أمران اثنان: أحدهما: أن يكون التوكل والاعتماد على الله وحده لا شريك له، والثاني: أن يعمل بالأسباب المشروعة فيه.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله - في بيان حقيقة التوكل: (ولا بد من أمرين:

1- أن يكون الاعتماد على الله اعتماداً صادقاً حقيقياً.

2- فعل الأسباب المأذون فيها)[2].

الأمر الأول: وهو أن يكون الاعتماد على الله اعتمادا صادقا حقيقيا، مقصوده إخلاص التوكل واعتماد القلب على الله وحده دون سواه، وهو ما أمر الله به عباده المؤمنين في كتابه فقال: ﭽ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ[3].

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/652.

2 (?) القول المفيد على كتاب التوحيد 2/228.

3 (?) سورة التوبة الآية: 51.

قال السعدي: (ﭼ ﮐ ﮔ ﭼ وحده ﭼ ﮔ ﮒ ﭼ أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم ودفع المضار عنهم، ويثقوا به في تحصيل مطلوبهم، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره، فإنه مخذول غير مدرك لما أمل)[1].

فدل هذا أن حقيقة التوكل هو توحيد الله في هذا العمل القلبي، وتعلق القلب به وحده، وقطع جميع علائقه بغير الله ، وقد وصف النبي المؤمنين المتوكلين على الله حق التوكل في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، بقوله: «هم الذين لا يتطيرون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»[2]. أي: لا يصرفون حوائجهم لغير الله ، وذلك لتمام توكلهم على الله ، وتعلقهم به، وهذا من كمال التوحيد.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وذلك لأن هؤلاء دخلوا الجنة بغير حساب لكمال توحيدهم، ولهذا نفى عنهم الاسترقاء، وهو سؤال الناس أن يرقوهم ولهذا قال: «وعلى ربهم يتوكلون» فلكمال توكلهم على ربهم، وسكونهم إليه وثقتهم به، ورضاهم عنه، وإنزال حوائجهم به، لا يسألون الناس شيئا، لا رقية ولا غيرها، ولا يحصل

---

1 (?) تفسير السعدي ص 339.

2 (?) رواه البخاري كتاب الطب باب من لم يرق حديث: 5752، ومسلم كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة حديث: 220.

لهم طـيرة تصـدهم عما يقصـدونه، فـإن الطـيرة تنقص التوحيد وتضعفه)[1].

ومن توكل على الله هـــــــذا التوكل فقد ذاق من حقيقة التوكل ولذة الإيمان ما لم يـذق غـيره، كما قـال شيخ الإسلام - وهو يبين درجـات النـاس فيما يجدونه من ثمـــــــــرة التوحيد والإخلاص-: (ومنهم من وجد حقيقة الإخلاص والتوكل على الله، والالتجـاء إليه والاسـتعانة به، وقطع التعلق بما سـواه، وجـرب من نفسه أنـه إذا تعلق بالمخلوقين ورجـاهم، وطمع فيهم أن يجلبـوا له منفعة أو يـــدفعوا عنه مضرة، فإنه يخـــذل من جهتهم، ولا يحصل مقصـوده، بل قد يبـذل لهم من الخدمة والأمـوال وغـير ذلك ما يرجو أن ينفعـــوه وقت حاجته إليهم، فلا ينفعونه إما لعجـزهم وإما لانصـراف قلـوبهم عنه، وإذا توجه إلى الله بصـدق الافتقـار إليه واسـتغاث به مخلصا له الـدين، أجاب دعاءه وأزال ضرره وفتح له أبـواب الرحمـة، فمثل هـذا قد ذاق من حقيقة التوكل والـدعاء لله ما لم يــذق غيره...)[2].

والأمر الثاني: فعـل الأسـباب المـأذون فيها، فإن من تمام التوكل القيام بالأسباب التي شرعها الله ، وجعل من طريقها تحقيق المصالح ودفع المكـاره، فلا بـد مع اعتمـاد القلب على اللـه من العمـل بالبـدن، وإلا كـان معطلا للحكمة والشرع، فقد أجمع أهل العلم بأن التوكـل

---

1 (?) زاد المعاد 1/477.
2 (?) مجموع الفتاوى 10/650-651.

لا ينافي التداوي وهو سبب للشفاء بإذن الله، كما لا ينافيه دفع داع الجوع والعطش، والحر، والبرد بأضدادها[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد)[2].

وذلك أن التوكل نفسه قيام بالأسباب، فهو أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولا يذوق لذته، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بالأسباب، وحال بدنه قيامه بالأسباب[3] والله تعالى أعلم.

---

1 (?) انظر: زاد المعاد 4/14.
2 (?) مدارج السالكين 2/121.
3 (?) انظر: مدارج السالكين 2/125.

4- حلاوة الولاء والبراء

والمقصود بيان ما يجده العبد المؤمن من حلاوة الإيمان من خلال موالاته أولياء الله وبراءته من أعدائه. وهذه الخصلة تابعة لحلاوة محبة الله متفرعة عنها، لأن من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، استلزم ذلك منه موالاة أوليائه ومعادة أعدائه[1].

والمطلوب موافقة الله فيما أحب وأبغض، فيحب ما أحبه الله من الأعيان والأفعال، ويبغض ما أبغضه الله من ذلك.

فالولاء يقوم على المحبة والنصرة والقرب، والبراء يقوم على العداوة والبغض والبعد[2]. فلا يجد العبد حلاوة الإيمان أو طعمه حتى يحب في الله ويبغض في الله، ويوالي لله ويعادي لله، كما دلت عليه النصوص الآتية:

1- في حديث أنس أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان» وذكر منها: «أن يحب المرء لا يحبه إلا لله».

2- وفي رواية عند النسائي قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه» وذكر منها: «وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله»[3].

3- وروى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة عن النبي أنه قال: «من سرّه أن يجد طعم الإيمان فليحب المرء لا يحبه إلا لله »[4].

---

[1] (?) انظر: مجموع الفتاوى 7/645، وفتح الباري لابن رجب 2/50

[2] (?) مجموع الفتاوى 10/191.

[3] (?) تقدم تخريجه في ص 56.

[4] (?) رواه الإمام أحمد في المسند 2/520، وقال محققو

دلت هـذه النصـوص على وجـوب المـوالاة في اللـه والمعـاداة فيـه، وأن حلاوة الإيمـان لا تتحقـق إلا بـذلك، فعلى المؤمن أن يحب أخاه المؤمن، لا يحبه إلا لله أي: لأجـل مـا فيـه من الإيمـان باللـه قـولاً وعملاً واعتقـاداً ، وموافقة ذلك ما جاء به النبي ، فلا يجـوز مـوالاة الكفـار والمشركين، والمنافقين، وأهل البـدع والمعاصي بإجمـاع المسلمين[1].

قـال أبو العبـاس القرطـبي -رحمه الله في قوله -: «أن يحب المرء لا يحبـه إلا للـه» (يعـني بـالمرء هنـا: المسلم المؤمن، لأنه هو الذي يمكن أن يخلص لله تعالى في محبته، وأن يتقرب لله تعالى باحترامه وحرمته، فإنـه هو الموصوف بالأخوة الإيمانية والمحبة الدينية)[2].

وقـال ابن رجب -رحمه اللـه-: (الـواجب فيه أن يكـون تبعا لما جـاء به الرسـول فيجب على المـؤمن محبة الله ومحبة من يحبه الله من الملائكة والرسل والأنبيـــــــاء والصـديقين والشـهداء والصـالحين عموما، ولهـذا كـان من علامات وجوده حلاوة الإيمان أن يحب المرء لا يحبه إلا لله وتحرم موالاة أعـداء الله ومن يكرهه الله عموما ... وبهـذا يكون الدين كله لله)[3].

وقد دل القرآن والسنة على هذا الأصل:

الموسوعة (16/431): "إسناده حسن".

1 (?) انظر: إيثار الحق على الخلق محمد بن إبراهيم القاسـمي ص 400، والموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية 2/455-487.

2 (?) المفهم 1/214.

3 (?) جامع العلوم والحكم 2/398.

فمن القرآن قوله تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﭼ[1].

قال السعدي -رحمه الله-: (ومن تـولى الله ورسـوله كـان تمـام ذلك تـولي من تـولاه، وهم المؤمنـون الـذين قاموا بالإيمان ظاهرا وباطنا، وأخلصوا للمعبود، بإقــامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتهـا، وأحسـنوا للخلـق، وبــذلوا الزكــاة من أمــوالهم لمسـتحقيها منهم... فــأداة الحصر في قوله ﭽ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتـبري من ولاية غـيرهم)[2].

وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ[3]. (فأخبر سبحانه أنك لا تجد مؤمنا يوادّ المحـادّين للـه ورسـوله، فـإن نفس الإيمان ينافي أحـد الضـدين الآخـر، فـإذا وجـد الإيمـان انتفى ضده، وهو موالاة أعداء الله، فإذا كـان الرجـل يـوالي أعـداء اللـه بقلبـه، كـان ذلـك دليلا على أن قلبـه ليس فيـه الإيمان الواجب)[4].

ومن السـنة قولـه ﷺ: «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان»[5].

وقوله ﷺ: « أحب الأعمـال إلى الله ﻷ الحب في الله والبغض في الله»[6].

---

1 (?) سورة المائدة الآية 55.

2 (?) تفسير السعدي ص 236.

3 (?) سورة المجادلة الآية: 22.

4 (?) مجموع الفتاوى 7/17.

5 (?) تقدم تخريجه في ص 61.

6 (?) رواه الإمـام أحمد في المسـند 5/146، وقـال محققو الموسوعة (35/229): "حسن لغيره".

وفي صحيح مسلم عن أبي هريـرة أنـه قـال: «إن الله يقــول يــوم القيامة: أين المتحــابون بجلالي؟ اليــوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي»[1].

وعن بشر بن الحـارث قـال: (الحب في الله والبغض في الله، فإذا أحببت أحدا في الله، فأحدث حــدثا فأبغضه في الله، فإن لم تفعل لم يكن ذلك الحب في الله)[2].

وهذه العقيدة – أعني عقيدة الولاء والبراء - لها شـأن عظيم ومنــزلة رفيعـة في الشـريعة الإسـلامية، فهي من أعظم أصول الإيمان وأعلى درجاته، ولا تتحقـق الشـهادة أن لا إله إلا الله إلا بها.

قـال شـيخ الإسـلام: (وهـذا لأن حقيقة التوحيد أن لا يحب إلا الله ويحب ما يحبه الله لله، فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله ...)[3].

وقد أُلِّف في بيان هذه العقيدة عدة رسائل يستحسن لمن أراد الاستزادة الرجوع إليها[4].

---

1 (?) رواه مسـلم كتـاب الـبر والصـلة والآداب بـاب في فضل الحب في الله حديث: 2566.

2 (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان 16/526، وقال محققـه: "إسناده رجاله ثقات".

3 (?) مجموع الفتاوى 10/465.

4 (?) منها: الولاء والبراء للشيخ صالح الفوزان، والولاء والــبراء للقحطاني، والولاء والبراء لعصام السناني.

5- حلاوة الشح بالدين

أصل كلمة الشح هو البخل مع الحرص، تقول: شَحَّ يَشُحُّ شَحًّا وهو شحيح، وقوم أشحة[1]. قال تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ[2] وقال تعالى: ﭽ ﯾ   ﭼ[3].

قال الطبري -رحمه الله-: (من وقاه الله شح نفسه فأولئك هم المفلحون المخلدون في الجنة، والشح في كلام العرب: البخل ومنع الفضل من المال)[4].

وقال السعدي -رحمه الله -: (هو عدم الرغبة في بذل ما على الإنسان، والحرص على الحق الذي له، فالنفوس مجبولة على ذلك طبعا)[5].

فالشح إذن صفة مذمومة بإضافته إلى الشخص، وأما إذا أضيف إلى الدين أو الإيمان بما تحمله هذه الكلمة من لوازم البخل، مثل: شدة حب المال والحرص عليه، وعدم الرغبة في إخراج جزء يسير منه فضلا عن إخراج كله، فإذا حملت هذه المعاني على الدين والإيمان كانت صفة محمودة.

وهذا ما ذهب إليه البيهقي - رحمه الله - حيث جعل من شعب الإيمان باباً في شح المرء بدينه[6]، واستدل بما جاء في حديث حلاوة الإيمان من قوله : «... وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»

وما جاء في رواية مسلم من حديث أنس بن مالك

أن رسول الله قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما،

---

1 (?) انظر: مختار الصحاح ص 354، والنهاية في غريب الحديث 2/1106 ومفردات ألفاظ القرآن ص 446.

2 (?) سورة الأحزاب الآية: 19.

3 (?) سورة الحشر الآية: 9.

4 (?) تفسير الطبري 23/285.

5 (?) تفسير السعدي ص 207.

6 (?) انظر: شعب الإيمان للبيهقي 4/251.

والرجل يحب الرجـل لا يحبـه إلا للـه، والرجـل أن يقـذف في النار أحب إليه من أن يرجع يهوديا أو نصرانيا»[1].

قال البيهقي: (فأبان بهذا الخبر أن الشح بالدين من الإيمان؛ لأنه ذكر الحلاوة مثل الإيمـان، وأراد أن الشـحيح بدينه كـالمتطعم بالشـيء الحلـو، فكما أن الـراغب في الحلو لا يجد حلاوته فيلتذ بها إلا بتطعمه، كـذلك الـراغب في الإيمان لا يسلم له مقصوده منه إلا وأن يكون شحيحا به، فإنه إذا شح بالإيمان لم يأت بما يفسـده عليه كما أن من وجد حلاوة الحلو لم يأت بما يبطلها عليه ... فصح أن الشح بالدين من أركان الدين، لا يجـد حلاوة الـدين من لا يجد الشح بـه في قلبـه واللـه أعلم، وهـذا هو الأمر الـذي يشـهد العقل بصـحته؛ لأن من اعتقد دينـا، ثم لم يكن في نهاية الشح به، والإشـفاق عليه كـان ذلك دلالة على أنه لا يعـرف قـدره ، ولا يتـبين موضع الحظ لنفسه فيـه، ومن كـان الحق عنـده حقـيرا لم يسـكن الحق قلبـه، وبالله العصمة)[2].

ثم بين بـأن الشح بالـدين قسـمين: أحـدهما: الشح بأصله كيلا يذهب، والآخر الشح بكماله كيلا ينقص[3].

وقد ذكر من أمثلة الشح بالدين قصة نبي الله شعيب الـذي توعـده قومـه بـالجلاء عن وطنـه إن لم يتـابعهم،

---

1 (?) رواه مسلم كتاب الإيمـان بـاب بيـان الخصـال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان حديث (43).

2 (?) شعب الإيمان للبيهقي 4/253-254.

3 (?) انظر: شعب الإيمان للبيهقي 4/255.

فشح بدينه وآثره على البقاء.

قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ[1].

في هـذه الآية أثـنى الله سـبحانه على نبيه شـعيب بأنه شح على دينه ولم يفارقه مع اســـتكراه قومه إيـــاه على مفارقته.

قال البيهقي: (فإن في هذا الباب عدة معان مرجعهـا كلها إلى الشح بالدين:

أحدها: أن شعيبا سمى مباينـة المشـركين من قومـه نجاة، وقد علم أن ضد النجـاة الهلكـة، ومن كـان عنـده أن الكفر هلكة والإيمان نجاة لم يكن إلا شحيحا على دينه.

والثاني: أنه أشار بقوله: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ إلى أنه قد فوض أمـره إلى اللـه تعـالى، فـإن عصـمه من الجلاء عن الـوطن فـذلك فضـله، وإن خلاهم ومـا يهمـون بـه من إخراجهم، فالجلاء أحب إليه من مفارقة الـدين، وهـذا من الشـح بالـدين، لأن اللـه تعـالى جعـل الجلاء عن الـوطن بمرتبة القتل.

والثالث: أن شعيبا فزع إلى الله واستنصـره ودعـاه كمـا يـدعو في الشـدائد إذا عرضـت لـه والخطـوب إذا نزلت ... وهذا أيضا من الشح بالدين)[2].

---

1 (?) سورة الأعراف الآية: 88-89.

2 (?) شعب الإيمان للبيهقي 4/253-254.

ومثــال آخر في قضــية يوسف حين راودته امــرأة العزيز عن نفسه، چڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک کچ[1]. فآثر السجن على المعصية. قـال ابن كثـير: (وهـذا في غايـات مقامـات الكمـال أنـه مـع شـبابه وجمالـه وكمالـه تـدعوه سـيدته، وهي امـرأة عزيـز مصـر وهي مـع هـذا في غايـة الجمال والمال والرياسة، ويمتنع من ذلك ويختار السـجن على ذلك خوفا من الله ورجاء ثوابه)[2].

وذكر من الشح بالدين كذلك مفارقة القوم أو المكان الذين لا يتمكن فيه الواحد من القيام بما أوجبه الله عليــه من العبادة.

قال الـبيهقي: (ومن الشح على الـدين أن المـؤمن إذا كان بين قوم لا يستطيع أن يوفي الدين حقوقه بين ظهــرانيهم، ويخشى أن يفتنــوه عن دينــه، وكــان إذا فارقهم يجد لنفسه مأمناً يتبوأ، ويكون فيه أحسن حــالا منه بين هؤلاء لم يقم بين ظهـرانيهم وهـاجر إلى حيث يعلم أنه خير له وأوفق ، قال الله تعالى: چ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ى چ[3]. وعلى هذا الوجه كانت هجرة أصحاب رسول الله ديار الكفـار، وليلقوه ويصحبوه ويهاجروا معه)[4].

وقد ذكر الــبيهقي أمثلة كثــيرة من شح الصــحابة والســلف الصــالح على دينهم وتحملهم أقصى أنــواع

---

1 (?) سورة يوسف الآية: 33.

2 (?) تفسير ابن كثير 2/620-621.

3 (?) سورة النساء الآية: 100.

4 (?) شعب الإيمان للبيهقي 4/254.

الأذى لأجل الحفاظ على دينهم وعدم ترك شيء منه رضي الله عنهم أجمعين[1].

[1] (?) انظر: شعب الإيمان للبيهقي 4/254 وما بعدها.

6- حـلاوة الـزهـد

الزهد من عبوديـــــات القلب والجـــــوارح، وهو أحد مســببات حلاوة الإيمـــان، لما فيه من قطع تعلق القلب بالـــدنيا وملـــذاتها الفانية رغبة بما في الآخـــرة من نعيم ولذات أبدية.

والزهد في اللغة يدور معناه حول قلة الشـيء وعـدم الرغبة فيه.

قال ابن فارس: (الزاء والهاء والـدال أصل يـدل على قلة الشيء، والزهيد: الشـيء القليـل)[1]. وقـال الـراغب: (الزهيـد: الشـيء القليـل، والزاهد في الشـيء: الـراغب عنه، والراضي منه بالزهيد أي القليل)[2].

وقال شيخ الإسلام في تعريف الزهد: (الزهد هو تـرك كل شـيء لا ينفع في الـدار الآخـرة، وثقة القلب بما عند الله)[3]، وبين ابن القيم بأن هـذه العبـارة من أحسن ما قيل في الزهد[4].

فحلاوة الزهد إذن تكــون بإيثــار لــذات الآخــرة على لذات الدنيا، وقطع تعلق القلب بهذه الدنيا وعدم الركـون إليها رغبة في ما عند الله ومحبة لـه، وأزهد النـاس في الــدنيا هو من كــان الله ورســوله أحب إليه من ملــذات الدنيا، فلا يرى شيئا أنفع ولا أنعم ولا ألذ إلا بعبــادة ربه ، الأمر الــذي يوصــله إلى أعظم اللــذات في الآخــرة، وقد يعجل الله له من نفحـات هـذه اللـذات ما يجـده في قلبه في هذه الدنيا.

وقد جـاءت نصـوص كثـيرة تحث على تقـديم لـذات الآخرة الأبدية على لذات الدنيا الفانية، أذكر منها ما يلي:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ[5]. قال البغوي: (اللهو هو: الاستمتاع بلذات

---

1 (?) معجم مقاييس اللغة 3/30.

2 (?) مفردات ألفاظ القرآن ص 384.

3 (?) مجموع الفتاوى 10/641.

4 (?) مدارج السالكين 2/11.

5 (?) سورة العنكبوت الآية: 64.

الدنيا، واللعب: العبث، سميت بهما لأنها فانية. ﭼﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝﭼ أي: الحياة الدائمة الباقية، و"الحيوان": بمعنى الحياة، أي: فيها الحياة الدائمة، ﭽﭞ ﭟ ﭠﭼ فناء الدنيا وبقاء الآخرة)[1].

2- وقوله تعالى: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭼ[2]. قال الطبري: (يقول: ما باغي لذات الحياة التي أدْنَيْتُ لكم وقَرَّبْتُ منكم في داركم هذه ونعيمها وسرورها فيها، والمتلذذ بها والمنافس عليها إلا في لعب ولهو، لأنها عما قليل تزول عن المستمتع بها والمتلذذ فيها بملاذها، أو تأتيه الأيام بفجائعها وصروفها فتمر عليه، وتكدُر كاللاعب اللاهي الذي يسرع اضمحلال لهوه ولعبه عنه، ثم يعقبه منه ندما ويورثه منه ترحا، يقول: لا تغتروا أيها الناس بها، فإن المغتر بها عما قليل يندم ﭽﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞﭼ يقول: وللعمل بطاعته والاستعداد للدار الآخرة بالصالح من الأعمال التي تبقى منافعها لأهلها، ويدوم سرور أهلها فيها خير من الدار التي تفنى وشيكا، فلا يبقى لعمالها فيها سرور ولا يدوم لهم فيها نعيم)[3].

3- وقوله تعالى: ﭽﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢﭼ[4]

~~قال السعدي: (ﭽﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﭼ يتمتع بها ويتنعم قليلا ثم تنقطع وتضمحل، فلا تغرنّكم وتخدعنّكم عما خلقتم له ﭽﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﭼ التي هي محل الإقامة، ومنزل السكون والاستقرار، فينبغي لكم أن تؤثروها، وتعملوا لها عملا يسعدكم فيها)[5].~~

وفي السنة أحاديث كثيرة تحث على تقليل الرغبة في الدنيا وإيثار الآخرة عليها، فمن ذلك:

---

1 (?) تفسير البغوي 3/474

2 (?) سورة الأنعام الآية 32.

3 (?) تفسير الطبري 11/329.

4 (?) سورة غافر الآية: 39.

5 (?) تفسير السعدي ص 738.

1- قوله : «لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا»[1].

و"الضيعة": (هي البستان والقرية والمزرعة، والمراد النهي عن الاشتغال بها وبأمثالها مما يكون مانعاً عن القيام بعبادة المولى، وعن التوجه كما ينبغي إلى أمور العقبى)[2].

2- وقوله : »والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليمّ فلينظر بم يرجع؟«[3].

3- وقد حث النبي على الزهد في الدنيا وأخبر أن ذلك سبب لمحبة الله .

فعن سهل بن سعد الساعدي قال: أتى النبي رجلٌ فقال: "يا رسول الله، دُلَّني على عملٍ إذا عملته أحبّني الله، وأحبني الناس، فقال: «ازهد في الدنيا، يحبك الله وازهد فيما في أيدي الناس يحبوك»[4].

---

1 (?) رواه الترمذي كتاب الزهد باب ما جاء في الهم في الدنيا ح 2328، من حديث عبد الله بن مسعود وقال: "هذا حديث حسن" وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي 2/271.

2 (?) تحفة الأحوذي 6/511.

3 (?) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها باب فناء الدنيا حديث 2885.

4 (?) رواه ابن ماجه كتاب الزهد باب الزهد في الدنيا حديث 4102، والطبراني في المعجم الكبير 6/193، قال النووي:"حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة" (رياض الصالحين ص 175) وتعقبه ابن رجب بأن في إسناده خالد بن عمرو القرشي وهو ضعيف (انظر: جامع العلوم والحكم 2/174)، والحديث صححه الشيخ الألباني بشواهده (انظر: صحيح ابن ماجه 2/392، ورياض الصالحين بتحقيقه

قال ابن رجب: (فهذا الحـديث يـدل على أن الله يحب الزاهدين في الدنيا)[1].

قلت: في هذا إشـارة واضـحة إلى أن الزاهد آثر محبة الله على محبة الدنيا، وأنه لم يُقدم إلى الله إلا وقد انشرح صـدره بنـور اليقين، وأيقن بـأن ما عند الله خـير مما في الدنيا.

4- وفي أثـر عن الحسـن البصـري قـال: (الزهـد في الدنيا يريح القلب والبدن)[2].

ووجـه ذلـك أن الزاهـد لمـا قطـع تعلقـه بهـذه الـدنيا استراح من همومها وأحزانها ومتاعبها ومشـاكلها، وتعلـق قلبه بما في الآخرة من نعيم ولذات، والتي لا خـوف فيهـا ولا حزن كما وعد بذلك سبحانه فقال: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ[3].

قال ابن رجب: (الزهد في الدنيا يراد به تفريـغ القلب من الاشتغال بها، ليتفرغ لطلب اللـه، ومعرفتـه، والقـرب منه والأنس به، والشوق إلى لقائه)[4].

وقد وردت أقـوال كثـيرة عن أئمة السـلف في بيـان حلاوة الزهد، أذكر منها ما يلي:

1- روي عن الفضيل بن عياض -رحمه الله- أنه قـال: (حرام على قلوبكم أن تصيب حلاوة الإيمان حتى تزهـدوا في الدنيا)[5].

ص 226).

[1] (?) جامع العلوم والحكم 2/202.

[2] (?) الزهد للإمـام أحمد ص 10، وجـامع العلـوم والحكم 2/197.

[3] (?) سورة الأعراف الآية: 49.

[4] (?) جامع العلوم والحكم 2/198.

[5] (?) سير أعلام النبلاء 8/435.

2- وعن عمـران القصـير[1] -رحمه اللـه- أنه قـال: (ألا صابر كريم لأيام قلائل، حـرام على قلـوبكم أن تجد طعم الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا)[2].

3- وقال أحمد بن حـرب[3] -رحمه اللـه-: (عبـدت الله خمسين سنة فما وجدت حلاوة العبـادة حـتى تـركت ثلاثة أشياء: تركت رضى الناس حـتى قـدرت أن أتكلم بـالحق، وتركت صحبة الفاسقين حـتى وجـدت صـحبة الصـالحين، وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة)[4].

4- وعن بشر بن الحـارث -رحمه الله -يقـول: (لا يجد من يحب الدنيا حلاوة العبادة) [5].

5- وعن مالك بن دينار -رحمه الله- يقـول: (بقـدر ما تفرح للدنيا كذلك تخرج حلاوة الآخرة من قلبك)**[6]**.

6- وعنه أيضا قـال: (حزنك على الـدنيا للـدنيا يـذهب بحلاوة الآخـــرة من قلبك وفرحك بالـــدنيا للـــدنيا يـــذهب بحلاوة الآخرة من قلبك)**[7]**.

ويلاحظ من كل ما تقــدم على أن الزهد في الــدنيا لا يعـني عـدم تنـاول المباحـات فيها بل المقصـود هو عـدم الانشغال بملذاتها وترك الانشغال بما يحقق لذات الآخرة،

---

1 (?) عمران بن مسلم القصير الرباني، العابد أبو بكر المنقري البصـــري الـــوفي، من صـــغار التـــابعين وثقه أحمد بن حنبل وغيره. (سـير أعلام النبلاء 6/225، مشـاهير علمـاء الأمصـار ص 154).

2 (?) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا ص 158.

3 (?) هو أحمد بن حرب بن فيروز، الإمـام القـدوة، أبو عبد الله النيسابوري الزاهد كـان من كبـار الفقهـاء والعبـاد مـات سـنة أربع وثلاثين ومائتين (سير أعلام النبلاء 11/33).

4 (?) سير أعلام النبلاء 11/34.

5 (?) كتاب الزهد الكبير ص 134.

6 (?) ذم الدنيا لابن أبي الدنيا ص 74، والهم والحزن له ص 56 كتاب الزهد الكبير ص 134.

7 (?) الهم والحزم لابن أبي الدنيا ص 32.

وتمـام الزهد في الـتزود من الـدنيا للآخـرة الـتي هي دار القرار، والاكتفـاء منها ما يكتفي به المسـافر في سـفره. قــال الحسن البصــري: (ليس من حبك للــدنيا طلبك ما يصلحك فيها، ومن زهـدك فيها تـرك الحاجة يسـدها عنك تركها، ومن أحب الـدنيا وسـرته، ذهب خـوف الآخـرة من قلبه)[1].

تلك نماذج من العبـادات القلبيـة المحضـة والعبـادات المشتركة بين القلب والجوارح التي توجب حلاوة الإيمان ولذته في القلب، وما ذكر إنمـا هـو على سـبيل المثـال لا الحصـر، فجميـع العبـادات القلبيـة تحقـق للعبـد الحلاوة واللذة إذا قامت فيه على الوجه المطلـوب الـذي يرضـاه الله سبحانه.

[1] (?) جامع العلوم والحكم 2/193.

المطلب الرابع

حـلاوة عـبـادات اللـسـان

1- حلاوة الدعاء
2- حلاوة الذكر
3- حلاوة قراءة القرآن وتدبره
4- حلاوة مذاكرة العلم ومدارسته
5- حلاوة التوبة والاستغفار

1- حـلاوة الــدعـاء

الـدعاء من أفضل العبـادات، وأعظم القربـات, وأجل طاعات اللسـان، أمر الله به ووعد بالإجابـة، وجعله من أعظم الأسباب التي تنال بها سعادة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ[1]. هذا من تمام لطفه سبحانه بعباده ورحمته بهم حيث دعاهم إلى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، وأمرهم بدعائه ووعدهم بالإجابة[2].

وعن النعمان بن بشير قـال: سـمعت رسـول الله يقول: »إن الدعاء هو العبادة« ثم قرأ الآية[3].

وقد عرف العلماء الـدعاء بعـدة تعريفـات[4]، ومن ذلك ما ذكـره الخطـابي -رحمـه اللـه- فقـال: (ومعـنى الـدعاء: اسـتدعاء العبد ربه العنايـة، واسـتمداده إيـاه المعونـة، وحقيقته: إظهار الافتقار إليه، والتـبرؤ من الحـول والقـوة)[5].

وقيل: (هو الرغبـة إلى اللـه تعـالى والتوجـه إليـه في تحقيق المطلوب، أو دفع المكروه والابتهال إليه في ذلـك

---

1 (?) سورة غافر الآية: 60.

2 (?) انظـر: تفسـير ابن كثـير 4/108، وتفسـير السـعدي ص 740.

3 (?) رواه أبو داود كتـاب الـوتر بـاب الـدعاء حـديث 1479، والترمـذي كتـاب التفسـير بـاب من سـورة المـؤمن حـديث 3247، وقال: "هـذا حـديث حسن صـحيح"، وصـححه الشـيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود 1/277.

4 (?) انظـر: الـدعاء ومنــزلته من العقيـدة الإسـلامية تـأليف: جيلان بن خضر العروسي 1/46-49.

5 (?) شأن الدعاء للخطابي ص 4.

إمـا بالسـؤال، أو بالخضـوع والتـذلل، والرجـاء والخـوف والطمع)[1].

وهو نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة، وذلك لأن دعاء الله هو عبادته ومسألته بالعمـل لـه والطاعـة، قـال شـيخ الإسلام: (فإن الدعاء في القرآن يراد بـه هـذا تـارة وهـذا تـارة ويـراد بـه مجموعهمـا، وهمـا متلازمـان، فـإن دعـاء مسألة هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف مـا يضـره ودفعه) [2].

وإن من أعظم منـافع الـدعاء، مـا يجـده الـداعي في قلبه من فرح وسرور، وطمأنينة من خلال ما ينــزله اللــه على قلبه من نفحات الإيمان وحلاوة مناجاته وعبادته.

قال شيخ الإسلام: (وأما الداعي فإذا كـان مهتمـا بمـا هـو محتـاج إليـه من جلب منفعـة ودفـع مضـرة ... فقد يحصل له بالــدعاء من معرفة الله، ومحبته والثنــاء عليه، والعبودية له والافتقـــــــــار إليه، ما هو أفضل وأنفع من مطلوبه ذلك، كما قـــال بعض الســـلف: "يا ابن آدم، لقد بورك لك في حاجة كثرت فيها قرع بـاب سـيدك"، وقـال بعضهم: "إنه ليكون لي إلى الله حاجة فأدعوه، فيفتح لي من بـــاب معرفته ما أحب معه أن لا يعجل لي قضـــاءها، لئلا ينصرف قلبي عن الدعاء)[3].

ويروى عن الحسن البصري أنه قال: (تفقـدوا الحلاوة في ثلاث: الصـلاة والقـرآن والـدعاء، فـإن وجـدتموها

---

1 (?) الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية 1/48.

2 (?) مجمــوع الفتــاوى 15/10، ونقله ابن القيم في بــدائع الفوائد 3/3.

3 (?) مجموع الفتاوى 22/385.

فاحفظوا واحمدوا الله على ذلك، وإن لم تجدوها فاعلموا أن أبواب الخير عليكم مغلقة)[1].

وعن داود بن أبي هند[2] قال: (لما أخذ الحجاج[3] سعيد بن جبير قال: ما أراني إلا مقتولا، وسأخبركم أني كنت أنا وصاحبين لي دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء، ثم سألنا الله الشهادة، فكلا صاحبي رزقها، وأنا أنتظرها، قال: فكأنه رأى أن الإجابة عند حلاوة الدعاء) [4].

قال شيح الإسلام: (فمن تمام نعمة الله على عباده المؤمنين أن ينزل بهم الشدة والضر وما يلجئهم إلى توحيده، فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون أحدا سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم من التوكل عليه والإنابة إليه وحلاوة الإيمان وذوق طعمه والبراءة من الشرك، ما هو أعظم نعمة عليهم من زوال المرض والخوف أو الجدب أو حصول اليسر وزوال العسر في المعيشة ...)

---

1 (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان 12/508.

2 (?) داود بن أبي هند أبو محمد الخراساني ثم البصري الإمام الحافظ الثقة، من موالي بني قشير ويقال: كنيته أبو بكر، مات سنة 139هـ. (سير أعلام النبلاء 6/376-378).

3 (?) حجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي الأمير الشهير ولد سنة 45هـ أو بعدها بيسير ونشأ بالطائف، ولي العراق نحوا من عشرين سنة، وكان فصيحا بلغيا فقيها، ظلوما، جبارا، سفاكا للدماء. مات في رمضان سنة 95هـ (سير أعلام النبلاء 4/343، وتهذيب التهذيب 2/184).

4 (?) حلية الأولياء 4/274، وتهذيب الكمال 10/364.

ثم نقل عن بعض الشيوخ أنهم قالوا: (إنه ليكون لي إلى الله حاجة فأدعوه فيفتح لي من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته ما لا أحب معه أن يعجل قضاء حاجتي خشية أن تنصرف نفسي عن ذلك)[1].

تلك بعض أقوال السلف وهم يعبرون عن أحوالهم، ويصرحون بوجود الحلاوة في الدعاء، ومن تأمل حال الداعي وهو واقف بين يدي ربه متضرعاً إليه متواضعاً، ومقراً بأن لا أحد يحقق له مطلوبه، ويدفع عنه شرّه إلا هو سبحانه، ويثني عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويُسَلِّم نفسه أمام ربه وخالقه الذي لا خالق له سواه، عرف أن الداعي في حالة من العبودية واللذة ليست بعدها لذة، وإن في الدعاء من معاني العبودية ما يؤكد دوره في تحقيق حلاوة الإيمان ومن ذلك:

1- أن في الدعاء إظهار العبودية والإقرار بالفقر والحاجة والضعف والعجز، وفيه تحقيق التوحيد والتبري من الحول والقوة، والاعتراف بالربوبية والافتقار إليه[2].

2- أن في الدعاء قرب العبد من ربه وقرب الرب من عبده، فينشأ من الدعاء علاقة القرب بين الخالق والمخلوق ويحصل من خلال هذه العلاقة من الخير ما لا يمكن التعبير عنه. قال تعالى: چ [illegible] ى چ[3]. هذا قرب خاص بين الرب وعباده، يشتمل على سؤال العبد ربه وعبادته إياه وإيمانه

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/333-334.

2 (?) انظر: الدعاء المأثور وآدابه للطرطوسي ص 132، الدعاء فضائله وآدابه عبد الله سراج الدين ص 20.

3 (?) سورة البقرة الآية: ١٨٦.

به، وتفضله سبحانه بالإجابة رحمة منه وفضـلا، وفي هـذا فتح باب عظيم من المناجاة، وإظهار الفاقة والانقياد التـام والاحتياج لرب العالمين[1].

وقد ذكـر ابن القيم بـأن (التقـرب إلى رب العـالمين، وطلب مرضـاته، والـبر والإحسـان إلى خلقـه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير)[2].

3- أن في الدعاء زيادة في الإيمان، وذلك أن الداعي لم يقبل إلى الله بحاجته إلا بعـد إيمانـه الصـادق وإقـراره الجازم بأن الله تعالى يسمع الـدعاء ويقـدر على الإجابـة، وأنه غني كريم رحيم بعباده لأن الأصم والعـاجز، والفقـير والبخيل والقاسي لا يدعى[3]، فيزداد علمـه باللـه وإيمانـه بأسماء الله وصفاته.

قـــال شـــيخ الإســـلام: (وإذا دعا العبد ربه بإعطائه المطلـــوب ودفع المرهـــوب جعل له من الإيمـــان بالله ومحبته ومعرفته وتوحيده ورجائه وحيـاة قلبه، واسـتنارته بنور الإيمان ما قد يكون أنفع له من ذلك المطلوب)[4].

4- أن الـدعاء يجتمـع فيـه من أنـواع العبـادات مـا لا يجتمع في غيره، ومنها: توجه القلب إلى المـدعو، ورجـاء إجابته والخوف منه والرهبة والخشية، والتوكل والاعتمـاد عليـه في قضـاء الحاجـات، والتـذلل والخضـوع والمحبـة

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى 15/17، وتفسير السعدي ص 87.
2 (?) الداء والدواء ص 45.
3 (?) انظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز 2/678.
4 (?) مجموع الفتاوى 10/596.

والذكر واللهج باسمه والاستعانة والاستغاثة وغيرها من العبادات التي تحقق له اللذة والحلاوة[1].

ويشترط في تحقيق حلاوة الدعاء ما يشترط في تحقيق الإجابة إذ الحلاوة عند إجابة الدعاء كما تقدم في أثر سعيد بن جبير، عندما قال: (دعونا حين وجدنا حلاوة الدعاء). والدعاء يرجى إجابته إذا توفرت فيه شروط الاستجابة وانتفت عنه موانعها.

وقد ذكر العلماء من شروط الاستجابة: الإخلاص والتوبة، والتضرع والخشوع، والإلحاح، وخفض الصوت واستقبال القبلة والطهارة، بالإضافة إلى تحري الأوقات والأحوال الفاضلة، وذكروا من موانع الاستجابة: التلبس بالحرام، والاستعجال، وتعليق الدعاء والاعتداء فيه[2].

---

1 (?) انظر: الدعاء ومنزلته من العقيدة الإسلامية 1/296-297.

2 (?) انظر: شأن الدعاء للخطابي ص 13، ومجموع الفتاوى 15/10-24، وبدائع الفوائد 3/7-10، والدعاء المأثور وآدابه للطرطوسي ص 44-67.

2- حــلاوة الــذكر

الذكر من أشـرف عبـادات القلب واللسـان، وأكثرهـا نفعا للقلوب والأبدان، وأعظمها أجراً في ميزان الرحمن، وأفضـلها في تحقيـق حلاوة الإيمـان، أمـر اللـه بـه، وحث على الإكثار منه، والمداومة عليه في كل حال وزمان.

قال تعالى: ﭽ   ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ   ﭼ[1].

نقل ابن كثـــير عن ابن عبـــاس رضي الله عنهما في هـذه الآية أنه قـال: (إن الله تعـالى لم يفـرض على عبـاده فريضة إلا جعل لها حـدّاً معلومـاً، ثم عـذر أهلها في حـال العذر غـير الـذكر، فـإن الله تعـالى لم يجعل له حـدا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على تركه)[2].

وفي الحديث عن أبي هريرة قال: قـال رسـول الله «سـبق المفَـرِّدُون» قـالوا: "وما المفـردون يا رسـول الله؟" قال: «الذاكرون الله كثيرا والذاكرات»[3].

ونصوص الكتاب والسنة في الحث على الـذكر وبيـان فضائله كثيرة، جمعها أكثر من صنّف في هذا الموضوع[4].

والـــذكر يطلق عامة على جميع الطاعـــات، فكل ما يقـرب العبد إلى الله تعـالى من عقيـدة أو فكـر، أو عمل قلبي، أو عمل بدني أو ثنـاء على اللـه، أو تَعلُّم عِلمٍ نـافعٍ وتعليمه ونحو ذلك، ذكر لله تعالى[5].

ويطلـق خاصـة على الـذكر بالألفـاظ الـتي وردت عن اللـه سـبحانه وعن رسـوله من قـراءة القـرآن والصـلاة والتسـبيح والتحميـد، والتوحيـد والـدعاء والثنـاء على اللـه

---

1 (?) سورة الأحزاب الآية: 41.

2 (?) تفسير ابن كثير 3/648.

3 (?) رواه مسلم كتاب الـذكر والـدعاء والاسـتغفار والتوبة بـاب الحث على ذكر الله تعالى حديث 2176.

4 (?) مثل كتاب الأذكار للنووي، وعمل اليوم والليلة للنسـائي، وتحفة الذاكرين للشوكاني.

5 (?) انظر: الرياض الناضرة للسـعدي ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ رحمه الله 5/ج1 ص532.

بأسمائه الحسنى وصفاته العليا الجارية على لسان العبــد وقلبه[1].

والـذكر من أعظم العبـادات الموجبـة لحلاوة الإيمـان ولذته في القلب، وذلـك من خلال مـا يحصـل للـذاكر من ارتياح وطمأنينة، وما يجلب إليـه الـذكر من فـرح وسـرور وبسط، وما يكسوه من المهابة والحلاوة والنضرة[2].

وقد أشار القرآن إلى دور الذكر في تحقيـق طمأنينـة القلب وسكونه، وهي إحدى معاني حلاوة الإيمـان، وذلـك في قوله تعالى: ﭽ [illegible] ﭼ[3]. وفسرت طمأنينة القلوب بمعنى الاستكانة والسرور بذكر اللـه والاسـتئناس به[4]. وفسـرها السـعدي بمعـنى حلاوة الإيمـان فقـال: (وهـذه الطمأنينة بـذكر الله هي ما يجـده أهل الإيمان والإحسـان الصـادقين من ذوق حلاوة الإيمـان وحقـــائق اليقين، والأنس بالله وانشـــراح القلب لطاعته وخدمته, والأحـوال الزكية الـتي هي أحلى في قلـوبهم من كل لذة يجدها الناس, وهـذه بـراهين ذوقية وجدانية تكـون في حق هؤلاء حق اليقين, وهي أعلى من عين اليقين)[5].

---

1 (?) انظــر: الــذكر وأثــره في دنيا المســلم وآخرته د. محمد صدقي البورنو ص 17-18.

2 (?) انظــر: الوابل الصـيب لابن القيم ص 99، 102، الـذكر وأثره في دنيا المسلم وآخرته ص 74.

3 (?) سورة الرعد الآية: 28.

4 (?) انظــر: تفســير الطــبري 16/432، وتفســير الثعــالبي 2/271.

5 (?) وجوب التعاون بين المسلمين للسعدي ، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ 5/ج1ص 233.

وقــال ابن رجب: (الــذكر لــذة قلــوب العــارفين) ثم استشهد بهذه الآية[1].

وقــد ذكــر الإمــام ابن القيم في كتابــه القيم "الوابــل الصيب" ما يقارب مائة فائدة من فوائد الذكر، ومن ذلــك قوله:

(التاسعة والستون: أن للذكر من بين الأعمـال لـذة لا يشــبهها شــيء، فلــو لم يكن للعبــد من ثوابــه إلا اللــذة الحاصلة للــذاكر، والنعيم الــذي يحصــل لقلبــه، لكفى بــه، ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة) [2].

ثم نقــل عن مالــك بن دينــار أنــه قــال: (مــا تلــذذ المتلذذون بمثل ذكـر الله ، فلا شـيء من الأعمـال أخف مؤونة منــه، ولا أعظم لــذة، ولا أكــثر فرحــةً وابتهاجــاً للقلب)[3].

وقد تضافرت أقوال علماء السلف وعبادهم في بيــان ما للذكر من حلاوة ولذة في القلب، فمن ذلك:

1- ما روي عن أبي علي ابن الكـاتب[4] أنه قـال: (إن الله يرزق العبد حلاوة ذكره، فإن فرح به وشـكره آنسه بقربــه، وإن قصر في الشــكر أجــرى الــذكر على لســانه وسلب حلاوته)[5].

---

1 (?) جامع العلوم والحكم 2/520.

2 (?) الوابل الصيب لابن القيم ص 171.

3 (?) الوابل الصيب ص 171، ونقله ابن رجب كذلك في جامع العلوم والحكم 2/520.

4 (?) هو الحسن بن أحمد بن أبي علي المعروف بـابن الكـاتب من شيوخ المصريين (حلية الأولياء 10/360).

5 (?) حلية الأولياء 10/360، وصفة الصفوة 4/323.

2- وورد عن الإمام أحمد أنه قال: (من كان له ورد فقطعه، خفت عليه أن يسلب حلاوة العبادة) [6].

3- وقال الحسن البصري: (تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، وإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق) [2].

4- ونقل شيخ الإسلام عن سَلْمُ الخَوَّاص[3] -رحمه الله- أنه قال: (الذكر للقلب بمنزلة الغذاء للجسد، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام مع السقم، فكذلك القلب لا يجد حلاوة الذكر مع حب الدنيا)[4].

5- وقد أخبر ابن القيم عن شيخ الإسلام بأنه كان يعد الذكر قوته اليومي، فقال: (حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ثم التفت إلي وقال: "هذه غدوتي ولو لم أتغد هذا الغداء لسقطت قوتي" أو كلاما قريبا من هذا، وقال لي مرة : "لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر، أو كلاما هذا معناه)[5]. وما ذلك إلا بسبب ما كان يجده من لذة وحلاوة في الذكر، فلا يرتاح قلبه ولا يطمئن إلا

---

6 (?) اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل عبد الواحد التميمي ص 306.

2 (?) حلية الأولياء 6/171، مدارج السالكين 2/441، ونزهة الأسماع لابن رجب ص 84.

3 (?) هو سَلْمُ بنُ مَيْمُوْنٍ الخَوَّاص رازي سكن الرملة، من العبّاد قال الذهبي: "بقي سلم إلى ما بعد سنة ثلاث عشرة ومائتين " (الجرح والتعديل 4/267، وسير أعلام النبلاء 8/179).

4 (?) مجموع الفتاوى 9/312.

5 (?) الوابل الصيب ص 101.

بـذلك، ولهـذا ورد أنه كـان يقـول: (جنـتي وبسـتاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني ...)[1].

والـذكر إنما يوصل العبد إلى هـذه الحالة من الإيمـان بسـبب ما يورثه في قلب الـذاكر من المحبة والمعرفـة، فالذكر سبب المحبة ودليل عليها، لأن من أحب شيئا أكـثر من ذكره، وكلما ازداد ذكره له ازدادت محبته حـتى يصـبح أحب الأشياء إليه، فعندئذ يجد حلاوة الإيمان في قلبه.

فمن جملة ما ذكـره ابن القيم من الفوائد أن قـال: (أنه يـورث المحبة الـتي هي روح الإسـلام، وقطب رحى الدين، ومدار السعادة والنجاة، وقد جعل الله لكل شـيء سببا، وجعل سبب المحبة دوام الـذكر، فمن أراد أن ينـال محبة الله فليلهج بذكره..)[2].

وذكر من تأثير الذكر على القلب أنه سبب لانشـراحه ونعيمه فقال: (ومن أسباب شرح الصدر دوام ذكـره على كل حـال وفي كل مـوطن، فللـذكر تـأثير عجيب في انشـراح الصـدر ونعيم القلب، وللغفلة تـأثير عجيب في ضيقه وحبسه وعذابه)[3].

ويشترط في تحقيق حلاوة الذكر ما يلي:

أولا: التمسك بالألفاظ الواردة في الكتاب والسـنة، وعـدم العـدول عنها إلى غيرهـا، لأن غيرها لا يقـوم مقامهـا، ولا يـؤدي دورها في تحقيق حلاوة الإيمـان، والحلاوة دليل على الصـحة كما سـيأتي[4]، فالعمل

---

1 (?) الوابل الصيب ص 109.
2 (?) الوابل الصيب ص 99.
3 (?) زاد المعاد 2/24.
4 (?) انظر: ص 329.

المخالف لهدي النبي لا يقبل، ولا يـوجب لصـاحبه لـذة العبادة.

ثانيا: أن يكون الـذاكر حاضر القلب غـير غافل أثنـاء الذكر، فالذكر الجامع للقلب واللسان معا أفضل، وأقـرب إلى تحقيق حلاوة الإيمــان، فلا بد من وجــود اتصــال بين القلب واللسان حتى ينتقل الذكر من ظاهر لسان الـذاكر إلى بـاطن قلبه فيتمكن فيـه، ثم يسـتولي على جوارحـه، وعندئذ يجد حلاوته ولذته في قلبــــه، أما إذا بقي الـــذكر على أطــراف اللســان ولم يــدخل القلب لا يجد صــاحبه الحلاوة[1].

قـال ابن القيم: (فأفضل الـذكر ما تواطأ عليه القلب واللسان)[2].

وقال الثعالبي - رحمه الله-: (اعلم أنه ربما كان العبد في خلوته مشـــتغلا بتلاوته ويجد في نفسه من الوسوسة ما يجــول بينه وبين ربه حــتى لا يجد لطعم الــذكر حلاوة، ويجد في قلبه قساوة، وربما اعتراه ذلك مع الاجتهــاد في قراءته، وعلة ذلك أن الـــذكر ذكــران: ذكر خـــوف ورهبة وذكر أمن وغفلة، فإذا كان الـذكر بـالخوف والرهبة خنس الشــــــيطان ولم يحتمل الحملة، وأذهب الوسوسة، لأن الـــذكر إذا كـــان باجتمـــاع القلب وصـــدق النية، لم يكن للشيطان قوة عند ذلك، وانقطعت علاق حيله، وإنما قوته ووسوسـته مع الغفلة وإذا كـان الـذكر بـالأمن والغفلة لم

---

1 (?) انظر: فيض القدير 2/32-34، والوابل الصيب ص 187.

2 (?) الوابل الصيب ص 187.

تفارقه الوسوسة وإن استدام العبد الـذكر والقـراءة، لأن على قلب الغافل غشـاوة، ولا يجد صـاحبها لطعم الـذكر حلاوة ...)[1].

فمن داوم على ذكر الله مراعيا فيه هذه الشـروط، وجد من حلاوة الإيمـان وطمأنينة القلـوب ما يـوجب له السـعادة وطيب الحيـاة في هـذه الـدنيا. أعـانني الله وإياكم على ذكره وشكره وحسن عبادته.

---

[1] (?) تفسير الثعالبي 4/94.

3- حــلاوة قراءة القــرآن وتـدبــره

إن قــراءة القــرآن وتــدبر معانيه من أفضل عبــادات اللسان، وأعظم روافد الإيمان، وألذ ما تلذذ به المتلذذون من أهل الإيمــان والإحســان، فإنه كلام رب العــالمين، به تزكو القلوب وتصفو وتلين، ومنه تنـال غـذاؤها وشـفاؤها، بل هو مصــدر نورها وحياتهــا، ولا طريق لها أقــرب إلى الله منه.

وقد دلت الآيـــات القرآنية على عظم نفع القـــرآن للقلوب المؤمنة وشدة تـأثيره فيهـا، فمنها قوله تعـالى: ﭽ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ[1]، وقوله تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[2]، وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭼ[3].

في هــذه الآيــات بين الله ســبحانه تــأثير القــرآن في قلب المؤمن من عدة أوجه:

1- زيادة الإيمان.

2- الفــرح والاستبشـــار بـــالقرآن من خلال انشـــراح صدورهم لآيات الله، وطمأنينة قلوبهم، وسـرعة انقيـادهم لما تحثهم عليه[4].

---

1 (?) سورة التوبة الآية: ١٢٤.

2 (?) سورة الزمر الآية: 23.

3 (?) سورة المائدة الآية: 83.

4 (?) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص 356.

3- لين القلوب ورقتها لما ترجو وتؤمل من رحمة الله سبحانه ولطفه[1].

4- اقشعرار الجلود من الخشية والخوف[2].

5- بكاء العين من خشية الله .

وقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كيف كان أصحاب رسول الله إذا سمعوا القرآن؟ قالت: «تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم كما نعتهم الله »[3]. وما ذاك إلا بسبب تأثير القرآن في قلوبهم.

وأما دور القرآن في تحقيق حلاوة الإيمان ولذة القلوب، فقد وردت بذلك نصوص كثيرة من أحاديث رسول الله وأقوال السلف رحمهم الله، أذكر منها ما يلي:

1- ما جاء في وصف القرآن صراحة بالحلاوة. ففي الصحيحين «أن ابن عباس كان يحدث أن رجلا أتى رسول الله فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظُلّةً تَنْطُفُ السَّمْنَ والعسَلَ، فأرى الناس يتكفّفُون منها، فالمستكثر والمستقل، وإذا سببٌ واصلٌ من الأرض إلى السماء، فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذه رجل آخر فانقطع ثم وصل، فقال أبو بكر يا رسول الله، بأبي أنت والله لتَدَعَنِّي فَأَعْبُرَهَا، فقال : «اعْبُرْهَا» قال: أما الظلة: فالإسلام، وأما الذي ينطف من العسل والسمن، **فالقرآن حلاوته** تنطف،

---

1 (?) انظر: تفسير ابن كثير 4/66.

2 (?) انظر: تفسير ابن كثير 4/66.

3 (?) رواه البيهقي في شعب الإيمان 5/24، وقال محققه: "إسناده رجاله ثقات".

فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه ...» الحديث[1].

ففي هذا الحديث فسر أبو بكر الصديق العسل والسمن في الرؤيا بالقرآن في حلاوته ولينه، وبين أن حلاوة القرآن تنطف أي: تقطر من نطف الماء ينطف إذا قطر قليلا[2].

وفي هذا وصف القرآن صراحة بالحلاوة، وبيان أن هذه الحلاوة تقطر كقطرات الماء على قلب المؤمن، وأن حظه منها بحسب ما أخذ منه، فالمستكثر منه والمستقل.

وأما تشبيه القرآن بالعسل، فمن وجهين:

الأول: كون العسل شفاء للناس وقد جعل الله القرآن كذلك شفاء لما في الصدور فقال: ﴿ ﴾[3].

والثاني: من جهة حلاوة العسل في الفم، فالقرآن كذلك حلو على الأسماع كحلاوة العسل على المذاق[4].

---

1 (?) رواه البخاري كتاب التعبير باب من لم ير الرؤيا الأول عابر إذا لم يصب حديث 7046، ومسلم كتاب الرؤيا باب في تأويل الرؤيا حديث 2269.

2 (?) انظر: النهاية في غريب الحديث 5/165، وفتح الباري لابن حجر 12/453.

3 (?) سورة الاسراء الآية: 82.

4 (?) انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال 9/18، وفتح الباري لابن حجر 12/454.

2- ما جـاء من اعـتراف الوليـد بن المغـيرة[1] **بحلاوة القـرآن**، ففي حـديث ابن عبـاس الـذي رواه البيهقي وغيره «أن الوليـد بن المغـيرة جـاء إلى النـبي ، فقرأ عليه القرآن فكأن رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فذكر ما جـــرى بينهما إلى أن قـــال الوليد: والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجـزه ولا بقصـيدته مـني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، **والله إن لقوله الـــذي يقـــول حلاوةً وإن عليه لطلاوةً**، وإنه لمثمرٌ أعلاه مغدقٌ أسـفله ، وإنه ليعلو وما يعلى ، وإنه ليحطِّم ما تحته»[2].

---

1 (?) هو الوليد بن المغـيرة بن عبد الله بن عمر بن مخـزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لـؤي كـان رأس المسـتهزئين بالرسول ، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿...﴾ [المدثر: ١١ - ٢٤]، مـات مشـركا في مكة في السـنة الأولى من الهجـرة (انظر: سيرة ابن هشام 2/98، 107 256، والبداية والنهاية 3/235).

2 (?) رواه الـبيهقي في شـعب الإيمـان 1/395 وقـال محققه- الـــدكتور عبد العلي عبد الحميد-: "إســـناده صـــحيح، رجاله ثقـــــات" والأثر أورده الطـــــبري في تفســـــيره 12/308، والسـيوطي في الـدر المنثـور 5/98، وابن حجر في الإصـابة 2/245، وابن كثير في البداية والنهاية 3/61.

وفي رواية أنــه قـال: «والله إن **لقوله لحلاوةً**، وإن أصله لمغدقٌ، وإن فرعَه لجَنًى، فما أنتم بقـائلين من هـذا شيئاً إلا عرف أنه باطلٌ»[1].

ففي هــذا اعــتراف من الوليــد بن المغــيرة بحلاوة القرآن وهو على كفره لمـا أثّـر فيـه القـرآن الـذي قـرأه عليه النبي ، وقد كان لتـأثير حلاوة القـرآن سـببا لإسـلام بعض النـاس كمـا في قصـة إسـلام عمر[2] لمـا سـمع سورة طه، وإسلام جبير بن مطعم[3] لمـا سـمع النـبي يقرأ في المغرب بالطور، قـال: فلما بلغ هـذه الآية: ﴿ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﴾[4]: كاد قلبي أن يطير، قال: وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي[5].

---

1 (?) شعب الإيمان للبيهقي 1/395.

2 (?) انظر قصة إســلام عمر بن الخطــاب في ســيرة ابن هشام 1/341-348، والسيرة النبوية لابن كثير 2/34، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص 86.

3 (?) هو جبـير بن مطعم بن عـدي بن نوفل بن عبد منـاف بن قصي، شيخ قـريش في زمانـه، أبو محمـد، ويقـال: أبو عـدي القرشي النـوفلي، ابن عم النـبي من الطلقـاء الـذين حسن إســلامهم، وقد قــدم المدينة في فــداء الأســارى من قومه. وكان موصوفا بالحلم، ونبل الـرأي، تـوفي سـنة 95هـ، وقيل: سـنة 98هـ (سـير أعلام النبلاء 3/95، الإصـابة: 1 / 462، تهذيب التهذيب 2 / 56).

4 (?) سورة الطور الآية 35.

5 (?) قصة إســلام جبــير بن مطعم رواه البخــاري في كتــاب التفسير بـاب تفسـير سـورة الطـور حـديث 4854، وانظـر: البرهان في علوم القرآن 2/106، الإتقان في علـوم القـرآن

ويظل القـرآن إلى يومنـا هـذا مصـدر إعجـاب وتـأثير على الكفار وإن كتم ذلك من كتمه فقد صـرح بـه الكثـير منهم والحق ما شهدت به الأعداء.

3- ما جاء في تشبيه حلاوة القـرآن في قلب المؤمن بحلاوة طعم الأترجة

فعن أبي موسى الأشعري عن النـبي قـال: «مثـل المــؤمن الــذي يقــرأ القــرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المـؤمن الـذي لا يقـرأ القـرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الـذي يقـرأ القــــرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مُــــرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القـرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مُرّ»[1].

ففي هذا الحـديث شـبّه النـبي المـؤمن الـذي يقـرأ القـرآن بالأترجـة، وهي ثمر جـامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون[2] ليبين علاقـة القـرآن بالإيمـان، ومـا يثمـر عنهما من حلاوة وطعم، أي: فإن القرآن يحـدث في قلب المؤمن أثنـاء القـراءة حلاوة وطعمـا مثـل حلاوة الأترجـة وطعمها.

قال ابن حجر -في بيان الحكمة من تخصيص الأترجــة بالتمثيل دون غيرها من الفاكهـة-: (لأنـه يُتَـداوى بقِشْـرها وهــو مُفْــرح بالخاصِّــيَّة، ويُســتخرج من حَبِّهــا دُهْن لــه منافع، ... وغلاف حَبِّه أبيض فيناسب قلب المؤمن، وفيهـا أيضا من المزايـا: كِبْـر جُرْمِهـا، وحُسْـن منظرهـا وتَفْـرِيح

للسيوطي 2/321.

1 (?) رواه البخـاري كتـاب فضـائل القـرآن بـاب فضل القـرآن على ســائر الكلام حــديث 5020، ومســلم كتــاب صــلاة المسافرين باب فضيلة حافظ القرآن حديث 797.

2 (?) انظر: صـحيح مسـلم بتعليقـات محمد فـؤاد عبد البـاقي 1/549.

لونها ولين مَلْمَسها، وفي أكلها مع الالتذاذ طِيبُ نَكْهَة ودِبَاغ مَعِدة وجودة هَضْم)[1].

4- ما جاء في نزول السكينة عند قراءة القرآن، في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله : «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده»[2].

وقوله : «نزلت عليهم السكينة» يعني: إنزالها في قلوبهم[3].

والسكينة: فعيلة من السكون والمراد الطمأنينة والوقار[4]، وقيل: هي ما يحصل به السكون وصفاء القلب، وذهاب الظلمة النفسانية ونزول ضياء الرحمانية وحصول الذوق والشوق[5]، وسكون القلب وطمأنينته بالقرآن إنما هو بسبب ما يجده من حلاوة التلاوة ولذتها.

5- ما جاء في تزيين الصوت بالقرآن والتغني به، فمن أدلة حلاوة القرآن ما جاء في الحث على التغني بالقرآن وذلك في حديث أبي هريرة أنه كان النبي

---

1 (?) فتح الباري لابن حجر 8/684-685.

2 (?) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء ... باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن حديث 2699.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى12/250.

4 (?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 17/21، وفيض القدير للمناوي 5/408.

5 (?) انظر: شرح سنن ابن ماجه للسيوطي ص 269، وفيض القدير للمناوي 5/408.

يقــول: «لم يــأذن الله لشــيء مــا أذن لِلنَّبِيِّ أن يَتَغَنَّى بالقرآن»[1]، وفي لفظ قال: «زَيِّنوا القرآنَ بأصواتكم»[2].

وقــد اختلفت أقــوال أهــل العلم في معــنى التغــني بالقرآن، وذهب الجمهور إلى أن المـراد تحسـين الصـوت به بالترنم والتطريب[3].

قـال النـووي -رحمه اللـه-: (وقولـه: يتغـنى بـالقرآن معناه عند الشافعي وأصحابه وأكثر العلماء من الطوائـف وأصحاب الفنون: يحسن صوته به)[4] ثم نقل عن القاضي عياض إجماع أهل العلم على اسـتحباب تحسـين الصـوت بالقراءة وترتيلها[5].

ومن جملة ما ورد من معاني التغني في الحــديث، ما نقله ابن حجر عن ابن الأنبــاري[6] أنه قــال: (المــراد به

[1] (?) رواه البخــاري كتــاب فضــائل القــرآن بــاب من لم يتغن بــالقرآن حــديث 5023، ومســلم كتــاب صــلاة المســافرين وقصرها باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن حديث 792.

[2] (?) رواه أبو داود كتــاب الــوتر بــاب اســتحباب الترتيل في القراءة حديث 1468، والنسـائي كتـاب الافتتـاح بـاب تـزيين القرآن بالصوت حديث 1015، وصـححه الشـيخ الألبـاني في صحيح سنن أبي داود 1/275.

[3] (?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 6/78، وزاد المعاد لابن القيم 1/466، وفتح الباري لابن حجر 8/688، والجواب المفيد في الفرق بين التغني والتجويد للشـيخ عبد الـرحمن الدوسـري ص 34-35

[4] (?) شرح صحيح مسلم للنووي 6/78.

[5] (?) شرح صحيح مسلم للنووي 6/80.

[6] (?) هو أبو بكر محمد بن أبي محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري النحوي صاحب التصانيف في النحو والأدب، كان صدوقا ثقة ولد سنة 271هـ، وتوفي سنة 328هـ (وفيـان الأعيـان لابن خلكان 4/341).

التلذذ والاستحلاء له كما يستلذ أهل الطرب بالغناء[1]، فأطلق عليه تغنيا من حيث أنه يفعل عنده ما يفعل عند الغناء)[2] وهذا نص في موضوع البحث، ولا تعارض بينه وبين قول الجمهور، لأن تحسين الصوت بالقرآن مما يزيد في حلاوته في النفوس، فهي بذلك وسيلة لحصول المقصود.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (قالوا: ولأن تزيينه، وتحسين الصوت به، والتطريب بقراءته أوقع في النفوس، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه، ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع، ومعانيه إلى القلوب، وذلك عون على المقصود، وهو بمنزلة الحلاوة التي تُجعل في الدواء لتنفذه إلى موضع الداء)[3].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم، لأن للتطريب تأثيرا في رقة القلب وإجراء الدمع)[4].

وقال محمد بن محمد بن الجزري: (وذلك أن الألفاظ إذا أجليت على الأسماع في أحسن معارضها، وأحلى جهات النطق بها حسب ما حث عليه رسول الله ﷺ بقوله:
« زينوا القرآن بأصواتكم» كان تلقي القلوب وإقبال النفوس عليها بمقتضى زيادتها في الحلاوة والحسن

---

1 (?) أي: من جهة التلذذ بالأمرين، لكن ليس التغني بالقرآن مثل التغني بمزامير الشيطان فبينهما من الفرق مثل ما بين السماء والأرض كما سيأتي في ص 404.

2 (?) فتح الباري لابن حجر 8/688.

3 (?) زاد المعاد 1/471.

4 (?) فتح الباري لابن حجر 8/690.

على ما لم يبلغ ذلك المبلغ منها، فيحصل حينئذ الامتثال لأوامره والانتهاء عن مناهيه، والرغبة في وعده والرهبة من وعيده، والطمع في ترغيبه والارتجاء بتخويفه، والتصديق بخبره والحذر من إهماله ومعرفة الحلال و الحرام، وتلك فائدة جسيمة ونعمة لا يُهمِل ارتباطها إلا محروم)[1].

وقد كان من هدي النبي التغني بالقرآن وترجيع الصوت به[2]، وكذا هدي الصحابة رضوان الله عليهم، فقد روي أن النبي استمع في ليلة إلى قراءة أبي موسى الأشعري ، فلما أصبح قال له: «لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»[3]. والمراد بالمزمار هنا: الصوت الحسن[4]، قال ابن الأثير: (شبه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت المزمار)[5].

ولهذا كان الصحابة إذا اجتمعوا وفيهم أبو موسى، يقولون: يا أبا موسى، ذكرنا بربنا فيقرأ وهم يستمعون[6].

وفي هذه الأخبار كلها دلالة واضحة على حلاوة القرآن ولذته، فالقرآن كله حلو في الأسماع، وحلو في القلب، وحلو فيما تضمنه من أخبار وقصص وأحكام، وما

---

1 (?) التمهيد في علم التجويد ص 57.

2 (?) انظر: زاد المعاد 1/464-465.

3 (?) رواه البخاري كتاب فضائل القرآن باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن حديث 5048، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن حديث 793.

4 (?) فتح الباري لابن حجر 8/712.

5 (?) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير 2/778.

6 (?) انظر: مصنف عبد الرزاق 2/486، وحلية الأولياء 1/258، ومجموع الفتاوى 11/560.

تضـمنه من صـفات الكمـال للـه سـبحانه، ولهـذا لا تجـد القلوب السليمة تمل منه، فكلما قرأه المـؤمن أو سـمعه يزداد حلاوة ومحبة له.

وقـد تضـافرت أقـوال أهـل العلم من علمـاء السلف في بيان ما للقرآن من حلاوة ولذة، أذكر منها يلي:

1- قال الحسن البصري -رحمه الله-: (تفقدوا الحلاوة في ثلاث: الصــلاة والقــرآن والــدعاء، فــإن وجــدتموها فاحظوا واحمدوا الله على ذلك، وإن لم تجـدوها فـاعلموا أن أبواب الخير عليكم مغلقة)[1]، وقد نقل ابن رجب هــذا الأثر عن الحسن البصري وأضـاف قـائلا: (اسـمعوا من لا يجد الحلاوة في سماع الآيات ويجدها في سماع الأبيــات)[2].

2- وقال أحمـد بن أبي الحـواري -رحمـه اللـه- : (إني لأقرأ القرآن وأنظر في آية فيحـير عقلي بهـا وأعجب من حفاظ القرآن كيف يُهـنيهم النـوم، ويسـيغهم أن يشـتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام الله، أما إنهم لـو فهمـوا ما يتلون، وعرفوا حقه، فتلذذوا به واستحلوا المناجاة بــه، لذهب عنهم فرحا بما قد رزقوا ووفقوا)[3].

3- وقـال الخطـابي -رحمـه اللـه-: (قلت في إعجـاز القـــرآن وجهاً آخر ذهب عنه النـــاس فلا يكـــاد يعرفه إلا الشــاذ من آحــادهم، وذلك صــنيعه بــالقلوب وتــأثيره في

---

1 (?) تقدم في ص 160.

2 (?) نزهة الأسماع في مسألة السماع لابن رجب ص 99.

3 (?) حلية الأولياء 10/22، صفة الصفوة 4/238، ولطائف المعارف لابن رجب ص 333.

النفـوس، فإنك لا تسـمع كلاماً غـير القـرآن منظوماً، ولا منثـوراً، إذا قـرع السـمع خَلَص له إلى القلب من اللـذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في حـال أخـرى ما يخلص منه إليه، تستبشـر بـه النفـوس، وتنشـرح لـه الصدور...)[1].

4- وقال شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري -رحمه الله-: (الوجه السابع: - أي من وجوه إعجـازه – أن قارئـه لا يمـل قراءتـه وسـامعه لا تمُجُّه مسـامعه، بـل الإكباب على تلاوته وترديده يزيده حلاوة ومحبـة، لا يـزال غضّاً طريّاً، وغيره من الكلام ولـو بلـغ مـا عسـاه أن يبلـغ من البلاغة والفصاحة يُمَـلّ من الترديـد ويُسـأم إذا أعيـد، وكذلك غيره من الكتب لا يوجد فيها ما فيه من ذلك)[2].

5- وقال ابن القيم -رحمه الله-: (فلمحبي القـرآن من الوجد والـذوق، واللـذة والحلاوة والسـرور أضـعاف ما لمحبي السماع الشيطاني، فإذا رأيت الرجل ذوقه ووجده وطربه وتشـوقه إلى سـماع الأبيـات دون سـماع الآيـات، وسماع الألحان دون سـماع القـرآن ... فهـذا أقـوى الأدلة على فـــراغ قلبه من محبة الله وكلامـــه، وتعلقه بمحبة سماع الشيطان)[3].

6- وقال ابن كثير -رحمه الله-: (وأما القـرآن فجميعه فصيح في غاية نهايات البلاغة عند من يعرف ذلك تفصـيلا

---

1 (?) بيـان إعجـاز القـرآن للخطـابي ضـمن ثلاث رسـائل في الإعجاز ص 70.

2 (?) نهاية الأرب في فنون الأدب شهاب الـدين أحمد النـويري 18/306-307.

3 (?) الـداء والـدواء ص 446، وسـيأتي الحـديث عن السـماع الشيطاني في ص 438.

وإجمالا ممن فهم كلام العرب وتصاريف التعبــير، فإنه إن تــأملت أخبــاره وجــدتها في غاية الحلاوة، ســواء كــانت مبسوطة أو وجيزة، وسواء تكررت أم لا، وكلما تكــرر حلا وعلا، لا يَخلق عن كــثرة الــرد، ولا يمل منه العلمــاء، وإن أخذ في الوعيد والتهديد جــاء منه ما تقشــعر منه الجبــال الصم الراسيات، فما ظنك بــالقلوب الفاهمــات، وإن وعد أتى بما يفتح القلــوب والآذان، ويشــوق إلى دار الســلام ومجاورة عرش الرحمن) [1].

وإذا ثبت أن للقـــرآن حلاوة ولـــذة في قلب المؤمن، فلا بد من ذكر الأمـور الـتي من خلالهـا يجد العبد المؤمن حلاوة القـرآن، والأمـور الـتي تحـول دون ذلـك، ليسـعى جاهـدا في الحصـول عليها، ويحذر مما يخل في كمالها.

فقد دلت النصوص على أن القرآن لا يَنتفع بــه ولا يَجــد حلاوته إلا من قرأه بتدبر وفهم لمعانيه ثم عمــل بمقتضــاه، وهذه الأمور الثلاثة متلازمة، فلا بد من القــراءة الــتي معهــا تدبر لآيات القرآن ثم ترجمة هذه المعاني في واقــع الحيــاة من خلال الامتثال بأوامره والانتهاء عن نواهيه.

وذلك أن التــأثير لا بــد فيــه من ثلاثــة أركــان: المــؤثر، والمتأثر، والموصِّل، فالمؤثر- وهــو القــرآن- أثــره ثــابت لا نشـــك فيـــه، والمتـــأثر: هـــو القلب المتلقي القـــارئ، والموصل: هو القراءة والتدبر[2]. وبيان ذلك كما يلي:

أولا- حلاوة القراءة: فالمؤمن الذي لا يقرأ القرآن لا يجد حلاوته، فالقراءة أول طريق لــذوق حلاوة القــرآن، فقد تقدم في حديث أبي موسى الأشعري قوله ﷺ: «مثــل

[1] (?) تفسير ابن كثير 1/84.
[2] (?) انظر: مفاتح تدبر القرآن ص 10.

المــؤمن الــذي يقــرأ القــرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المـؤمن الـذي لا يقـرأ القـرآن مثل التمرة لا ريح لها وطعمها حلو»[1].

فتضمن الحديث فضل قارئ القرآن، وبيان أن الفضل إنما يحصل من قراءة القرآن، حيث أثبت النبي الفضــل للقـارئ ونفـاه عن الـذي لا يقـرأ[2]. فـدل ذلـك على أن القـارئ هـو الـذي ينتفـع بـالقرآن ويجـد طعمـه وأن لـه النصيب الأوفر من ذلك.

قال العيني - في شرحه لهذا الحـديث-: (إن كلام الله المجيد له تــأثير في بــاطن العبد وظــاهره، وإن العبــاد متفاوتون في ذلك، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير، وهو المؤمن القارئ، ومنهم من لا نصــيب له ألبتة وهو المنـــافق الحقيقي، ومنهم من تـــأثر ظـــاهره دون باطنه، وهو المــرائي أو بــالعكس وهو المــؤمن الــذي لم يقرأه)[3].

وقــد أضــاف إلى القــراءة أمــراً زائــداً وهــو وجــوب الاسـتمرار والـدوام على القـراءة، وأن يكـون ذلـك دأبـه وعادتـه، وذلـك لأن النـبي أثبت القـراءة بفعـل مضـارع "يقـرأ" مـا يـدل على الاسـتمرار والـدوام[4]. ولا شـك أن الاستمرار والدوام مطلـوب في ذوق حلاوة القـرآن، لأنـه دليــل على المحبــة، (وإذا أحبّ القلب شــيئاً تعلّــق بــه، واشتاق إليه، وشغف بـه وانقطـع عمـا سـواه، والقلب إذا

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 171.

2 (?) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري 20/38.

3 (?) عمدة القاري شرح صحيح البخاري 20/38.

4 (?) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري 20/38.

أحبّ القـرآن تلـذّذ بقراءتـه، واجتمـع على فهمـه ووعيـه فيحصل بذلك التدبر المكين)[1].

ثانيـا – حلاوة التـدبر: إن مجـرد القـراءة لا يكفي في ذوق حلاوة القرآن، فلا بد مع القراءة من تدبر لآيــات القرآن والوقوف عند معانيه. (والتدبر هو التفكر والتأمــل لآيـات القـرآن من أجـل فهمـه، وإدراك معانيـه، وحكمـه والمراد منه)[2].

قال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ[3].

وقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[4].

قال البيضـاوي -في معـنى ﭽ ﮃ ﭼ-: (يتـأملون في معانيه ويتبصـرون ما فيه، وأصل التـدبر: النظر في أدبـار الشيء)[5].

وقال ابن القيم: (وأما التأمل في القرآن: فهو تحديق نــاظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تــدبره وتعقله، وهو المقصـود بإنزاله لا مجـرد تلاوته بلا فهم ولا تـدبر ... فليس شـيء أنفع للعبد في معاشه ومعـاده وأقـرب إلى نجاته من تـــدبر القـــرآن، وإطالة التأمل وجمع فيه الفكر على معـــاني آياته، فإنها تُطلع العبد على معـــالم الخـــير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقاتهما وأسـبابهما وغاياتهما

---

1 (?) مفاتح تدبر القرآن ص 20.

2 (?) مفاتح تدبر القرآن ص 14.

3 (?) سورة ص الآية: 29.

4 (?) سورة النساء الآية: 82.

5 (?) تفسير البيضاوي 2/225.

وثمراتهما، ومـآل أهلهما، وتَتُلّ في يـده مفـاتيح كنـوز السـعادة والعلـوم النافعة وتثبت قواعد الإيمـان في قلبه ...) إلى أن قال: (وفي تأمل القرآن وتدبره وتفهمه، أضعاف أضعاف ما ذكرنا من الحكم والفوائد)[1].

ولعـل من هـذه الفوائـد، مـا يجـده المتـدبر من لـذة وحلاوة في التأمل في كلام اللـه ، فما تلـذ المتلـذذون، وما تنعم المتنعمون بمثل ما يتنعم به متدبرو القرآن.

يقـول الزركشي -رحمه اللـه-: (ومن لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر، لم يدرك من لذة القرآن شيئا)[2].

وقال النـووي -رحمه اللـه-: (ينبغي للقـارئ أن يكـون شـأنه الخشـوع، والتـدبر، والخضـوع، فهـذا هو المقصـود المطلوب، وبه تنشرح الصـدور وتسـتنير القلـوب، ودلائله أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر)[3].

وقـد بين ابن رجب أثـر التـدبر وصـنيعه في القلـوب فقـال: (فـإن هـذا الكتـاب المسـموع يشـتمل على نهاية المطلوب، وغاية ما تصلح به القلـوب وتنجـذب به الأرواح المعلقة بالمحل الأعلى إلى حضـرة المحبـوب، فيحيي بذلك القلب بعد مماته، ويجتمع بعد شتاته وتزول قسـوته بتدبر خطابه وسماع آياته، فإن القلـوب إذا أيقنت بعظمة ما سمعت واستشعرت شرف نسبة هذا القـول إلى قائله أذعنت وخضعت، فإذا تـدبرت ما احتـوى عليه من المـراد

---

1 (?) مدارج السالكين 1/485-487.
2 (?) البرهان في علوم القرآن 2/155.
3 (?) الأذكار للنووي ص 107.

ووعت اندكت من مهابة الله وإجلاله وخشعت، فإذا هطل عليها وابل الإيمان من سحب القـرآن أخـذت ما وسـعت، فـإذا بـذر فيها القـرآن من حقـائق العرفـان وسـقاه مـاء الإيمان أنبتت مازرعت)[1].

وإن من أفضــل مــا يحقــق التــدبر النــافع المؤدي إلى ذوق حلاوة القرآن ما يلي:

1- استشـعار عظمـة البـاري سـبحانه أثنـاء القـراءة، واستحضار كون القرآن كلامه سبحانه المنـزل إلى نبيــه بواسطة جبريل ، فإن من قرأ القرآن بهذا الشـعور يجـد حلاوة القرآن كاملة.

قال ابن قدامة -رحمـه اللـه-: (وينبغي لتـالي القـرآن العظيم أن ينظر كيف لطف الله تعالى بخلقه في إيصــال معاني كلامــه إلى أفهــامهم، وأن يعلم أن مــا يقــرأه ليس من كلام البشــر، وأن يستحضــر عظمــة المتكلم ويتــدبر كلامه، فإن التدبر هو المقصود من القراءة)
[2].

وقـــال ابن القيم -رحمه اللـــه-: (إذا أردت الانتفـــاع بالقرآن فـاجمع قلبك عند تلاوته وسـماعه، وألق سـمعك، واحضر حضـــور من يخاطبه به من تكلم به ســـبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله)[3].

وقد روي عن ســلم الخــواص أنه قــال: (كنت أقــرأ القـــرآن ولا أجد له حلاوة، فقلت لنفســـي: اقرئيه كأنك

---

1 (?) نزهة الأسماع ص 82.
2 (?) مختصر منهاج القاصدين ص 55.
3 (?) الفوائد ص 11.

سـمعتيه من رسـول الله ﷺ، فجـاءت حلاوة قليلـة، فقلت لنفسـي: اقرئيه كأنك سـمعتيه من جبريل ؛ حين يخـبر به النــبي ﷺ، قــال: فــازدادت الحلاوة، ثم قلت: اقرئيه كأنك سـمعتيه حين تكلم به سـبحانه، قـال: فـازدادت الحلاوة كلها)[1].

2- الوقـوف عنـد معـاني القـرآن بـالتكرار والترديـد للآيات، فإن ذلك أدعى إلى فهم المراد وأقرب إلى وقوع التدبر الأمثل للآيات.

روي عن عبد الله بن مسعود ؓ أنه قال: (لا تهذُّوه هذّ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، قفوا عنـد عجائبـه، وحركـوا به القلوب، ولا يكون همُّ أحدكم آخر السورة)[2].

وقــال ابن القيم: (فلو علم النـــاس ما في قــــراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فـإذا قـرأه بتفكر حـتى مـرّ بآية وهو محتـاج إليها في شـفاء قلبـه، كررها ولو مائة مـرة ولو ليلـة، فقـراءة آية بتفكر وتفهم خـير من قــراءة ختمة بغــير تــدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القـرآن) ثم أخـبر أن (هـذه كـانت عـادة السـلف يـردد أحـدهم الآية إلى الصـباح، وقد ثبت عن النـبي ﷺ أنه قـام بآية يرددها حـتى الصباح وهي قوله تعالى: ﭽ [illegible] [3]ﭼ[4]. فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب)[5].

ثالثا- حلاوة العمل بالقرآن: فإن من أهم مقاصد قراءة القرآن، وغاية مطالبها هي العمـل، فينبغي للقـارئ

---

1 (?) حلية الأولياء 8/279، وصفة الصفوة 4/274.

2 (?) تفسير البغوي 4/407، وتفسير ابن كثير 4/558.

3 (?) سورة المائدة الآية: 118.

4 (?) هـذا حـديث أبي ذر ؓ رواه النسـائي كتـاب الافتتـاح بـاب ترديد الآية حديث 1010، وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة باب ما جـاء في القــرآن في صــلاة الليل حـديث 1250 وحسـنه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه 1/ 225 .

5 (?) مفتاح دار السعادة 1/289.

أن يقرأه بنية العمل به، يقف عند آياته ينظـر مـاذا تطلب منه، هل أمر يؤمر به أو شيء ينهى عنه، أو فضيلة يدعى إلى التحلي بها[1].

قال تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﭼ[2]. قال ابن كثير -في قوله تعـالى-: ﭽ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ (أي: يفهمونه ويعملون بما فيه)[3].

وعن الحسن البصري، قال: (أُنـزل القـرآن ليُعمل به، فاتخذ الناس تلاوته عملاً) [4].

وقال شيخ الإسلام: (والمطلـوب من القـرآن هو فهم معانيه، والعمل به، فإن لم تكن هذه همة حافظة لم يكن من أهل العلم والدين)[5].

وذوق حلاوة القرآن متوقف على هـذا المقصـد، فكل ما كان العبد ممتثلا أوامر القرآن ومنتهيا عن نواهيـه كـان أذوق النـاس لحلاوة القـرآن، وأمـا من قصـر في الأوامـر وأتى بما ينهى عنه القرآن، فإنه يحرم من هذه الحلاوة.

عن معاذ بن جبل ﭬ قـال: (سيُبلى القـرآن في صـدور أقـوام كما يبلى الثـوب فيتهـافت، يقرءونه لا يجـدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضـأن على قلـوب الـذئاب أعمالهم طمع لا يخالطه خوف، إن قصروا قـالوا: سـنبلغ، وإن أساءوا قالوا سيغفر لنا، إنا لا نشرك بالله شيئا)[6].

وفي روايـة عن أبي العاليـة قـال: (يـأتي على النـاس زمان تخرب صدورهم من القرآن، ولا يجدون له حلاوة ولا لذاذة، إن قصروا عما أمروا به قالوا: إن الله غفـور رحيم،

---

1 (?) انظر: مفاتح تدبر القرآن ص 37.

2 (?) سورة الزمر الآية 18.

3 (?) تفسير ابن كثير 4/63.

4 (?) المنتقى النفيس من تلـــبيس إبليس لابن الجـــوزي ص 116، ومدارج السالكين 1/485.

5 (?) مجموع الفتاوى 23/55.

6 (?) رواه الـدارمي في سـنه 2/531 رقم 3346، وقـال محققـه: "إسـناده صـحيح إلى معـاذ" وأورده القرطـبي في تفسيره 7/273.

وإن عملوا بما نهـا عنه، قـالوا: سـيغفر لنا، إنـا لم نشـرك بالله شيئا، أمـرهم كلـه طمـع ليس معـه صـدق، يلبسـون جلـود الضـأن على قلـوب الـذئاب، أفضـلهم في دينـه المداهن)[1].

ومن أعظم ما يمنع من فهم القـرآن ويحـول دون ذوق حلاوته: التلبس بالبدع والمعاصي، والإصـرار عليها، والانغماس في شهوات الدنيا وملـذاتها، فـإن هـذه الأمـور تصـد القلب عن تـدبر القـرآن وفهمـه، ويمنـع من وصول نور الرحمن إليه.

قـال الزركشـي -رحمـه اللـه-: (واعلم أنه لا يحصل للنـاظر فهم معـاني الـوحي حقيقة، ولا يظهر له أسـرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصـــرار على ذنب، أو في قلبه كبر أو هوى، أو حب الدنيا أو يكون غـير متحقق الإيمان، أو ضعيف التحقيق أو معتمـدا على قـول مفسر ليس عنـده إلا علم بظـاهر، أو يكـون راجعا إلى معقوله، وهـذه كلها حجب وموانع وبعضـها آكد من بعض)[2].

وقال ابن قدامـة في حديثـه عن موانـع فهم القـرآن: (ومن ذلك أن يكـون التـالي مصـراً على ذنب، أو متصـفاً بكبر، أو مبتلًى بهوى مطاع، فإن ذلك سبب ظلمـة القلب وصدؤه، فهو كالجرب على المرآة، يمنع من تجلي الحـق، فالقلب مثل المرآة، والرياضـة للقلب بإماطـة الشـهوات مثل الجلاء للمرأة)[3].

فـدل كل هـذا على أن العبد لا يجد حلاوة القـرآن إذا كان يقرأه ولا يمتثل بأوامره وينتهي عن نواهيه، بل يعمل بما يخالفه وذلك أنه كما تقدم فإن الذنوب والمعاصي إن لم تـؤثر في الإيمـان من حيث ذهابه وبقائه إلا أنه تسـلب العبد حلاوته[4].

---

[1] (?) كتاب الزهد لابن أبي عاصم ص 302.
[2] (?) البرهان في علوم القرآن 2/181.
[3] (?) مختصر منهاج القاصدين ص 55.
[4] (?) انظر: ص 75.

4- حلاوة مذاكرة العلم ومدارسته

إن الاشتغال بطلب العلم الشرعي ومذاكرته ومدارسته من أفضل العبادات وأجل الطاعات، وأعظم القربات، وأنعم اللذات، فلا طريق إلى معرفة الله، وإلى الوصول إلى رضوانه، والفوز بقربه، ومجاورته في الآخرة إلا بالعلم النافع الذي بعث الله به رسله وأنزلت به كتبه، فبالعلم حياة القلوب، ونور الأبصار، وقوة الأبدان، وبه يبلغ العبد منازل الأبرار والدرجات العلى في الدارين وذوق أعظم اللذات فيهما[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (بل كل خير في العالم فهو من آثار العلم الذي جاءت به الرسل ومسبب عنه، وكذلك كل خير يكون إلى قيام الساعة وبعدها في القيامة)[2].

والكتاب والسنة حافلة بالنصوص الدالة على فضل العلم وأهله والحث على طلبه والاستزادة منه، وسأذكر بعضا من تلك النصوص التي تبين علاقة العلم بالإيمان، وصنيعه في القلوب، ودوره في تحقيق حلاوة الإيمان.

1- قال تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭼ[3].

قال ابن القيم: (فهذه شهادة من الله تعالى لأولى العلم بالإيمان به وبكلامه) [4].

2- وقال : ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ[5].

في هذه الآية شهد الله تعالى لأولي العلم بزيادة الإيمان وإخبات القلوب.

---

1 (?) انظر: مفتاح دار السعادة 1/192-193، جامع العلوم والحكم 2/298.

2 (?) مفتاح دار السعادة 1/187.

3 (?) سورة الاسراء الآية: 107.

4 (?) مفتاح دار السعادة 1/144.

5 (?) سورة الحج الآية: 54.

قال القرطبي -في قوله: ﭽ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ- أي: (تخشع وتسكن، وقيل: تخلص)[1].

وقال البغوي -رحمه الله-: (أي: فتسكن إليه قلـوبهم)[2]. والسـكينة هي الطمأنينـة والوقـار الـتي تحصـل في القلب إذا ذاق حلاوة الإيمان.

3- وقال تعالى: ﭽ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﭼ[3].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وهذا حصـر لخشـيته في أولي العلم)[4] وقـد تقـدم مـا يـدل على أن الخشـية من موجبات حلاوة الإيمان[5].

4- وقال تعالى: ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ[6].

وقـد فسـر فضـل اللـه في الآيـة بـالعلم، وقيـل هـو الإيمـان، ورحمتـه القـرآن، وبين ابن القيم بـأن الإيمـان والقـرآن همـا العلم النـافع والعمـل الصـالح، فـأمر اللـه سبحانه أهل العلم بالفرح بما آتاهم، وأخبر أنـه خـير ممـا يجمع الناس[7]. وقد تقدم من معـاني حلاوة الإيمـان فـرح القلب وسروره[8].

5- **ومن السنة: ما جاء في نزول السكينة في المجالس التي يتدارس فيها العلم** وذلـك في قولـه ﷺ: «ما اجتمع قـوم في بيت من بيـوت الله، يتلـون كتـاب الله، ويتدارسـون بينهم، إلا نـزلت عليهم السـكينة

---

1 (?) تفسير القرطبي 12/87.

2 (?) تفسير البغوي 3/295.

3 (?) سورة فاطر الآية 28.

4 (?) مفتاح دار السعادة 1/84.

5 (?) انظر: ص 122.

6 (?) سورة يونس الآية: 58.

7 (?) انظر: مفتاح دار السعادة 1/85، وتفسير الطبري 15/106، وزاد المسير لابن الجوزي 4/40.

8 (?) انظر: ص 49.

وغشـــيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكـــرهم الله فيمن عنده»[1].

قـال ابن رجب -رحمـه اللـه-: (وقـد أخـبر أن جـزاء الذين يجلسون في بيت الله يتدارسون كتـاب اللـه أربعـة أشياء:

أحدها: تنـزل السكينة

والثاني: غشيان الرحمة

والثالث: أن الملائكة تحفّ بهم.

والرابع: أن الله يذكرهم فيمن عنده)[2].

وأضـاف ابن القيم أمـرا **خامسا** وهـو أن اللـه تبـارك وتعـالى يبـاهي ملائكتـه بـالقوم الـذين يتـذاكرون العلم ويـذكرون اللـه ويحمدونـه على مـا من عليهم بـه منه[3]، وذلك أخذا من حديث أبي سعيد الخدري وفيه أن النـبي خرج على حلقـة من أصـحابه، فقـال: «مـا أجلسـكم؟» قـالوا: جلســنا نــذكر الله ونحمــده على مــا هــدانا على الإسلام، ومنّ به علينا، قال: «آللـه مـا أجلسـكم إلا ذاك؟ قــالوا: واللــه مــا أجلســنا إلا ذاك، قــال: «أمــا إني لا أستحلفكم تهمـة، ولكنـه أتـاني جبريـل فـأخبرني أن اللـه يباهي بكم الملائكة»[4].

قال ابن القيم في توجيه هذا الحديث: (فهـؤلاء كـانوا قد جلسوا يحمدون الله بذكر أوصافه، وآلائه، ويثنون عليه بذلك، ويذكرون حسـن الإسـلام، ويعـترفون للـه بالفضـل

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 172.

2 (?) جامع العلوم والحكم 2/304-306.

3 (?) مفتاح دار السعادة 1/126.

4 (?) رواه مسلم كتاب الذكر والدعاء ـ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر حديث 2701.

العظيم إذ هداهم لـه ومنّ عليهم برسـوله، وهـذا أشـرف علم على الإطلاق، ولا يعني بـه إلا الراسـخون في العلم، فإنه يتضمن معرفة الله وصفاته وأفعاله ودينـه ورسـوله، ومحبة ذلك وتعظيمه والفرح به)[1].

وهناك أمر **سادس** ومهم: وهـو مـا جـاء في أن أهـل مجالس العلم لا يشقى بهم الجليس[2].

قلت: وإذا حصــلت لمجــالس العلم الأمــور الخمسة وهي نـزول السـكينة، وغشـيان الرحمـة، وحَـفِّ الملائكـة بهم، وذكر الله لهم فيمن عنده، ومباهاة الملائكة بهم، ثم نفي عنهم الشقاء الذي هو ضد السـعادة، فلم يبـق إلا أن نقول بأن أهل مجـالس العلم في خـير ونعمـة وحالـة من الحلاوة لا يعلمها إلا أصحابها.

6- ما جاء في تشبيه العلم وأثره في القلوب بالغيث وأثره على الأراضي.

وذلـــك في حـــديث أبي موسى عن النـــبي قال: «مثل ما بعثـــني الله به من الهُـــدَى والعِلْمِ كمثل الغَيْث الكثيرِ، أصـاب أرضاً فكـان منها نَقِيَّةٌ قبلت المـاءَ فـأنبتتْ الكلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادِبُ أمسـكت المـاء

---

1 (?) مفتاح دار السعادة 1/127.

2 (?) ورد ذلك في حـديث أبي هريـرة عن النبي قـال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا يبتغـون مجـالس الـذكر ...» إلى قولـــه: «فيهم فلان إنما مر فجلس معهم، قـــال: فيقول: وله غفـرت هم القـوم لا يشـقى بهم جليسـهم» رواه البخـاري في كتـاب الـدعوات بـاب فضل ذكر الله حـديث 6407، ومسلم كتاب الذكر والدعاء باب فضل مجالس الذكر حديث 2689.

فنفع الله بها النّـاسَ، فشـربوا وسَـقَوا وزَرَعُـوا وأصـابت منها طائفةٌ أخـرى إنما هي قيعـانٌ لا تمسك مـاءً ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فَقِهَ في دين الله ونفعه ما بعثـني الله به فعَلِم وعلَّم، ومثل من لم يرفع بـــذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به»[1].

قـال ابن القيم: (شـبه العلم والهـدى الـذي جـاء به بـالغيث لما يحصل بكل واحد منهما من الحيـاة والمنـافع، والأغذيـة والأدويـة وسـائر مصـالح العبـاد، فإنهـا بـالعلم والمطر وشبه القلوب بالأراضي التي يقـع عليهـا المطـر، لأنها المحل الذي يمسك الماء، فينبت سائر أنـواع النبـات النـافع، كمـا أن القلـوب تعي العلم فيثمـر فيهـا ويزكـو، وتظهر بركته وثمرته ...)[2].

7- ما جـاء في وصـف مجـالس العلم بريـاض الجنة.

وذلــك في حــديث أنس بن مالك أن رســول الله قال: «إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا»، قال: وما ريـاض الجنة ؟ قال: «حلق الذكر»[3].

---

1 (?) رواه البخـــاري كتـــاب العلم بـــاب فضل من علِمَ وعلَّم حديث 79، ومسلم كتاب الفضائل بـاب بيـان مثل ما بعث به النبي من الهدى والعلم حديث 2282.

2 (?) مفتاح دار السعادة 1/100-101.

3 (?) رواه الترمذي كتـاب الـدعوات عن رسـول الله بـاب ما جـاء في عقد التسـبيح باليد حـديث 3510، وحسـنه الشـيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي 3/169.

وروي عن عبد الله بن مسعود أنـه قـال في المـراد بحلق الذكر: (أما إني لا أعني حلق القصاص، ولكن حلــق الفقه)[1].

وقال شيخ الإسلام: (والمقصود هنا: أن يعرف مراتب المصــالح والمفاسد وما يحبه الله ورســوله وما لا يبغضه مما أمر الله به ورسوله)[2].

فيكون المقصود برياض الجنة في الحديث: هو ريـاض العلم، فشبهه برياض الجنة، ووجـه الشـبه: مـا فيهمـا من المنافع وكمال اللذات، ولهذا قال النبي «فارتعوا» قـال ابن الأثير: (والرَّتْع هو الاتساع في الخِصْب، وشبَّه الخوض فيه بالرَّتْعِ في الخِصْب)[3].

قـال المنـاوي -رحمـه اللـه-: (والرتع هنا كما في قـول إخوة يوسف: ﭽ ﭺ ﭻ ﭼ[4]، وهو أن يتسع في أكل الفواكه والمسـتلذات والخـروج إلى النــزهة في الأريـاف والميـاه، كعادة الناس إذا خرجوا إلى الرياض والبسـاتين)[5]. فيكـون المـراد: إذا مـررتم بحلـق العلم والإيمـان، فخوضـوا فيهـا وتلــذذوا بمــا فيهــا من حيــاة القلب ونــوره، وانشــراحه، وابتهاجه، كما يتلذذ أهل الجنة بما فيها من نعيم ومستلذات.

9- ما جاء في دعاء النــبي لمن ســمع العلم وأداه كما سمعه بنضارة الوجه:

---

1 (?) صـحيح الفقيه والمتفقه للخطيب البغـدادي اعتـنى به أبو عبد الرحمن عادل العزازي ص 12.

2 (?) مجموع الفتاوى 32/233.

3 (?) النهاية في غريب الحديث 2/472.

4 (?) سورة يوسف الآية: 12.

5 (?) فيض القدير 1/442.

وذلـك في حـديث ابن مسـعود عن النـبي قـال: «نضـّر الله امـرأً سـمع مقـالتي فوعاها وحفظها وبلغها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ...» الحديث[1].

ففي هذا الحديث دعا النبي لمن سمع كلامه ووعـاه وحفظه وبلغه بنضـارة الوجه المتضـمنة لجمـال الظـاهر والباطن كما أوضح ذلك ابن القيم، فقـال: (فـإن النضـرة هي البهجة والحسن الذي يكسـاه الوجه من آثـار الإيمـان وابتهـاج البـاطن به وفـرح القلب وسـروره والتـذاذه بـه، فتظهر هذه البهجة والسـرور والفرحة نضـارة على الوجه ... فالنضرة في وجوههم، والسرور في قلـوبهم، فـالنعيم وطيب القلب يظهر نضـارة في الوجه ... والمقصـود أن هذه النضرة في وجه من سمع سنة رسول الله ووعاها وحفظها وبلغهـا، فهي أثر تلك الحلاوة والبهجة والسـرور الذي في قلبه وباطنه)[2].

وفي هـذه النصـوص دلالـة واضـحة على فضـل العلم وأثـره في القلـوب، ودوره في تحقيـق حلاوة الإيمـان ولذته، وفيما يلي بيان أقوال بعض السلف في ذلك:

1- روي عن عمر بن الخطاب أنـه قـال: (لـولا ثلاث لأحببت أن أكون قد لحقت بالله: لولا أن أسير في سـبيل الله، أو أضع جبهتي في الـتراب سـاجدا، أو أجـالس قوما يلتقطون طيب الكلام كما يلتقط طيب الثمر)[3].

---

[1] (?) رواه الترمذي كتاب العلم عن رسول الله بـاب ما جـاء في الحث على تبليغ السـماع حـديث 2658، وابن ماجه في المقدمة بـاب من بلغ علما حـديث 236، وصـححه الشـيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي 2/337-338.

[2] (?) مفتاح دار السعادة 1/118.

[3] (?) رواه ابن أبي شـيبة في المصـنف 4/214، وأبو نعيم في

يريد الجهـاد والصـلاة والعلم النـافع، وهـذه درجـات الفضائل، وأهلها هم أهل الزلفى والـدرجات العليا [1]. وقـد نقـل شـيخ الإسـلام إجمـاع الأمـة على أن هـذه الثلاث هي أفضل الأعمـال [2]، وهـذا الأثر عن عمر يفيد بأنه ليس في الدنيا مما يلتذ به ألذ من هذه الثلاث.

2- قـال ابن الجـوزي -رحمه اللـه-: (والله ما أعـرف من عاش رفيع القدر بالغا من اللذات ما لم يبلغ غـيره إلا العلماء المخلصين كالحسن وأحمد وسـفيان ... فـإن لـذة العلم تزيد على كل لـذة)[3]. ولهـذا رفعهم الله إلى رتبـة، فوق رتبة الملوك.

3- قال أبو الحسين أحمد بن فارس اللغوي: سـمعت الأسـتاذ ابن العميد[4] يقـول: (ما كنت أظن أن في الـدنيا حلاوة ألذ من الرئاسة والـوزارة الـتي أنا فيها حـتى شاهدت مذاكرة سـليمان بن أحمد الطـبراني[5] وأبي بكر

الحلية 1/51.

1 (?) مدارج السالكين 2/293.

2 (?) منهاج السنة النبوية 6/75.

3 (?) صيد الخاطر ص 197.

4 (?) هو محمد بن الحسين بن محمد الكاتب، أبو الفضل، وزير الملك ركن الدولة الحسن بن بويه الديلمي مات سـنة 360هـ (سير أعلام النبلاء 16/137).

5 (?) هو سـليمان بن أحمد بن أيـوب بن مطـير اللخمي أبو القاسم الطبراني؛ كان حافظ عصـره، مولـده بمدينة عكا في شهر صفر سنة 260هـ، صـاحب المعـاجم الثلاثة والمصـنفات النافعة يبلغ عـدد شـيوخه إلى ألف شـيخ تـوفي سـنة 360هـ، وعمره تقديراً مائة سنة رحمه الله تعـالى (سـير أعلام النبلاء 16/119، وفيات الأعيان 2/407).

الجعابي[1] بحضرتي، فكان الطبراني يغلب الجعابي بكثرة حفظه، وكان الجعابي يغلب الطبراني بفطنته وذكـاء أهل بغـداد حـتى ارتفعت أصـواتهما ولا يكـاد أحـدهما يغلب صاحبه)[2].

هكـذا كـان علمـاء السـلف يتلـذذون بمناقشة العلم ومذاكرته، ولهـذا قضـوا جل حيـاتهم يطلبـون هـذه اللـذة، ويتحملـون ما تحصل لهم من الشـدائد في سـبيل إدراكها على أكمل وجه.

4- روى الخطيب البغـدادي عن الحـاكم أبي عبد الله النيسابوري أنه قـال: (إن أصـحاب الحـديث خـير النـاس، وكيف لا يكونون كذلك، وقد نبـذوا الـدنيا بأسـرها وراءهم وجعلـــوا غـــذاءهم الكتابـــة، وســـمرهم المعارضـــة، واسترواحهم المذاكرة، وخلوقهم المداد، ونومهم السهاد، واصـطلاءهم الضـياء، وتوسـعهم الحصـى، فالشـدائد مع وجود الأسانيد العالية عندهم رخاء، ووجود الرخاء مع فقد ما طلبوه عندهم بـؤس، فعقـولهم بلـذاذة السـنة غـامرة، قلـــوبهم بالرضـــاء في الأحـــوال عـــامرة، تعلم الســـنن سـرورهم، ومجـالس العلم حبـورهم، وأهل السـنة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم)[3].

---

[1] (?) أ بو بكر محمد بن عمر بن محمد بن ســـلم التميمي البغـدادي الجعـابي، قاضي الموصل، مولـده في صـفر سـنة 284هـ. ومات في رجب سنة 355هـ (تاريخ بغداد 3/26، سير أعلام النبلاء 16/88).

[2] (?) ســير أعلام النبلاء 16/124، تـــاريخ دمشق 22/166 ترجمة الطبراني لابن منده ص 9

[3] (?) الرحلة إلى طلب الحديث للخطيب البغدادي ص 221.

5- ويقـول ابن الجـوزي - رحمه اللـه-: (فأما من أنفق عصر الشــباب في العلم، فإنه في زمن الشــيخوخة يحمد جـني ما غـرس، ويلتذ بتصـنيف ما جمـع، ولا يـرى ما يفقد من لــذات البــدن شــيئا بالإضــافة إلى ما يناله من لــذات العلم) ثم تحــدث عن نفسه فقــال: (ولقد كنت في حلاوة طلــبي العلم ألقى من الشـــدائد ما هو عنـــدي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو)[1].

6- ينقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية نموذجا رائعــاً للذة العلم، فقـال: (حـدثني شـيخنا قـال: ابتـدأني مـرضٌ فقــال لي الطــبيب: إن مطالعتك وكلامك في العلم يزيد المـــرضَ فقلت له: لا أصـــبر على ذلك، وأنا أحاكمك إلى علمك، أليست النفس إذا فرحت وســرت قــويت الطبيعة فدفعت المرض؟ فقال: بلى، فقلت له: فإن نفسي تُســَر بالعلم فتقوى به الطبيعة فأجد راحة، فقال هذا خارج عن علاجنا أو كما قال)[2].

7- ويقــول شـــيخ الإســلام: (ولا ريب أن لـــذة العلم أعظم اللــذات، واللــذة الــتي تبقى بعد المـوت وتنفع في الآخرة هي لذة العلم بالله والعمل له، وهو الإيمان به)[3].

8- وقد اسـتدل ابن القيم على شـرف العلم وفضـله بما يحصل فيه من لذة، فقال: (إن فضيلة الشيء وشرفه يظهر تارة من عموم منفعته، وتارة من شدة الحاجة إليـه

---

1 (?) صيد الخاطر ص 164، 165.

2 (?) روضة المحبين ص 87.

3 (?) مجموع الفتاوى 14/162.

وعـدم الاسـتغناء عنـه، وتـارة من ظهـور النقص والشـر بفقده، وتارة من حصول اللذة والسرور والبهجة بوجوده، لكونه محبوباً ملائمـاً، فإدراكـه يعقب غايـة اللـذة ... وأمـا حصول اللذة والبهجة بوجوده، فلأنه كمال في نفسه، وهو ملائم غاية الملاءمة للنفـوس، فـإن الجهـل مـرض ونقص وهو في غاية الإيذاء والإيلام للنفس، ومن لم يشعر بهـذه الملاءمة والمنافرة، فهو لفقد حسه ونفسه)[1].

وأنشد أحمد بن محمد بن أحمد[2] -رحمه الله- فقال:

وألذّ ما طلب الفتى بعد التُّقى ... علم هناك يزينه طلبه

ولكن طالب لذة متنزه ... وألذ نزهة عالم كُتُبـَـه[3]

ويشترط في الحصول على كمـال اللـذة في العلم الشرعي أمور منها:

1- أن يكـون هـذا العلم متعلقـا باللـه ﷻ: فـإن العلم بالله وبأسمائه وصـفاته وأفعالـه هي أصـل العلـوم، وأشـــرفها على الإطلاق، إذ شـــرف العلم تـــابع لشـــرف المعلوم، واللـه أشـرف المعلومـات وأجلهـا، ونسـبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومـات، إذ بـه

---

1 (?) مفتاح دار السعادة 1/139.

2 (?) أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن هـــــارون بن الصلت، أبو الحسن الأهوازي، ثم البغـدادي، مولـده في سـنة 324هـ. كان صدوقا صالحا، توفي سـنة 409هـ . (سـير أعلام النبلاء 17/187 تاريخ بغداد 4/370، شذرات الذهب 3/187).

3 (?) جامع بيان العلم وفضله 2/204.

تتحقق سعادة العبد وكماله ومصالح دنياه وآخرته[1]. ولا شك أن كمال اللذة في العلم بقدر شرف متعلقه، وأشرف العلوم أكملها لذة.

قال الغزالي: (ثم ليست لذة العلم بالحراثة والخياطة كلذة العلم بسياسة الملك وتدبير أمر الخلق، ولا لذة العلم بالنحو والشعر كلذة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته، وملكوت السموات والأرض، بل لذة العلم بقدر شرف العلم، وشرف العلم بقدر شرف المعلوم)[2].

وقال ابن رجب -في بيان أقسام العلم-: (أحدهما: ما كان ثمرته في قلب الإنسان، وهو العلم بالله تعالى، وأسمائه وصفاته وأفعاله المقتضية لخشيته، ومهابته، وإجلاله والخضوع له ولمحبته، ورجائه ودعائه، والتوكل عليه ونحو ذلك فهذا هو العلم النافع)[3].

بل هو أنفع العلوم إذ لا سبيل إلى معرفة الله إلا من باب العلم به وبأسمائه وصفاته، فهذا العلم هو الذي يفتح للعبد الطريق إلى معرفة الله ومحبته وإجلاله وخشيته، ثم كل ما ازداد معرفته بالله ازداد حبه له، لأن محبة الشيء فرع عن الشعور به وأعرف الخلق بالله أشدهم حبا له، ولا يزال في الزيادة حتى يكون أحب الأشياء إليه هو الله فيجد بذلك حلاوة الإيمان.

---

1 (?) انظر: مفتاح دار السعادة 1/140.
2 (?) إحياء علوم الدين 4/308.
3 (?) جامع العلوم والحكم 2/299.

قال شيخ الإسلام: (فإذا عرف الله أحبه، فعبده وتنعم بعبادته وحده لا شريك له وعرف ما في التأله له من اللذة العظيمة التي لا يعدلها لذة)[1].

وقال ابن القيم: (لا شيء أطيب للعبد ولا ألذ ولا أهنأ ولا أنعم لقلبه وعيشه من محبة فاطره وباريه ودوام ذكره والسعي في مرضاته، وهذا هو الكمال الذي لا كمال للعبد بدونه)[2].

2- أن يكون هذا العلم موافقا لعلم سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فعلمهم هو العلم الموروث عن الرسول ، وقد كان لهم السبق في ذوق حلاوة العلم ولذته في مجالس رسول الله ، فصلحت بذلك أحوالهم وسُعدوا في الدنيا والآخرة، فلا صلاح إذن ولا سعادة إلا بالأخذ بعلمهم، فهم المرجع الأساس في هذا الباب، فالقول ما قالوه والفهم ما فهموه، وما سوى ذلك فليس بعلم.

روي عن مجاهد - رحمه الله - أنه قال: (العلماء أصحاب محمد) [3].

وقال الإمام الأوزاعي -رحمه الله-: (العلم ما جاء عن أصحاب محمد ، وما لم يجئ عن واحد منهم فليس بعلم)[4].

والآثار في هذا كثيرة، وهي موجودة في معظم كتب السلف، والمقصود هنا بيان مصدر العلم الذي يحقق أعظم اللذات وأكملها، وهو العلم الموروث عن الرسول .

وقد عد ابن القيم هذا العلم من أسباب انشراح الصدر، فقال: (ومنها: العلم، فإنه يشرح الصدر، ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق

---

1 (?) رسالة في تحقيق الشكر ضمن جامع الرسائل ص 110.

2 (?) مفتاح دار السعادة 1/141.

3 (?) جامع بيان العلم وفضله ص 29.

4 (?) جامع بيان العلم وفضله ص 29.

والحصر والحبس فكلما اتسع علم العبـد، انشـرح صـدره واتسـع، وليس هـذا لكـل علم، بـل العلم المـوروث عن الرسول وهو العلم النافع، فأهلـه أشـرح النـاس صـدرا، وأوسعهم قلوبا، وأحسنهم أخلاقا وأطيبهم عيشا)[1].

3- أن يعمل بمـا تعلمـه من العلم، فـإن العمـل غاية العلم وهدفه الأسمى، فالعلم الـذي لا يتبعـه عمـل لا ينفع صاحبه، ولا يذوق حلاوتـه، فلا بـد في هـذا البـاب من الجمع بين العلم النافع والعمل الصالح.

وقد ذكر أكثر المفسرين في قوله تعالى: ﴿ ﴾[2]. بأن هذه الفضيلة إنما هي لمن جمع بين العلم والعمل.

قال الطـبري -رحمـه اللـه-: (ويرفع الله الـذين أوتـوا العلم من أهل الإيمــان على المؤمــنين الــذين لم يؤتــوا العلم بفضل علمهم درجات، إذا عملوا بما أمروا به)[3].

وقال البيضـاوي -رحمـه اللـه-: (ويرفـع العلمـاء منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل، فإن العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة، ولـذلك يقتدى بالعالم في أفعاله، ولا يقتدى بغيره)[4].

وقال السعدي - رحمه اللـه-: (في هـذه الآيـة فضـيلة العلم، وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمـل بمقتضـاه)[5].

وروي عن عبـد اللـه بن مسـعود أنـه قـال: (تعلَّمـوا، تعْلموا، فإذا علمتم فاعملوا)[6].

---

[1] (?) زاد المعاد 2/23.
[2] (?) سورة المجادلة الآية: 11.
[3] (?) تفسير الطبري 23/246.
[4] (?) تفسير البيضاوي 5/312.
[5] (?) تفسير السعدي ص 846.
[6] (?) اقتضاء العلم العمل ص 23، حلية الأولياء 1/131، وجامع بيان العلم وفضله 2/9.

وقال سفيان الثوري -رحمه الله-: (العلماء إذا علموا عملوا، فإذا عملوا شُغِلوا، فإذا شغلوا فُقِدوا، فإذا فُقِدوا طُلِبوا، فإذا طُلِبوا هَرَبوا)[1].

وعن أبي بن كعب قال: (تعلَّموا العلمَ واعملوا به، ولا تتعلموه لتتجملوا، فإنه يوشك إن طال بكم زمان أن يتجمل بالعلم كما يتجمل الرجل بثوبه)[2].

وعن سهل بن عبد الله[3] قال: (العلم أحد لذات الدنيا، فإذا عمل به صار للآخرة)[4].

فينتج من جملة ما تقدم أن كمال اللذة في العلم ما أدّى إلى معرفة الله ومحبته ثم العمل على موافقته في أمره ونهيه، فذلكم العيش الهنيء.

يقول ابن القيم: (وأي لذة ونعيم الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدور ومعرفة الرب تعالى، ومحبته والعمل على موافقته؟ وهل العيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم؟)[5].

وأنشد عبد الملك بن إدريس[6] فقال:

---

1 (?) حلية الأولياء 5/ 235، وجامع بيان العلم وفضله 2/8.

2 (?) جامع بيان العلم وفضله 2/6.

3 (?) سَهْل بنُ عبد الله بنِ يونُسَ بنِ عيسى بنِ عبد الله بن رَفِيع؛ أبو محمد التستري الصوفي الزاهد. توفي سنة 273هـ، وقيل: 283هـ (انظر: سير أعلام النبلاء 13/330، وطبقات الصوفية ص 48).

4 (?) اقتضاء العلم العمل ص 29.

5 (?) الداء والدواء ص 239.

6 (?) عبد الملك بن إدريس الجزري الكاتب أبو مروان، وزير من وزراء الدولة العامرية، عالم أديب شاعر كثير الشعر، مات قبل الأربعمائة بمدة (انظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ص 280).

والعلم ليس بنافع أربابه ما لم يفد عملاً وحسن تبصر
سيان عندي من لم يعمل به عملاً به وصلاة من لم
فاعمل بعلمك توف نفسك وزنهــا لا ترض بالتضييع وزن المخسر[7].

[7] (?) جامع بيان العلم وفضله 2/9.

5- حـلاوة الـتوبــة و الاسـتغفــار

إن عبوديــة التوبــة والاســتغفار هي أجــل العبوديــات، وأرفع المقامات وبداية سالكي طريق الفوز والسـعادات، أوجبها الله على عباده وجعلها سبيلا لنيل محبته ورضـاه الذين بهما تحصل أكمل اللذات، وأطيب الحياة، وهي أهم قواعد الإسـلام، وحقيقـة الـدين الـذي ألزمـه على العبـد، ليدوم عليه إلى يوم الميقات، وذلك لأن (العبـد دائمـا بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنب منه يحتـاج فيـه إلى الاستغفار، وكل من هـذين من الأمـور اللازمـة للعبـد دائما، فإنـه لا يـزال يتقلب في نعم اللـه وآلائـه، ولا يـزال محتاجا إلى التوبة والاستغفار)[1].

أما التوبة: فهي الرجوع إلى الله، وإلى فعـل مـا أمـر به وترك مـا نهى عنه[2]، فحقيقـة التوبـة هي الرجـوع إلى الله بالتزام فعل ما يحب وترك ما يكـره، فهي رجـوع من مكروه إلى محبوب[3].

وقد نبه شيخ الإسلام إلى أن التوبة لا تكون فقط من فعل السيئات كما يظن ذلك بعض الناس، بل التوبة تكون كذلك من تـرك الحسـنات المـأمور بها[4]، وكلا الأمـرين لا

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/88.
2 (?) رسالة في تحقيق التوبة ضمن جامع الرسـائل لابن تيمية 1/228.
3 (?) مدارج السالكين 1/332.
4 (?) انظـر: الرسـالة في تحقيق التوبة ضـمن جـامع الرسـائل 1/228.

يمكن أن يسلم منها البشر، مما يؤكد حاجته إلى التوبة والاستغفار على مدار الحياة.

وأما الاستغفار: فهو استفعال من استغفر الله من ذنبه، فغفر له مغفرة وغُفْراً وغُفْراناً، وأصل الغفر: الستر والتغطية[1]. والاستغفار طلب المغفرة، والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها[2].

وطبيعة العلاقة بين التوبة والاستغفار مثل العلاقة التي بين الإسلام والإيمان، إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فالتوبة تتضمن الاستغفار، والاستغفار يتضمن التوبة، وكل واحد منهما يدخل في مسمى الآخر عند الإطلاق.

أما عند اقترانهما، فالاستغفار: طلب وقاية شر ما مضى، والتوبة: الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله[3].

أو يكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلوب والجوارح [4].

وأياً كان الأمرين فإن التوبة والاستغفار من أهم موجبات حلاوة الإيمان وأعظم أسبابها كما دلت عليه الكتاب والسنة وأقوال السلف رحمهم الله.

---

1 (?) انظر: تهذيب اللغة للأزهري 8/106 والصحاح للجوهري 2/771.

2 (?) جامع العلوم والحكم 2/407.

3 (?) انظر: مدارج السالكين 1/333-335، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز 2/452.

4 (?) جامع العلوم والحكم 2/407.

فمن أدلة الكتاب ما يلي:

1- قوله تعالى: ﭽ ﯼ ی ی ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﭼ[1].

أمر الله سبحانه المؤمنين في هذه الآية بالتوبـة إليـه، ورتب على ذلك الفلاح في الدنيا والآخرة.

قـال الشـيخ الشـنقيطي -رحمـه اللـه-: (والفلاح في اللغة العربية يطلق على معنيين: الأول: الفوز بـالمطلوب الأعظم، والثاني: هو البقاء الـدائم في النعيم والسـرور... ومن تاب إلى الله كما أمره الله نال الفلاح بمعنييه، فإنــه يفـوز بـالمطلوب الأعظم وهـو الجنـة ورضـا اللـه تعـالى، وكذلك ينال البقاء الأبدي في النعيم والسرور)[2].

2- قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﭼ[3].

فقد أمر الله سبحانه عباده بـدوام الاسـتغفار والتوبـة، وبين أن ذلك ســبب للمتــاع الحســن، الــذي هو العيش الطيب، والحياة الطيبة.

قـال الثعـالبي -رحمه اللـه-: (ووصف المتـاع بالحسن لطيب عيش المــؤمن برجائه في ثـــواب ربــــه، وفرحه بالتقرب إليه بأداء مفترضاته، والسرور بمواعيده سـبحانه)[4]. والحياة الطيبة لا تكون إلا بحياة القلب ونعيمه وبهجته وسـروره بالإيمـان، وذكـر اللـه تعـالى بـدوام الاسـتغفار

---

1 (?) سورة النور الآية: 31.

2 (?) أضواء البيان 6/139-140.

3 (?) سورة هود الآية: 3.

4 (?) تفسير الثعالبي 2/197.

والتوبة، وطاعته والإقبال عليه ضامن لأطيب الحياة في الدنيا والآخرة [1].

3- وقوله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ[2].

4- وقال تعالى: ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ [3].

ففي هاتين الآيتين دليل على محبة الله للتائبين، وأن الله تعالى لا يقبل توبة التائبين ويعفو عنهم فقط بل يزيدهم عليه بوده ومحبته لهم[4].

قال ابن القيم -في قوله تعالى-: ﭽ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ: (فيه سِرٌّ لطيف وهو أنه يحب التوابين، وأنه يحب عبده بعد المغفرة، فيغفر له ويحبه، فالتائب حبيب الله، فالودّ أصفى الحب وألطفه) [5].

قلت: فالتائب إنما نال هذه المرتبة لإقباله على الله وإيثاره محبة الله على محبة نفسه وهواها، فهو في هذه الحالة لم ير شيئا أحبَّ إليه من الله ، مما أدى به إلى الإقلاع عن الذنوب والإقبال على الله ، فقابله الله بجزاء المثل، وهو محبته التي ينال بها حلاوة الإيمان. قال شيخ الإسلام: (وكذلك التائب من الذنوب من أقوى

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين 3/270-271.
2 (?) سورة البقرة الآية: 222.
3 (?) سورة هود الآية: 90.
4 (?) انظر: تفسير السعدي ص 388.
5 (?) روضة المحبين ص 63.

علامات صدقه في التوبة هذه الخصال: محبة الله ورسوله ومحبة المؤمنين فيه)[1].

ومن أدلـــة الســـنة على حلاوة التوبـــة والاستغفار ما يلي:

1- ما جاء في الصحيحين عن عبـد اللـه بن مسـعود عن النبي قـال: «للـه أفـرح بتوبـة العبد من رجـل نـزل منـزلا وبـه مهلكـة ومعـه راحلتـه عليهـا طعامـه وشـرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحرّ والعطش أو ما شاء الله، قال: أرجـع إلى مكـاني، فرجـع فنـام نومـة ثم رفـع رأسه فـإذا راحلتـه عنده»[2].

قال الشـيخ محمـد العـثيمين -رحمـه اللـه-: (في هـذا الحديث دليل على فـرح اللـه بالتوبـة من عبـده إذا تـاب إليه، وأنه يحب ذلك سبحانه وتعـالى محبـة عظيمـة، ولكن لا لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنـا، فاللـه غـني عنـا، ولكن لمحبته سـبحانه للكـرم، فإنـه سـبحانه يحب أن يعفـو وأن يغفر، أحب إليـه من أن ينتقم ويؤاخـذ، ولهـذا يفـرح بتوبـة الإنســان. وفي هــذا الحــديث حث على التوبــة، لأن اللــه يحبها، وهي من مصلحة العبـد، وفيـه إثبـات الفـرح للـه ، فهو سـبحانه وتعـالى يفـرح ويغضـب، ويكـره ويحب، لكن هذه الصفات ليست كصفاتنا، لأن الله تعالى يقول: ﭽ ﭢ ﭣ

[1] (?) الزهد والورع والعبادة ص 179.

[2] (?) رواه البخاري كتاب الدعوات بـاب التوبة حـديث: 6308، ومسـلم كتـاب التوبة بــاب في الحث على التوبة والفــرح بها حديث: 2744.

ﭡﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ[1] بل هو فرح يليق بعظمته وجلاله، ولا يشبه فرح المخلوقين)[2].

وأي مرتبة أكمل من المرتبة التي يفـرح فيها المـولى سبحانه هذا الفرح؟ ولا شك أن التائب إذا علم بفـرح الله سـبحانه وتعـالى بتوبته يستبشر بـذلك، فيحي قلبه وينعم بلذة وحلاوة لا يعرف كنهها إلا من ذاقها.

قـال ابن القيم: (ولم يجئ هـذا الفـرح في شـيء من الطاعـات سـوى التوبـة، ومعلـوم أن لهـذا الفـرح تـأثيرا عظيما في حال التائب وقلبه، ومزيده لا يعبر عنه)[3].

ولهـذا ذهب شـيخ الإسـلام إلى أن التوبة الـتي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه[4].

2- ما جـاء في صـحيح مسـلم عن الأغـر المـزني أن رسول الله قال: «إنه ليُغَانُ على قلـبي، وإني لأسـتغفر الله في اليوم مائة مرة»[5].

وردت في بيـــان المـــراد بقوله : «إنه ليُغَـــانُ على قلبي» عدة أقوال عن السلف وخلاصتها ثلاثة أقوال:

الأول: قـال ابن الأثـير: (الغَيْن: الغَيْم وغِينت السـماءُ تُغان: إذا أطبـق عليهـا الغيم، أراد مـا يغشـاه من السـهو الذي لا يخلو منه البشر، لأن قلبه أبدا كان مشـغولا باللــه تعالى، فإن عرَض له وقتاً مّـا عـارِضٌ بشـري يشـغله من

---

1 (?) سورة الشورى الآية: 11.

2 (?) شرح رياض الصالحين للعثيمين 1/102.

3 (?) مدارج السالكين 1/324.

4 (?) انظر: مجموع الفتاوى 10/293-294.

5 (?) رواه مسـلم كتـاب الـذكر والـدعاء ... بـاب اسـتحباب الاستغفار والاستكثار منه حديث: 2702.

أمـور الأمـة والملـة ومصـالحهما عـدّ ذلـك ذنبـا وتقصـيرا فيفزع إلى الاستغفار)[1].

والثـاني: أن هـذا الغين هو السـكينة الـتي تغشى قلبه لقوله تعـالى: ﭽ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[2]، ويكـون اسـتغفاره إظهـارا للعبودية والافتقار، وملازمة الخشوع وشكرا لما أولاه[3].

والثالث: قال شيخ الإسلام: (والغين حجاب رقيق أرق من الغيم، فـأخبر أنه يسـتغفر الله اسـتغفارا يزيل الغين عن القلب، فلا يصير نكتة سوداء، كما أن النكتة السـوداء إذا أزيلت لا تصير رينا)[4].

"فالغين" و"الغيم" و"الرين" هـذه ثلاث كلمـات: وقد فسرها ابن القيم كما يلي:

الغين ألطف شـيء وأرقـه، والغيم أغلظ منه والـرّين والــرّان أغلظ الحجب على القلب وأكثفهــا. ثم بين بــأن الأول يقع للأنبياء عليهم السلام، والثاني يكون للمؤمــنين، والثــالث: لمن غلبت عليه الشــقوة، أي: بالــذنب الــذي يغطي القلب حتى يصير كالرّان عليه[5].

والظـاهر أن الغين حجـاب رقيق كـان يحصل للنـبي ﷺ في قلبه يحجب اللذة الـتي كـان يجـدها في الـذكر، حـال الانشــغال عنــه، فيحس ﷺ بهــذا الغين ويفقد تلك اللــذة والراحة النفسية في هذه اللحظة، فيفزع إلى الذكر لإزالة

[1] (?) النهاية في غـريب الحـديث لابن الأثـير 3/759، وانظر كذلك: شرح صحيح مسلم للنووي 17/23، وفتح البـاري لابن حجر 11/104.

[2] (?) سورة التوبة الآية: 40.

[3] (?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 17/23، وفتح البـاري لابن حجر 11/104.

[4] (?) مجموع الفتاوى 15/283.

[5] (?) انظر: شفاء العليل ص 164، ومدارج السالكين 3/233.

الغين ليعود الحال كما كان. فهو إذن حال كمال لا نقص، وهو حال من يتعاهد إيمانه ليعرف مدى النقص والزيادة فيه، وهو حال كل من ذاق حلاوة الإيمان في قلبه، متى فقد موجب تلك الحلاوة وجد في قلبه ما يقابلها من ألم.

يقول شيخ الإسلام في بيان حال هؤلاء: (وهؤلاء الذين يطلبون لذة النظر إلى وجهه الكريم، ويتلذذون بذكره ومناجاته، ويكون ذلك لهم أعظم من الماء للسمك، حتى لو انقطعوا عن ذلك لوجدوا من الألم ما لا يطيقون)[1].

تلك بعض الأدلة التي تبين أثر التوبة والاستغفار في قلب المؤمن الذي وفق بالخروج من ظلمات الذنوب والمعاصي إلى نور الهداية والإيمان، فيزكو قلبه ويتجلى مما عورض له من رين الذنوب، وبذلك يزول الحجاب الذي كان يمنعه من ذوق حلاوة الإيمان.

وفيما يلي بيان أقوال بعض أهل العلم في ذلك:

1- قال شيخ الإسلام: (والمؤمن لا يزال يخرج من الظلمات إلى النور ويزداد هدى، فيتجدد له من العلم والإيمان ما لم يكن قبل ذلك، فيتوب مما تركه وفعله، والتوبة تصقل القلب وتجليه مما عورض له من رين الذنوب)[2].

2- وقال أيضا: (وإذا اجتهد واستعان بالله تعالى ولازم الاستغفار والاجتهاد، فلا بد أن يؤتيه الله من فضله ما لم يخطر ببال، وإذا رأى أنه لا ينشرح صدره ولا يحصل له حلاوة الإيمان ونور الهداية، فليكثر التوبة والاستغفار، وليلازم الاجتهاد بحسب الإمكان)[3].

3- وقال ابن القيم في ثنايا حديثه عن آثار ترك المعاصي: (لو لم يكن في ترك الذنوب والمعاصي إلا

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/85.

2 (?) رسالة في تحقيق التوبة ضمن جامع الرسائل 1/237.

3 (?) الفتاوى الكبرى 5/57.

إقامة المروءة وصون العرض، وحفظ الجاه وصيانة المال الــذي جعله الله قواما لمصــالح الــدنيا والآخــرة، ومحبة الخلق، وجوار القول بينهم، وصلاح المعـاش وراحة البـدن وقوة القلب وطيب النفس ونعيم القلب وانشـراح الصـدر ... وذوق حلاوة الطاعة ووجد حلاوة الإيمـان ودعـاء حملة العــرش ومن حوله من الملائكة له، وفــرح الكــاتبين به ودعـائهم له كل وقت، والزيـادة في عقله وفهمه، وإيمانه ومعرفته، وحصــــــول محبة الله له، وإقباله عليه وفرحه بتوبته، وهكذا يجازيه بفرح وسـرور لا نسـبة له إلى فرحه وسروره بالمعصية بوجه من الوجوه)[1].

4- وقال أيضا - في بيان أثر التوبـة في إيصـال العبـد إلى درجة طمأنينة الإحسان-:

(وعلامة هذه الطمأنينة أن يطمئن من قلق المعصــية وانزعاجها إلى سكون التوبـة وحلاوتهـا وفرحتهـا، ويسـهل عليه ذلك بأن يعلم أن اللذة والحلاوة والفرحة في الظفر بالتوبة، وهـذا أمـر لا يعرفـه إلا من ذاق الأمـرين، وباشـر قلبه آثارهما، فللتوبة طمأنينة تقابل مـا في المعصـية من الانزعاج والقلق)[2]._

هــذه بعض صــفات التــائبين وآثــار التوبــة فيهم، وإن أضيف إليها ما يصحب التوبة من معاني العبودية من الـذل والانكسار، والخضوع والتملق لله، والتـذلل لـه والـتي هي

---

1 (?) الفوائد ص 203.
2 (?) الروح ص 222.

روح العبودية ومخها، عرف أن التائب في حالة من القرب ما جعله أحبّ العباد إلى الله [1].

ولكن التوبة والاستغفار الـتي ينـال بهـا هـذا المقـام، هي مـا تـوفرت فيهـا شـروط القبـول وانتفت عنها الموانع.

وقـد ذكـر العلمـاء من شـروط التوبـة والاسـتغفار: الإخلاص، والإقلاع عن الذنب والندم على ما فات، والعـزم الجــازم على عـــدم العـــودة، ورد المظـــالم إلى أهلها[2]. وذكروا من موانع الاستغفار والتوبة: الإصرار على الذنب، فالإصـرار يضـاد التوبة وينقضـها، فالتـائب إذا أصر على الذنب الذي تاب منه لا يكون تائبا[3].

روي عن أحمد بن أبي الحـواري أنـه قـال: (ولا يكـون العبـد تائبـا حـتى ينـدم بـالقلب ويسـتغفر باللسـان ويـرد المظـالم فيمـا بينـه وبين النـاس، ويجتهـد في العبـادة ثم يتشعب له من التوبة والاجتهاد الزهـد، ثم يتشـعب لـه من الزهـد الصـدق، ثم يتشـعب لـه من الصـدق التوكـل، ثم يتشـعب لـه من التوكـل الاسـتقامة، ثم يتشـعب لـه من الاستقامة المعرفة، ثم يتشعب له من المعرفة الــذكر، ثم يتشعب له من الذكر الحلاوة والتلذذ، ثم بعد التلذذ الأنس،

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين 1/324.

2 (?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 17/25، فتح الباري لابن حجر 11/107، معارج القبول 3/1044.

3 (?) انظر: الاستغفار والتوبة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 51، وفتح الباري لابن حجر 1/107.

ثم بعد الأنس بالله الحياء، ثم بعد الحيـاء الخـوف، وعلامـة الخوف الاسـتعداد والتحويـل من هـذه الأحـوال، لا يفـارق خوف تحويل هذه الأحوال من قلبه دون لقائه)[1].

فظهـر من كـل مـا تقـدم بـأن التوبـة والاسـتغفار من أعظم موجبات حلاوة الإيمان ولذته في القلوب.

---

1 (?) حلية الأولياء 10/8.

المطلب الخامس

حلاوة عـبادات الـجوارح

1- حلاوة الصلاة

2- حلاوة الزكاة

3- حلاوة الصوم

4- حلاوة الحج

5- حلاوة الجهاد

6- حلاوة غض البصر عن المحارم

1- حلاوة الصلاة

الصلاة أفضل عبادات الجوارح وأعظمها على الإطلاق، فهي عماد الدين ورأس القربات وغرة الطاعات، وأصل العبادات العملية وأشرفها، شرعها الله على عباده وجعلها مصدر سعادتهم في الدارين، ففيها تَقِرُّ عيونهم، وبها راحة نفوسهم وفرح قلوبهم ولذة أرواحهم، اشتملت على أعمال العبودية من عبادة القلب واللسان والجوارح ما لم يشتمل عليه غيرها، كما اشتملت على فوائد وآثار وثمرات يعجز الواحد بيانها، وهي بالنسبة للإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فلا حظ في الإيمان لمن ترك الصلاة.

والنصوص في بيان علاقة الصلاة بالإيمان كثيرة جدا .

منها قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ[1].

~~في هذه الآية الكريمة مدح الله سبحانه وتعالى المؤمنين بربهم المطيعين أمره، المؤدين شكره، المحسنين إلى خلقه في إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، مخبرا عما أعد لهم من الكرامة يوم القيامة~~[2].

وقال تعالى: ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﭼ[3]. دلت هذه الآية الكريمة على أن ولاية الله إنما تدرك بالإيمان والتقوى، وأنها مرتبة المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهرا وباطنا، وأخلصوا للمعبود، بإقامتهم الصلاة

---

1 (?) سورة البقرة الآية 277.

2 (?) انظر تفسير ابن كثير 1/431.

3 (?) سورة المائدة الآية 55.

بشروطها وفروضها ومكملاتهـا، وأحسـنوا للخلـق، وبـذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم[1].

وفي حديث جابر بن عبد اللـه الأنصـاري أن النـبي قـــال: «إن بين الرجل وبين الشـــرك والكفر تـــرك الصلاة»[2].

فهذه النصوص ضمن نصـوص كثـيرة تـدل على عظم شأن الصلاة ورفعة مكانتها ومنزلتها في الدين.

وأمـــا شـــأنها في ذوق حلاوة الإيمـــان، فليس في الأعمال البدنية ما يحقق للعبد المؤمن لذة العبادة مثلهـا، فبها ترفع الدرجات، وفيها القرب من رب الأربـاب، فيفتح له من نفحات الإيمان وحلاوة مناجاة الرحمن مـا يَقِـرُّ بـه عينه ويلتذ به قلبه، وينشرح به صدره.

ويدل على ذلك ما يلي:

1- مـا روي عن أنس أنـه قـال: قـال رسـول الله : «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ **وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَة**»[3]. دل هذا الحديث على حلاوة الصلاة من وجهين:

---

1 (?) انظر: تفسير السعدي ص 236.

2 (?) رواه مسـلم كتـاب الإيمـان بـاب بيـان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة حديث 82.

3 (?) رواه النسائي كتاب عشرة النساء باب حب النساء حديث 3939، والإمام أحمد في المسند 3/128، 199، 285. وقال محققو الموسوعة (19/305): "إسناده حسن"، وقال الشـيخ الألباني في صحيح سنن النسائي (3/827): "حسن صحيح".

الأول: إخبار النـبي بـأن الصـلاة قـرة عينـه، وقُـرّة العين بالضـم وقَـرّة وقـرروة العين أي: برودتهـا وسرورها[1].

قـال ابن حجـر: (قـرة العين يعـبر بها عن المسـرة ورؤية ما يحبه الإنسان ويوافقه، يقال ذلك لأن عينه قرّت أي: سـكنت حركتها من التَلَفُّت لحصـول غرضـها، فلا تستشرف لشـيء آخر فكأنه مـأخوذ من القـرار ... وقيل بل هو مـأخوذ من القَـرّ وهو الـبرد، أي: أن عينه بـاردة لسروره)[2].

وقال ابن القيم: (قرة عين العبد نعيمـه وطيب حياتـه به)[3].

فاتضـح بـذلك أن معـنى «جعلت قـرة عيـني في الصـلاة» أي جعلت سـرور نفسـي وراحـة حيـاتي ولـذة روحي في الصلاة.

وذلك في إقبالـه على ربـه سـبحانه وفرحـه وتلـذذه بقربه وتنعمه بحبه وابتهاجه بالقيـام بين يديـه، وانصـرافه حـال القيـام بالعبوديـة عن الالتفـات إلى غـير معبـوده، وتكميـل حقـوق عبوديتـه حـتى تقـع على الوجـه الـذي يرضاه[4].

---

1 (?) انظر: المصباح المنير ص 404.

2 (?) فتح الباري لابن حجر 6/692-693.

3 (?) طريق الهجرتين ص 264.

4 (?) انظر: الكلام على مسألة السماع لابن القيم ص 185.

قال ابن القيم - رحمه الله-: (ولما اطمأن قلبه بذكره وكلامه ومحبته وعبوديته، سكن إليه وقرت عينه به، فنال الأمان بإيمانه)[5].

وخُصّت الصلاة بالذكر دون سائر العبادات، لأن الصلاة ثمرتها الإقبال على الله، وإقبال الله سبحانه على العبد، ولذلك لم يقل النبي : «جعلت قرة عيني في الصوم ولا في الحج والعمرة، وإنما قال: «وجعلت قرة عيني في الصلاة». ثم إنه قال: «في الصلاة» ولم يقل: «بالصلاة» إعلاما بأن عينه إنما تُقَرُّ بدخوله فيها، كما تقر عين المحب بملابسته لمحبوبه، وتقر عين الخائف بدخوله في محل أمنه، فقرة العين بالدخول في الشيء أكمل من قرة العين به قبل الدخول[2].

والثاني: جعله الصلاة فوق ما يحبه من أمور الدنيا، لتوقف راحة نفسه وطمأنينة قلبه عليها دون غيرها، حيث جعل النساء والطيب مما يحبه وجعل الصلاة قرة عينه.

قال ابن القيم - رحمه الله- : (فقرة العين فوق المحبة، فجعل النساء والطيب مما يحبه وأخبر أن قرة العين التي يطمئن القلب بالوصول إليها، ومحض لذته وفرحه وسروره وبهجته إنما هو في الصلاة التي هي صلة بالله وحضورٌ بين يديه، ومناجاة له واقتراب منه، فكيف لا تكون قرة العين، وكيف تقر عين المحب بسواها)[3].

وفي هذا إشارة إلى أنه لا يجد قريرة العين فيما سواه، وأن محبته الحقيقية ليست إلا لخالقه تبارك وتعالى.

---

5 (?) الكلام على مسألة السماع ص 214.

2 (?) انظر: الكلام على مسألة السماع ص 216.

3 (?) طريق الهجرتين ص 37.

وقرة العين التي تحققها الصلاة لا تقتصر على النبي فحسب، بل هي لعامة المؤمنين المصلين، ولكل من أدى الصلاة على الطريقة التي أداها النبي .

يقول ابن القيم: (فالصلاة قرة عيون المحبين وسرور أرواحهم ولــذة قلــوبهم وبهجة نفوســهم، يحملــون هم الفراغ منها إذا دخلوا فيها كما يحمل الفارغ البطـال همها حتى يقتضيها بسرعة)[1].

وقال في موضع آخر: (لا ريب أن الصـلاة قـرة عيـون المحبين ولذة أرواح الموحدين، ومحك أحـوال الصـادقين، ومــيزان أحــوال الســالكين، وهي رحمتــه المهــداة إلى عبيده، هداهم إليها وعرفهم بهـا رحمـة بهم وإكرامـا لهم، لينـالوا بهـا شـرف كرامتـه، والفـوز بقربـه، لا حاجـة منـه إليهم، بــل منــه منــاً وفضــلاً مَنَّهُ عليهم، وتَعَبَّد بهــا القلب والجوارح جميعـا، وجعـل حـظ القلب منـه أكمـل الحظين وأعظمهما)[2].

وقـال ابن رجب: (فهي للمؤمـنين في الـدنيا نـور في قلوبهم وبصائرهم، تشرق بها قلوبهم، وتستنير بصـائرهم، ولهذا كانت قرة عين المتقين)[3].

ثم هاهنا فائدة جليلة أشار إليها ابن القيم فقـال: (فمن كانت قرة عينه في الصلاة فلا شيء أحب إليه منهـا، ويــودّ أن لو قطع عمـره بهـا غـير مشـتغل بغيرهـا، وإنمـا يسـلي نفسه إذا فارقها بأنه سيعود إليها عن قـرب ...) [4]. وهـذه حالة كل من ذاق حلاوة الإيمان ولذته.

---

1 (?) طريق الهجرتين ص 253.

2 (?) الكلام على مسألة السماع ص 185.

3 (?) جامع العلوم والحكم 2/21.

4 (?) طريق الهجرتين ص 253.

2- ما رواه أبو داود في سننه عن سالم بن أبي الجعد قـال: قـال رجل: قـال مِسْعَرٌ: أُرَاه من خُزاعَـة: ليتـني صلّيت فاستـرحت، فكأنهم عابوا عليه ذلك، فقال: سمعت رسـول الله يقـول: «**يا بلالُ، أقم الصـّلاةَ أَرِحْنَـا بها**»[1].

وفي روايـة عن عبد الله بن محمد ابن الحنفية قـال: انطلقت أنا وأبي إلى صِهْرٍ لنا من الأنصار نعوده، فحضرت الصـلاة، فقـال لبعض أهله: يا جارية ائتـوني بوضـوء لعلي أصـلي فأسـتريح، قـال: فأنكرنا ذلك عليه فقـال: سـمعت رسول الله يقول: «**قم يا بلال فأرحنا بالصلاة** »[2].

دلت هـذه الأحـاديث على أن الصـلاة راحـة المـؤمن وسكون نفسه، وأن النبي وصحابته رضـوان اللـه عليهم كانوا يجدون في الصلاة راحة، ويعدون غيرها من الأعمال الدنيوية تعبا حتى إذا دخلوا في الصلاة يستريحون بها، لما فيهـا من مناجـاة اللـه تعـالى، وقولـه: "أَرِحْنـا" من أَرَاحَ الرَّجُل واستراح إذا رجعت نفسه إليه بعد الإِعْيَاءِ[3].

فقوله للبلال: «أرحنا بالصـلاة» أي: أقمهـا لنسـتريح بها من مقاساة الشواغل كمـا يسـتريح التعبـان إذا وصـل إلى منـزله وقرّ فيه وسكن[4].

---

1 (?) رواه أبو داود كتـاب الأدب بـاب في صـلاة العتمة حـديث: 4985، وصححه الشيخ الألباني في صـحيح وضـعيف الجـامع الصغير ص 1386.

2 (?) رواه أبو داود كتـاب الأدب بـاب في صـلاة العتمة حـديث: 4986، والإمـام أحمد في المسـند 5/364، وقـال محققو الموسوعة (38/178، 225): "رجاله ثقات".

3 (?) انظر: النهاية في غريب الحديث 2/658.

4 (?) الكلام على مسألة السماع ص 216.

قال ابن القيم: (وتأمل كيف قال: «أرحنا بها» ولم يقل: "أرحنا منها" ... فالفرق بين من كانت الصلاة لجوارحه قيدا، أو لقلبه سجنا، ولنفسه عائقا، وبين من كانت الصلاة لقلبه نعيما، ولعينه قرة، ولجوارحه راحة، ولنفسه بستانا ولذة ... فصلاة هؤلاء توجب لهم القرب والمنزلة من الله، ويشاركون الأولين في ثوابهم، ويختصون بأعلاه وبالمنزلة والقربة، وهي قدر زائد على مجرد الثواب)[1].

وقد بين ابن القيم حالة النبي عند دخوله في الصلاة وكيف تحصل له الراحة فيها فقال: (فإذا قام إلى الصلاة هرب من سوى الله إليه وآوى عنده واطمأن بذكره، وقرت عينه بالمثول بين يديه ومناجاته، فلا شيء أهم إليه من الصلاة، كأنه في سجن وضيق وغم حتى تحضر الصلاة فيجد قلبه قد انفسح وانشرح واستراح)[2].

3- تصريحات بعض السلف ممن ذاق لذة الصلاة وتحدثوا عن أحوالهم وشعورهم فيها رغبة ودعوة لغيرهم إليها.

أ- روى أبو نعيم وغيره عن عبد الحميد بن عبد الله بن مسلم بن يسار عن أبيه، قال: (كان مسلم بن يسار[3] إذا دخل المنزل سكت أهل البيت فلا يسمع لهم كلام،

---

1 (?) الكلام على مسألة السماع ص 216-217.

2 (?) طريق الهجرتين ص 253.

3 (?) مسلم بن يسار البصري الأموي المكي أبو عبد الله الفقيه مولى بني أمية وقيل مولى طلحة، ويقال له "مسلم سكرة" و"مسلم المصبح"، كان ثقة فاضلا عابدا ورعا، مات سنة مئة (سير أعلام النبلاء 4/510-514، وتهذيب التهذيب 10/127).

وإذا قام يصلي تكلموا وضحكوا، قال: ولقد انهدمت ناحية من المسجد ففزع أهل السـوق لهـدمها وإنه لفي الصـلاة فما التفت). ولما سـئل عن قلة التفاته في الصـلاة قـال: (وما يدريكم أين قلبي)[1].

ب- وعن عدي بن أبي حـاتم[2] قـال: (مـا دخـل وقت صلاة حتى أشتاق إليها)[3].

ت- وقـــال بعض الســـلف: (إني أدخـــل في الصـــلاة فأحمل هَمّ خروجي منهـا ويضـيق صـدري إذا فـرغت أني خارج منها)[4].

ث- وروي عن عتبة الغلام[5] أنه قال: (كابدت الصــلاة عشرين سنة ثم تلذذت بها باقي عمري)[6].

---

1 (?) حلية الأوليـاء 2/291، وتـاريخ دمشق 58/134، وسـير أعلام النبلاء 4/512.

2 (?) هو عدي بن أبي حاتم بن عبد الله بن سـعد بن الحشـرج بن امـــرئ القيس بن عـــدي، أبو وهب وأبو طريف الطـــائي، صـــاحب النـــبي ، وفد عليه في وسط ســـنة ســـبع، فأكرمه واحترمه، ومات سـنة 67هـ، وقيـل: 68هـ وله مائة وعشـرون سنة. (انظر: الجرح والتعديل 7/2، وسير أعلام النبلاء 3/162).

3 (?) سير أعلام النبلاء 3/164.

4 (?) طريق الهجرتين ص 264.

5 (?) هو عتبة بن أبان البصري، من زهاد أهل البصـرة وعبـادهم سمي غلاما لجده واجتهاده لا لصغره توفي في حدود الســبعين ومائــة. (انظــر: ســير أعلام النبلاء 7/62ن ومشــاهير علمــاء الأمصار ص 152).

6 (?) شرح صحيح البخاري لابن بطال 1/66، وروي نحوه عن ثـابت البنـاني في حلية الأوليـاء 2/221، وسـير أعلام النبلاء

ث- وقال بعضهم: (لذة المناجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنــة، أظهرهــا اللــه تعــالى لأوليائــه لا يجــدها سواهم)[1].

ج- وقال الحسن البصري: (تفقــدوا الحلاوة في ثلاث: الصــلاة والقــرآن والــدعاء، فــإن وجــدتموها فــاحفظوا واحمــدوا اللــه على ذلــك، وإن لم تجــدوها فــاعلموا أن أبواب الخير عليكم مغلقة)[2].

ح- وقال ابن القيم: (وأما الصلاة، فشــأنها في تفــريح القلب وتقويته وشــرحه وابتهاجه ولذته أكــبر شــأن، وفيها من اتصــال القلب والــروح بالله، وقربه والتنعم بــذكره، والابتهــاج بمناجاته، والوقــوف بين يديه، واســتعمال جميع البــدن وقــواه وآلاته في عبوديته، وإعطــاء كل عضو حظه منها، واشــــــتغاله عن التعلق بــــــالخلق وملابســــــتهم ومحــــاوراتهم، وانجــــذاب قــــوى قلبه وجوارحه إلى ربه وفاطره، وراحته من عدوه حالة الصلاة ما صــارت به من أكبر الأدوية والمفرحات والأغذية التي لا تُلائم إلا القلــوب الصحيحة)[3].

هــذه بعض أقــوال الســلف في إثبــات حلاوة الصــلاة وتلك شعورهم وأحــوالهم فيهــا، وحيــاتهم مليئــة بالنمــاذج الحية التي، تبين منــزلة هؤلاء القوم وحالتهم مع ربهم.

.5/224

1 (?) إحياء علوم الدين 1/358.

2 (?) تقدم في ص 160.

3 (?) زاد المعاد 4/192.

وإذا أردنا أن نقف على حقيقة لذة الصلاة وعملية تحققها للعبد المؤمن، فلنتأمل حال المصلي من حين يستعد للصلاة بالوضوء ليطهر بدنه بالماء من الأوساخ الحسية، وقلبه بالتوبة من أوساخه وأدرانه، فينال محبة الله التي هي أساس طريق حلاوة الإيمان، لأن الله تعالى يقول: ﭽ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ﭼ[1].

ثم إنه يدخل في الصلاة بنور المحبة وتوبة الله عليه رافعا يديه إلى حذو منكبيه، مكبرا باسمه الأعظم "الله أكبر" مُعلنا بذلك أن لا شيء أكبر في قلبه ولا أعظم من الله .

ثم يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ليأوى بذلك إلى ركنه الشديد ويعتصم بحوله وقوته من عدوه الذي يريد أن يقطعه عن ربه، ويباعده عن قربه، فيسلم بذلك من وساوسه وتشويشه ويفتح الطريق أمام ربه ليخاطبه بلا واسطة [2].

ثم يشرع في مناجاة الله بقراءته القرآن، حيث ثبت عن النبي «أن المصلي يناجي ربه» [3]. أي: يخاطبه ويُسارِرُه، ومناجاته لربه من جهة إتيانه بالذكر والقراءة[4].

---

1 (?) سورة البقرة الآية: ٢٢٢.

2 (?) انظر: الكلام على مسألة السماع ص 192-193.

3 (?) رواه البخاري كتاب الصلاة باب حك البزاق باليد من المسجد حديث 405، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن البصاق في المسجد حديث 551. ولفظ الحديث: «إن إذا أحدكم إذا قام في صلاته، فإنه يناجي ربه».

4 (?) فيض القدير 2/416.

وفي رواية زيادة قوله: «فلينظر كيف يناجيه»[1]. أي: فليتأمل في جـــواب ما يناجيه من القـــول على ســـبيل التعظيم والتبجيل ومواطأة القلب اللسـان والإقبـال على الله تعـــالى بشراشـــره[2]، والإخلاص في عبادته وتفريغ القلب للذكر والتلاوة والتدبر[3].

وذلك لما ثبت في صحيح مسلم أن النبي قال: قـال الله تعـالى: «قسـمت الصـلاة بيني وبين عبـدي نصـفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭼ قال الله تعالى: حمدني عبدي ...» الحديث[4].

قال ابن القيم: (فإذا قال: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜﭼ وقف هنيهة يسيرة ينتظر جواب ربه له بقوله: «حمدني عبـدي» فـإذا قال: ﭽﭞ ﭟﭼ ، انتظر الجواب بقوله: «أثنى علي عبدي» فإذا قال: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ انتظر جوابه: «يمجدني عبدي» فيا لـذة قلبه وقـرة عينه وسـرور نفسه بقـول ربه عبـدي ثلاث مـــرات، فو الله لـــولا ما على القلـــوب من دخـــان الشهوات وغيم النفوس لاستطيرت فرحاً وسـروراً بقـول ربها وفاطرها ومعبودها: «حمـــدني عبـــدني وأثـــنى عليّ عبـدي ومجـدني عبـدي» ثم شـرع رحمـه اللـه في بيـان عبودية كل آية من آيات الفاتحة[5].

ثم إذا تأملنا حالة المصلي في الركوع والسـجود ومـا فيهمـــا من تمـــام الـــذل والخضـــوع لعظمتـــه ســـبحانه والاستكانة لهيبته، حيث يجتمع له خضـوع القلب وخضـوع

---

[1] (?) روى هذه الرواية الإمام أحمد في المسند 2/67، وصححه محققو الموسوعة 9/251.

[2] (?) شراشر: جمع شُرشُرة، والشراشر: الأثقال، يقـال: ألقى عليه شراشـره أي نفسه حرصـاً ومحبة (الصـحاح للجـوهري 3/259).

[3] (?) فيض القدير 2/416.

[4] (?) رواه مسلم كتاب الصلاة باب وجـوب قـراءة الفاتحة في كل ركعة ... حديث 395.

[5] (?) كتاب الصلاة وحكم تاركها ص 122، وانظر كذلك الكلام على مسألة السماع ص 195.

الجوارح وخضوع القـول على أتم الأحـوال، ومـا فيهـا من الذكر والثناء على المولى سبحانه، علمنا أن المصلي في حالة من اللذة والعبودية لا تقارن بشيء من لذات الدنيا.

قـال ابن القيم: (ومن ذاق طعم الصـلاة علم أنـه لا يقوم غـير التكبـير والفاتحـة مقامهمـا، كمـا لا يقـوم غـير القيـام والركـوع والسـجود مقامهمـا، فلكـل عبوديـة من عبودية الصلاة سِرٌّ وتأثير وعبودية لا تحصل من غيرها، ثم لكل آية من آيات الفاتحة عبودية وذوق ووجـد يخصـها)[1].

ثم شرع في بيان عبودية جميـع أعمـال الصـلاة من بدايـة أمرها بالتكبير إلى نهايتها بالتسـليم، ولـه من اللـه أفضـل الرحمات وأزكى التسليم.

ثم إن تمـام اللـذة في الصـلاة إنمـا تحصـل بتحقيق الوسائل والأسـباب الموصـلة إلى ذلـك، ومن أهمها ما يلي:

1- إقامة الصلاة بشروطها وأركانها وواجباتهـا وسننها، وقد أمر اللـه المؤمـنين بإقامـة الصلاة في آيـات كثيرة منها: قوله تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ں ڻ ٹ ڻ ٹ ﭼ[2]، وقوله تعالى: ﭽ ں ڻ ٹ ڻﭼ[3]، وقوله تعالى: ﭽ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ﭼ[4].

---

[1] (?) الكلام على مسألة السماع ص 196.

[2] (?) سورة البقرة الآية: ٤3.

[3] (?) سورة النساء الآية 103.

[4] (?) سورة الأنعام الآية: ٧٢.

وقد اتفق المفسرون على أن المقصود بإقامة الصلاة هو إتمـام ركوعها وسـجودها والتلاوة والخشـوع والإقبـال عليها فيها، والمحافظة على مواقيتها ووضوئها[1].

2- الخشـوع في الصـلاة والإقبـال على اللـه فيها، وهذا من أركان الصلاة وداخل في إقامتهـا، إلا أني أفردتها لأهميتها في هذا الموضوع، بل إن تمام اللذة في الصلاة متوقفة عليها، وذلك أن الله تعالى قد علق الفلاح والسـعادة بخشـوع المصـلي في صـلاته، فقـال: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ[2].

قال ابن رجب: (وأصل الخشوع هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه، وانكساره وحرفته، فإذا خشـع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء)[3].

وقـال السـعدي: (فقوله ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭼ أي: قد فـازوا وسعدوا ونجحوا، وأدركوا كل ما يـرام. المؤمنـون الـذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين الذين من صفاتهم الكاملة أنهم

ﭽ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ والخشوع في الصلاة: هو حضور القلب بين يدي الله تعالى مستحضرا لقربه، فيسكن لذلك قلبه، وتطمئن نفسه، وتسكن حركاته، ويقل التفاته، متأدبا بين يدي ربه، مستحضـــرا جميع ما يقوله ويفعله في صـــلاته، من أول صــلاته إلى آخرهــا، فتنتفي بــذلك الوســاوس والأفكــار

---

1 (?) انظر تفسير ابن كثير 1/61.
2 (?) سورة المؤمنون الآيات 1-2.
3 (?) الخشـوع في الصـلاة ضـمن مجمـوع رسـائل ابن رجب 1/278.

الرديـة، وهـذا روح الصـلاة، والمقصـود منهـا، وهو الـذي يكتب للعبد، فالصلاة التي لا خشوع فيها ولا حضـور قلب، وإن كانت مجزئة مثابا عليها، فـإن الثـواب على حسب ما يعقل القلب منها)[1].

وحضور القلب بين يدي الله بمناجاتـه والتضـرع إليـه، من أعظم أسباب انشراح الصـدر وفـرح القلب، وسـكون النفس ولذة الروح.

قال ابن القيم: (وسرُّ الصلاة وروحها ولبها هـو إقبـال العبد على الله بكليتـه، فكمـا أنـه لا ينبغي لـه أن يصـرف وجهه عن قبلة الله يمينا وشـمالا، فكـذلك لا ينبغي لـه أن يصرف قلبه عن ربه إلى غيره)[2].

وقد قسم -رحمه اللـه- النـاس في الإقبـال على اللـه في الصلاة إلى ثلاث منازل:

الأولى: إقبالــه على قلبــه فيحفظــه من الوســاوس والخطرات المبطلة لثواب صلاته أو المنقصة له.

والثانية: إقباله على الله بمراقبته حتى كأنه يراه.

والثالثة: إقبالـه على معـاني كلامـه وتفاصـيل عبوديـة الصـلاة ليعطيهـا حقهـا، ويكـون إقبـال اللـه على عبـده بحسب ذلك[3].

قال ابن بطـال: قـال بعض الصـالحين: (إذا قمت إلى الصـلاة فـاعلم أن الله يُقبـلُ عليـك، فأَقبـلْ على من هو مُقبل عليـك، واعلم أنه قـريب منـك، نـاظر إليـك، فـإذا ركعت فلا تأمل أنك ترفع، وإذا رفعت فلا تأمل أنك تضـع،

---

1 (?) تفسير السعدي ص 547.

2 (?) الكلام على مسألة السماع ص 212.

3 (?) انظر: الكلام على مسألة السماع ص 213.

ومَثِّل الجنة عن يمينك والنار عن شمالك والصــراط تحت قدميك، فإذا فعلت كنت مُصليًا)[1].

وقد أشار شيخ الإسلام إلى أحـوال بعض السـلف في خشـوعهم في الصـلاة ثم قـال: (والـذي يعين على ذلـك شيئان: قوة المقتضى وضعف الشاغل.

أما الأول فاجتهاد العبد في أن يعقل ما يقوله ويفعله، ويتدبر القـراءة والـذكر والـدعاء، ويستحضر أنه منـاج لله تعالى كأنه يراه، فإن المصلي إذا كـان قائما فإنما ينـاجى ربه، والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تــراه فإنه يـراك، ثم كلما ذاق العبد حلاوة الصـلاة كـان انجذابه إليها أوكد، وهـذا يكـون بحسب قــوة الإيمــان والأسـباب المقوية للإيمان كثيرة ...

وأمـا زوال العـارض – أي: الثـاني- : فهـو الاجتهـاد في دفع ما يشغل القلب من تفكر الإنسان فيما لا يعنيه، وتـدبر الجواذب التي تجذب القلب عن مقصود الصلاة ...) [2].

3- قيام الليل: فمن أهم أسباب ذوق حلاوة الصلاة: قيام الليل، لما في الليل من تمام السكون وقلة الشـواغل التي تحقق للمصلي تمام الخشوع وحضور القلب بين يدي الله .

قال تعالى: ﭽ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ[3]. أي: أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان[4] ﭽ ﮄ ﮅ ﭼ

---

1 (?) شرح صحيح البخاري لابن بطال 2/158.

2 (?) مجموع الفتاوى 22/605- 607.

3 (?) سورة المزمل الآية: 6.

4 (?) تفسير القرطبي 19/40.

وأشد مقــالا، وأثبت قــراءة لحضــور القلب فيها وهــدوء الأصوات، وأشد اسـتقامة واسـتمرارا على الصـواب، لأن الأصــوات فيها هادئة والــدنيا ســاكنة فلا يضــطرب على المصلي ما يقرأه[1].

قال القرطبي: (في هذه الآية فضل صــلاة الليل على صلاة النهار، وأن الاستكثار من صـلاة الليل بـالقراءة فيها ما أمكن، أعظم للأجر، وأجلب للثواب)[2].

والحـديث عن قيـام الليـل ومـا فيـه من فضـائل أمـر يطول ذكره، وقد بسـطه أهـل العلم في مؤلفـات خاصـة يستحسن الرجوع إليها[3]، والمقصود هنا بيـان مـا يحققـه القيام من حلاوة الإيمان، وما ينـزله الله على قلوب قوام الليل في تلك الساعة من حلاوة المناجاة والعبادة وطيب الــدعاء والمعرفــة، ومــا يحصــل في القلــوب من مزيــد المعرفة بالله والإيمان به وذكره وتجليه لقلوب أوليائــه، فإن هذا أمر معروف يعرفه قوام الليل[4].

وفيما يلي تصريحات بعض السلف في ذلك:

---

1 (?) فتح القدير للشوكاني 5/317.

2 (?) تفسير القرطبي 19/40.

3 (?) من هــذه المؤلفــات: مختصر قيــام الليل لمحمد بن نصر المــروزي وكتــاب التهجد وقيــام الليل لابن أبي الــدنيا، وفضل قيــام الليل والتهجد تــأليف: أبو بكر عبد الله ســفيان، وعليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين بسام عطيــة، ورهبــان الليل د. العفاني.

4 (?) مجموع الفتاوى 5/373.

أ- قـال الفضـيل بن عيـاض -رحمه اللـه-: (إذا غـربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتي بربي وإذا طلعت حـزنت لدخول الناس علي)[1].

ب- وقـال أبو سـليمان الـداراني -رحمه اللـه-: (أهل الليل في ليلهم ألذّ من أهل اللهو في لهوهم، ولـولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا)[2].

ت- وقال أيضـاً: (لو عـوض الله أهل الليل من ثـواب أعمـالهم ما يجدونه من اللـذة لكـان ذلك أكـثر من ثـواب أعمالهم)[3].

ث- وقال بعض العلماء: (ليس في الـدنيا وقت يشـبه نعيم أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة)[4].

ج- وقـــال ابن المنكـــدر[5]-رحمه اللـــه-: (ما بقي من لذات الـدنيا إلا ثلاث: قيـام الليل ولقـاء الإخـوان والصـلاة في الجماعة)[6].

ح- وقال مالك بن دينـار -رحمه اللـه-: (إذا قـام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبّار وكانوا يرون ما يجدون

---

1 (?) إحياء علوم الدين 1/358.

2 (?) تـاريخ دمشق 34/146، صـفة الصـفوة 4/228، إحيـاء علوم الدين 1/358.

3 (?) إحياء علوم الدين 1/358.

4 (?) إحياء علوم الدين 1/358.

5 (?) هو محمد بن المنكـــدر بن عبد الله بن الهـــدير بن عبد العـزى الإمـام الحافظ القـدوة، شـيخ الإسـلام أبو عبد الله القرشي التيمي المدني. مات سنة 130هـ (سير أعلام النبلاء 5/353-385).

6 (?) إحياء علوم الدين 1/358.

من الرقة والحلاوة في قلوبهم، والأنـوار من قـرب الـرب تعالى من القلب)[1].

خ- وقال بعض السلف: (إني لأفرح بالليـل حين يقبـل لما يلتذ به عيشي، وتقـر بـه عيـني من مناجـاة من أُحب، وخلوتي بخدمته والتذلل بين يديـه، وأغتم للفجـر إذا طلـع لما أشتغل به بالنهار عن ذلك، فلا شـيء ألـذّ للمحب من خدمة محبوبه وطاعته)[2].

3- الصـــبر والمصـــابرة على مـــا فيهـــا من مشقة، فإن الليل محل النوم والراحة من التعب بالنهار، فترك النوم مع ميل النفس إليه مجاهدة عظيمة[3].

قـال ابن القيم: (وهـذه اللـذة والتنعم بالخدمـة إنمـا تحصل بالمصابرة على التكره والتعب أولا، فإذا صبر عليه وصدق في صبره، أفضى به إلى هذه اللذة)[4].

فثبت بكل ذلك أن الصلاة من أعظم موجبات الحلاوة واللذة الإيمانية.

---

1 (?) إحياء علوم الدين 1/358.
2 (?) طريق الهجرتين ص 264.
3 (?) انظر: لطائف المعارف ص 80.
4 (?) طريق الهجرتين ص 264.

2- حلاوة الزكـاة

إن الزكـاة من العبـادات الماليـة، جعلهـا اللـه ثـالث أركـان الـدين بعـد الصـلاة، يطهـر بهـا العبـد أموالـه من الـدنس، وقلبـه من الشـح، فـتزكو نفسـه ويـزداد إيمانـه، فينشرح صدره حين يخـرج جـزء من أموالـه إرضـاء للـه، وامتثـالا لأوامـره وطاعـة لربـه، يقـترب بـذلك إلى نـور رضوانه، فيُطعمه الله طعم الإيمان يجده في قلبه.

وأصل الزكـاة في اللغـة: النمـاء والزيـادة، وزاد بعض أهل العلم: الطهـارة، فزكـاة المـال إذن طهارتـه ونمـاؤه وزيادته[1]، وهذه الأوصاف وإن وردت على المال، لكنها لا تقتصر عليه بـل يشـمل القلب أيضـا، أعـني: قلب الغـني المتزكي وقلب المحتاج الآخـذ للصـدقة، فـالمتزكي يفـوز بطهـارة قلبـه ونمـوه وزيادتـه قبـل طهـارة مالـه ونمـوه وزيادته، وكذلك قلب الآخذ للصـدقة المحتـاج إليهـا، فإنـه يفـوز بطهارتـه من الحقـد والحسـد، وينمـو بحب الخـير للناس والدعاء لهم بذلك.

قال شيخ الإسلام: (الزكاة في اللغة: النمـاء والزيـادة في الصلاح، يقال: زكا الشيء إذا نما في الصلاح، فالقلب يحتاج أن يتربى فينمو ويزيد حتى يكمل)[2].

ثم بين - رحمه الله- أن القلب لا يزكو إلا بحصول مـا ينفعه ودفع ما يضره، وأن الصدقة مما يزكو بها القلب[3].

---

1 (?) انظـر: معجم مقـاييس اللغة 3/13، والنهاية في غـريب الحـديث 2/765، والمفـردات لألفـاظ القـرآن ص 380، والمصباح المنير ص 210.

2 (?) مجموع الفتاوى 10/96.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 10/96.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ[1]. حيث أمر الله سبحانه وتعالى نبيه بأن يأخذ من أموالهم صدقة يطهرهم من دنس ذنوبهم، ويزكيهم بها أي: وينميهم ويرفعهم من خسيس منازل النفاق إلى منازل أهل الإخلاص[2].

وهي منازل أهل التوحيد والإيمان فبهما يزكو القلب وينمو، ولا زكاة ولا طمأنينة ولا سعادة للقلوب إلا بهما[3].

ولهذا نفى الله تعالى منفعة الزكاة عن المشركين فقال: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[4].

قال السعدي -رحمه الله-: (أي: الذين عبدوا من دونه من لا يملك نفعا ولا ضرا، ولا موتا، ولا حياة، ولا نشورا ودنسوا أنفسهم، فلم يزكوها بتوحيد ربهم والإخلاص له، ولم يصلوا ولا زكوا، فلا إخلاص للخالق بالتوحيد والصلاة، ولا نفع للخلق بالزكاة وغيرها)[5].

وفي هذا بيان لعلاقة الإيمان بالزكاة، وأنه لا إيمان لمن لم يؤد زكاة ماله كما دل على ذلك قول أبي بكر الصديق ﭬ: «والله لأقاتلنّ من فرق بين الصلاة والزكاة»[6].

---

1 (?) سورة التوبة الآية: ١٠٣.

2 (?) انظر: تفسير الطبري 14/454.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 10/97.

4 (?) سورة فصلت الآية: 6-7.

5 (?) تفسير السعدي ص 745.

6 (?) رواه البخاري كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة حديث 1400، ومسلم كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله حديث 20.

وأما دور الزكاة في تحقيق طعم الإيمان، فقد جـاء ذلك صـريحا في قوله : «ثلاث من فعلهن فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمـــان: من عبد الله وحـــده وأنه لا إله إلا الله، **وأَعْطَى زَكَـــــــــــــاةَ مَالِـــــــــــــهِ طَيِّبَةً بِهَا نفسه** رافدةً عليه كل عام، ولا يعطي الهَرِمة ولا الدّرِنة، ولا المريضة، ولا الشَّرَط اللِّئِيمـة، ولكن من وسط أمـــوالكم، فـــإن الله لم يســـألكم خـــيره، ولم يـــأمركم بشره»[1].

ففي هـذا الحـديث علّق النـبي ذوق طعم الإيمـان بإعطاء زكـاة الأمـوال، وفيه دليل صـريح على أن الزكـاة موجب من موجبات حلاوة الإيمان.

ودلالة الحديث على ذلك كما يلي:

أولا- إخبـاره بـأن إعطـاء الزكـاة خصـلة من خصـال طعم الإيمان، واقترانها بالتوحيد دليل على شـرف الزكـاة وعظم شأنها.

وثانيـــا- قوله طيبـــةً بها نفســـه، وطيب النفس هو راحتها لما وفقها الله تعالى إلى إخراج الزكاة، وهـذا سِـرُّ الدلالة على حلاوة الإيمان، وذلك أن المال تحبه النفوس، وتبخل بـــه، فـــإذا ســـمحت بإخراجه لله دل على صـــحة إيمانها بالله ووعده ووعيده[2].

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 55.

2 (?) جامع العلوم والحكم 2/24.

ويؤكد هــذا قوله ﷺ في الحــديث: «رافــدةً عليه» أي: معينة عليه، وأصل الرفد: الإعانَة يقــال: رفَدته أرفِــدُهُ إذا أعَنْتَه أي: تُعِينُه نفْسُـــه على أدائها[1]. وما ذاك إلا لشـــدة محبة النفوس للمال وكراهية إخـراج شـيء منـه، فيحتـاج إلى أن يجاهد نفسه ليدفعها إلى الخـير. وقـد عـدّ اللـه ﷻ إعطاء المال على حبه من خصال البر في قوله تعـالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﭼ[2].

---

1 (?) انظر: معالم السنن للخطابي 2/37، والنهاية في غـريب الحديث لابن الأثير 2/595.

2 (?) سورة البقرة الآية: 177.

قـال ابن القيم: (فـالبر كلمـة لجميـع أنـواع الخـير والكمال المطلوب من العبـد... فيـدخل في مسـمى الـبر الإيمان وأجزاؤه الظاهرة والباطنة ...، وأكثر ما يعــبر عن بر القلب وهو: وجود طعم الإيمان فيه وحلاوته، وما يلـزم ذلـك من طمأنينتـه وسـلامته، وانشـراحه وقوتـه، وفرحـه بالإيمان)[1].

وعلى هـذا التفسـير، فجميـع مـا ذكـر في الآيـة من خصال البر هي من موجبات حلاوة الإيمان وطعمه، ولكن الشاهد هنا هو قوله : ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ قال الطبري: (وأعطى ماله في حين محبته إيــاه، وضِــنِّه بــه، وشُــحِّه عليه)[2]. وعليه فإن إعطاء المال الذي تحبه النفوس هـذا الحب دليل على قوة الإيمان، وإيثار محبة الله على محبة المـال، وأن هـذا قـد تحققت فيـه الخصـلة المـذكورة في حديث حلاوة الإيمان: «أن يكون اللـه ورسـوله أحب إليـه مما سواهما » فوجد طعم الإيمان لذلك.

ومن صور هذا الحب، ما كان يفعله الصحابة رضوان الله عليهم من تقديم أحب الأموال إلى نفوسهم بين يدي رسول الله ليضعها في سبيل الله.

فقد روى البخاري وغيره عن أنس بن مالك قال: (كان أبو طلحة[3] أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل،

---

1 (?) الرسالة التبوكية ص 37-40.

2 (?) تفسير الطبري 3/340.

3 (?) أبو طلحة الأنصـاري، صـاحب رسـول الله ، ومن بـني أخواله، وأحد أعيـان البـدريين، وأحد النقبـاء الاثـني عشر ليلة العقبة، واسمه: زيد بن سهل بن الأسـود بن حـرام بن عمـرو بن زيد مناة بن عدي ابن عمرو بن مالك بن النجار، الخزرجي

وكان أحبّ أمواله إليه بَيْرُحاءَ[1]، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيب، قال أنس: فلما أنزلت هذه الآية: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭼ[2]. قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭼ وإن أحبّ أموالي إليّ بَيْرحاءُ وإنها صدقة لله أرجو بِرّها وذُخرها عند الله تعالى، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال النبي ﷺ «بَخٍ[3]، ذاك مال رابح ذاك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين» فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه)[4].

تأمل قول أبي طلحة ﷺ: «إنّ أحبّ أموالي إلي» وقوله ﷺ: «من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» وما بينهما من تطابق واضح، يوجب ذوق حلاوة الإيمان لتقديمه أحب الأشياء إليه لمن هو أحب بل أشد حبا إليه من نفسه.

النجاري مات سنة 34هـ. (سير أعلام النبلاء 2/34).

1 (?) قال ابن الأثير: (بَيرَحَاء بفتح الباء وكسرها وبفتح الراء وضمها والمدّ فيهما وبفَتْحِهما والقصْر وهي اسم مالٍ ومَوْضع بالمدينة) النهاية في غريب الحديث 1/292، وقال ياقوت الحموي: وهو قصر بني جديلة اليوم بالمدينة وكان مالا لأبي طلحة ابن سهل تصدق به إلى رسول الله ﷺ فأعطاه رسول الله ﷺ حسانا...) معجم البلدان 1/525.

2 (?) سورة آل عمران الآية: 92.

3 (?) قال ابن ألأثير: (هي كلمة تقال عند المدح والرِّضَى بالشيء، وتُكَرر للمبالغة وهي مَبْنية على السكون فإن وَصَلْت جَرَرْت ونَوَّنْتَ فقلت: بخٍ بخٍ وربّما شُدّدَت. وبَخْبَخْتُ الرجُل إذا قلت له ذلك . ومعناها تعظيم الأمر وتَفْخِيمُه) النهاية في غريب الحديث 1/250.

4 (?) رواه البخاري كتاب الزكاة باب الزكاة على الأقارب حديث 1461، وأورده ابن كثير في تفسيره 1/496-497.

ومثال آخر: ما جاء في الصحيحين عن ابن عمر (أن عمر بن الخطاب أصاب أرضاً بخيبر، فأتى النبي يستأمره فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخيبر، لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: «إن شئت حبست أصلها تصدقت بها». قال: فتصدق بها عمر أنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، وتصدق بها في الفقراء وفي القربى، وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل ...)[1].

هذا، ويشترط في تحقيق حلاوة الزكاة ما يلي:

1- أن يكون إخراجها بطيب النفس، لقوله في الحديث: «طيبة بها نفسه» أي حال كونه طيبة بالزكاة نفسه، وإنما أتت طيبة لاستنادها إلى النفس، يقال: طابت نفسه بالشيء، إذا سمحت به من غير كراهة ولا غضب[2].

2- أن لا يخرج من المال الرديء، لقوله في الحديث: «ولا يعطي الهَرِمة ولا الدّرِنة، ولا المريضة، ولا الشَّرَط اللّئِيمة» وهذه هي الخصلة الثالثة من خصال طعم الإيمان في الحديث، وشرط من شروط تحققها، والهرمة: هي الناقة الكبيرة في السن[3]، والدّرِنة هي الجرباء وأصل الدّرن: الوسخ[4]. والشّرَط اللئيمة: رذالة المال كالصغيرة والمسنة والأعجف والدبر ونحوه[5]. فلا يجوز إخراج هذه الأنواع من الزكاة، لأن ذلك يحول دون

---

1 (?) رواه البخاري كتاب الشروط باب الشروط في الوقف حديث: 2737، ومسلم كتاب الوصية باب الوقف حديث: 1633.

2 (?) شرح سنن أبي داود للعيني 6/273.

3 (?) شرح سنن أبي داود للعيني 6/273.

4 (?) معالم السنن للخطابي 2/37، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير 2/257.

5 (?) غريب الحديث للخطابي 1/509، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير 2/1140.

ذوق طعم الإيمان، ولأن النبي يقول: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا»[1].

3- أن تكون الزكـاة من أوسـاط المـال لا من شـرفه، لقولـه في الحـديث: « ولكن من وسط أمـوالكم، فـإن الله لم يسألكم خيره» ويؤكد هذا ما جاء في حديث معـاذ أن النبي قال له: «فإياك وكرائم أموالهم»[2].

وإذا تحققت هـذه الشـروط في الزكـاة وجد صـاحبها ارتياحا وطمأنينة نفســـية ولـــذة في قلبه تقـــوده نحو السـعادة والسـعادة، وذلك أن الجـزاء من جنس العمـل، فـالمخرج لزكـاة ماله لما كـانت زكاته سـببا في إدخـال الســـرور وطيب العيش في نفس الفقـــير والمســـكين، جازاه الله بمثل ذلك، وأيضا فـإن إخراجه للزكـاة تعـني إخراج مادة الشقاء من ماله لما ثبت عن النبي أنه قـال - في أمـوال الصـدقة- «إنما هي أوسـاخ النـاس»[3]، ولا شك أن بقاء الأوسـاخ لـدى الإنسـان وعـدم التخلص منها مما يسبب له الضيق والقلق والاضطراب، وغـير ذلك من معاني الشقاء، فـإذا تخلص منها بطريقة الزكـاة حصل له ما يضـاد هـذه الأحـوال من الراحة والطمأنينة وسـعادة الحياة والله الموفق إلى ذلك.

---

1 (?) رواه مسلم كتاب الزكاة باب قبـول الصـدقة من الكسب الطيب حديث: 1015.

2 (?) رواه البخاري كتاب الزكاة بـاب أخذ الصـدقة من الأغنيـاء وترد في الفقراء حديث: 1496، ومسلم كتاب الإيمـان بـاب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام حديث 19.

3 (?) رواه مسلم كتاب الزكاة باب تحـريم الزكـاة على رسـول الله حديث 1072..

3- حــلاوة الـصـوم

إن عبـادة الصـوم من أجَـلِّ عبـادات البـدن والـروح، وأعظمها تطهـيرا للنفـوس وتزكية لها من الرذائل لترفعها إلى أعلى مقامات الإيمان. وهو الطريق الأعظم للحصول على تقـوى الله الـذي يحقق للعبد أكـبر السـعادة والفلاح من خلال الامتثــال بــأوامر الله والانتهــاء عن نواهيــه، فيتقـــرب الصـــائم إلى الله بالإمســـاك عن الطعـــام والشـراب والشـهوات وغيرها من ملـذات الـدنيا، ليحصل على أعظم اللذات وأكمل النعيم في الدارين.

قال تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳﭼ[1]. قال ابن كثير: (يقول تعالى مخاطبا للمؤمنين من هذه الأمة وآمرا لهم بالصيام، وهو الإمساك عن الطعام والشـراب والوقـاع بنية خالصة لله ، لما فيه من زكـاة النفـوس وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة)[2]. وقال السعدي في قوله تعالى: ﭽ ﭲ ﭳﭼ (أي: ليكون الصيام وسيلة لكم إلى حصول التقـوى، ولتكونـــوا بالصـــيام من المتقين، وذلك أن التقـــوى اسم جـامع لكل ما يحبه الله ويرضـاه من فعل المحبوبـات لله ورســوله، وتــرك ما يكرهها الله ورســوله، فالصــيام هو الطريق الأعظم لحصـول هـذه الغاية الجليلة الـتي توصل العبد إلى السعادة والفلاح)[3].

---

[1] (?) سورة البقرة الآية: 183.

[2] (?) تفسير ابن كثير 1/279.

[3] (?) الريــاض الناضــرة والحــدائق الزاهــرة ضــمن المجموعة

فـدل ذلك على عظم شـأن الصـوم ورفيع مكانته في هـذا الـدين، وأنه منّة أخـرى من منن الله على العبـاد ليرفعوا أنفسهم إلى أعلى منازل الإيمان.

الكاملة لمؤلفات الشيخ 5/ج1ص 384.

وأما شأنه في ذوق حلاوة الإيمــان، فقد دلت عليه الأدلة الآتية:

1- ما روي عن أبي هريــرة قـال: نهى رســول الله عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رســــول الله، قــــال: «وأيّكم مثلي؟ إني أبيت **يُطْعِمُنِي ربِّي ويَســـْقِين**» فلما أبــــوا أن ينتهــــوا عن الوصــال، واصل بهم يوما ثم يومــا، ثم رأوا الهلال، فقــال: «لو تأخر لزدتكم»[1].

وفي رواية قــــال: «لستُ كهــــيئتكم، إنِّي أبيتُ لي مُطْعِمٌ يُطْعِمُنِي وساقٍ يَسْقِين»[2].

وقد استدل ابن القيم بهذه الأحاديث على ثبوت طعم الإيمــان، وأن الطعــام والشــراب المــذكورين هما طعــام الأرواح وشرابها وما يفيض عليها من أنواع البهجة واللــذة والســرور والنعيم الــذي رســول الله في الــذروة العليا منه[3].

---

1 (?) رواه البخاري كتاب الصوم باب التنكيل لمن أكثر الوصال حديث 1965، ومسلم كتاب الصيام بـاب النهي عن الوصـال حديث 1103.

2 (?) رواه البخاري كتاب الصوم باب الوصال حديث 1963.

3 (?) انظر: مفتاح دار السعادة 1/60.

قـــال: (المــــراد به ما يغذيه الله به من معارفه وما يَفيضُ على قلبه من لـــذة مناجاته، وقُـــرة عينه بقربه، وتَنَعُّمه بحبه والشـوق إليه، وتوابع ذلك من الأحـوال الـتي هي غـــذاء القلـــوب ونعيم الأرواح، وقـــرة العين، وبهجة النفـــوس والـــروح والقلب بما هو أعظم غـــذاء وأجـــوده وأنفعه، وقد يقـــوى هـــذا الغـــذاء حـــتى يغنِيَ عن غـــذاء الأجسـام مـدة من الزمـان) إلى أن قـال: (ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم اسـتغناء الجسم بغـذاء القلب والـروح عن كثـــير من الغـــذاء الحيـــواني، ولا ســـيما المســـرور الفرحـان الظـافر بمطلوبه الـذي قد قـرت عينه محبوبه، وتنعم بقربه، والرضى عنه، وألطـــاف محبوبه وهـــداياه، وتحفه تصل إليه كل وقت، ومحبوبه حفيٌّ به معتنٍ بـأمره مكـــرمٌ له غاية الإكـــرام مع المحبة التامة له، أفليس في هـذا أعظم غـذاء لهـذا المحب؟ فكيف بـالحبيب الـذي لا شـــيء أجلُّ منه ولا أعظم ولا أجمل، ولا أكمل ولا أعظم إحساناً إذا امتلأ قلبُ المحبِّ بحُبه، وملك حبُّه جميع أجزاء قلبه وجوارحه، وتمكَّن حبُّه منه أعظم تمكُّن، وهـــذا حاله مع حبيبه، أفليس هـذا المحبُّ عند حبيبه يُطعمه ويَسـقيه ليلاً ونهاراً ؟)[1].

---

[1] (?) زاد المعاد 2/31-32.

ويؤيـده ابن رجب على هـذا المعـنى فقـال: (والأظهر أنه أراد بــذلك أن الله يقويه ويغذيه بما يــورده على قلبه من الفتـوح القدسـية، والمِنح الإلهيـة، والمعـارف الربانية التي تغنيه عن الطعام والشراب برهةً من الدهر) [1].

وقد نقل ابن حجر هذا المعـنى عن ابن القيم، ثم ذكر ما هو قــريب منه فقــال: (وحاصــله أنه يحمل ذلك على حالة اسـتغراقه في أحواله الشـريفة حـتى لا يـؤثر فيه حينئذ شيء من الأحوال البشرية)[2].

وقد اختلف أهل العلم في هذا الوصـال هل هو خـاص للنبي أم يجوز لغيره إلى أقوال كثـيرة ليس هـذا موضع بســطها، والــذي يظهر أنه إنما كــره لهم ذلك رحمة لهم وتخفيفا[3] وذلك أن النبي ليس كهيئتهم في قوة الإيمـان والمحبة لله ما يقـوى به في محل الغـذاء الجسـدي كما أخبر بذلك في قوله: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»[4] فكان ما يجـده من لـذة المناجـاة أعظم من غـيره، وكـانت قدرته على الوصـال حسب ما اختص به من قــوة الإيمان ولهذا أخبر بأن هديه كـان الصـيام والإفطـار كما في قوله «لكـني أصــوم وأفطر وأصــلي وأرقد وأتــزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»[5].

---

1 (?) جامع العلوم والحكم 2/499-500.

2 (?) فتح الباري لابن حجر 4/244.

3 (?) وذلك في رواية عائشة رضي الله عنها قـــالت: «نهـــاهم النـبي عن الوصـال رحمة لهم» رواه مسـلم كتـاب الصـيام باب النهي عن الوصال حديث: 1105.

4 (?) رواه البخاري كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح حديث 5063، ومسلم كتاب الصيام باب بيان أن القبلة في الصـيام ليست محرمة ... حديث 1108.

5 (?) هو تمــام الحــديث الســابق في قوله «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقـاكم له، لكـني أصـوم وأفطر وأصـلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»

2- ومن أدلة حلاوة الصوم ما روي عن أبي هريـرة أن رسول الله قال: «والـذي نفسي بيـده لخلـوف فم الصـائم أطيب عند الله تعـالى من ريح المسك، يـترك طعامه وشـرابه وشـهوته من أجلي، الصـيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها»[1].

---

[1] (?) رواه البخـاري كتـاب الصـوم بـاب فضل الصـوم حـديث 1894.

وفي رواية عنه قال: قال رسـول الله «قـال الله : كل عمل ابن آدم له إلا الصــيام، فإنه لي وأنا أجــزي به، والصيام جنّة، وإذا كـان يـوم صـوم أحـدكم فلا يـرفث ولا يصخب، فإن سـاّبه أحد أو قاتله فليقل: إني امـرؤ صـائم، والـذي نفس محمد بيـده لخلـوف فم الصـائم أطيب عند الله من ريح المسك، للصائم فرحتـان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه»[1].

دلت هــذه الأحــاديث على فضل الصــوم وأثــره في حلاوة الإيمان من عدة أوجه:

الأول: قوله تعالى - في الحديث القدسي-: «الصيام لي وأنا أجزي به» هذه إضـافة تشـريف وفيه بيـان لعظم الصــوم، وكـثرة ثوابــه، لأن الكــريم إذا أخــبر بأنه يتــولى بنفسه الجزاء اقتضى عظم قـدر الجـزاء وسـعة العطـاء. قاله النووي[2].

وبين ابن بطـال وجه اختصـاص الصـيام بـذلك فقـال: (فالصــيام وجميع الأعمــال للــه، لكن لما كـانت الأعمـال الظـاهرة يشـرك فيها الشـيطان بالريـاء وغـيره، وكـان الصــيام لا يطلع عليه أحد إلا اللــه، فيثيبه عليه على قــدر خلوصه لوجهه، جاز أن يضيفه تعالى إلى نفسه) [3].

وقال ابن رجب: (الصـيام سـرٌّ بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره، لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله، وترك لتناول الشهوات التي يسـتخفى بتناولها في العـادة) [4].

فـــدل كل ذلك على أن الصــــيام من أعلى منــــازل الإخلاص.

---

1 (?) رواه البخاري كتاب الصوم باب هل يقـول: إني صـائم إذا شُتم حديث 1904، ومسلم كتاب الصيام بـاب فضل الصـيام حديث 1151.

2 (?) شرح صحيح مسلم للنووي 8/29.

3 (?) شرح صحيح البخاري لابن بطال 4/9.

4 (?) لطائف المعارف ص 299.

والثاني: قوله : «يترك طعامه وشـرابه وشـهوته من أجلي» وتـرك هـذه الأشـياء لله مع القـدرة عليها هو سـرُّ الدلالة على حلاوة الإيمـان وذلك أن (الصـائم لما علم أن رضا مولاه في ترك شهواته، قدم رضا مـولاه على هـواه، فصـارت لذته في تـرك شـهوته للـه، لإيمانه بـاطلاع الله عليـــــــه، وثوابه وعقابه أعظم من لذته في تناولها في الخلوة، إيثارا لرضا ربه على هوى نفسه بل المؤمن يكره ذلك في خلوته أشد من كراهته لألم الضرب.

ولهـذا أكـثر المؤمـنين لو ضـرب على أن يفطر في شــهر رمضــان لغــير عــذر لم يفعــل، لعلمه بكراهة الله لفطـره في هـذا الشـهر، وهـذا من علامـات الإيمـان، أن يكـــره المـــؤمن ما يلائمه من شـــهواته إذا علم أن الله يكرهه، فتصـير لذته فيما يرضي مـولاه، وإن كـان مخالفا لهـواه، ويكـون ألمه فيما يكرهه مـولاه وإن كـان موافقا لهواه)[1].

فمحبته لما يحبه الله وكراهيته ما يكرهه الله ما يجعله يذوق أحلى حلاوات الإيمان.

---

1 (?) لطائف المعارف ص 297.

والثـالث: قوله ﷺ: «للصـائم فرحتـان يفرحهما: إذا أفطر فـرح، وإذا لقي ربه فـرح بصـومه» أما فرحته عند فطره فقد وردت في بيان سببها عدة أقوال:

أ- قيل أنه فـرح بـزوال جوعه وعطشه حيث أبيح له الفطر وهـذا الفـرح طـبيعي. ذهب إليه القرطـبي وابن رجب[1].

ب- أنه فرح بتمام عبادته وسلامتها من المفسدات وما يرجوه من ثوابها. قاله النووي[2].

ت- وقيل: هو السـرور بقبـول صـومه وتـرتب الجـزاء الوافر عليه. نقله العيني[3].

ث- وقال ابن حجـر: (ولا مـانع من الحمل على ما هو أعم مما ذكـر، ففـرح كل أحد بحسـبه لاختلاف مقامـات الناس في ذلك)[4].

وأياً كان السبب، فإن هـذا الفـرح يمتـاز بكونه فرحـاً لأمر الله ﷻ، فالصـائم تـرك شـهواته لله بالنهـار تقربا إليه وطاعة له، وبادر إليها في الليل تقربا إلى الله وطاعة له، فما تركها إلا بـأمر ربـه، ولا عـاد إليها إلا بـأمر ربـه، فهو مطيع له في الحـالين، ويكـون هـذا الفطر من فضل الله ورحمته اللتين أمر الله بالفرح بهما في قوله تعـالى: چـ ﮑ گ گ گ گ گ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ[5] چ[6].

---

1 (?) انظـر: المفهم لما أشـكل من تلخيص كتـاب مسـلم 3/216، ولطائف المعارف ص 302.

2 (?) شرح صحيح مسلم للنووي 8/31-32.

3 (?) عمدة القاري للعيني 10/277

4 (?) فتح الباري لابن حجر 4/142.

5 (?) سورة يونس الآية: 58.

6 (?) انظر: لطائف المعارف ص 303.

وقد تقدم من كلام ابن القيم بأن الفـرح لـذة تقع في القلب بإدراك المحبوب ونيل المشتهى، وأن الفـرح أعلى نعيم القلب، ولذته وبهجته[1].

وإذا تأملنا حال الصائم عند فطره وما يحصل منه من دعاء وتضرع لله علمنا حقيقة الفرح الذي هو فيه.

وأما فرحته عند لقاء ربه: فبما يراه من جزائه وتــذكر نعمة الله تعالى عليه بتوفيقه لذلك[2]. وهذا أعظم الفرح، فقد ثبت عن النبي أنه قال: «إن في الجنة باباً يقـال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق، فلم يدخل منه أحد»[3].

---

1 (?) انظر: ص 49.

2 (?) شرح صحيح مسلم للنووي 8/31.

3 (?) رواه البخاري كتاب الصوم باب الريـان للصـائمين حـديث 1896، ومسـلم كتـاب الصـيام بـاب فضل الصـيام حـديث 1153.

3- ومن أعظم الشـــواهد على حلاوة الصــــوم، ما يحصل في شــهر رمضــان الكــريم من العبــادات الجليلة والمناجاة الكثيرة، ففي رمضـان تتعـدد موجبـات الحلاوة، ويجد المســلمون لــذة الطاعة من خلال ما أودعه الله في هذا الشهر من الفضائل والنعم والرحمـات والغفـران فهو شهر الإخلاص والصـبر، والخـوف والرجـاء، وفيه لـذة الصلاة والقيام والزكاة، والجود والكـرم، وقـراءة القـرآن والــذكر والــدعاء على أكمل وجــه، وهو شــهر انشــراح الصدور ولذة القلوب وبهجة النفـوس، ففيه ليلة خـير من ألف شــهر، «من قامها إيمانا واحتســابا غفر له ما تقــدم من ذنبه»[1]، وفيه تفتح أبــواب الجنة وتغلق أبــواب النــار وتصفد الشياطين[2]. وبالجملة فـإن شـهر رمضـان يشـهد أقوى موجبات حلاوة الإيمان ولذته، بسبب قوة مقتضيات الإيمــان وضـعف الصــوارف عنها من خلال ما يحصل من حبس الشـهوات وقمع الشـيطان وسد مسـالكه وتضـييق مجاريه.

1 (?) وذلك في قوله فيما رواه عنه أبو هريــرة أنه قــال: «من يقم ليلة القــدر إيمانا واحتســابا، غفر له ما تقــدم من ذنبه» رواه البخاري كتـاب الإيمـان بـاب قيـام ليلة القـدر من الإيمان حديث: 35، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصـرها باب الترغيب في قيام رمضان حديث 760.

2 (?) هو حديث أبي هريـرة أن رسـول الله قـال: «إذا دخل رمضان فتحت أبـواب الجنة، وغلقت أبـواب جهنم، وسلسـلت الشياطين» رواه البخاري كتاب بـدء الخلق بـاب صـفة إبليس وجنوده حديث 3277، ومسلم كتاب الصيام باب فضل شـهر رمضان حديث 1079.

قال شيخ الإسلام: (في شهر رمضـان تنبعث القلـوب إلى الخير والأعمال الصالحة التي بها وبسببها تفتح أبواب الجنـة، ويمتنع من الشـرور الـتي بها تفتح أبـواب النـار، وتُصَفَّد الشياطين فلا يتمكنـون أن يعملـوا ما يعملونه في الإفطار، فإن المصفد هو المقيـد، لأنهم إنما يتمكنـون من بـني آدم بسـبب الشـهوات، فـإذا كفـوا عن الشـهوات صفدت الشياطين)[1].

هـذا، ويشـترط في تحقيق حلاوة الصـوم ما يلي:

1- الإخلاص لله : فقد نقل ابن بطـال عن الطـبري أنه قال: (ألا ترى قوله في الحديث: «يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي» ... وهذا كله يكون فيما خلص لله من الرياء)[2].

2- والامتثـال بما أمر الله به من آداب الصـيام واجتناب ما نهاه عنه.

فعن أبي هريرة أن النبي قال: « من لم يدع قول الـزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يـدع طعامه وشرابه »[3].

وعنه قال: قال رسـول الله : «رُبَّ صـائمٍ ليس له من صـيامه إلا الجـوع ورُبَّ قـائمٍ ليس له من قيامه إلا السهر»[4].

---

1 (?) مجموع الفتاوى 14/167.

2 (?) شرح صحيح البخاري لابن بطال 4/9.

3 (?) رواه البخاري كتاب الصوم بـاب من لم يـدع قـول الـزور والعمل به في الصوم حديث 1903.

4 (?) رواه ابن ماجه كتـاب الصـيام بـاب ما جـاء في الغيبة والـرفث للصـائم حـديث 1690، والإمـام أحمد في المسـند 2/373، وقال محققو الموسوعة (14/445): "إسناده جيد"،

قـــال ابن رجب: (واعلم أنه لا يتم التقـــرب إلى الله تعالى بترك هذه الشهوات المباحة في غـير حالة الصـيام إلا بعد التقرب إليه بـترك ما حرمه الله في كل حـال، من الكـــذب والظلم والعـــدوان على النـــاس في دمـــائهم وأموالهم وأعراضهم)[1].

وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه 1/282.

1 (?) لطائف المعارف ص 300.

4- حــلاوة الــحج

إن الحج أحد العبادات البدنية، وخامس أركان الإسلام ومبانيه العظــام، يشــهد فيه المســلمون أعظم مواسم الطاعـات في أفضل أمـاكن القربـات لنيل أعظم الثـواب والبركات، وهم في أجل هيئات الإيمان الدال على حقيقة العبودية التي تثمر أعظم اللذات.

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﭼ[1].

حيث أمر الله سـبحانه وتعـالى خليله إبـراهيم بـأن يدعو النـاس إلى الحج لأجل أن يشـهدوا منـافع لهم. وقد أورد الطــبري في تفســيره العديد من أقــوال أهل العلم في بيــان المقصــود بالمنــافع في الآية ثم قــال: (وأولى الأقـوال بالصـواب قـول من قـال: عـنى بـذلك ليشـهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضي الله والتجارة، وذلك أن الله عَمَّ لهم منافع جميع ما يشـهد له الموسم، و يـأتي له مكة أيام الموسم من منافع الـدنيا والآخـرة، ولم يخصص من ذلك شــيئا من منــافعهم بخــبر ولا عقل، فــذلك على العموم في المنافع التي وصفت)[2].

ويأتي في مقدمة هذه المنـافع ما أودعه الله سـبحانه في هذا الموسم من أصناف الطاعات والقربـات ما ينـال بها رضى الله والفوز بثوابه والنجاة من عقابه، فهذه غاية الحج وأعلى مطالبه.

قال السعدي -في قوله تعالى-: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ (أي: لينــالوا بــبيت اللــه منــافع دينيــة من العبــادات الفاضــلة، والعبــادات الــتي لا تكــون إلا فيــه، ومنــافع دنيويــة من التكسب وحصول الأرباح الدنيوية، وكل هـذا أمـر مشـاهد كلٌّ يعرفه)[3].

---

1 (?) سورة الحج الآية: 27-28.

2 (?) تفسير الطبري 18/610.

3 (?) تفسير السعدي ص 537.

وقـال ولي الله الـدهلوي - في بيـان أسـرار الحج-: (اعلم أن حقيقة الحج اجتمـــــــاع جماعة عظيمة من الصالحين في زمان يذكّر حـالَ المْنُعَمِ عليهم من الأنبيـاء والصديقين والصالحين ومكان فيه آيات بينات، قد قصـده جماعات من أئمة الدين معظمين لشعائر الله متضـرعين راغبين وراجين من الله الخير وتكفير الخطايا)[1].

ومن هذه المنافع ما يحصل من خلال تحقيق عبـادات الحج من تطهـير للنفـوس وتزكية للقلـوب وتهـذيب للسـلوك، وما ينشأ فيه من علاقة الـرب بعبـاده ما يجعله يذوق حلاوة الإيمان في قلبه.

ويوضح ذلك ما يلي:

1- أن الحاج يبذل أنفس أمواله الـتي تحبها النفـوس، ويـترك في سـبيل ذلك وطنه وأولاده وأحبابـه، وإذا شـرع في الحج يـترك لذاته الجسـميه من اللبـاس والطيب والنسـاء، ويتجـرد عن عاداته ونعيمـه، مقبلا على الله قاصـدا لـه، ممتثلا بـأوامره ومنتهيا عن نواهيـه. ومع اعتقادنا أن الله سـبحانه في غـنى عن هـذا كلـه، إلا أنه أعظم دليل على محبة الله وتقـديم محبته على محبة النفوس وملذاتها، الأمر الذي يوجب ذوق حلاوة الإيمان.

ولهذا شرعت له التلبية ليعـبر بها عن تمـام الإخلاص والمحبة لله ، فقد بين ابن القيم اشـتمال التلبية على هذه المعاني فقـال: (الخـامس: معنـاه: حُبّـاً لك بعد حب من قـولهم: امـرأة لَبّة إذا كـانت محبة لولـدها، أو أنه من لُبِّ الشـيء وهو خالصـه، ومنه لُبُّ الطعـام، ولُبُّ الرجل عقله وقلبه، ومعناه: أخلصت لك وقلـبي لـك، وجعلت لك لـبي أي خالصـي)[2]. ثم بين أن هـذه التلبية هي شـعار التوحيد وملّة إبـراهيم الـذي هو روح الحج، ومقصـده بل

---

1 (?) حجة الله البالغة 1/222.

2 (?) تهذيب السنن لابن القيم 2/592-593.

روح العبـادات كلها والمقصـود منهـا، ولهـذا كـانت التلبية مفتاح هذه العبادة التي يدخل فيها بها[1].

2- ما يجتمع للحـــاج في هـــذا الموسم من أنـــواع الطاعـــات الموجبة لحلاوة الإيمـــان، ففي الحج جميع ما تقـــدم من موجبـــات حلاوة الإيمـــان، ففيه من عبـــادات القلب: الإخلاص والمحبة والصـــبر، والتقـــوى والخـــوف والرجـــاء، ومن عبـــادات اللســـان: التلبية بشـــعار التوحيد والـــدعاء والـــذكر وقـــراءة القـــرآن، ومن عبـــادات البـــدن الصـــلاة، والجهـــاد والطـــواف والنحر والحلق وغيرها من الطاعـــات، وفيه يـــوم عرفة وهو أفضل أيـــام الســـنة على الإطلاق، يـــوم دنو الله ســـبحانه إلى الســـماء الـــدنيا فيغفر الـــذنوب، ويبـــاهي ملائكته بأهل الموقف كما ثبت ذلك في قوله ﷺ: «ما من يوم أكـــثر من أن يعتق الله فيه عبـــدا من النـــار من يـــوم عرفة وإنه ليـــدنو ثم يبـــاهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء؟»[2]، ولهذا يُكثر المسلمون في هـــذا اليـــوم من الـــذكر والـــدعاء ويَظهر فيهم التـــذلل والخضـــوع والانكسار بين يدي الله ﷻ راجين رحمته، ومغفرته.

يقـــول الســـعدي -في وصف هـــذه المنـــافع-: (موسم عظيم لا يشـــبهه شـــيء من مواسم الأقطـــار، كم أنفقت فيه نفائس الأموال، وكم أتعبت في السـعي إليه الأبـدان، وكم حصل فيه شـــيء كثـــير من أصـــناف التعبـــدات، وكم أريقت في تلك المواضع العـــــــــــبرات، وكم أقيلت فيه العـثرات، وغفـرت الـذنوب والسـيئات، وكم فـرجت فيه

---

1 (?) انظر: تهذيب السنن 2/598.

2 (?) رواه مسلم كتـاب الحج بـاب فضل الحج والعمـرة ويـوم عرفة حديث 1348.

الكربـات وقضـيت الحاجـات، وكم ضج المسـلمون فيه بالدعوات المستجابات، وكم تمتع فيه المحبـون بالافتقـار إلى رب السـماوات، وكم أسـبغ البـاري فيه عليهم من ألطاف ومواهب وكرامات ...)[1].

3- ما يحصل في هذه الأيام من أخوة إيمانية صـادقة، ومحبة المسـلمين بعضـهم ببعض من خلال تجمعهم في موضع واحد على عمل واحـد، يتصل بعضـهم ببعض، ويتم التعاون والتعارف على جو إيماني يوجب حلاوة الإيمـان[2] كما دل عليه الحـديث: «ثلاث من كن فيـه وجـد حلاوة الإيمان» وذكر منها: «أن يحب المرأ لا يحبه إلا لله»[3].

4- كون هذه العبـادات تحصل في أفضل أيـام السـنة وهي أيـام العشر الـتي العمل فيها أحب إلى الله من غيرها من الأيـام كما أخـبر بـذلك النـبي فقـال: «ما من أيـام العمل الصـالح فيها أحب إلى الله من هـذه الأيـام - يعني :- أيام العشر» قالوا: يا رسول الله، ولا الجهـاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء»[4].

قال ابن رجب: (وقد دل هـذا الحـديث على أن العمل في أيامه أحب إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير اسـتثناء شـيء منهـا، وإذا كـان أحب إلى الله فهو أفضل

---

1 (?) الريـاض الناضـرة ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفـات الشيخ 5/ج1ص 388.

2 (?) انظر: الرياض الناضرة ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ 5/ج1ص 387.

3 (?) تقدم تخريجه في ص 32.

4 (?) رواه البخاري كتـاب العيـدين بـاب فضل العمل في أيـام التشريق حديث 969.

عنـــده)[1]. وحلاوة الإيمـــان كما أنها تتبع أفضل شـــعب الإيمان، فهي كذلك متحققة في أفضل أزمان الإيمان.

هــذا ويشــترط في ذوق حلاوة الحج ما يشــترط في تحقيق كماله، وقد جاء بيان ذلك في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭼ[2].

وقوله ﷺ: «من حج لله فلم يـــــرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[3].

دلت الآية والحــديث على أن منفعة غفــران الــذنوب الذي يحققها الحج متوقف على خمسة شروط:

الأول: الإخلاص لله ﷺ في قوله ﷺ «من حج لله»

والثاني: التزود بالتقوى

والثالث: عدم الفسوق

والرابع: عدم الرفث

والخامس: عدم الجدال في الحج

والسادس: اتباع السنة واجتناب البدع.

---

1 (?) لطائف المعارف ص 491.

2 (?) سورة البقرة الآية: 197.

3 (?) رواه البخاري كتاب الحج بـاب فضل الحج الـبرور حـديث 1521، ومسـلم كتـاب الحج بـاب فضل الحج والعمـرة ... حديث 1350.

5- حـلاوة الـجهـاد في سبيل الله

إن الجهاد في سـبيل الله لمن أعظم الطاعـات وأجل القربـات، وأفضل الأعمـال بعد الإيمـان بالله وبرسـوله ﷺ، فهو ذروة سـنام الإسـلام وقبتـه، وبه تعلو كلمة الإيمـان وتتسع رقعة الإسـلام وينـال شـرفه وعزته من خلال دحر قـوى الكفر والمشـركين وإعلاء راية الـدين، ونشر الحق بين الناس أجمعين، وأهله ينالون أعلى المنازل في الجنة والرفعة في الـدنيا، فهم الأعلـون في الـدنيا والآخـرة والفائزون بأعظم اللذات فيهما[1].

وقد قرن الله الجهـاد بالإيمـان في مواضع كثـيرة من كتابه العزيـز، كما بين أن المجاهـدين في سـبيله هم أهل حقيقة الإيمان الذين يذوقون حلاوته.

فمن ذلك قوله تعالى: چۈ ۇ ۆ ۋ ۋ ې ې ې ى ې چ[2]. قال الطبري: (أولئك هم أهل الإيمـان بالله ورسـوله حقّـاً، لا من آمن ولم يهـاجر دارَ الشـرك، وأقـام بين أظهر أهل الشـرك، ولم يغـزُ مع المسلمين عدوهم)[3].

وقال السـعدي -في بيـان سـبب وصـفه هـؤلاء بحقيقة الإيمان-: (لأنهم صـدقوا إيمـانهم بما قـاموا به من الهجـرة والنصرة والموالاة بعضـهم لبعض، وجهـادهم لأعـدائهم من

---

[1] (?) انظـر: زاد المعـاد 3/5، ولطـائف المعـارف ص 429، العبادة واجتهاد السلف فيها تأليف: صلاح الدين عبد الموجـود ص 242.

[2] (?) سورة الأنفال الآية 74.

[3] (?) تفسير الطبري 14/88.

الكفـــــــــــــــار والمنـــــــــــــــــافقين ﭽ ﯚ ﭼ من اللّه تمحى بها سيئاتهم، وتضمحل بها زلاتهم، ولهم ﭽ ﯛ ﭼ أي: خير كثير من الرب الكريم في جنّات النّعيم، وربما حصل لهم من الثـــــواب المعجل ما تقر به أعينهم، وتطمئن به قلـوبهم)[1]. وهـذه إشـارة إلى ما يناله المجاهد من نعيم الدنيا إضافة إلى ما ذكره الله من نعيم الآخـرة، وأن الله قد يعجل له من هـذه النعمة ما تقـرّ به عينه ويطمئن به قلبـه، بـأن يـذوق حلاوة الإيمـان في قلبه لوصوله بالجهاد إلى أعلى منازل الإيمان.

ومنها قوله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ[2].

قال السعدي: ﭽ ﮪ ﮫ ﭼ أي: (على الحقيقة ـــ من جمعـوا بين الإيمـان والجهـاد في سـبيله، فـإن من جاهد الكفـار، دل ذلك على الإيمـان التـام في القلب، لأن من جاهد غـيره على الإسـلام، والقيـام بشـرائعه، فجهـاده لنفسه على ذلـك، من بـاب أولى وأحـرى؛ ولأن من لم يقو على الجهـاد، فـإن ذلك دليل على ضـعف إيمانه ـــ وقوله: ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ أي: الـذين صـدقوا إيمـانهم بأعمـالهم الجميلةــ)[3].

وقال شيخ الإسلام: (وأخبر في كتابه أن الصـدق في الإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله)[4].

كما قـرن النـبي كـذلك بين الإيمـان والجهـاد في أحاديث كثيرة منها:

---

[1] (?) تفسير السعدي ص 328.

[2] (?) سورة الحجرات الآية: 15.

[3] (?) تفسير السعدي ص 808.

[4] (?) مجموع الفتاوى 3/212.

حـــديث أبي ذر قـــال: ســـألت النـــبي : أي العمل أفضـل؟ قـال: « إيمـان بالله وجهـاد في سـبيل»[1]. وفي رواية عن أبي هريـرة قـال: سـئل النـبي أي الأعمـال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قـال: ثم مـاذا؟ قـال: «جهـاد في سـبيل الله»[2]. وفي هـذا بيـان فضل الجهـاد وعظم مكانته ومنـــزلته في الـدين، والنصـوص في ذلك كثـيرة جـدا كما أشـار إليه شـيخ الإسـلام فقـال: (والأمر بالجهـاد وذكر فضـائله في الكتـاب والسـنة أكـثر من أن يحصر ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسـان ... ولم يـرد في ثـواب الأعمـال وفضـلها مثل ما ورد فيه، وهو ظـاهر عند الاعتبـار، فـإن نفع الجهـاد عـام لفاعله ولغـيره في الدين والدنيا ومشتمل على جميع أنواع العبـادات الباطنة والظـاهرة، فإنه مشـتمل من محبة الله تعـالى والإخلاص له، والتوكل عليه وتسـليم النفس والمـال له، والصـبر والزهد وذكر الله، وسائر أنواع الأعمال على ما لا يشتمل عليه عمل آخر)[3].

---

1 (?) رواه البخاري كتاب العتق باب أي الرقاب أفضل حـديث: 2518، ومسلم كتاب الإيمان بـاب كـون الإيمـان بالله أفضل الأعمال حديث: 84.

2 (?) رواه البخاري كتاب الحج باب فضل الحج المبرور حـديث 1519، ومسلم كتاب الإيمان بـاب كـون الإيمـان بالله أفضل الأعمال حديث: 83.

3 (?) مجموع الفتاوى 28/352-353.

وقد عـرّف العلمـاء الجهـاد بأنه اسـتفراغ الطاقة في مدافعة العــدو[1]، وهو ثلاثة أنــواع: جهــاد النفس وجهــاد الشيطان وجهاد العدو الكافر[2].

وأما جهاد النفس فهو اسـتفراغ الطاقة في دفعها إلى طاعة الله ، وامتثال جميع ما أمر الله به والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه[3]. وهذا النوع هو أصل جهاد العدو ومقدم عليــــه، لقوله : «المجاهد من جاهد نفســــه في طاعة الله»[4]. ومن لم يجاهد نفسه أولاً لتفعل ما أمـــرت بــــه، وتـترك ما نهيت عنـه، ويحاربها في اللــه، لم يمكنه جهـاد عدوه[5].

وأما جهاد الشيطان، فقد بين ابن القيم بأن ذلك يكون على مرتبتين:

---

1 (?) انظر: تفسير الطبري 18/689، وتفسير البغوي 1/402، والمفردات لألفاظ القرآن ص 208

2 (?) انظر: زاد المعـاد 3/6، والمفـردات لألفـاظ القـرآن ص 208.

3 (?) انظر: تفسير القرطبي 12/99، ولطائف المعـارف ص 427.

4 (?) رواه الإمــام أحمد في المســند 6/21، وقــال محققو الموسـوعة (39/386) إسـناده صـحيح، ورواه كـذلك الـبيهقي في شــعب الإيمــان 7/499، وصــححه الشــيخ الألبــاني في السلسلة الصحيحة 2/89.

5 (?) انظر: زاد المعاد 3/6.

إحـــداهما: جهـــاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان، والثانية: جهاده على دفع ما يلقي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات[6].

وأما جهاد العدو الكافر فهو قتاله في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، وهو أخص باليد، وقد يكون بالقلب واللسان والمال والنفس[2].

وهذه الأنواع الثلاثة هي المذكورة في قوله تعالى: چ ڈ ڈ [illegible] چ[3].

قال ابن القيم - رحمه الله - (فحق جهاده أن يجاهد العبد نفسه ليسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله، فيكون كلّه لله وبالله لا لنفسه ولا بنفسه، ويجاهد شيطانه بتكذيب وعده ومعصية أمره وارتكاب نهيه، فإنه يَعِدُ الأَمَانِيَّ ويُمَنِّي الغرور ويعد الفقر، ويأمر بالفحشاء وينهى عن التُّقَى والهدى والعِفّة والصبر، وأخلاق الإيمان كلها، فجاهده بتكذيب وعده ومعصية أمره، فينشأ له من هذين الجهادين قوة وسلطان وعُدّة يجاهد بها أعداء الله في الخارج بقلبه ولسانه ويده وماله، لتكون كلمة الله هي العليا)[4].

~~والجهاد الأول والثاني بهما يتحقق شرطان من شروط حلاوة الإيمان:~~

~~أما الأول فهو قوله ﷺ: «أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» وهذا لا يتحقق إلا لمن جاهد نفسه~~

---

6 (?) زاد المعاد 3/10.

2 (?) انظر: زاد المعاد 3/10، ولطائف المعارف ص 427.

3 (?) سورة الحج الآية 78.

4 (?) زاد المعاد 3/7-8.

على طاعـــة اللـــه ورســـوله ، ولأن المحب لمن يحب مطيع.

وأما الثاني فقوله : «أن يكره أن يعود في الكفر كما يكـره أن يقـذف في النـار» وهـذا إنمـا يتحقـق من خلال مجاهدة الشيطان ومعصية أمره، فهو الـذي يـأمر بـالكفر والمعاصي، ومجاهدته والتغلب عليه يوجب كراهية العودة إلى الكفـر، فيتحقـق لـه بعـد ذلـك محبـة اللـه ورسـوله، فيحب مـا يحبـه اللـه ورسـوله من الطاعـات ويكـره مـا يكرهـه اللـه ورسـوله من المعاصـي ويجـد بـذلك حلاوة الإيمان.

قال شـيخ الإسـلام -رحمـه اللـه -: (وذلك لأن الجهـاد حقيقته الاجتهـاد في حصـول ما يحبـه الله من الإيمـان والعمل الصـــــالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان)[1].

ثم يأتي الجهاد الثالث وهو الخروج إلى العدو ثمـرة للأول والثاني، أي: ثمرة لمحبة الله والإيمـان بـه وكـره ما يضاد ذلك، فإن المجاهد في حالة خروجه في سـبيل الله قد امتلأ قلبه محبة الله ورسوله، وكمل إيمانه حتى اختلـط بدمـه ولحمـه فلا يتهـاون عنـد ذلـك في تقـديم نفسه التي هي أحب الأشياء إليه لله . ويدل على ذلـك ما يلي:

1- أن الله تعالى وصف المجاهـد بكمـال المحبـة في قوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﭼ[2] حيث أخبر الله سبحانه بمحبته للمؤمنين ومحبتهم

1 (?) مجموع الفتاوى 10/191.

2 (?) سورة المائدة الآية: 54.

له، وأن من علامات هذه المحبة: الجهاد في سـبيل اللـه، وأن لا تأخذهم في الله لومة لائم تحقيقا لكمـال المحبـة، فكل محب يأخـذه اللـوم عن محبوبـه فليس بمحبـة على الحقيقة[1].

قال شيخ الإسلام: (بـل قـد جعـل محبـة اللـه ومحبـة رسوله الجهاد في سبيله، والجهاد يتضـمن كمـال محبـة ما أمر الله به، وكمال بغض ما نهى الله عنه)[2].

2- أن الله أخبر بأن المجاهد قد بـاع نفسـه الـتي هي أحب الأشياء إليه لله ، وذلك في قوله تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﭼ[3].

قال ابن كثير -رحمه اللـه -: (يخـبر تعـالى أنه عـاوض عبــاده المؤمــنين عن أنفســهم وأمــوالهم إذ بــذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحســانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له)[4].

وقـال السـعدي -رحمـه اللـه-: (وإذا أردت أن تعـرف مقدار الصفقة، فانظر إلى المشتري من هو؟ وهو اللّه ، وإلى العوض، وهو أكـبر الأعـواض وأجلهـا، جنـات النعيم، وإلى الثمن المبذول فيهـا، وهو النفس والمـال، الـذي هو أحب الأشياء للإنسان، وإلى من جرى على يديه عقد هـذا

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين 3/23.
2 (?) مجموع الفتاوى 10/210.
3 (?) سورة التوبة الآية 111.
4 (?) تفسير ابن كثير 2/512.

التبايع، وهو أشرف الرسـل، وبـأي كتـاب رقم، وهي كتب اللّه الكبار المنـزلة على أفضل الخلق)[1].

وفي هذا تأكيد بعـد تأكيـد على مـا نالـه المجاهـد في سبيل الله من المقامات الرفيعة والدرجات العاليـة الـتي لا تتحقق إلا بتقديم أعلى مقامات الإيمان وأرفـع درجـات المحبة، والمجاهد في سـبيل اللـه قـد ضـرب أروع أمثلـة بتقديم أحب الأشياء إليه لمحبوبه الذي لا محب له سواه، وبه كمال حياته ومماته.

3- أنه سبحانه أخبر بفرح الشـهيد واستبشـاره بحلاوة الحياة البرزخية، وذلك في قوله تعالى: ﭽ ﭐ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮑ ﮐ ﮏ ﮎ ﮍ ﮌﭼ[2]. (أي: مغتبطين بـذلك، قد قرّت به عيـونهم، وفـرحت به نفوسـهم، وذلك لحسنه وكثرته، وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليــه، وعــدم المنغص فجمع الله لهم بين نعيم البــدن بــالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضـله فتم لهم النعيم والسرور)[3].

وهـذا النعيم والسـرور، يـرد المـؤمن من نفحاتهـا في هذه الدنيا، فيجد بهـا لـذة وحلاوة في نفسـه كمـا صـورها ابن القيم - وهـو يقارنهـا بلـذة الـدنيا - فقـال: (أين هـذه اللذة من اللذة بأمر إذا خالط بشاشته القلوب سـلى عن الأبناء والنساء، والأوطان والأموال والإخـوان والمسـاكن،

---

1 (?) تفسير السعدي ص 353.

2 (?) سورة آل عمران الآية 170.

3 (?) تفسير السعدي ص 157.

ورضـــي بتركها كلها، والخـــروج منها رأسا وعـــرض نفسه لأنواع المكاره والمشاق وهو مُتَحَلٍّ بهـذا منشـرح الصـدر به، يطيب له قتل ابنه وأبيه وصاحبته وأخيه، لا تأخــذه في ذلك لومة لائم، حــتى إن أحــدهم ليتلقى الــرمح بصــدره، ويقول: "فزت وربِّ الكعبة"، ويستطيل الآخر حياته حــتى يلقي قُوتَه من يده، ويقـول: إنها لحيـاة طويلة إن صـبرت حتى آكلها، ثم يتقدم إلى الموت فرحاً مسروراً)[1].

4- ما قدمته الصحابة رضـوان اللـه عليهم في الجهـاد من صور البذل والتضحية وتقـديم النفـوس، وإيثـار الجنـة وملذاتها السرمدية على الدنيا وملذاتها الفانية تأكيدا على قوة الإيمان في قلوبهم ومحبتهم لله ورسوله. ومن أمثلة ذلك ما يلي:

---

1 (?) مفتاح دار السعادة 1/60.

أ- قصة عمير بن الحمام[1] في غزوة بدر:

روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله انطلق هو وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر، وجاء المشركون، فقال رسول الله : «لا يُقَدِّمَنَّ أحد منكم إلى شيء حتى أكون أنا دُونَه» فدنا المشركون، فقال رسول الله : «قوموا إلى جنّة عرضها السماوات والأرض» قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنّة عرضها السماوات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: بخٍ بخٍ، فقال رسول الله : «ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ » قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها» فأخرج تمرات من قَرَنِه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة قال: فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتل حتى قتل[2]. وإلى هذه القصة يشير ابن القيم في الكلام المنقول عنه آنفا.

ب- قصة أنس بن النضر[3] في غزوة أحد:

---

1 (?) عُمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري السلمي صحابي جليل قتل في غزوة بدر، وكان أول قتيل قتل في سبيل الله في الحرب (انظر: الإصابة 4/715) .

2 (?) رواه مسلم كتاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد حديث 1901.

3 (?) أنس بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم ابن عدي بن النجار الأنصاري عم أنس بن مالك الأنصاري، قتل يوم أحد شهيدا (انظر: الإصابة 1/132 الاستيعاب ص 34).

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غبت عن أوّل قتال قاتلت المشركين، لَئِن اللهُ أَشْهَدَنِي قتالَ المشركين لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنعُ. فلما كان يوم أحدٍ وانكشف المسلمون، قال: اللّهم إني أَعْتَذِرُ إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابُه -، وَأَبْرَأُ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجَنَّةَ وربِّ النّضر إني أجد ريحَها من دون أحدٍ، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف أو طعنةٌ بِرُمْحٍ أو رميةً بسَهْمٍ ووجدناه قد قُتِل وقد مَثَّل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته بِبَنَانِه. قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭽ[1] إلى آخر الآية[2].

ت- **قصة حنظلة بن أبي عامر[3] غسيل الملائكة يوم أحد**:

فقد روى الحاكم وابن حبان وغيرهما عن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله يقول:

---

1 (?) سورة الأحزاب الآية 23.

2 (?) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب قول الله تعالى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭽ حديث 2806، ومسلم كتاب الإمارة باب ثبوت الجنة للشهيد حديث 1903.

3 (?) حنظلة بن أبي عامر بن صيفي بن مالك بن أمية بن ضبيعة الأنصاري الأوسي المعروف بغسيل الملائكة استشهد يوم غزوة أحد جنبا (انظر: الاستيعاب ص 112، والإصابة (2/137).

وقد كـان النـاس انهزمـوا عن رسـول الله حـتى انتهى بعضـــهم إلى دون الأعـــراض إلى جبل بناحية المدينة، ثم رجعـوا إلى رسـول الله وقد كـان حنظلة ابن أبي عـامر التقى هو وأبو سفيان بن حرب، فلما اسـتعلاه حنظلة رآه شداد بن الأسود فعلاه شداد بالسيف حتى قتله، وقد كـاد يقتل أبا ســفيان، فقــال رســول الله : «إن صــاحبكم حنظلة تغسله الملائكة فسلوا صاحبته» فقالت: خرج وهو جنب لما سمع الهائعة[1]، فقال رسول الله : « فـذاك قد غسلته الملائكة»[2].

فيا لهـا من تضـحيات لم تعـرف الحـدود، فلم تمنعهم لذة الطعام والشراب، ولا لـذة النسـاء في ليلـة العـرس، ولا لذة شيء من أمور هذه الدنيا، بل انسلخوا عنهـا كلهـا حين ذاقوا لذة الإيمان، فاشـتاقوا إلى أعظم اللـذات من أصناف الطعام والشراب، والحور العين، وما لا عين رأت ولا أذن ســمعت ولا خطــر على قلب بشــر. فــانظر إلى تضـحيات هـؤلاء والثمـرة الـتي نالهـا كـل منهم لتعلم أن الـدرجات العلى إنمـا تنـال بالحصـول على أعلى درجـات الإيمان، وهذا هو شأن حلاوة الإيمان ولذته.

---

[1] (?) الهائعة: الصيحة من الهَيْعَةُ وهو الصَّوتُ الـذي تَفْـزَع منه وتَخَافُه من عَدُوّ (النهاية في غريب الحـديث 5/675 وغـريب الحديث للخطابي 2/480).

[2] (?) رواه الحاكم في المستدرك 3/225، وقـال: هـذا حـديث صحيح على شرط مسـلم ولم يخرجـاه، ورواه ابن حبـان في صحيحه 15/495، وقال شـعيب الأرنـؤوط: "حـديث صـحيح" وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة 1/645.

هذا، ويشترط في ذوق حلاوة الجهاد شروط، أهمها ما يلي:

1- الإخلاص لله تعـالى، وأن يكـون الجهـاد في سـبيل إعلاء كلمة الله : ويدل على ذلك ما يلي:

مـا جـاء في الصـحيحين عن أبي موسى قـال: جـاء رجل إلى النـبي فقـال: "الرجل يُقاتِـل للْمَغْنَم، والرجل يُقاتِـــــل للذِّ ِكر والرجل يقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال: «من قاتل لتكـــون كلمة الله هي العليا فهو في ســـبيل الله»[1].

قال النووي - رحمه اللـه-: (فيه بيـان أن الأعمـال إنما تحسب بالنيـــات الصـــالحة وأن الفضل الذي ورد في المجاهـدين في سـبيل الله يختص بمن قاتل لتكـون كلمة الله هي العليا)[2].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أنه سـمع رسـول اللــه يقــول: «إن أول النــاس يُقضى يــوم القيامة عليه رجل اسْتُشهد فأُتِي به فعرّفه نعمه فعرفها. قـــال فما عملت فيها ؟ قـال: قـاتلت فيك حـتى استشـهدتُ قـال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أُمِــر به فسُحِب على وجهه حتى أُلْقِي في النار...»[3].

في هذا الحديث دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبتـه، والحث على وجـوب الإخلاص في الأعمـال، وأن

---

1 (?) رواه البخاري كتاب الجهـاد والسـير بـاب من قاتل لتكـون كلمة الله هي العليا حديث: 2810، ومسلم كتاب الإمارة بـاب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله حـديث 1904.

2 (?) شرح صحيح مسلم للنووي 13/49.

3 (?) رواه مسلم كتاب الإمارة بـاب من قاتل للريـاء والسـمعة استحق النار حديث 1905.

الفضائل الواردة في الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا له الدين[1].

2- أن يكون الجهاد مع الإمام لقوله : «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني، وإنما الإمام جُنَّةٌ يُقَاتل من ورائه ويُتَّقَى به، فإن أمر بتقوى الله وعَدَل فإن له بذلك أجرا، وإن قال بغيره فإن عليه منه»[2]. فهذا الحديث دليل على أن أمر الجهاد موكول للإمام، ولا يجوز إلا معه، لقوله : «الإمام جنّة» أي: كالستر، لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الإسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته. وقوله: «يقاتل من ورائه» أي: يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد والظلم مطلقا[3].

والمقصود بالإمام هنا هو كل إمام اجتمعت عليه كلمة المسلمين، واستقل بالولاية في قطر من أقطار المسلمين برّاً كان أو فاجراً، فإن الذي عليه عقيدة السلف الصالح هو وجوب طاعة الإمام والقتال معه براً كان أو فاجراً.

قال الإمام أحمد -رحمه الله-: (والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة

---

[1] (?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 13/50-51.

[2] (?) رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به حديث 2957، ومسلم كتاب الإمام جنة يقاتل من ورائه ويتقى به حديث 1841.

[3] (?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 12/230.

فاجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين)[1].

وقال أيضا: (والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يترك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم)[2].

وقال أبو عثمان الصابوني[3] -رحمه الله-: (ويرى أصحاب الحديث الجمعة، والعيدين، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم، برا كان أو فاجرا، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورةً)[4].

فعلم بذلك أن الجهاد لا ينعقد إلا مع الإمام، وأن من خرج إلى الجهاد من غير إذنه يعتبر خارجا عن طاعته، مخالفا لما ثبت بالأدلة الصريحة في الكتاب والسنة على وجوب طاعة الإمام.

قال الشافعي: قال الأوزاعي في الرجل والرجلان خرجا من المدينة أو من مصر فأغارا في أرض الحرب، قال: (إذا خرجا بغير إذن الإمام فإن شاء عاقبهما وحرمهما، وإن شاء خمس ما أصابا ثم قسمه بينهما)[5].

---

1 (?) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي 1/160.

2 (?) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي 1/160-161.

3 (?) هو شيخ الإسلام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل الصابوني النيسابوري الشافعي الواعظ المفسر المصنف أحد الألاعم، ولد سنة 373هـ، وتوفي سنة 449هـ (سير أعلام النبلاء 18/40، شذرات الذهب 3/2819).

4 (?) عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص 294.

5 (?) الأم للشافعي 7/372.

وقال الشيخ منصور البهوتي: (ولا يجوز الغزو إلا بإذن الأمير، لأنه أعرف بالحرب وأمـره موكـول إليـه، ولأنه لم تجز المبارزة إلا بإذنه فالغزو أولى)[1].

هذه أبرز شروط انعقـاد الجهـاد في سـبيل اللـه، وبها يتحقق جميع ما ورد من فضـــائل الجهـــاد، وبتمامها يجد المجاهد حلاوة الإيمان.

وأما ما تقـوم به الفئـات الضـالة في عصـرنا الحاضر من أعمـال التخـريب والإفسـاد من تفجـير وقتل للأبريـاء وتــدمير للممتلكــات، وترويع للآمــنين باسم الجهــاد، فإنه عمل إجرامي خطير، ونسـبتها إلى الجهـاد كـذب وبهتـان، فالجهـاد الإسـلامي على ضـوء ما تقـدم بـريء من هــذه الأعمـال، وإنما أتي هـؤلاء من شـبهات شـيطانية تمكنت في نفوسهم، وأشـربت في قلـوبهم حـتى إنهم ليفجـرون أنفسـهم في سـبيل هـذا العمل الإجـرامي قياسا على ما كان يفعله بعض الصحابة في جهادهم، والفرق بين هــؤلاء وأولئك واضح جـــدا، فأولئك قـــاتلوا لإعلاء كلمة الله وراء الإمام، فنشروا بذلك الدين إلى أقطار العالم، وأما هــؤلاء فلا دينا نصروا، ولا كفرا منعوا، بل دنسوا صـفحات تـاريخ المســلمين بأفعــالهم الســيئة، وكم أريقت جــراء هـــذه الأعمـال من دمـاء، وكم انتهكت في سـبيلها من حرمـات الإسلام والمسلمين، وهـؤلاء لم يـذوقوا حلاوة الجهـاد بل ولم يشموا رائحتها، إنما ذاقوا حلاوة الشبهات التي سول لهم الشيطان، وحالهم أشـبه بحـال الخـوارج الـذين قـال فيهم النــبي ﷺ: «سـيخرج قـوم في آخر الزمــان أحــداث الأسنان، سـفهاء الأحلام، يقولـون من خـير قـول البرية لا يجاوز إيمـانهم حنـاجرهم، يمرقـون من الـدين كما يمـرق السـهم من الرميـة، فأينما لقيتمـوهم فـاقتلوهم فـإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة»[2].

---

1 (?) كشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي 3/82.

2 (?) رواه البخاري كتاب استتابة المرتدين باب قتل الخوارج... حديث 6930، ومسلم كتاب الزكاة باب التحـريض على قتل

وقد أجمع العلمــاء الربــانيون في هــذا العصر على فساد هذه الأعمال وذم القائمين بهـا، كما ظهـرت العديد من الفتــاوي في التنديد بأعمــالهم وإنكارها وضــرورة التعـاون على دفع شـرها والتحـذير منهـا، وكـان من هـذه الفتـاوي ما ظهر في بيـان مجلس هيئة كبـار العلمـاء في دورته التاســعة والخمســين الــتي انعقــدت في مدينة الطائف بتاريخ 11/6/1424هـ ، ومما جاء فيه: (إن القيام بأعمــال التخــريب والإفســاد من تفجــيرٍ وقتــلٍ وتــدميرٍ للممتلكات عمـلٌ إجـراميٌّ خطـير، وعـدوان على الأنفس المعصــومة، وإتلاف للأمــوال المحترمــة، فهو مقتض للعقوبة الشــرعية الزاجــرة الرادعة عملا بنصــوص الشـريعة، ومقتضـيات حفظ سـلطانها، وتحـريم الخـروج على من يتولى أمر الأمة فيها ...

ومن زعم أن هذه التخريبات وما يـراد بها من تفجـير وقتل من الجهـاد، فـذلك جاهل ضـالٌّ فليست من الجهـاد في سبيل الله في شيء ...)[1].

الخوارج حديث 1066.

[1] (?) مجلة الدعوة الرياض عدد 1906 وتاريخ 22/6/1424هـ.

6- حـلاوة غـض البصـر عـن المحـارم

إن غض البصر عن رؤية ما حرمه الله ﷻ من العـورات والنســاء الأجنبيــات من أعظم موجبــات حلاوة الإيمــان ولذتـــه، فقد أمر الله به وجعله علامة لصـــحة الإيمـــان ووسيلة لتزكية القلوب من خلال مقاومة شـهوات النفس وإراداتها، والاجتهـاد على قمعها امتثـالا لأمر الله ورسـوله ﷺ، فيعوضه الله نـورا في قلبه يجد به لـذة أعظم من تلك التي تركها من أجله سبحانه. ويدل على ذلك ما يلي:

قوله تعالى: ﭽ ڃ ڃ ڃ چ چ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ﭼ[1]. في هذه الآية يأمر الله سبحانه نبيه ﷺ بـأن يخـبر المؤمنين الذين معهم إيمـان، يمنعهم من وقـوع مـا يخـل بالإيمـان، أن يغضـوا أبصـارهم عن النظـر إلى العـورات وإلى النساء الأجنبيات، وأن يحفظوا فروجهم عن الــوطء الحـرام، وبيّن أن ذلـك أزكى وأطهـر لهم وأطيب، وأنمى لأعمــالهم[2]، فجعــل الزكــاة بعــد غض البصــر وحفــظ الفرج[3].

قال شيخ الإسلام: (فالغض من البصـر وحفـظ الفـرج يتضــمن البعــد عن نجاســة الــذنوب، ويتضــمن الأعمــال الصــالحة الــتي يزكــو بهــا الإنســان، وهــو أزكى، والزكــاة تتضمن الطهارة، فإن فيهـا معـنى تـرك السـيئات ومعـنى فعل الحسنات)[4].

وقـال السـعدي: (فـإن من حفظ فرجه وبصـره طهر من الخبث الذي يتدنس به أهل الفــواحش، وزكت أعماله بسبب ترك الْمُحَرَّم الذي تطمع إليه النفس وتـدعوا إليـه، فمن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه، ومن غض بصره عن الْمُحَرَّم، أنار الله بصـيرته، ولأن العبد إذا حفظ فرجه

---

1 (?) سورة النور الآية: 30.

2 (?) انظر: تفسير السعدي ص 566.

3 (?) إغاثة اللهفان 1/59.

4 (?) مجموع الفتاوى 15/387.

وبصـره عن الحـرام ومقدماتـه، مع داعي الشـهوة، كـان حفظه لغيره أبلغ...)[1].

قلت: وفي قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﭼ على وزن أفعل التفضيل وعدم الاكتفاء بمجرد التزكية ما يـدل على عظم مقدار العوض، والله يجازي الحسنات بالحسنات، ويجازي الأحسن بالأحسـن، فغض البصر مع قـوة مقتضـيات الشهوة وميل النفـوس ما يؤكد قـوة المحبة في الامتثـال بأمر الله ، ولو لم يكن الله أحب إليه من شـهوات نفسه لم يقو إلى ذلك. وعليه فقد اجتمعت للمـؤمن الـذي غض بصــره عن المحــارم جميع مقومــات حلاوة الإيمــان من محبة الله ورسـوله وطاعتهمـا، ومعصـية أوامر الشـيطان وقهره.

وقد ذكر أهل العلم في غض البصر من الفوائد ما يؤكد ذلك:

1- أنه امتثال لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعــاده، فليس للعبد في دنيــاه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه تبـارك وتعـالى، وما سَعِد من سَعِد في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامره، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره[2].

2- أنه يـــورث حب الله ، فقد روى ابن الجـــوزي بسنده إلى مجاهد أنه قـال: (غض البصر عن محـارم الله يورث حب الله)[3].

---

1 (?) تفسير السعدي ص 566.

2 (?) الداء والدواء ص 349.

3 (?) ذم الهوى لابن الجوزي ص 141.

3- أنه يـورث حلاوة الإيمـان ولذته[1] الـتي هي أحلى وأطيب وألذ مما صرف بصـره عنـه، فـإن من تـرك شـيئا لله عوضه الله خــيرا منــه، والنفس مولعة بحب النظر إلى الصــور الجميلــة، والعين رائد القلب، فيبعث رائــده لنظر ما هناك، فإذا أخـبره بحسن المنظـور إليه وجمالـه، تحــرك اشــتياقا إليــه، ... فــإذا كف الرائد عن الكشف والمطالعة استراح القلب من كلفة الطلب والإرادة، فمن أطلق لحظاته دامت حسراته[2].

4- أنه يورث القلب سروراً وفرحةً، وانشـراحاً أعظم من اللذّة والســـرور الحاصل بـــالنظر، وذلك لقهـــره عـــدوه بمخالفته ومخالفة نفسه وهــــواه، وأيضا فإنه لما كفّ

---

[1] (?) وردت بذلك أحاديث صريحة عن النبي ولكنها لا تخلو من ضعف: فقد روى الحاكم وغيره عن حذيفة قال: قال رسـول الله : «النظرة سـهم من سـهام إبليس مسـمومة فمن تركها من خــــوف الله أثابه جل وعز إيمانا يجد حلاوته في قلبـــه» (المستدرك 4/349) وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسـناد و لم يخرجـاه" قـال الشـيخ الألبـاني في السلسـلة الضـعيفة (2/177): "ضعيف جدا". وروى الإمام أحمد عن أبي أمامة عن النبي قال: «ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصـره إلا أحـدث الله له عبـادة يجد حلاوتها» (مسـند الإمام أحمد 5/264) قال شعيب الأرنؤوط: "ضعيف جدا" وكذا قال الشيخ الألباني في السلسـلة الضـعيفة 3/176، وقد أورد ابن كثـير هـذا الحـديث، ثم قـال: "وروي هـذا مرفوعا عن ابن عمر وحذيفة وعائشة رضي الله عنهم، ولكن في إســــنادها ضعف إلا أنها في الترغيب ومثله يتسامح فيه (نفسير ابن كثير 3/374).

[2] (?) إغاثة اللهفان 1/59-60، وانظر كذلك: مجمـوع الفتـاوى 15/420.

لذته وحبس شــــهوته لله وفيها مســــرةُ نفسه الأمـــــارة بالسـوء، أعاضه الله سـبحانه مسرّةً ولذّةً أكمل منها، كما قال بعضهم: "والله لَلَذّة العفّةِ أعظم من لذّة الذنب"، ولا ريب أن النفس إذا خـــــــــالفت هواها أعقبها ذلك فرحا وسـرورا ولـذة أكمل من لـذة موافقة الهـوى بما لا نسـبة بينهما[1].

5- في غض البصر نــور القلب وصـحة الفراسـة، أما النـــور فتظهر في العين والجـــوارح، كما أن إطلاق البصر يـــورث ظلمة تظهر في وجهه وجوارحــــه، وأما الفراسة فإنها من النــــور وثمراتـــه، وإذا اســـتنار القلب صـــحت الفراسة فيمـــيز بها بين الحق والباطـــل، وسِـــرُّ ذلك أن الجزاء من جنس العمل، فمن غض بصره عما حرم الله عليه، عوضه الله تعالى من جنسه ما هو خـير منـه، فكما أمسك نور بصره عن المحرمات، أطلق الله نـور بصـيرته وقلبه، فرأى به ما لم يره من أطلق بصره ولم يغضه عن محارم الله تعالى[2].

6- أنه يــورث القلب أنساً بالله وجمعــه عليــه، فــإن إطلاق البصر يفرق القلب ويشتته ويبعده من الله، وليس على العبد شــــــــــيء أضر من إطلاق البصر، فإنه يوقع الوحشة بين العبد وبين ربه[3].

---

1 (?) روضة المحبين ص 119.

2 (?) انظـر: مجمـوع الفتـاوى 15/425، وروضة المحـبين ص 119، وإغاثة اللهفان 1/61، والداء والدواء ص 349-340.

3 (?) الداء والدواء ص 349.

7- أنه يــورث قــوة القلب وثباته وشــجاعته، فيعطيه الله تعــالى بقوته ســلطان النصــرة كما أعطــاه بنــوره ســـــلطان الحجة فيجمع له بين الســـــلطانين ويهـــــرب الشيطان منه[1].

8- أنه يمنع من وصــول أثر الســهم المســموم الــذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه[2].

9- أنه يسد على الشــيطان مدخله من القلب، فإنه يدخل مع النظـرة وينفذ معها إلى القلب أسـرع من نفـوذ الهوى في المكان الخالي، فيمثل له صورة المنظــور إليه ويزينها، ويجعلها صـــــنما يعكف عليه القلب، ثم يعـــــده ويمنيه، ويوقد على القلب نار الشـهوة ويلقي عليه حطب المعاصي الــتي لم يكن يتوصل إليها بــدون تلك الصــورة فيصير القلب في اللهب[3].

10- أنه يخلص القلب من سُـــكر الشـــهوة ورقْـــدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق[4].

11- أنه يخلص القلب من ألم الحســـرة، فـــإن من أطلق نظــره دامت حســرته، فأضـَـرُّ شــيءٍ على القلب إرســال البصر، فإنه يريه ما يشـتد طلبه ولا صـبر له عنه، ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه[5].

---

1 (?) انظـر: مجمـوع الفتـاوى 15/426، وروضة المحـبين ص 119، وإغاثة اللهفان 1/61. والداء والدواء ص 351.

2 (?) الداء والدواء ص 349.

3 (?) الداء والدواء ص 352.

4 (?) روضة المحبين ص 120.

5 (?) روضة المحبين ص 113.

هـذه جملة من الفوائد الـتي ذكرها ابن القيم وشـيخه ابن تيمية رحمهم الله في غض البصـــر، وهي تشـــير إلى الثمرات التي يجنيها من غض بصـره عما حرمه الله من نور في قلبه وقوة، وحلاوة ولذة، وقهر لإرادات الشيطان وسد لمسـالكه، ما يهيئه لـذوق أعظم اللـذات في الـدنيا والآخرة.

ويشـترط في تحقيق هـذه اللـذة خـوف الله وغض البصر على الفور، وعـدم التمـادي في النظر بعد النظـر، وقد صحت بذلك أحاديث عن رســول الله ، أذكر منها ما يلي:

1- عن جرير بن عبد الله البجلي قال: سألت النـبي عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرفَ بَصَري[1]. في هذا الحـديث دليل على أن من وقع بصـره على امـرأة أجنبية من غـير قصد فلا إثم عليـه، ولكنه يجب عليه أن يصـرف بصره في الحال، وإن استدام النظر أثم لذلك[2].

2- وعن علي بن أبي طـالب قـال: قـال لي رسـول الله : «لا تتبع النظــرة النظــرة، فـإن لك الأولى وليست لك الآخــرة»[3]. قــال العيــني: (أي: لا تجعل نظرتك إلى الأجنبية تابعة لنظرتك الأولى الـــتي تقع بغتة وليست لك النظرة الآخرة لأنها تكـون عن قصد واختيـار فتـأثم بها أو تعاقب)[4].

---

1 (?) رواه مسلم كتاب الآداب باب نظر الفجأة حديث 2159.

2 (?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 14/139.

3 (?) رواه أبو داود كتاب النكاح باب ما يؤمر به من غض البصر حديث 2149، والترمذي كتاب الأدب عن رسـول الله بـاب ما جـاء في نظر الفجـأة حـديث 2777، وقـال: هـذا حـديث حسن غـريب، وحسـنه الشـيخ الألبـاني في صـحيح سـنن أبي داود 2/403.

4 (?) عمدة القاري 20/119.

وقــال المنــاوي - رحمه اللــه-: (فــإن الإنســان خلق مفتوح العين عمول اللحاظ، ومن شـأن عينه أن تطـرف، فإذا وقع بصره على شيء لم يؤاخذ لعدم العمل القلـبي، فـإذا أعمل بصـره بعد فإنه أعمله القلب، فـالأول مرفـوع عنه، والثـاني مكلّـف به، فلما وقع بصــره على محاســنها وجب الغض، فــــــــإذا امتثل الأمر فقد قمع نفسه عن شــهوتها، فجــوزي بإعطائه نــوراً وجد به حلاوة العبــادة، وذلك داع إلى ازدياد منها، وكلما ازداد منها في هذه الدار ازداد رفعة في دار القرار)[1].

---

1 (?) فيض القدير 5/496.

الفصل الثاني
حلاوة الإيمان بالملائكة والكتب والنبيين

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حلاوة الإيمان بالملائكة

المبحث الثاني: حلاوة الإيمان بالكتب

المبحث الثـالث: حلاوة الإيمـان بالأنبيـاء والرسل عليهم السلام

المبحث الأول
حلاوة الإيمان بالملائكة

تقدمت الإشارة إلى أن حلاوة الإيمان داخلة في جميع أصول الإيمان وشعبه العظام، وأنها ثمرة من ثمرات الإيمان، وأنه لا بد لمن يريد اجتناء هذه الثمرة أن يحقق جميع أصول الإيمان الستة، وقد تقدم بيان ما يذاق من حلاوة ولذة من خلال تحقيق الركن الأول الذي هو الإيمان بالله وتوحيده سبحانه. وهذا شروع في بيان حلاوة ما تبقى من أركان الإيمان.

والإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الذي لا يصح إيمان عبد، ولا يذوق حلاوته إلا بالإيمان به، لقوله تعالى: ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ   ﭼ[1]، وقوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭼ

ولقوله في حديث جبريل المشهور: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ... »[2].

فقد دلت هذه النصوص على أن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان وركن أساس من أركانه، وأن تمام البِرِّ لا يتحقق إلا بالإيمان بهم، وقد تقدم من كلام ابن القيم ما يفيد بأن بِرَّ القلب هو وجود طعم الإيمان وحلاوته فيه[3].

والقــرآن والســنة مملــوءان بــذكر الملائكــة وبيــان أصنافهم ومراتبهم، وعظم خلقهم ووظائفهم، فعلى العبد المــؤمن أن يــؤمن بــأن لله تعــالى ملائكة خلقهم الله

---

[1] (?) سورة البقرة الآية 285.
[2] (?) تقدم تخريجه في ص 57.
[3] (?) انظر: ص 219.

لعبادته، وأنهم كـرام بـررة طـاهرون مطيعـون لا يعصـون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنهم عبـاد مكرمـون ليس لهم من الألوهية أو الربوبية نصيب، ويـؤمن بكل ما ورد فيهم من أخبـار الكتـاب والسـنة الصـحيحة. فمـتى اسـتقر هـذا الإيمـان في قلب العبد واستشـعر ذلك في أعماله التعبدية وجد بذلك قوة وفرحة ولذة لا يعدلها شي من لذات الدنيا، وبيان ذلك كما يلي:

1- أن الإيمـان بالملائكة من الإيمـان بـالأمور الغيبية الـتي لا يُحس بها في عـالم المشـاهدة، وقد امتـدح الله المؤمنين بالغيب وأخبر بأنهم أهل حقيقة الإيمان فقال: ﭽ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵﭶﭼ[1]. قال السعدي: (حقيقة الإيمـان: هـو التصـديق التـام بمـا أخـبرت بـه الرسـل، المتضـمن لانقيـاد الجـوارح، وليس الشـأن في الإيمـان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بهـا المسـلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نـره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله ﷺ ...)[2].

وفي الإيمان بالملائكة دليل على قوة الإيمان وسلامة القلب وانقياده وتسليمه التام لما أخبر الله بـه في كتابـه وأخبر به رسوله ﷺ الأمر الذي يوجب حياة القلب وابتهاجه وسروره.

2- أن الإيمان بالملائكة سـبب لمحبـة اللـه ﷻ وذلـك من خلال استشعار المؤمن فضـل اللـه ورحمتـه وكرمـه عليـه، حين خلـق هـذا الصـنف من الخلـق وجعـل من وظائفهم ما يحقق له السعادة في الدنيا ولآخرة:

---

[1] (?) سورة البقرة الآية 3.

[2] (?) تفسير السعدي ص 40.

فهذا جبريل : صاحب الوحي الذي به حياة القلوب والأرواح وميكائيل : صاحب القطر الذي به حياة الأرض والحيوان والنبات، وإسرافيل : صاحب الصور[1] الذي إذا نفخ فيه أحيت نفخته بإذن الله الأموات، وأخرجتهم من قبورهم[2].

وهؤلاء الحفظة الذين يحفظونه ويحرسونه من جميع الشرور، كما في قوله تعالى: ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﮚ ﮊ[3] أي: ملائكة يحفظون بدنه وروحه من كل من يريده بسوء، ويحفظون عليه أعماله، وهم ملازمون له دائما[4]. فهذا النوع من الخدمة لو قدمه أحد لصاحبه أحبه بكل قلبه، فكيف وهي خدمة إلهية ربانية تفضل بها الرب سبحانه على عباده المؤمنين.

وهؤلاء حملة العرش الذين مع عظم مسؤوليتهم إلا أن الله جعل من أعمالهم الاستغفار لعباده المؤمنين. قال تعالى: ﮋ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﮊ[5]. قال السعدي: (وهذا من جملة فوائد الإيمان وفضائله الكثيرة جدا، أن الملائكة الذين لا ذنوب عليهم يستغفرون

---

1 (?) اشتهر القول بين كثير من أهل العلم والمفسرين بأن إسرافيل هو الذي ينفخ في الصور، إلا أن ذلك لم يثبت بدليل صحيح كما بينه المحققون (انظر: معتقد فرق المسلمين في الملائكة المقربين ص 44-46).

2 (?) زاد المعاد 1/44.

3 (?) سورة الرعد الآية: 11.

4 (?) انظر: تفسير السعدي ص 414.

5 (?) سورة غافر الآية: 7.

لأهل الإيمان، فالمؤمن بإيمانه تسبب لهذا الفضل العظيم)[1].

وتسبب كذلك لصلاة الملائكة عليه ودعائهم له، كما أخبر بذلك سبحانه فقال: چ□ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ □چ[2].ـ (أي: من رحمته بالمؤمنين ولطفه بهم، أن جعل من صلاته عليهم، وثنائه، وصلاة ملائكته ودعائهم، ما يخرجهم من ظلمات الذنوب والجهل، إلى نور الإيمان، والتوفيق، والعلم، والعمل، فهذه أعظم نعمة، أنعم بها على العباد الطائعين، تستدعي منهم شكرها)[3].

ولا شك أن شكر المنعم من أوجب الطاعات على العباد، فهو سبحانه المتفرد بالنعم ودفع النقم، فيجب شكره فوق كل شكر ومحبته فوق كل محبة، لأن فضله عليه بالإيمان فوق كل فضل.

ثم إن الله يحببه إلى الملائكة لمحبته له كما أخبر بذلك النبي □ فقال: «إذا أحبّ الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلاناً فأحبِبْه، فيحبُّه جبريل. فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحبُّ فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» [4].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وإن الله سبحانه إذا أقبل على عبد استنارت جهاته، وأشرقت ساحاته وتنورت ظلماته، وظهرت عليه آثار إقباله من بهجة الجلال وآثار

---

[1] (?) تفسير السعدي ص 732.

[2] (?) سورة الأحزاب الآية: 43.

[3] (?) تفسير السعدي ص 667.

[4] (?) رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة حديث 3209، ومسلم كتاب البر والصلة والآداب باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده حديث 2637.

الجمـال، وتوجه إليه أهل الملأ الأعلى بالمحبة والمـوالاة، لأنهم تبع لمولاهم، فإذا أحبّ عبـداً أحبـوه، وإذا والى وليّـاً والوه ... ويجعل الله قلوب أوليائه تَفِد إليه بالودّ والمحبة والرحمة، وناهيك بمن يتوجه إليه مالك الملك ذو الجلال والإكرام بمحبته، ويقبل عليه بأنواع كرامته، ويلحظه الملأ الأعلى وأهل الأرض بالتبجيل والتكـــريم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)[1].

3- أن الإيمــان بالملائكة ســبب للاجتهــاد في الطاعة والإكثار من العبادة وإخلاصها لله ، وذلك من خلال إيمان العبد وعلمه بما يلي:

أ- كثرة عباداتهم، ومداومتهم عليها من غير ملل، وقد وردت بذلك نصوص كثيرة منها: قوله تعالى: ﭽ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﭼ[2]. وقوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ[3].

وقد روى الطــبراني عن حكيم بن حــزام قــال: بينما رســول الله في أصــحابه إذ قــال لهم: »تســمعون ما أســمع؟« قــالوا: ما نســمع من شــيء قــال: »إني لأســمع أطيط الســماء وما تلام أن تئِطَّ، وما فيها موضع شــبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم«[4].

فعِلم العبد بهذا مما يبعث فيـه روح التشـبه بالملائكـة في التعبد والاجتهاد في الطاعة والاسـتزادة في الإيمــان، وقـد أمرنـا النـبي بالتشـبه بهم في الصـلاة فقـال: «ألا تصفّون كما تصـف الملائكـة عنـد ربهـا؟» قـال الصـحابة: وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قـال: «يُتمـون الصـفوف الأُوَل، ويتراصّون في الصف»[5].

---

[1] (?) طريق الهجرتين ص 151.

[2] (?) سورة الأنبياء الآيات 19-20.

[3] (?) سورة الصافات الآيات: ١٦٤ – ١٦٦.

[4] (?) رواه الطبراني في المعجم الكبير 3/201، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة 2/506 .

ب- تثبيت الملائكة المؤمنين على الطاعة، وذلـك في قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﭼ[1]. قال ابن كثير: (وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم، ليشكروه عليهـا، وهو أنه - تعـالى وتقـدس وتبـارك وتمجد - أوحى إلى الملائكة الـــذين أنـــزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمـنين، يـوحي إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتـوا الـذين آمنوا)[2]، أي: أن يقووا عزمهم ويصححوا نياتهم على قتال عدوهم من الكفار[3].

ت- حضور الملائكة في جميع العبادات: وقـد تقـدمت الأدلـة على أن الملائكـة يحضـرون مجـالس الـذكر وتلاوة القرآن وأنهم يحفون بأهل هذه المجالس بـأجنحتهم حـتى إذا عرجوا إلى السماء يقولون لربهم: «جئنا من عند عبادٍ لك في الأرض يســبحونك ويكبرونــك، ويهللونــك ويحمدونك ...» وأن اللـه تعـالى يقـول لهم: «قـد غفـرت لهم وأعطيتهم مـا سـألوا» وأنهم «القـوم لا يشـقى بهم جليسـهم»[4]. وإذا تأمـل طـالب العلم هـذا الحـوار الـذي يجري بين الله وملائكته في شأنه، وشأن مـا هـو فيـه من طلب العلم، وما يشـتمل عليـه هـذا الحـوار من الغفـران والرحمة ونفي الشقاء وغيرها من الأمور الـتي تحقـق لـه السعادة، ثم إذا استشعر كذلك مـا ورد في «أن الملائكـة تضع أجنحتها لطـالب العلم رضـا بمـا يفعل»[5] زاده ذلـك

---

[5](?) رواه مسلم كتاب الصلاة باب الأمر بالسكون في الصلاة حديث 430.

[1](?) سورة الأنفال الآية 12.

[2](?) تفسير ابن كثير 2/387.

[3](?) انظر: تفسير الطبري 13/428.

[4](?) تقدم نخريجه في ص 185.

[5] (?) رواه الترمـذي في سـننه عن زر بن حـبيش، قـال: أتيت

حبا للعلم وفرحا به واجتهادا في تحصيله وتحمل المشاق لأجله، بل إنه يتلذذ بكل ما يحصل له في سبيل ذلك، ولو أدى به الأمر إلى أن يقطع المسافات الطويلة لطلب العلم ما استصعب ذلك، كما روي عن أبي الدرداء أنه قال: (لو أُنسيت آيةٌ لم أجد أحداً يذكرنيها إلا رجلا ببرك الغماد[1]، رحلت إليه)[2]. قال ابن رجب: وبرك الغماد أقصى اليمن[3].

فقس على هذا ما يحصل للمؤمن الذي استشعر حضور الملائكة معه في الصلاة كما يدل عليه قوله تعالى: ﭼ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[4]، وقوله ﷺ: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم

صفوان بن عسال المرادي فقال: ما جاء بك؟ قلت: ابتغاء العلم، قال: "بلغني أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يفعل" الحديث: كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ باب في فضل التوبة والاستغفار ... حديث 3536 وقال: "هذا حديث حسن صحيح" ورواه كذلك النسائي كتاب الطهارة باب الوضوء من الغائط والبول، حديث 158، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي 3/173.

1 (?) برك الغماد بكسر الغين المعجمة وقيل بالضم: موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر وقيل بلد باليمن (معجم البلدان 1/399).

2 (?) تاريخ دمشق 47/119، وسير أعلام النبلاء 2/342.

3 (?) ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء لابن رجب ضمن مجموع رسائله 2/281.

4 (?) سورة الاسراء الآية: 78.

يصلون»[1]. وإذا استشعر العبد هـذا، يبعث ذلـك فيـه روح الإخلاص والخشـوع في الصـلاة وحضـور القلب بين يـدي الله فيتلذذ بصلاته أيما لذة.

وهكذا، فقد جاءت النصوص تبين حضور الملائكــة في جميع العبادات من صلاة ودعاء وصوم رمضـان وحج يـوم عرفـة، وزيـارة أخ مسـلم وغيرهـا من الطاعـات[2]، ولهم في كــل ذلــك أثــر في تحقيــق كمــال الطاعــات وذوق حلاوتها.

4- أن الإيمـــان بالملائكـــة ســـبب لكراهيـــة الكفـــر والمعاصي: فإذا كان حلاوة الإيمان لا يتحقـق إلا بكراهيـة الكفـر، فـإن المـؤمن الـذي آمن بالملائكـة يجـد في ذلـك طريقا ليجعل الكفـر والمعاصـي أكـره شـيء في نفسـه، وذلـك من خلال إيمانـه بـأن اللـه جعـل من الملائكـة مَن وظيفتــه الخــاص مراقبــة أعمالــه وكتابتهــا عليــه بدقــة، ليعرض عليه يوم القيامة.

قال تعالى: ﭽ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ[3]، وقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[4]، وقال

---

1 (?) رواه البخاري كتـاب بـدء الخلق بـاب ذكر الملائكة حـديث 2223، ومسلم كتـاب المسـاجد ومواضع الصـلاة بـاب فضل صلاتي الصبح والعصر حديث 632.

2 (?) وقد أورد هذه النصوص أكثر من ألف في الملائكة، انظر: شرح العقيـدة الطحاوية لابن أبي العز 2/405-410، وكتـاب عالم الملائكة الأبرار د. عمر سـليمان الأشـقر وكتـاب: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصـارى ... في الملائكة المقــربين تأليف: د. محمد بن عبد الوهاب العقيل.

3 (?) سورة ق الآية: ١٨.

4 (?) سورة الزخرف الآية: ٨٠ .

تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ[1]. فهذه النصوص تدل على أن هناك من الملائكة ملازمون للإنسان ليله ونهـاره، وأنهم يكتبـون جميـع أفعالـه وأقوالـه الظـاهرة والباطنـة، فإيمان العبد بهذا يبعث في قلبه خوف اللـه والعلم بأنـه مراقب من كل الجهات، وأنـه لا مَفَـرّ لـه من المحاسـبة، فيمنعه ذلك من ارتكاب ما يسجل له في صحيفة أعمالــه لدى الملك الموكـل بـذلك، ولا يـزال هـذا الخـوف يلازمـه حتى تصبح المعاصي أكره شيء في نفسه.

والأمثلة في هذا كثيرة، فجميع النصوص الواردة في شأن الملائكة وما لهم من وظائف مع عباد الله المؤمنين تحمل في طياتها رسالة إيمانية يجد المتأمل فيها ما تسر به نفسه ويبتهج به قلبه، فيؤثر ذلك إيجابا على حياته التعبدية نحو القوة والزيادة والإخلاص، وتثمر منها لذة وحلاوة وسعادة وحياة طيبة لا يعرف كنهها إلا من ذاقها.

[1] (?) سورة الانفطار الآيات: ١١ – ١٢.

المبحث الثاني
حلاوة الإيمان بالكتب

إن الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان الستة، وأصل من أصول تحقيـق حلاوتـه، فلا يصـح إيمـان العبـد إلا بالإيمـان بجميـع الكتب السـماوية المنــزلة على الأنبياء والرسل عليهم السلام، لقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢﭼ[1]. وقوله تعالى: ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈﭼ[2]. وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙﭼ[3].

ولقوله ﷺ في حــديث جبريل المتقــدم: »الإيمــان أن تــــــــــــــــــــــؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ..«[4] دلت هذه النصـوص على أن الله أنـزل على جميع رســله كتبــا، وأن على المــؤمن أن يــؤمن بها كلها ســواء ما عــرف منها وما لم يعــرف، يجب الإيمــان بها إجمالا، وقد سمى الله لنا من هذه الكتب: التوراة المنزلة على موسى ﷺ، والإنجيل المــنزل على عيسى ﷺ، والزبــور المنزل على داود ﷺ، وصـحف إبـراهيم وموسـى، والقـرآن المنزل على نبينا محمد ﷺ[5].

والإيمان بالكتب على وجـه التفصـيل يتضـمن الإيمـان بما يلي:

---

[1] (?) سورة النساء الآية 136.
[2] (?) سورة البقرة الآية 136.
[3] (?) سورة الحديد الآية: 25.
[4] (?) تقدم تخريجه في ص 57.
[5] (?) انظر: معارج القبول 2/675، وشـرح العقيـدة الواسـطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ص50.

1- أن جميع الكتب منـزلة من عند اللـه على رسـله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين.

2- وأن كلها من كلام الله تكلم بها حقيقة كما شـاء وعلى الوجـه الـذي أراد، فمنهـا المسـموع منـه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسـمعه الرسـول الملكي، ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري كما قال تعـالى: ﭽ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﭼ[1]. وقـال تعـالى: ﭽ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ[2]، ومنها ما خطه بيده ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ[3].

3- والإيمان بكل ما فيها من الشـرائع وأنه كـان واجبا على الأمم الذين نزلت إليهم الصـحف الأولى الانقيـاد لها والحكم بما فيها كما قال تعالى: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ إلى قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ[4].

4- وأن جميعها يصدق بعضها بعضا لا يكذبه كما قـال تعالى في الإنجيل ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[5].

5- وأن القرآن الكريم مصدق لجميـع الكتب السـابقة ومهيمن عليها، وأنه آخر الكتب السـماوية، لا يـأتي كتـاب بعده، ولا مغير ولا مبـدل لشـيء من شـرائعه، وأنـه ليس لأحد الخروج عن شيء من أحكامه، كمـا قـال تعـالى: ﭽ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ[6]، فمن كذّب بشيء منه من الأمم الأولى فقد كذّب بكتابه[7].

فالإيمان بالكتب على ضـوء مـا تقـدم هـو المطلـوب لذوق حلاوة الإيمان بالكتب على الوجه العموم، أما على

---

1 (?) سورة الشورى الآية: 51.

2 (?) سورة النساء الآية: 164.

3 (?) سورة الأعراف الآية: ١٤٥.

4 (?) سورة المائدة الآية: ٤٤.

5 (?) سورة المائدة الآية: ٤٦.

6 (?) سورة المائدة الآية: ٤٨.

7 (?) انظر: معارج القبول 2/672-674.

وجه الخصوص فإن تمام الذوق، وطعم الإيمان إنما يكون من خلال الإيمان بالقرآن الكريم، وقد نقل البخاري عن أبي رزين[1] في معنى قوله تعالى: ﴿ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ﴾[2]، أنه قال: (لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن بالقرآن، ولا يحمله بحقه إلا الموقن)[3]. قال ابن حجر: (وحاصل هذا التفسير، أن معنى لا يمس القرآن: لا يجد طعمه ونفعه إلا من آمن به وأيقن بأنه من عند الله ، فهو المطهر من الكفر ولا يحمله بحقه إلا المطهر من الجهل والشك، لا الغافل عنه الذي لا يعمل فيكون كالحمار الذي يحمل ما لا يدريه)[4].

وإنما كان الإيمان بالقرآن ضمانا لذوق حلاوة الإيمان لاشتماله على جميع أسباب هداية القلوب ونورها وحياتها وسعادتها كما وردت بها الآيات الكريمات:

قال تعالى في بيان نور القرآن الذي تحصل به الهداية: ﴿ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ﴾[5]. هنا سمى الله كتابه نورا، والنور ضد الظلمة، وما في الكتاب الذي أنزله من الأحكام والشرائع والأخبار، أنوار يهتدى بها في ظلمات الجهل المدلهمة، ويمشي بها في حندس الليل البهيم[6]. كما فسر ذلك في قوله تعالى: ﴿ﮕ ﮖ ﮗ

---

1 (?) هو مسعود بن مالك الأسدي مولى أبي وائل الأسدي الكوفي من كبار التابعين، ثقة فاضل مات سنة 85هـ (فتح الباري لابن حجر 13/517، تقريب التهذيب ص 528، الإصابة 7/150).

2 (?) سورة الواقعة الآية: ٧٩.

3 (?) صحيح البخاري مع الفتح 13/517، كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ﴾

4 (?) فتح الباري لابن حجر 13/518.

5 (?) سورة التغابن الآية: 8.

6 (?) انظر: تفسير السعدي ص 867.

ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ[1]. (أي: أو من كـان كـافرا ميت القلب مغمـورا في ظلمة الجهل: فهديناه لرشده ووفقناه للإيمان وجعلنا قلبه حياً بعد موته مشرقاً مستنيراً بعد ظلمته)[2].

قال شيخ الإسلام -رحمـه اللـه-: (فالإيمـان الـذي يهبـه الله لعبده سماه نورا، وسـمي الـوحي النـازل من السـماء الذي به يحصل الإيمان نورا)[3]، فاجتمع لـه نـور على نـور: نور الإيمان ونور القرآن كما في قوله تعالى: ﭽ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ[4]. قال أبي بن كعب: (فهو المؤمن جعل الإيمـان والقـرآن في صـدره)[5]. ولهـذا أمـر اللـه المـؤمن باتباع هذا النور، ورتب عليه الفلاح فقال: ﭽ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﭼ[6].

وإذا حصل للمؤمن نور الإيمـان والقـرآن استضـاء لـه الطريق واهتدى إلى السبيل، والقرآن ضامن له ذلك، كما قال تعالى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭼ[7]. (أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمـــال والأخلاق، فمن اهتـــدى بما يـــدعو إليه القـرآن، كـان أكمل النـاس وأقـومهم وأهـداهم في جميع أموره)[8].

---

1 (?) سورة الأنعام الآية: 122.
2 (?) إغاثة اللهفان 1/28.
3 (?) مجموع الفتاوى 7/649.
4 (?) سورة النور الآية: 35.
5 (?) تفسير ابن كثير 3/384.
6 (?) سورة الأعراف الآية 157.
7 (?) سورة الاسراء الآية 9.
8 (?) تفسير السعدي ص 454.

وقال ﷺ: «...ألا وإني تارك فيكم ثقلين: أحدهما كتـاب الله ﻷ هو حبل الله، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة» وفي رواية قال: «أولهما كتاب الله فيـه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»[1].

وإذا حصلت له الهداية باتباع القرآن حصلت لـه حيـاة القلب وسروره وسعادته.

وقد جمع الله بين الثلاث: النور والهدايـة والحيـاة في قوله تعالى: ﭽ ٻ ٻ ٻ ٻپ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ﭼ[2].

قال السعدي -رحمه الله-: (وهو هذا القـرآن الكـريم، سماه روحا، لأن الـروح يحيا به الجسـد، والقـرآن تحيا به القلوب والأرواح، وتحيا به مصـالح الـدنيا والـدين، لما فيه من الخير الكثير والعلم الغزير)[3]. فجمع بين الروح الـذي يحصـل بـه الحيـاة والنـور الـذي يحصـل بـه الإضـاءة والإشراق، وهما متلازمان، فحيث وجدت هذه الحياة بهـذا الــروح وجــدت الإضــاءة والاســتنارة، وحيث وجــدت الاسـتنارة والإضـاءة وجـدت الحيـاة، واهتـدى العبـد إلى الصراط المستقيم، وعاش فيه الحيـاة النعيم الـتي خص الله بها من قبل وحيه وعمل به كما قال تعالى: ﭽ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ڱ ڱ ڱ ڱ ں[4] ﭼ[5].

---

1 (?) رواه مسلم كتاب فضائل الصحابة بـاب من فضـائل علي بن أبي طالب ﻻ حديث 2408.

2 (?) سورة الشورى الآية: 52.

3 (?) تفسير السعدي ص 762.

4 (?) سورة النحل الآية: 97.

5 (?) انظر: إغاثة اللهفان 1/28، 30، ووابل الصيب ص 121.

فعلم من هذا كلـه أن فـرح القلب وسـروره موقـوف على حياتـه المسـتقاة من نـور القـرآن وروحـه. قـال ابن القيم: (ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الاعتصـام بالله والاعتصـام بحبله، ولا نجـاة إلا لمن تمسك بهـاتين العصـمتين، فأما الاعتصـام بحبله فإنه يعصم من الضـلالة والاعتصـام به يعصم من الهلكة، فـإن السـائر إلى الله كالسائر على طريق نحو مقصـده، فهو محتـاج إلى هداية الطريق والسـلامة فيها، فلا يصل إلى مقصـده إلا بعد حصـول هـذين الأمـرين له، فالـدليل كفيل بعصـمته من الضلالة، وأن يهديه إلى الطريق والعدة والقـوة، والسـلاح التي بها تحصل له السلامة من قطاع الطريق وآفاتها)[1].

هذا، وقد تقدم في حلاوة عبادات اللسان بيان طريقة ذوق حلاوة القـرآن من خلال تلاوتـه وتـدبره والعمـل بـه، فليراجع هناك[2].

---

1 (?) مدارج السالكين 1/495.
2 (?) انظر: ص 168.

المبحث الثالث
حلاوة الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حلاوة الإيمـــــان بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام

المطلب الثـــاني: حلاوة الإيمـــان بنبينا محمد ﷺ

1- حلاوة محبته ﷺ وإيثـــار ذلك على محبة النفس والأولاد والناس أجمعين

2- حلاوة متابعته ﷺ واتباع سنته

المطلب الأول
حلاوة الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام

إن الإيمان بالأنبيـاء والرسل عليهم السـلام هو الـركن الرابع من أركان الإيمان، فلا يصح إيمان العبد ما لم يؤمن بجميع أنبيـاء الله ورسـله، فـالكفر بهم أو بواحد منهم كفر بالله

قال تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮬ ﮭﮮ ﮬ ﭼ

وقال تعالى: ﭽ ﭩ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﭼ[1].

وفي حديث جبريل المتقدم: »أن تـؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسـله ...«[2]. ففي هـذه النصـوص دلالة واضـحة على وجوب الإيمـان بجميع رسل الله دون تفريق بينهم، سـواء من عـرف منهم باسـمه أو من لم يعـرف، ويكـون ذلك إجمالا فيمن لم يعرف باسمه، وتفصـيلا فيمن عـرف. فقد سـمى الله لنا في كتابه بعضا من رسـله منهم: نـوح، وإبراهيم، وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء يجب الإيمان بهم تفصيلا كما يلي:

1- الإيمـان بـأنهم رسل الله أرسـلهم الله إلى خلقه ليدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه، وأنهم صادقون مصدقون بارون راشـدون كـرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، بالبراهين الظاهرة والآيات البـاهرة من ربهم مؤيـدون، وأنهم بلغـوا جميع ما أرسـلهم

---

1 (?) سورة النساء الآيات: ١٥٠- 151.

2 (?) تقدم تخريجه في ص 57.

الله بـه، لم يكتمـوا منه حرفا ولم يغـيروه ولم يزيـدوا فيه من عند أنفسهم حرفا ولم ينقصوه.

2- وأن جميعهم كانوا رجالا من البشر عبـادا من عبـاد الله ولم يكونوا إناثا ولا ملائكــة، ولم يكن لهم من الألوهية والربوبية نصيب[1].

3- وأنهم كـــانوا كلهم على الحق المــبين والهــدي المسـتبين، وأن دعـوتهم من أولهم إلى آخـرهم في أصل الدين، وهو توحيد الله ونفي ما يضاد ذلك.

4- وأنهم كانوا أفضل البشر وأكمل الخلق علما وعملا، اصطفاهم الله من صفوة خلقه وحملهم رسالته إلى عباده كما قال تعالى: ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳﯴ ﭼ[2]. وأن بعضهم كانوا أفضل من بعض، كما قال تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ[3] ﭼ[4].

5- والإيمان بأن نبينا محمد هـو أفضـل الرسـل على الإطلاق كما قال الطحاوي -رحمه الله-: (وأن محمدا عبده المصطفى، ونبيه المجتبى، ورسـوله المرتضى، وأنه خـاتم الأنبيــاء وإمــام الأتقيــاء، وســيد المرســلين وحــبيب رب العـــــالمين، وكل دعـــــوى النبـــــوة بعـــــده فغيٌّ وهَـــــــــوى، وهو المبعـــــــــوث إلى عامة الجن وكافَّـــــــــةِ الوَرَى بـــــــــالحق والهُـــــــــدَى، وبـــــــــالنُور

[1] (?) انظر: المنهاج لشعب الإيمـان للحليمي 1/237، ومعـارج القبول 2/677.

[2] (?) سورة الأنعام الآية: 124.

[3] (?) سورة الاسراء الآية: 55.

[4] (?) انظــر: شــرح العقيــدة الطحاوية لابن أبي العز 1/159، ومعارج القبول 2/677

والضـــ
ِياء)[1]. ولهذا كان الإيمان به هو أصل الإيمـان بالأنبيـاء كمـا سيأتي بيانه قريبا إن شاء الله.

وإنما كـان الإيمـان بالأنبيـاء والرسل من أهم أسـباب حلاوة الإيمان، لكونهم حملة رسـالة الإيمـان إلى النـاس أجمعين، فهم الـذين بينـوا لهم ما يجب الإيمـان به تجـاه ربهم، بل عرفـوهم بالله والطريق الموصل إليـه، وبينـوا لهم كل ما فيه صـلاح نفوسـهم في الـدنيا والآخـرة، فهم قادة البشر إلى السـعادة الأبديـة، وقد أكمل الله تـربيتهم وحلاهم بأفضل الأخلاق ونـــــــزههم عن الرذائل ثم أمر بالاقتداء بهم، فقال: ﭽ [illegible] ﭼ[2].

قـــال ابن القيم - رحمه اللـــــه- : (ومن هاهنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جـاء به وتصـديقه فيما أخـبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخـرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخـبيث على التفصـيل إلا من جهتهم، ولا يُنـال رضى الله البتة إلا على أيديهم فالطّيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم، وما جاؤوا به، فهم الميزان الـراجح الـذي على أقــوالهم وأعمـــالهم وأخلاقهم تـــوزن الأقـــوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهـدى من أهل الضـلال، فالضـــرورة إليهم أعظم من ضـــرورة البـــدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فُرضت، فضـرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير)[3].

وقال أيضا: (ولهـذا يُـذَكِّر سـبحانه عبـاده نعمه عليهم برســـوله ويعد ذلك عليهم من أعظم المنن منه لشـــدة حـــاجتهم إليه، ولتوقف مصـــالحهم الجزئية والكلية عليه، وأنه لا سعادة لهم ولا فلاح ولا قيام إلا بالرسل، فإذا كـان

---

1 (?) العقيدة الطحاوية مع شرحه لابن أبي العز 1/167.

2 (?) سورة الأنعام الآية: 90.

3 (?) زاد المعاد 1/68-69.

العقل قد أدرك حسن بعض الأفعــال وقبحها، فمن أين له معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، والآية التي تعـرف بها الله إلي عبــاده على ألســنة رســله، ومن أين له معرفة تفاصـيل شـرعه ودينه الـذي شـرعه لعبـاده؟ ومن أين له تفاصـيل مواقع محبته ورضـاه و سـخطه وكراهته ؟ ومن أين له معرفة تفاصــيل ثوابه وعقابه وما أعد لأوليائه وما أعد لأعدائه ومقـــادير الثـــواب والعقـــاب وكيفيتهما ودرجاتهما؟ ومن أين له معرفة الغيب الذي لم يظهر الله عليه أحـدا من خلقه إلا من ارتضـاه من رسـله، إلي غـير ذلك مما جاءت به الرسل وبلغته عن الله ...)[1].

وعليـــه، فإنه لا يكـــون الله أحب إلى العبد ولا الكفر أكـــره في قلبه إلا بعد إيمانه بالرسل وبما جــاؤوا به من عند الله .

---

[1] (?) مفتاح دار السعادة 2/166.

المطلب الثاني
حلاوة الإيمان بنبينا محمد

إن الإيمان بنبينا محمد هو الـركن الأعظم من أركـان الإيمـان بالأنبيـاء عليهم السـلام. وقـد أكـد اللـه سـبحانه وجوب الإيمان به وجعله مقترنا به في أكثر من آية:

قال تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ [1]. وقال تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﭼ [2]، وقال تعالى: ﭽ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﭼ [3]. وقال تعالى: ﭽ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﭼ [4].

وقد أمر الله نبيه أن يقاتل النـاس على هـذا الإيمـان. قال : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إلــه إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت بـه، فـإذا فعلـوا ذلـك عصـموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[5].

كما نفى الإيمان عمن لم يؤمن به وبما جاء به فقـال: «لا يسمع بي أحد من هـذه الأمة يهـودي ولا نصـراني، ثم يموت ولم يـؤمن بالـذي أرسـلت به إلا كـان من أصـحاب النـار»[6]. وفي هـذا دليل صـريح على أن الإيمـان به وبما جاء به واجب على كل الأمة، وأن شريعته قد نسـخت كل ما تقدمته من الشرائع.

---

1 (?) سورة الحديد الآية: 7.

2 (?) سورة الحجرات الآية: 15.

3 (?) سورة آل عمران الآية: 81.

4 (?) سورة الأعراف الآية: 158.

5 (?) رواه بهذا اللفظ مسلم، كتـاب الإيمـان بـاب الأمر بقتـال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ... حديث 21.

6 (?) رواه مسلم كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسـالة نبينا إلى جميع الناس ... حديث 153.

قال القاضي عياض: (فالإيمـان بـالنبي محمد واجب متعين، لا يتم إيمان إلا به ولا يصح إسلام إلا معه)[1].

ولعل الحكمة في ذلك هي أن نبيّنا محمد هو آخر الأنبياء، وهو الذي أخبرنا عمن تقدمه من الأنبيـاء والرسل عليهم السـلام، فإيماننا به يتضـمن الإيمـان بجميع الأنبيـاء والرسل، إذ لا يتم الإيمان به إلا بتصديقه في كل ما أخـبر به عن ربه سبحانه وتعالى.

قال شيخ الإسلام: (من صدّق محمداً فقد صدق كلّ نبي، ومن أطاعه فقد أطاع كل نبي، ومن كذّبه فقد كذّب كل نبي، ومن عصاه فقد عصى كل نبي)[2].

وعليه فـــإن حلاوة الإيمـــان بالرسل عليهم الســـلام متوقفة على الإيمـان بـه، وذلك من خلال تحقيق أصـلين عظيمين:

الأول: محبته وإيثـــار ذلك على محبة النفس والأولاد والناس أجمعين.

والثاني: متابعته واتباع سنته. وبيان ذلك كما يلي:

1- حلاوة محبته وإيثـــار ذلك على محبة النفس والأولاد والناس أجمعين

إن محبة النـــبي من أوجب واجبـــات الـــدين وأعظم أصوله، وأهم حقوقه على أمته، وعليها مدار صحة الإيمان بالله ، وتحقيق سعادة الـدنيا والآخـرة وذوق لـذاتهما. ولا

---

1 (?) الشــفا بتعريف حقــوق المصــطفى للقاضي عيــاض ص 260.

2 (?) مجموع الفتاوى 19/185.

يجد العبد حلاوة الإيمان حـتى يكـون الرسـول أحب إليه من نفســه، ووالــده، وولــده وماله والنــاس أجمعين، كما وردت بذلك النصوص الصريحة.

ففي حــديث حلاوة الإيمــان المتقــدم: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمــان أن يكـون الله ورسـوله أحب إليه مما سواهما ...».

وفي رواية قــال: «من كــان الله ورســوله أحب إليه مما سواهما»[1].

وفي رواية: «وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[2].

وفي رواية أخــرى قــال: « من لم يكن شــيء أحب إليه من الله ورسوله»[3].

دلت مجموع هذه الروايات على وجوب محبة النبي ، وأن إيمــــان العبد لا يتم، ولا يكمل ولا يجد حلاوته حــــتى يكــون الله ورســوله أحب إليه مما ســواهما. ودلالة ذلك من الأحاديث كما يلي:

1- أنه جعل محبة الله ورســــــوله أول خصــــــلة من الخصــال الثلاثة الموجبة لحلاوة الإيمــان، وفي هــذا بيــان لأهمية هذه الخصلة وأنها الركن الأساس في هــذا البــاب، وأن ســائر خصــال الإيمــان متوقفة عليها متفرعة عنهــا، فمحبة الله ورسوله أساس الدين وأصله الأعظم.

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 55.
2 (?) تقدم تخريجه في ص 115.
3 (?) تقدم تخريجه في ص 116.

2- أنه اشترط في محبة الله ورسوله أن تكون فوق محبة كل شيء حيث عبر عن ذلك بصيغة أفعل التفضيل "أحب" للدلالة على أن مجرد الحب لا يكفي في هذا الباب، ثم أكّد ذلك بقوله: «مما سواهما» قال ابن حجر: (ولم يقل "ممن" ليعم العاقل ومن لا يعقل) [1] أي يجب أن تكون المحبة فوق محبة كل شيء من كائنات هذه الدنيا سواء العاقل منها، أو غير العاقل. قال شيخ الإسلام: (قد ثبت أنه لا يكون الرجل مؤمنا حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما)[2].

وقــال المنــاوي- في قوله -: «أن يكــون الله ورســوله أحب إليه مما ســــواهما» (أي: أول الثلاثة: كـــــون الله ورسوله في محبته إياهما أكثر محبة من محبة سواهما من نفس وأهل ومال وكل شيء) [3].

3- أنه قــرن محبة النــبي بمحبة الله وجمع بينهما في ضـــمير واحد تأكيـــدا لوجـــوب المحبـــتين لا لأجل التســـوية[4]، بل ليؤكد أن محبة الله حقيقة لا تكـــون إلا

---

1 (?) فتح الباري لابن حجر 1/78.

2 (?) مجموع الفتاوى 7/307.

3 (?) فيض القدير 3/286.

4 (?) وذلك أن اجتماع المخلوق مع الله تعالى في ضـمير واحد قد يفهم منه التسوية، وأن في هذا الحديث تعارضا مع ما جاء في حديث مسلم أن رجلا خطب عند النـبي فقـال: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى" فقال رسول الله : «بئس الخطيب أنت قل ومن يعص الله ورســـــوله» رواه مسـلم كتـاب الجمعة بـاب تخفيف الصـلاة حـديث 870. وقد أورد العلمــاء في الجمع بين الحــديثين أقــوالا عديــدة، وأحسنها ما نقله ابن حجر وغيره عن البيضـاوي وهو المـذكور في المتن أعلاه (انظر: شرح صـحيح مسـلم للنـووي 6/160،

بمحبة النــبي ﷺ، وقد نقل ابن حجر وغــيره عن البيضــاوي في توجيه التثنية في ضمير الجمع بين محبة الله ورسوله في قوله ﷺ: «مما ســـــواهما» أن ذلك للإيمـــــاء إلى أن المعتبر هو المجموع المركب من المحبـتين لا كل واحـدة منهما، فإنها وحــــدها لاغية، إذا لم ترتبط بــــالأخرى فمن يدّعي حب الله مثلا ولا يحب رسوله ﷺ لا ينفعه ذلك[1].

وهـــذا بمثابة شـــهادة أن لا إله إلا الله وأن محمــــدا رسول الله، فلا تكفي الشهادة بأحدهما دون الآخـر، وكـذا في طاعة الله ورســوله ومحبة الله ورســوله، فلا يكــون المرء مؤمنا حقا حتى يجمع بين محبة الله ومحبة رسـوله ﷺ، ويحبهما فوق محبته لكل شيء.

وهذا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وأجمع عليه سـلف الأمة رحمهم اللـه، كما سـجل لنا تـاريخ الصـحابة نماذج رائعة من مواقف تعبر عن حقيقة المحبة والتضـحية والفداء وتقديم للنفوس والأموال محبة لله ورسوله ﷺ.

فمن أدلة الكتاب على ذلك ما يلي:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﭼ[2].

وفتح البـــــــــــــــــــــــاري لابن حجر 1/78-79، وشرح السيوطي لسنن النسائي 8/95، وروح المعاني تفسير الألوسي 16/15).

[1] (?) انظر: فتح الباري لابن حجر 1/79.

[2] (?) سورة التوبة الآية 24.

في الآية دليل صـــريح على أن محبة اللّه ورســـوله، يجب تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما، ووجه الدلالة بائن في قوله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﭼ بعد أن ذكر عدة أشياء التي تحبها النفوس.

قال القاضي عياض -رحمه اللـه-: (فكفى بهـذا حضّـاً وتنبيها ودلالة وحجة على إلزام محبتـه، ووجـوب فرضـها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ، إذ قرَّع تعـالى من كـان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله)[1].

وقـال شـيخ الإسـلام -رحمه اللـه-: (فـانظر إلى هـذا الوعيد الشديد الذي قد توعد الله به من كـان أهله وماله أحب إليه من الله ورســوله وجهـاد في ســبيله، فعُلم أنه يجب أن يكون الله ورسوله والجهاد في ســبيله أحب إلى المؤمن من الأهل والمال والمساكن والمتاجر والأصحاب والإخوان، وإلا لم يكن مؤمنا حقا) [2].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ[3].

قال ابن القيم -رحمه اللـه-: (وهـذا دليل على أن من لم يكن الرسول أولى به من نفسه فليس من المؤمـنين، وهــذه الأولوية تتضــمن أمــورا منها: أن يكــون أحب إلى العبد من نفسه، لأن الأولوية أصــــلها الحب، ونفس العبد أحب له من غيره ومع هذا يجب أن يكـون الرسـول أولى به منها وأحب إليه منها فبذلك يحصل له اسم الإيمان.

---

1 (?) الشفا ص 271-272.

2 (?) مجموع الفتاوى 10/750-751.

3 (?) سورة الأحزاب الآية 6.

ويلـــزم من هـــذه الأولوية والمحبة كمـــال الانقيـــاد والطاعة والرضا والتسليم وسائر لوازم المحبة من الرضا بحكمه والتسليم لأمره وإيثاره على ما سواه)[1].

ومن أدلة السنة على وجوب محبة النـبي ما يلي:

1- عن أنس قــال: قــال رســول الله : «لا يــؤمن أحــدكم حــتى أكــون أحب إليه من والــده وولــده والنــاس أجمعين»[2]. قال ابن حجر: (والمراد سـيدنا رسـول الله بقرينة قولـه: «حـتى أكـون أحب» وإن كـانت محبة جميع الرسل من الإيمــان، لكن الأحبية مختصة بســيدنا رســول الله)[3].

قال القاضي عياض - في معنى الحــديث -: (تــبين أن حقيقة الإيمان لا يتم إلا بذلك، ولا يصح الإيمان إلا بتحقيق إنافة قـــدر النبي ومنـــــزلته على كل والد وولد ومُحْسن ومُفْضل، ومن لم يعتقد هذا واعتقد سواه، فليس بمؤمن)[4].

---

1 (?) الرسالة التبوكية ص 93-94.

2 (?) رواه البخــاري كتــاب الإيمــان بــاب حب الرســول من الإيمان حديث 15، ومسلم كتاب الإيمــان بــاب وجــوب محبة رسول الله أكثر من الأهل والولد والناس أجمعين حديث 44.

3 (?) فتح الباري لابن حجر 1/75.

4 (?) شرح صحيح مسـلم للقاضي عيـاض 1/283، وقد تعقبه القرطـــــبي في حمله المحبة على التعظيم وأشـــــار إلى أن اعتقـاد الأعظمية ليس مسـتلزما للمحبـة، إذ قد يجد الإنسـان إعظــام شــيء مع خلــوه من محبته (انظر: المفهم 1/225) وهو كما قال، لكن محبة النـبي يسـتلزم التعظيم، لأنه يلـزم = =

ومقصـوده نفي حقيقة الإيمـان وكماله الـذي يجد به حلاوتـه، لا نفي أصـله الـذي يثبت به الإسـلام، فقد يكفي فيه مجرد الحب كما أثبته النبي للرجل الذي جُلد مرات لشـرب الخمـر، ولما لعنه أحد الصـحابة قـال النـبي «لا تلعنـــوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورســـوله»[1]. فكانت هذه المحبة كافية لثبوت إسـلامه ومـانع من موانع لعنـــه، لكنه لم يصل إلى درجة الأحبية الـــتي تثبت بها حقيقة الإيمان الـذي يجعله يكـره المعاصي ويـذوق حلاوة ذلك في قلبه، إذ لو ذاقها لما عاد إلى شرب الخمـر، ولما قدم لذة شهوة نفسه على لذة محبة الله ورسـوله، فعلم أن المطلوب أن تكون المحبة فـوق محبة النفس والمـال والأولاد.

يقول ولي الله الدهلوي -رحمه اللـه-: (أشـار النـبي إلى أن حقيقة الحب غلبة لـــذة اليقين على العقـــل، ثم على القلب والنفس حتى يقوم مقـام مشـتهى القلب في مجرى العادة من حب الولد والأهل والمال، وحـتى يقـوم مقـــام مشـــتهى النفس من المـــاء البـــارد بالنســـبة إلى العطشان، فإذا كـان كـذلك فهو الحب الخـاص الـذي يعد من مقامات القلب)[2].

من رفعة المنزلة رفعة المحبة، ومن لم يحب فداء الرسول من المكـــاره بنفسه وأبيه وابنه فليس بكامل الإيمـــان، ومن أحبه هـــذا الحب فقد عظمه (انظـــر: إكمـــال إكمـــال المعلم 1/146).

1 (?) رواه البخاري كتاب الحدود بـاب ما يكـره من لعن شـارب الخمر وأنه ليس بخارج من الملة حديث 6780.

2 (?) حجة الله البالغة 2/256.

2- وعن عمر بن الخطاب قال: يا رسول اللــه، لأنت أحبّ
ُ إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي «لا والذي نفسي بيــــــــده، حــــــــتى أكــــــــون أحبّ
َ إليك من نفسك» فقــال له عمر: فإنّــه الآن والله لأنت أحبّ
ُ إليّ من نفسي، فقال النبي « الآن يا عمر »[1].

قال ابن حجر: (فجواب عمر أولا كان بحسب الطبــع) وذلك لأن الإنســـان مطبـــوع على حب نفسه (ثم تأمل فعـرف بالاسـتدلال أن النـبي أحب إليه من نفسه لكونه السـبب في نجاتها من المهلكـات في الـدنيا والأخــرى، فأخبر بما اقتضاه الاختيار، ولـذلك حصل الجـواب بقولـه: «الآن يا عمر» أي: الآن عرفت فنطقت بما يجب)[2].

وقد أجمعت الأمة على وجــوب محبة النــبي وأنه لا سعادة ولا فلاح ولا سرور إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

قـال الغـزالي: (اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله فرض)[3].

وقـال ابن بطـال: (من اسـتكمل الإيمـان علم أن حق الرســول وفضـــله آكد عليه من حق أبيه وابنه والنـــاس

---

[1] (?) رواه البخاري كتـاب الأيمـان والنـذور بـاب كيف كـانت يمين النبي حديث: 6632.

[2] (?) فتح الباري لابن حجر 11/536.

[3] (?) إحياء علوم الدين 4/294.

أجمعين، لأن بالرسول استنقذ الله أُمته من النـار وهـداهم من الضلال)[1].

وقـال شـيخ الإسـلام: (وذلك أنه لا نجـاة لأحد من عـذاب الله ولا وصـول له إلى رحمة الله إلا بواسـطة الرسول بالإيمان به ومحبته وموالاته واتباعه، وهو الذي ينجيه الله به من عـذاب الـدنيا والآخـرة، وهو الذي يوصله إلى خـير الـدنيا والآخـرة، فـأعظم النعم وأنفعها نعمة الإيمـان، ولا تحصل إلا به، وهو أنصح وأنفع لكل أحد من نفسه وماله، فإنه الذي يخـرج الله به من الظلمات إلى النور، لا طريق له إلا هو)[2].

وقـال ابن رجب : (فأما النعمة بإرسـال محمد فـإن بها تمت مصـالح الـدنيا والآخـرة وكمُـل بسـببها دينُ الله الـذي رضـيه لعبـاده، وكـان قبوله سـبب سـعادتهم في دنياهم وآخرتهم)[3].

وقد كـان الصـحابة رضـوان الله عليهم أعلم الناس بهذا، لذا قدموا أعظم صور المحبة للنبي بل لم يحب أحـدٌ أحـداً على الإطلاق مثل محبة الصحابة لرسول الله .

قـال أبو سـفيان : (ما رأيت من النـاس أحـدا يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً)[4].

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: (إن المـؤمن رُزق حلاوة ومهابة يعـــــــــــــــــــــــــــــــــــني

---

[1] (?) شرح صحيح البخاري لابن بطال 1/66.

[2] (?) مجموع الفتاوى 27/426.

[3] (?) لطائف المعارف ص 190.

[4] (?) البداية والنهاية 4/65.

يُحَبّ ويُهاب ويُجَل بما ألبسه الله سبحانه من ثوب الإيمان المقتضي لـذلك، ولهذا لم يكن بشرٌ أحَبّ إلى بشر ولا أَهْيَبَ وأجلّ في صدره من رسول الله ﷺ في صدر الصحابة رضي الله عنهم)[1].

وقد سئل علي بن أبي طالب ؓ كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: (كان والله أحب إلينا من أموالنا وآبائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد على الظمأ)[2]. وأقوالهم في ذلك كثيرة جدا، ولم يكن ذلك منهم مجرد القول بل أثبتوا ذلك بالفعل، وأتوا بما يؤكد محبتهم للنبي ﷺ أكثر من محبتهم للنفس والمال وجميع الأقرباء، والأمثلة في ذلك كثيرة، أذكر منها ما يلي:

1- عن سعد بن أبي وقاص ؓ قال: "مرّ رسول الله ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا : خيرا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، قال: فأشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: "كل مصيبة بعدك جلل" تريد صغيرة"[3].

---

[1] (?) جلاء الأفهام لابن القيم ص 89.

[2] (?) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص 617، والشفا ص 274-275.

[3] (?) سيرة ابن هشام 4/50. وتاريخ الطبري 2/74، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (6/115) عن أنس ؓ وقال: "رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه محمد بن شعيب ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات".

قـــال ابن هشـــام : الجلل : يكـــون من القليل ومن الكثير وهو هاهنا من القليل[1].

وهذه الحادثة تعد مثـالا واضـحا لتقـديم محبة النـبي على محبة النفس والأولاد وجميع الأحباب.

2- قصة بشر بن الـــبراء بن معـــرور[2] وأكله الشـــاة المسمومة كما رواه البيهقي بسنده عن ابن شهاب قـال: (لما فتح رسـول الله خيـبر وقتل من قتل منهم أهـدت زينب بنت الحارث اليهودية وهي ابنة أخي مـرحب لصـفية شـاة مصـلية وسـمتها وأكـثرت في الكتف والـذراع، لأنه بلغها أنه أحبّ أعضـاء الشـاة إلى رسـول الله فـدخل رسول الله على صـفية ومعه بشر بن الـبراء بن معـرور أخو بـني سـلمة، فقـدمت إليهم الشـاة المصـلية فتنـاول رسول الله الكتف وانتهش منها، وتنـاول بشر بن الـبراء عظما فـانتهش منـه، فلما اسـترط رسـول الله لقمته استرط بشر بن الـبراء ما في فيـه، فقـال رسـول الله : «ارفعـوا أيـديكم، فـإن كتف هـذه الشـاة يخـبرني أن قد بغيت فيها» فقـال بشر بن الـبراء: والـذي أكرمك لقد وجدت ذلك في أكلتي الـتي أكلت فما منعـني أن ألفظها إلا أني أعظمت أن أنغصك طعامك فلما أسـغت ما في فيك لم أكن أرغب بنفسي عن نفسك ورجـوت أن لا تكـون اسـترطتها، وفيها بغي، فلم يقم بشر من مكانه حـتى عـاد لونه مثل الطيلسـان)[3]. تأمل قولـه: (لم أكن أرغب بنفسي عن نفسك) لـترى عظم التضـحية والفـداء لرسـول الله ، من هـذا الصـحابي الجليـل، وهل هـذا إلا

---

[1] (?) سيرة ابن هشام 4/50.

[2] (?) بشر بن البراء بن معرور بن صـخر بن خنسـاء بن سـنان بن عبيد شهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر مع رسـول الله ومـات بعد خيـبر من أكلة أكلها مع النـبي من الشـاة التي سم فيها (الطبقات الكبرى 3/570، والإصابة 1/294).

[3] (?) دلائل النبوة للبيهقي 4/263.

محبة صادقة تفوق محبة النفوس والأموال والأولاد والناس أجمعين؟.

3- قصة زَيْدُ بن الدّثِنّةِ[1] كما رواها ابن إسحاق قال: (وأما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم وأخرجوه من الحرم ليقتلوه، واجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان - حين قدم ليقتل-: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك ؟ قال: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنا جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان ما رأيت من الناس أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا؛ ثم قتله نسطاس يرحمه الله)[2].

هذه نماذج من قصص الصحابة التي تحكي عن حقيقة المحبة والولاء والفداء لنبي هذه الأمة صلوات الله وسلامه عليه، فقد أحبوه لحبهم لله ولعلمهم أن الحياة السعيدة والنعيم الأبدي، ونور الإيمان لم يكن ليحصل لهم إلا عن طريقه، ولن تزال هذه الأمة بخير طالما أحبوه هذا الحب، فإن في حبه حباً لله ونيلاً لسعادة الدنيا والآخرة، وفي بغضه بغض لله ونيل للشقاء الأبدي. إلا أن هذا الحب لا يعني مجرد مشاعر وجدانية تقع في القلب فقط، بل لا بد من إظهار ذلك على الجوارح من خلال الامتثال بأوامره والانتهاء عن نواهيه، فهذا هو الجزء الآخر الذي لا يتحقق حلاوة الإيمان بنبينا إلا بتحقيقه.

---

[1] (?) زيد بن الدثنة (بفتح الدال وكسر المثلثة بعدها نون) بن معاوية بن عبيد بن عامر بن بياضة الأنصاري البياضي شهد بدرا وأحدا وكان في غزوة بئر معونة فأسره المشركون وقتلته قريش بالتنعيم (الإصابة 2/604).

[2] (?) سيرة ابن هشام 2/172، السيرة النبوية لابن كثير 3/128.

2- حلاوة متابعته واتباع سنته

يتوقف ذوق حلاوة الإيمان وطعمه على اتباع النبي وطاعته في ما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، إذ لا معنى لمحبته إلا بسلوك طريقه والرضا بشرعه وتقديمه على هوى النفس. وقد جاء بيان ذلك صريحا في قوله : «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا **وبمحمد رسولا**»[1]. وفي رواية عند الإمام أحمد: «**وبمحمد نبيا ورسولا**»[2]. حيث جعل ذوق طعم الإيمان ولذته مشروطة بالرضا به نبياً ورسولاً.

ومعنى الرضا به هو الاكتفاء به وبما جاء به من عند الله، والتسليم المطلق والانقياد التام، وعدم العدول عنه إلى غيره أو التساوي بين حكمه وحكم غيره.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وأما الرضا بنبيه رسولا: فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره ولا يرضى بحكم غيره ألبتة)[3].

وقال ابن رجب -رحمه الله-: (والرضا بمحمد رسولا يقتضي الرضا بجميع ما جاء به من عند الله، وقبول ذلك بالتسليم والانشراح)[4].

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 26.

2 (?) روه الإمام أحمد في المسند 1/208، وقال محققو الموسوعة 3/299: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

3 (?) مدارج السالكين 2/180.

4 (?) جامع العلوم والحكم 1/118.

وقال المناوي -رحمه اللـه-: (قوله «وبمحمد رسـولا» بأن لم يسلك إلا ما يوافق شرعه، ومن كان هذا نعته فقد وصلت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه)[1].

وقال السعدي -رحمه اللـه-: (فالرضا بنبـوة الرسـول ورسـالته، وأتباعه من أعظم ما يثمر الإيمـان، ويـذوق به العبد حلاوته)[2].

فعُلم من هذا كله أن الرضا بـالنبي من خلال طاعته واتباع سنته من أوجب موجبات حلاوة الإيمان، وتمام ذلك يكـون بإيثـاره على هـوى النفس والأولاد وعلى كل ما يمكن اتباعه أوطاعته عاقلاً كـان أم غـير عاقـل، فهو كما أن محبته يجب أن تكـــون فـــوق محبة النفس والوالد والولد والناس أجمعين كـذا متابعته فإنه يجب أن تكـون فــوق متابعة النفس والوالد والولد والنـاس أجمعين. وقد أوضح ذلك الحافظ ابن رجب فقال: (فعلامة تقـديم محبة الرسـول على محبة كل مخلـوق: أنه إذا تعـارض طاعة الرسول في أوامره وداع آخر يدعو إلى غيرها من هـذه الأشياء المحبوبة، فإن قَدَّم المرء طاعة الرسول وامتثـال أوامـره على ذلك الـداعي، كـان دليلا على صـحة محبته للرسول وتقديمها على كل شيء، وإن قدم على طاعته وامتثال أوامره شيئا من هذه الأشـياء المحبوبة طبعا، دل ذلك على عدم إتيانه بالإيمان التام الـواجب عليه، وكـذلك القـــول في تعـــارض محبة الله ومحبة داعي الهـــوى

---

1 (?) فيض القدير 3/557.

2 (?) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ رحمه الله 3/ 98.

والنفس، فإن محبة الرسول تبع لمحبة مرسله ، هذا كله في امتثال الواجبات وترك المحرمات)[1].

وإنما كـان اتباعه طريقا لـذوق حلاوة الإيمـان، لما تميز به عليه الصلاة والسلام من كمـال النبـوة والرسـالة وكمال الصفات البشرية ما يضـمن لمتابعه كمـال الحيـاة والسعادة في الدارين.

أما صفاته البشـرية، فقد كـان أكمل الخلق وأعلاهم في كل صفة كمال.

قـال ابن القيم -رحمه اللـه-: (والمقصـود أن رسـول الله كـان أكمل الخلق في كل صـفة يحصل بها انشـراح الصـدر، واتسـاع القلب وقـرة العين وحيـاة الـروح، فهو أكمل الخلق في هذا الشـرح والحيـاة، وقـرة العين مع ما خُصّ به من الشــرح الحسـِّي، وأكمل الخلق متابعة له، أكملهم انشـراحا ولـذة وقـرة عين، وعلى حسب متابعته ينال العبد من انشـراح صـدره وقـرة عينه ولـذة روحه ما ينــال، فهو في ذُروة الكمــال من شــرح الصــدر، ورفع الذكر ووضع الوزر، ولأتباعه من ذلك بحسب نصـيبهم من اتباعه)[2].

وقال السعدي -رحمه الله-: (فكيف لا يرضى المؤمن بهذا الرسول الكريم، الـرؤوف الـرحيم، الـذي أقسم الله أنه لعلى خلق عظيم، وأشــرف مقــام للعبد انتســابه لعبودية اللـه، واقتـداؤه برسـوله، ومحبته واتباعـه، وهـذا علامة محبة الله وباتباعه تتحقق المحبة والإيمان)[3].

وأما طريقته وســنته فقد بين ابن القيم بأنها النــور الذي يستنير بها القلب، والروح الذي يسـتمد منه الحيـاة،

---

1. (?) فتح الباري لابن رجب 1/49.
2. (?) زاد المعاد 2/26.
3. (?) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ رحمه الله 3/98.

وكلما ترسخت السنة في القلب، كان أشد فرحا حتى إنه ليرقص فرحا إذا باشر روح السنة، ولذا ترى صاحب اتباع الأمر والسنة قد كسي من الـروح والنـور وما يتبعهما من الحلاوة والمهابة والجلالة والقبول ما قد حرمه غيره[1].

وهذا كله لمن سلّم نفسه وانقاد لحكم رسـول الله ، وجعل سنته طريقة حياته.

فقد نقل القاضي عيـاض عن سـهل بن عبد الله أنه قـال: (من لم ير ولاية الرسـول عليه في جميع الأحـوال، ويرى نفسه في ملكه، لا يذوق حلاوة سنته)[2].

هـذا، وقد تكـاثرت نصـوص الكتـاب والسـنة وأقـوال السـلف في الحث على اتبـاع النـبي وإيثـار طريقه وشرعه على غيره من طرق وشرائع، أذكر منها ما يلي:

فمن نصوص الكتاب:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ[3]. قال ابن كثير: (هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة اللـه، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله)[4].

وقد روى الطبري بسنده عن ابن جريج[5] والحسـن أن قوما كانوا على عهـد رسـول اللـه يزعمـون أنهم يحبـون

---

1 (?) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص 38-40.

2 (?) الشفا ص 272.

3 (?) سورة آل عمران الآية: 31.

4 (?) تفسير ابن كثير 1/467.

5 (?) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جـريج، الإمـام، العلامـة، الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالـد، وأبو الوليد القرشي الأمـوي، المكي، صـاحب التصـانيف، وأول من دون العلم بمكة. قـال عنه الـذهبي: " ثقـة، حافـظ، لكنه يـدلس بلفظة عن"، مـات سنة 150. (سير أعلام النبلاء 6/325).

الله، يقولون: إنا نحب ربّنا، فأمرهم الله أن يتبعوا محمـدًا ، وجعل اتباع محمد عَلَمًا لحبه[1].

2- وقوله تعالى: ﭽ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ﭼ[2].

قال ابن كثير: (يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حـتى يُحكّم الرسـول في جميـع الأمـور فمـا حكم بـه فهـو الحـق الـذي يجب الانقيـاد لـه باطنـا وظاهرا، ولهذا قال: ﭽ ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ﭼ أي: إذا حكموك يطيعونـك في بـواطنهم فلا يجـدون في أنفسـهم حرجاً مما حكمت بـه وينقـادون لـه في الظـاهر والبـاطن فيسلمون لذلك تسليما كليًّا من غـير ممانعـة ولا مدافعـة ولا منازعة)[3].

وقد بين ابن القيم طريقة هـذا التسـليم وقـال: (وهـو الخضوع له والانقياد لما حكم به طوعـا ورضـى، وتسـليما لا قهرا ومصابرة، كما يسلم المقهور لمن قهره كرها، بل تسـليم عبـد محب مطيـع لمـولاه وسـيده الـذي هـو أحب شيء إليـه، ويعلم أن سـعادته وفلاحـه في تسـليمه إليـه، ويعلم بأنه أولى بـه من نفسـه، وأبـرُّ بـه منهـا، وأرحم بـه منها، وأنصح له منهـا، وأعلم بمصـالحه منهـا، وأقـدر على تحصيلها. فمتى علم العبد هذا من الرسول استسلم له، وسلم إليه، وانقادت كل ذروة من قلبه إليـه، ورأى أنـه لا سعادة له إلا بهذا التسليم والانقياد)[4].

---

1 (?) تفسير الطبري 6/322.

2 (?) سورة النساء الآية: 65.

3 (?) تفسير ابن كثير 1/679.

4 (?) الرسالة التبوكية ص 82-83.

3- وقال تعالى: ﭽ ب ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ
ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ﭼ[1].

قال ابن القيم: (فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمن أن يختار بعد قضائه وقضاء رسوله، ومن تخير بعد ذلك فقد ضل ضلالا مبينا)[2].

ومن نصوص السنة النبوية: ما رواه أبو داود والترمذي وغيرهما أن النبي ﷺ قال: »...فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين، المهديين تمسّكوا بها وعضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور فإن كلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة«[3].

وقوله ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»[4].

---

1 (?) سورة الأحزاب الآية 36.

2 (?) إعلام الموقعين 1/51.

3 (?) رواه أبو داود كتاب السنة باب في لزوم السنة حديث 4607، والترمذي كتاب العلم عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في الأخذ بالسنة حديث 2676 وقال: "هذا حديث حسن صحيح" وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي 2/341-342.

4 (?) رواه البخاري كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود حديث 2697، ومسلم كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور حديث 1718، واللفظ له.

وقولــه : «... فمن اقتــدى بي فهو مني، ومن رغب عن سنتي فليس مني، إن لكل عمل شِرَّةً[1] ثم فَتْــرَةً[2]، فمن كـانت فترتُـه إلى بدعةٍ فقد ضلّ، ومن كـانت فترتُـه إلى سنة فقد اهتدى»[3].

ومن أقـوال السـلف وأفعـالهم الدالة على حرصـهم على اتباع سنة النبي ما يلي:

1- ما روي عن أبي بكر الصـــديق أنه قـــال: (لست تاركا شـيئا كـان رسـول الله يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ)[4].

2- ما جاء في الصحيحين عن عمر بن الخطاب أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبله فقـال: «إني أعلم أنك حَجر لا تضر ولا تنفع، ولــــولا أني رأيت النــــبي يقبلك ما قبلتك»[5].

---

1 (?) الشِرَّة: النشاط والرغبة يقال: شـرة الشـباب أي: حرصه ونشاطه (لسان العرب 4/400).

2 (?) فَتْـرَة: من فَتَـرَ يَفْتُـرُ فتـورا أي سـكن بعد حدته ولان بعد شـــدة (انظـــر: القـــاموس المحيط ص 633). والمـــراد هنا السـكون والطمأنينة والانشـراح إلى السـنة لا إلى البدعــة. (انظر: النهاية في غريب الحديث 3/773).

3 (?) رواه الإمام أحمد في المسند 5/409، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 3/249: "رواه أحمد ورجاله رجـال الصـحيح"، وقد صححه محققو الموسوعة 38/457.

4 (?) رواه الإمـــام أحمد في المســـند 1/6، وقـــال محققو الموسوعة (1/205): " إسناده صحيح على شرط الشيخين".

5 (?) رواه البخاري كتاب الحج باب ما ذكـر في الحجـر الأسـود حـديث: 1597 ومسـلم كتـاب الحج بـاب اسـتحباب تقبيـل الحجر الأسود في الطواف حديث 1270.

3- وعن علي بن أبي طـــالب قـــال: (ما كنت لأدع سنة النبي لقول أحد من الناس)[1].

4- وعن الإمـام الزهـري قـال: (كـان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة)[2].

4- وعن مخلد بن الحسين[3] قال: قال لي الأوزاعي: (يا أبا محمد، إذا بلغك عن رسول الله حــديث، فلا تظن غيره، فإن محمدا كان مبلغا عن ربه)[4].

5- وقال الإمام سفيان الثوري: (كان الفقهاء يقولون: لا يستقيم قـول إلا بعمل ولا يسـتقيم قـول وعمل إلا بنية ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة)[5].

وغيرها من الآثار الثابتة المؤكدة أن لا سبيل للنجاة والاستقامة في الحيـاة ونيل الحيـاة الطيبة والسـعادة الأبدية إلا عن طريق التمسك بسـنة النـبي والاكتفـاء بها على مدار الحياة.

---

1 (?) رواه البخـاري كتـاب الحج بـاب التمتع والإقـران والإفـراد بالحج حديث 1563.

2 (?) رواه الدارمي في سننه 1/58 وقـال محققه حسن سـليم أسد: "إسناده صحيح" ورواه كذلك اللالكائي في شرح أصـول اعتقاد أهل السنة 1/56، 94.

3 (?) مخلد بن الحسين، أبو محمد الأزدي المهلبي البصري، ثم المصيصي شيخ الثغر، توفي سـنة 191هـ وقيـل: تـوفي سـنة 196هـ. (انظر: سـير أعلام النبلاء 9/236، وتهـذيب التهـذيب 10/65).

4 (?) رواه اللالكــائي في شـــرح أصـــول اعتقـــاد أهل الســـنة 3/478.

5 (?) حلية الأولياء 7/32، والإبانة لابن بطة 1/333 .

الفصل الثالث
حلاوة الإيمان باليوم الآخر والقضاء والقدر

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: حلاوة الإيمـــان بـــاليوم الآخر

المبحث الثـاني: حلاوة الإيمـان بالقضـاء والقدر

المبحث الأول
حلاوة الإيمان باليوم الآخر

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: بيان أن حلاوة الآخرة هي الحلاوة الباقية وحلاوة الدنيا حلاوة منقطعة

المطلب الثاني: حلاوة الإيمان بالموت وأهوال القبر

المطلب الثالث: حلاوة الإيمان بالبعث والنشور

المطلب الرابع: حلاوة الإيمان بالجنة والنار

المطلب الخامس: حلاوة الإيمان برؤية الله في الجنة وأنها أعظم لذة يذوقها العباد

المطلب الأول
بيان أن حلاوة الآخرة هي الحلاوة الباقية وحلاوة الدنيا حلاوة منقطعة

إن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان الستة، ولا يصح إيمان العبد حتى يؤمن بــه، لقوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭼ وقوله تعالى: ﭽﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲﭼ[1].

وقوله ﷺ في حديث جبريل المتقـدم: «أن تـؤمن بالله وملائكته وكتبه ورســله واليــوم الآخر». ومن كفر بــاليوم الآخر أو بشـــيء مما يقع فيـــه، فهو كـــافر بالله ﷻ لقوله تعـــــــــــــــــــــــــــــــالى:

ﭽ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛﭼ.

وتــأتي حلاوة الإيمــان بــاليوم الآخر من خلال إيمــان العبد وتصديقه الجازم بأن لأيـام الـدنيا آخـرا أي: أن هـذه الـدنيا منقضـية، وهـذا العـالم منتقض يوما صـنعه، منحل وقتا تركيبه، وأن الله مفنٍ ما على الأرض، ومبـدّل الأرض غـــير الأرض، والتصـــديق بكل ما يقع بعد ذلك من البعث والقيام والحسـاب والمـيزان والجنة والنـار، وأن كل ذلك كائن كما جاء به الخبر، ووعد الله صدق وقوله حق[2].

---

[1] (?) سورة التوبة الآية 29.

[2] (?) انظر: المنهاج لشعب الإيمـان للحليمي 1/336، القيامة مشـاهدها وعظاتها في السـنة النبوية د. محمد أربيب صـالح 1/9.

فالعبد إذا آمن بهـذا وأيقن بـأن مصـيره الحقيقي إما إلى جنة يتنعم فيها بـأنواع اللـذات أو إلى نـار يتقلب فيها على أنواع العذاب، بعث ذلك فيه الشوق إلى لذات الجنة وحب الطريق الموصل إليهـا، كما يبعث فيه الخـوف من النار وكره الطريق الموصل إليها. وهكذا يجتمع عنده حب الله والشـوق لما عنـده من نعيم ولـذات، وخـوف فـوات ذلك على نفسه، فيكره الانغمـاس في المعاصي بقـدر ما يكره الـدخول في النـار، فيعمل على تحقيق المطلـبين -وهما النجاة من النـار ودخـول الجنـة-، وينعم بحيـاة طيبة في الدنيا قبل الآخرة.

وقد دلت النصوص على أن حلاوة الآخرة هي الحلاوة الباقية، وحلاوة الدنيا حلاوة مؤقتة قابلة للـزوال والفنـاء. أذكر منها ما يلي:

1- قوله تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ[1]. أي: عيشـكم في الـدنيا وتمتعكم بها قليـل، لأنها فانية وما فيها فانٍ ونعيم الآخرة خير، لأنها باقية ونعيمها باقٍ دائم[2].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ[3] أي: ما عندكم أيها الناس مما تتملكونه في الدنيا، وإن كَثُر فنافدٌ فـانٍ، أي: يفـرغ وينقضـي، فإنه إلى أجل معدود محصور مقدَّر مُتَناه، ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭼ أي: وثوابه لكم في الجنة باقٍ لا انقطاع ولا نفـاد له، فإنه دائم

1 (?) سورة النساء الآية 77.

2 (?) انظر: تفسير الطبري 8/551.

3 (?) سورة النحل الآيات 95-96.

لا يحول ولا يزول، فلما عنده فاعملوا وعلى الباقي الـذي لا يفنى فاحرصوا[1].

3- وقوله تعالى: ﭽ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ﭼ[2]. قال السعدي: (هذا حض من الله لعباده على الزهد في الدنيا وعدم الاغترار بها، وعلى الرغبة في الأخــرى، وجعلها مقصــود العبد ومطلوبــه، ويخــبرهم أن جميع ما أوتيه الخلـق، من الـذهب، والفضـة، والحيوانـات والأمتعــة، والنســاء، والبــنين، والمآكــل، والمشــارب، واللذات، كلها متاع الحياة الدنيا وزينتها، أي: يتمتع به وقتا قصــيرا، متاعا قاصــرا، محشــوا بالمنغصــات، ممزوجا بالغصص، ويزين به زمانا يسيرا، للفخر والرياء، ثم يــزول ذلك سـريعا، وينقضي جميعـا، ولم يسـتفد صـاحبه منه إلا الحســــــرة والنــــــدم، والخيبة والحرمــــــان. ﭽ ڀ ڀ ڀ ﭼ من النعيم المقيم، والعيش السليم ﭽ ٺ ٺ ﭼ أي: أفضل في وصـفه وكميتـه، وهو دائم أبـدا، ومستمر سرمدا.

ﭽ ٿ ٿﭼ أي: أفلا يكون لكم عقول، بها تزنون أي الأمور أولى بالإيثار، وأي الدارين أحق للعمل لها؟ فــدل ذلك أنه بحسب عقل العبد يــؤثر الأخــرى على الــدنيا، وأنه ما آثر أحد الدنيا إلا لنقص في عقله)[3].

---

1 (?) انظــر: تفســير الطــبري 17/289، وتفســير ابن كثــير 2/762.

2 (?) سورة القصص الآية: 60.

3 (?) تفسير السعدي ص 621.

4- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭼ[1] وغيرها من الآيات الكثيرة والأحـاديث الصـحيحة[2] المؤكـدة أن لا نسـبة بين حلاوة الـدنيا الفانية وحلاوة الآخـرة وملـذاتها الباقية والدائمـة، ومن قـارن بين لـذات الـدنيا وشـهواتها ولـذات الآخـرة وخيراتها يجد من الفـرق والتفـاوت ما يدعوه إلى إيثار أعلى اللذتين.

وإذا تأكد بأن لذات الدنيا فانية وغير باقية، فإن الناس في طلبها وتناولها ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

الأول: من كان همه وطلبـه: لـذات الـدنيا ثم يتناولهـا على وجه مباح لا يفوت عليه أصل لذة الآخـرة ولا يمنحـه كمالها، إذ لم يكن القصد منهـا لـذة الآخـرة، فهـذه اللـذة زمانهـا يسـير وليس لتمتـع النفس بهـا قـدر، وأصـحابها أوسط الناس حظا[3].

والثاني: من كان همه وطلبـه: لـذات الآخـرة، فيتنـاول من لذات الدنيا بقصد الإعانة والتوصـل إلى لـذات الآخـرة ونعيمها، فهذه لذة محبوبة مرضية للرب تعـالى، وصـاحبها أرفع الناس حظا لجمعه بين لذات الدنيا والآخرة، فيلتذ بها من جهة تنعمه وقرة عينه بهـا، ومن جهـة إيصـالها لـه إلى مرضاة ربه، وإفضائها إلى لذة أكمل منها[4].

---

1 (?) سورة الأعلى الآية: 17.

2 (?) تقدمت بعض من هذه الآيات والأحاديث في الحديث عن حلاوة الزهد ما يغني عن الإعادة هنا. انظر: ص 153-154.

3 (?) انظر: الاستقامة 2/153، والداء والدواء ص 444.

4 (?) انظر: روضة المحبين ص 173.

قال شيخ الإسلام: (فكل لذة أعانت على لذات الآخرة فهو مما أمر الله به ورسوله، ويثاب على تحصيل اللذة بما يئوب إليه منها من لذات الآخرة التي أعانت هذه عليها، ولهذا كان المؤمن يثاب على ما يقصد به وجه الله من أكله وشربه ولباسه ونكاحه وشفاء غيظه بقهر عدوه في الجهاد في سبيل الله، ولذة علمه وإيمانه وعبادته وغير ذلك، ولذات جسده ونفسه وروحه من اللذات الحسية والوهمية والعقلية)[1].

وأكمل الناس لذة وأرفعهم قدرا على الإطلاق من جمع بين لذة القلب والروح ولذة البدن، فهو يتناول لذاته المباحة على وجه لا ينقص حظه من الدار الآخرة، ولا يقطع عليه لذة المعرفة والمحبة والأنس بربه [2].

والثالث: من كان همه وطلبه لذات الدنيا، ثم يتناولها على وجه محرم بقصد إشباع غرائز الهوى والشهوة، بحيث يفوت على نفسه لذات الآخرة، بل قد تُعَقِّب عليه آلاما أعظم من تلك اللذة، فهي لذة أصحاب الفواحش والظلم، وهم ممن يقال لهم يوم استيفاء اللذات: ﴿ ... ﴾[3] أي: (اطمأننتم بالدنيا، واغتررتم بلذاتها، ورضيتم بشهواتها، وألهتكم طيباتها عن السعي لآخرتكم، وتمتعتم تمتع الأنعام السارحة، فهي حظكم من آخرتكم)[4].

وذلك أنهم آثروا لذة الدنيا، ولا يجمع الله لعبده بين لذة المحرمات في الدنيا ولذة ما في الآخرة، والفرق بين هؤلاء وأولئك مع أن كلا منهم تمتعوا بالطيبات إلا أنهم افترقوا في وجه التمتع، فأولئك تمتعوا بها على الوجه الذي أذن لهم فيه، فجمع لهم بين لذة الدنيا والآخرة، وهؤلاء تمتعوا بها على الوجه الذي دعاهم إليه الهوى

---

1 (?) الاستقامة 2/152.

2 (?) انظر: الفوائد ص 201.

3 (?) سورة الأحقاف الآية: 20.

4 (?) تفسير السعدي ص 782.

والشهوة، وسواء أذن لهم فيه أم لا، فانقطعت عنهم لـذة الـدنيا وفاتتهم لـذة الآخـرة، فلا لـذة الـدنيا دامت لهم ولا لـذة الآخـرة حصـلت لهم ، فهـؤلاء أبخس النـاس حظـا، وأقلهم عقلا لاختيارهم مـا هـو أدنى على الـذي هـو خـير، ولتفضيلهم الأفنى على الأبقى[1].

قال الغزالي: (ومن الأدويـة النافعـة ... أن يتحقـق أن فوات لذات الآخرة أشـد وأعظم من فـوات لـذات الـدنيا، فإنها لا آخر لها ولا كدر فيها، فلذات الـدنيا سـريعة الـدثور وهي مشوبة بالمكدرات، فمـا فيهـا لـذة صـافية عن كـدر، وفي الإقبـال على الأعمـال الأخرويـة والطاعـات الربانيـة تلذذ بمناجاته تعـالى واسـتراحة بمعرفتـه وطاعتـه وطـول الأنس به)[2].

وقـال ابن حـزم الأندلسـي -رحمـه اللـه-: (إذا تعقَّبتَ الأمـور كلهـا فسَـدَتْ عليـك وانتهيْتَ في آخـر فكرتـك باضـمحلال جميـع أحـوال الـدنيا إلى أن الحقيقـة إنمـا هي العمل للآخرة فقط، لأن كل أمل ظفرت به فعقباه حـزن، إما بذهابه عنك، وإما بـذهابك عنـه، ولا بـد من أحـد هـذين السبيلين إلا العمل لله ، فعقباه على كل حال سـرور في عاجـل وآجـل، أمـا في العاجـل، فقلـة الهم بمـا يهتم بـه النـاس، وأنـك بـه مُعظَّم من العـدو والصـديق، وأمـا في الآجل فالجنة)[3].

وصــدق ابن القيم إذ قــال: (مــتى رأيت العقل يــؤثر الفــاني على البــاقي فــاعلم أنه قد مُسخ، ومــتى رأيت القلب قد ترحل عنه حُب الله والاستعداد للقائه، وحلّ فيه حُبّ المخلوق والرضا بالحياة الدنيا والطمأنينة بها، فـاعلم أنه قد خُسف به)[4].

---

1 (?) انظر: الفوائد ص 202، والداء والدواء ص 443، وروضة المحبين ص 173-175.

2 (?) إحياء علوم الدين 4/59.

3 (?) كتاب الأخلاق والسير لابن حزم الأندلسي ص 75-76.

4 (?) بدائع الفوائد لابن القيم 3/190.

اللهم ارزقنا حبّ الآخرة والعمـل لأجلهـا، واجنبنـا حب الدنيا والانغماس في ملذتها الملهية عن ملذات الآخرة.

المطلب الثاني
حلاوة الإيمان بالموت وأهوال القبر

إن الإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بــالموت، وأنــه أمر متحتم على جميع الخلائــق من إنس وجن وملــك، وأن كلا له أجله الذي ينتهي إليه، لا يتقدم عليه لحظة ولا يتأخر عنه، وأن البقاء الأبدي ليس إلا لله وحده سبحانه.

قال تعالى: ﭽ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ[1]. وقال تعالى: ﭽ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﭼ[2] وقال تعالى: ﭽ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﭼ[3]. وقال تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﭼ[4].

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت والجن والإنس يموتون»[5].

وتــأتي حلاوة الإيمــان بــالموت من خلال إيمــان العبــد وتصديقه الجازم بأنه ســوف ينتهي أمــره في هــذه الــدنيا، وسوف يأتيــه مــا يهــدم لذاتــه، ويعطــل أهــواءه وشــهواته، وجميع حركاته، فيصــبح جســدا لا روح فيــه ولا حيــاة، وأنــه ســوف ينتقــل من نعيم الطعــام والشــراب والنســاء إلى

---

1 (?) سورة الزمر الآية: 30.

2 (?) سورة آل عمران الآية: 185.

3 (?) سورة القصص الآية: 88.

4 (?) سورة الأعراف الآية: 34.

5 (?) رواه البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﭽ ﮪ ﮫ ﮬ ﭼ[إبراهيم: ٤] حديث: 7383، ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاســتغفار بــاب التعــوذ من شر ما عمل ... حــديث: 2717.

أنيس الدود والتراب، والوحشة والظلام برفقة منكر ونكير، وحساب يسير أو عسير.

فإن من أيقن هذا، هانت عليه الدنيا وملذاتها، وتأكد عنده فناءها وزوالها، وعاش في حالة من التفكر والتذكر والشعور بالخطر ما يردعه عن المعاصي ويقربه بالطاعة لنيل أطيب الحياة وأفضل المآل. ويكون ذلك منه من خلال تحقيق أمرين عظيمين:

الأول: الإكثار من ذكر الموت.

والثاني: الاستعداد له.

أما ذكر الموت، فالمقصود منه هو حضور صورته وأهواله وما بعده في القلب وانعكاسها على الجوارح سلوكا[1].

وقد جاء الحث النبوي عليه في قوله ﷺ: «**أكثروا ذكر هاذم اللذات**» يعني: الموت[2].

قال السندي: («هاذم اللذات» بالذال المعجمة بمعنى: قاطعها أو بالمهملة من هدم البناء، والمراد الموت: وهو هادم اللذات)[3].

---

1 (?) موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم 3/933.

2 (?) رواه الترمذي كتاب الزهد باب ما جاء في ذكر الموت حديث 2307 وقال: هذا "حديث حسن" ورواه النسائي كتاب الجنائز باب كثرة ذكر الموت حديث 1823، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي 2/266.

3 (?) حاشية السندي على النسائي 4/4.

وقال الغزالي: (معناه: نغصوا بذكره اللذات حتى ينقطع ركونكم إليها فتقبلوا على الله ﷻ)[1].

وقال الحكمي – وهو يبين ما يتضمنه الإيمان بالموت- (ومنها ذكر العبد الموت وجعله على باله كما هو الردم بينه وبين آماله، وهو المفضي به إلى أعماله وإلى الحسن والقبيح من أقواله وأفعاله، وإلى الجزاء الأوفى من الحكم العدل في شرعه وقدره وقضائه ووعده ووعيده)[2].

وذلك أن العبد إذا دام على ذكر الموت، فإن هذه الحالة من التذكر يورث في قلبه لذة وحلاوة بسبب شوقه إلى لقاء محبوبه، فقد ثبت أن «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه»[3]. وذلك أن المؤمن الذي ذاق لذة معرفة الله والأنس به في هذه الدنيا، يشتاق إلى ما هو أعلى منها وأكمل، إذ النفوس مجبولة على حب الزيادة، ولا زيادة له من لذات الدنيا أعظم مما هو فيه، فيشتاق إلى يوم المزيد من لذات الجنة ونعيمها، وكل ما تذكر الموت المفضي إليها، زاد شوقه والتذ قلبه، وطاب عيشه، فإن أطيب العيش واللذة على الإطلاق عيش

---

1 (?) إحياء علوم الدين 4/450.

2 (?) معارج القبول 2/707.

3 (?) رواه البخاري كتاب الرقاق باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه حديث: 6507، ومسلم كتاب الذكر والدعاء ... باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه حديث: 157.

المشتاقين المستأنسين، فحيـاتهم هي الحيـاة الطيبة في الحقيقة، ولا حياة للعبد أطيب ولا أنعم ولا أهنأ منها[1].

قـال ابن القيم: (فـإذا ذكر المـوت التـذّ بـه، كما يلتذ المسافر بتذكر قدومه على أهله وأحبابه)[2].

ولعل هـذا يفسر لنا السـبب في كـون بعض السـلف كـانوا يفرحـون بـالموت ويرحبـون به حين قدومـه. ومن صور ذلك ما يلي:

1- ما جاء في حديث عائشة أم المؤمنين: «أن النـبي دعا فاطمة ابنته في شـكواه الـتي قبض فيها فسـارها بشيء فبكت ثم دعاها فسارها فضحكت، قالت: فسـألتها عن ذلك فقالت: سـارني النـبي فـأخبرني أنه يقبض في وجعه الـذي تـوفي فيه فبكيت، ثم سـارني فـأخبرني أني أول أهل بيته أتبعه فضحكت»[3].

والشـاهد فيـه: ضـحكة فاطمة رضي الله عنها حين أخبرها والـدها بأنها أول أهل بيته لحاقا بـه، وفي الخـبر إيذان لموتها وقـرب أجلها ومع ذلك تبـدي فرحها بضـحكة تسـمعها من حولهـا، والعـادة البشـرية كراهية ما يؤذيهـا، فكيف بما يقضي على حياتها ويقطعها عن هذه الدنيا.

قال النووي - رحمه الله-: (هذه معجزة ظـاهرة له ، بل معجزتـان، فـأخبر ببقائها بعـده، وبأنها أول أهله لحاقا به، ووقع كـذلك، وضـحكت سـرورا بسـرعة لحاقها، وفيه

---

1 (?) انظر: الداء والدواء ص 359.

2 (?) مدارج السالكين 3/62.

3 (?) رواه البخـاري كتـاب المنـاقب بـاب علامـات النبـوة في الإسلام حديث: 3626، ومسلم كتاب فضـائل الصـحابة بـاب فضائل فاطمة بنت النبي حديث 2450.

إيثارهم الآخـرة وسـرورهم بالانتقـال إليها، والخلاص من الدنيا)[1].

2- وعن معاذ بن جبل أنه لما حضره المـوت، قـال: (مرحباً بـالموت مرحباً زائِـر مُغِبّ حـبيبٍ جـاء على فاقة، اللهم إني قد كنت أخافك فأنا اليــوم أرجــوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الـدنيا وطـول البقـاء فيها لكـري الأنهار، ولا لغرس الأشجار، ولكن لِظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالرُّكب عند حِلَق الذكر)[2].

3- وبلال لما حضـــرته الوفـــاة قـــالت امرأته: "واحزناه!" فقال: (بل واطرباه! غـداً نلقى الأحبة محمـدا وحزبه)[3]، وما ذلك إلا لأن مرارة الموت قد امتزج بحلاوة اللقـاء، وهي حلاوة الإيمـان الـتي أذهبت عنه ألم المـوت بما يرجـــوه ويؤمله من لـــذات هي أكمل اللـــذات وأحبها إليه.

وإن من أكـــبر الوســائل المعينة على تـــذكر الموت والتلذذ به: زيارة المقابر.

فقد صح أن النـــبي زار قـــبر أمه فبكى وأَبْكى من حوله، فقــال: «اســتأذنت ربي في أن أســتغفر لها فلم

---

1 (?) شرح صحيح مسلم للنووي 16/6.

2 (?) الزهد للإمام أحمد ص 181، حلية الأولياء 1/239، صفة الصفوة 1/501.

3 (?) إحيـاء علـوم الـدين 4/481 المـدهش لابن الجـوزي ص 352.

يُؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأَذِن لي، فـزوروا القبور، فإنها تذكر الموت»[1].

قال المناوي: (قالوا: ليس للقلوب سيما القاسية أنفع من زيـــارة القبـــور، فزيارتها وذكر المـــوت يـــردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويـذهب الفـرح بالـدنيا، ويهون المصائب، وزيـارة القبـور تبلغ في دفع رين القلب واستحكام دواعي الذنب ما لا يبلغه غيرها...)[2].

روي أن امـــرأة اشـــتكت إلى عائشة رضي الله عنها قساوة قلبها، فقالت: (أكثري من ذكر الموت يرق قلبك)، ففعلت فـــرق قلبها، فجـــاءت تشـــكر عائشة رضي الله عنها[3].

وعن عطـــاء -رحمه اللـــه- قـــال: (كـــان عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - يجمع كل ليلة الفقهـــاء فيتـــذاكرون الموت والقيامة والآخرة، ثم يبكون حتى كـأن بين أيـديهم جنازة)[4].

وقـال عمر بن عبد العزيز لعتبـة: (أكـثر ذكر المـوت، فـــإن كنت واسع العيش ضـــيقه عليك، وإن كنت ضـــيق العيش وسعه عليك)[5].

---

1 (?) رواه مسلم كتاب الجنـائز بـاب اسـتئذان النـبي ربه في زيارة قبر أمه حديث: 976.

2 (?) فيض القدير 4/67.

3 (?) إحياء علوم الدين 4/451، التذكرة للقرطبي ص 11، العاقبة في ذكر الموت للإشبيلي ص 41.

4 (?) إحياء علوم الدين 4/451، التذكرة ص 9، العاقبة في ذكر الموت ص 40، المدهش ص 292.

5 (?) إحيـاء علـوم الـدين 4/451، العاقبة في ذكر المـوت ص 40.

وعن الأوزاعي -رحمه اللـه- قـال: (ما أكـثر عبد ذكر المـوت إلا كفـاه اليسـير من العمل، ولا عـرف عبد أن منطقه من عمله إلا قل لغطه)[1].

وقـال ابن العـربي -رحمه اللـه- : (إذا تـذكر العبد الموت وكـان منه على رصـد، إذ هو له بالمرصـاد، انقطع أمله وكـثر عمله وهـانت عليه لذاته ولم يكن للـدنيا قـدر عنـده، إذ ليس بالحقيقة من قطانهـا، وإنما ينـزل نفسه بمنـزلة الميت في كل حين من أحيانهـا، فيعـرض عن الدنيا، ويقبل على الآخرة)[2].

والثاني: الاستعداد للموت

قـال الحكمي: (ومنها - وهو المقصـود الأعظم-: التأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعـده قبل حصـوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دهـوم البلاء وحلوله، إذ هو الفيصل بين هـذه الـدار وبين دار القـرار، وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه، والحد الفارق بين أوان تقـديم الـزاد والقـدوم عليه، إذ ليس بعـده لأحد من مستعتب ولا اعتذار، ولا زيادة في الحسنات ولا نقص من السـيئات، ولا حيلة ولا افتـداء ولا درهم ولا دينـار، ولا مقعد ولا منـزل إلا القبر، وهو إما روضة من ريـاض الجنة أو حفرة من حفر النار إلى يوم البعث والجزاء ...)[3].

---

1 (?) الجـرح والتعـديل 1/218، والمعرفة والتـاريخ للفسـوي 1/594 وتاريخ دمشق 35/206-207.

2 (?) عارضة الأحوذي شرح سنن الترمذي 5/133.

3 (?) معارج القبول 2/708.

وفي الحديث أن فتى من الأنصار سـأل رسـول الله أي المؤمنين أفضل؟ فقال: «أحسنهم خلقا». قـال: فـأي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكـرا، وأحسـنهم استعدادا قبل أن ينـزل به، أولئك هم الأكياس»[1].

قـال ابن الجـوزي: (الـواجب على العاقل أخذ العـدة لرحيله، فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه، و لا يدري مـتى يُستدعى؟ وإني رأيت خلقاً كثيراً غرَّهم الشـباب، ونسـوا فقد الأقـران، وألهـاهم طـول الأمل، وربما قـال العـالم المَحْضُ لنفسه: أشـتغل بـالعلم اليـوم ثم أعمل به غـداً، فيتساهل في الزلل بحجة الراحة، و يـؤخر الأُهْبَـة لتحقيق التوبـــة، ولا يتحاشى من غيبة أو ســـماعها، ومن كسب شـــبهة يأمل أن يمحوها بـــالورع، وينسى أن المـــوت قد يبغت. فالعاقل من أعطى كل لحظة حقها من الـــواجب عليه، فإن بغته الموت رُئِي مستعداً، و إن نال الأمل ازداد خيراً)[2].

وقـال ابن رجب: فـالواجبُ على المـؤمن الاسـتعدادُ للمـوت وما بعـده في حـال الصـحة بـالتقوى والأعمـال الصـــالحة ... فمن ذكر الله في حـــال صـــحته ورخائـــه، واستعدَّ حينئذٍ للقاء الله بالموت وما بعده، ذكـره الله عند هذه الشدائد، فكان معه فيها، ولَطَفَ به، وأعانه، وتـولاَّه، وثبته على التوحيد، فلقيه وهو عنه راضٍ، ومن نسـيَ الله

---

[1] (?) رواه ابن ماجه كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له حـديث 4259، ورواه الطـبراني في المعجم الأوسط 5/61، وقـال الهيثمي في مجمع الزوائد 5/382: "رواه الـبزار ورواته ثقـات" وقد حسـنه الشـيخ الألبـاني في السلسـلة الصـحيحة 3/372.

[2] (?) صيد الخاطر ص 18.

في حال صحته ورخائـه، ولم يسـتعدَّ حينئذ للقائـه، نسـيه الله في هذه الشـدائد، بمعـنى أنَّه أعـرض عنـه، وأهملـه، فإذا نزل الموتُ بالمؤمنِ المستعدِّ له، أحسن الظنَّ بربه، وجاءته البُشـرى من اللـهِ، فـأحبَّ لقـاءَ اللـه، وأحبَّ الله لقــاءه، والفــاجر بعكس ذلــك، وحينئذ يفــرح المــؤمن، ويستبشر بما قدمه مما هو قادمٌ عليـه، ويَنْـدَمُ الــمُفَرِّط)[1].

وهكذا يكون الإيمان بالموت وتذكر أهواله سبباً لذوق حلاوة الإيمـــان والتنعم بالحيـــاة الطيبة في الـــدنيا قبل الآخرة.

---

[1] (?) جامع العلوم والحكم 1/476.

المطلب الثالث
حلاوة الإيمان بالبعث والنشور

إن الإيمان باليوم الآخر يتضمن كذلك الإيمـان بـالبعث والنشور، والاعتقاد الجازم بأن الله سـيبعث الخلائق كلهم بعد مـوتهم من قبـورهم، ويعيد الأرواح إلى أجسـادهم، ثم يجمعهم كلهم في موقف واحد للعـــرض والجـــزاء والحســاب، وأن ذلك سـيقع حقا لا ريب فيــه، وأن منكر ذلك كافر ملحد، لقوة دلالة نصوص الكتـاب والسـنة على حتمية وقوع ذلك[1].

فمن نصوص الكتاب: قوله تعالى: ﴿...﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿...﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿...﴾[4] وقوله تعالى: ﴿...﴾[5] وقوله تعالى: ﴿...﴾[6].

ومن السـنة النبويـة: ما جـاء في حـديث جبريل في رواية البخاري أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمـان؟ فقـال: «أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وتؤمن بالبعث الآخر»[7].

---

1 (?) انظر: لوائح الأنوار البهية للسفاريني 2/219.

2 (?) سورة المؤمنون الآيات 15-16.

3 (?) سورة الحج الآية 7.

4 (?) سورة يس الآية: 79.

5 (?) سورة التغابن الآية: 7.

6 (?) سورة الزمر الآية: 68.

7 (?) رواه البخاري كتاب الإيمان باب سؤال جبريل ﷺ عن الإيمان والإسلام ... حديث 50.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسـول الله قـال: «ما بين النفخـتين أربعـون» قـالوا: أربعـون سـنة؟ قال: أبيت. «ثم ينـزل الله من السـماء مـاءً فينبتـون كما ينبت البَقْـلُ وليس من الإنسـان شـيء إلا يَبْلَى إلا عَظْمـاً واحداً وهو عَجْبُ الذَّنَبِ، ومنه يُرَكَّب الخلقُ يوم القيامة»[1].

فهذه النصوص صـريحة في الدلالة على حتمية البعث والنشور وكفر من أنكر ذلك.

وتـأتي حلاوة الإيمـان بـالبعث من خلال تـذكر العبد واستشـعاره لهـذا اليـوم، وإيقانه أنه عائد إلى الله لا محالة، وأنه سيُبعث من قبره بعد دفنه، وصـيرورته رُفاتـاً بالياً، ليكون خلقاً جديداً كما خلق أوّل مرة، ثم يحشر مع جميع الخلائق في موقف واحد لانتظار الجزاء والحسـاب، وما فيه من تعـرض لطـول الوقـوف ودنو الشـمس، ومقاساة تلك الأهوال والشدائد، فإذا استشعر ذلك اليـوم عـرف أنه لا مفر له من اللـه، ولا منجى منه ولا ملجأ إلا إليه، فهذه الحالة من التـذكر يوقظ همم صـاحبها ويرفعه عن الغفلة من ملذات الدنيا إلى الاستعداد لمواجهة ذلك اليوم العصيب.

وقد ثبت أن النـبي قـال: «كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته وأصـغى سـمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ، فينفخ» قال المسلمون: فكيف نقول يا رسـول الله ؟ قـال: قولـوا: «حسـبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله ربنا»[2].

---

[1] (?) رواه مسـلم كتـاب الفتن وأشـراط السـاعة بـاب قـرب الساعة حديث 2955.

[2] (?) رواه الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله بـاب من سورة الزمر حديث: 3243، وقال: هذا حديث حسن، وقد صـححه الشـيخ الألبـاني في صـحيح سـنن الترمـذي 2/292، 3/100.

وقوله : «**كيف أنعم**» أي: كيف أَتَنَعَّم من النَّعْمة بـالفتح وهي المَسَـرَّة والفَـرح والتَّرَفُّه[1]، والمـراد: التنعم بلذات الدنيا وتناول المباحات فيها، فإن تـذكر يـوم البعث وما فيه من أهوال يمنع من ذلك، وأما التنعم بلــذة القلب والــروح، فــإن ذاك حاصل له على أكمل وجــه، وذلك أن تذكر الأهـوال يبعث فيه اليقظة والخـوف وكـره الأسـباب الموصلة إلى ذلك من جانب، ثم الحب والشوق إلى لقـاء الله بما يؤمله ويرجوه من لذات من جانب آخر، وخاصة إذا استشـعر ما يمتـاز به المـؤمن في هـذا الموقف من تخفيف للوقـــوف وتيســـير للحســـاب، وأعلى من ذلك سماعه كلام ربه ومحبوبه الأكبر بلا واسـطة ولا ترجمـان، فقد ثبت في الصـحيحين أن النـبي قـال: «ما منكم من أحد إلا وســـيكلمه الله يـــوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان»[2]. ومن المعلوم أنّ كلّ محب يلتذ بسـماع كلام محبوبه حـــتى إذا غـــاب عنه لحظة مـــات شـــوقا للقائه وسماع كلامـه، فكيف بالمحبوب الـذي لا شـيء أجلُّ منه ولا أعظم ولا أجمل، ولا أكمل، كما قال القائل: (المُحِبُّون لا شيء أَلَذّ لهم ولقلوبهم من سماع كلام محبوبهم، وفيه غاية مطلوبهم، ولهـذا لم يكن شـيء ألذ لأهل المحبة من سـماع القـرآن)[3]. وهـذا يلتذ بسـماعه بواسـطة تلاوة التالي لـه، وأما ذلك اليـوم فسـوف يلتذ بسـماع كلام ربه

---

1 (?) النهاية في غريب الحديث 5/186.

2 (?) رواه البخـاري كتـاب الرقـاق بـاب من نـوقش الحسـاب عذب حديث 6539، ومسـلم كتـاب الزكـاة بـاب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة حديث 1016.

3 (?) روضة المحبين ص 275.

مباشـرة بلا واسـطة، وهـذه اللـذات كـانت غاية مطـالب المشتاقين لربهم والمستأنسين بذكره:

فقد روي عن الأوزاعي أنه قــال: (كــان الســلف إذا صــدع الفجر أو قبله شــيئا كأنما على رؤوســهم الطــير مقبلين على أنفســهم، حــتى لو أن حميما لأحــدهم غــاب عنه حينا، ثم قدم ما التفت إليـه، فلا يزالـون كـذلك حـتى يكـون قريبا من طلـوع الشـمس، ثم يقـوم بعضـهم إلى بعض فيتحلقون، فأول ما يفيضـون فيه أمر معـادهم، وما هم صائرون إليه ثم يتحلقون إلى الفقه والقرآن)[1].

وكان عتبة الغلام يبكي من السَّحر بكاءً شديدا، ولما سئل عن ذلك قال: (إني والله ذكـرت يـوم العـرض على الله) وقال أيضا: (قَطّع ذكر يوم العرض على الله أوصال المحبين)[2].

وكان عطاء السليمي[3] يقول: (ويل لعطاء ليت عطاء لم تلده أمه) وكان يقـول في دعائه: (اللهم ارحم غربـتي في الدنيا وارحم مصرعي عند الموت وارحم وحـدتي في قبري وارحم قيامي بين يديك)[4].

---

1 (?) تاريخ دمشق 35/184-185 ، صـفة الصـفوة 4/258 ، وسير أعلام النبلاء 7/114.

2 (?) صفة الصفوة 3/372.

3 (?) عطاء السليمي البصري العابد، من صغار التـابعين أدرك أنس بن مالك، وسمع من الحسن البصري مـات بعد الأربعين ومائة (سير أعلام النبلاء 6/86).

4 (?) حلية الأوليـاء 9/217، سـير أعلام النبلاء 6/87، وجـامع العلوم والحكم 2/379.

فيخلص من كل ذلك أن الإيمـــان بـــالبعث والنشـــور يجعل العبد المؤمن على دوام الانتباه والحذر، ويورث في قلبه حيــاة ونــورا وانشــراحا وهو يعمل لأجل زحزحة تلك المواقف والنجاة منها إلى دار النعيم.

المطلب الرابع
حلاوة الإيمــان بالـجنة والنار

ومن الإيمــان بــاليوم الآخــر: الإيمــان بالجنة والنــار، وأنهما موجودتــان الآن، خلقهما الله تعــالى لتكونا المــآل الأخـــير للإنس والجن، وأن الجنة هي مـــآل الأبـــرار من الســعداء الــذين آمنــوا بالله وصــدقوا المرســلين، وهم يتنعمـــــون فيها بـــــأنواع الملاذ والمســــــار من المآكل والمشارب، والنساء والسماع ونحوها، وأن النار هي مـآل الكفار من الأشقياء الذين كفروا بالله وكـذبوا المرسـلين، وهم يذوقون فيها أنواع العذاب الأليم، لا يموتــون فيها ولا يحيــون. وقد دلت على ذلك نصــوص الكتــاب والســنة وأجمعت عليه الأمة.

فمن نصوص الكتاب قوله تعالى: ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ[1]. وقوله تعالى: ﭽ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﭼ[2]. وقوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ[3].

ومن السنة ما جـاء في أن النـبي ﷺ رآى الجنة والنـار، وذلك في حـديث الاسـراء الـذي ورد فيه قوله ﷺ: «... ثم انطلق بي إلى سدرة المنتهى، وغَشِـيَها أَلْـوَانٌ لا أدري ما هي، ثم أدخلت الجنّة فـــإذا فيها جَنَابِـــذُ اللُّؤْلُؤ وإذا تُرَابُها المِسْك» [4].

وفي حـديث الكسـوف عن ابن عبـاس رضي الله عنهما أن النـــبي ﷺ قـــال: «إني رأيت الجنّة فتنـــاولت عُنقُـــوداً ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدُّنيا، ورأيت النّار فلم أر مَنْظَـراً كاليوم قطُّ أفظع ورأيت أكثر أهلها النساء... »[5].

---

1 (?) سورة الحديد الآية: 21.

2 (?) سورة آل عمران الآية 131.

3 (?) سورة النجم الآيات 13-15.

4 (?) رواه البخاري كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصـلاة في الاسـراء حـديث 349، ومسـلم كتـاب الإيمـان بـاب الاسـراء برسول الله ﷺ حديث 163.

5 (?) رواه البخاري كتاب الكسوف باب صلاة الكسوف جماعة

والنصــوص في ذلك كثــيرة جــدا، وقد انعقد عليه إجماع أهل الإسلام والإيمان من لـدن الصـحابة إلى يومنا هذا[1].

قال الآجري -رحمه الله-: (اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن القرآن شاهد: أن الله خلق الجنة والنار قبل أن يخلق آدم ، وخلق للجنة أهلا، وللنــار أهلا قبل أن يخــرجهم إلى الـدنيا، لا يختلف في هـذا من شـمله الإسـلام وذاق حلاوة طعم الإيمــان دل على ذلك القــرآن والســنة فنعــوذ بالله ممن كذب بهذا)[2].

وإنما كـان الإيمـان بالجنة والنـار من موجبـات حلاوة طعم الإيمان، لأن حقيقة طعم الإيمان من انشراح الصدر وطمأنينة القلب، وبهجته وسروره بالطاعات، ولذة الأنس بــالرحمن ومحبتــه، إنما أتت إليهم من نفحــات جنــات النعيم، عجل الله لهم منها ما أوصــلهم إلى هــذا الحــال، فيشــوقهم بها إلى اللــذات الأبديـــة، والـــتي هي غاية مطـالبهم وقـرة عيـونهم، بـذلوا لأجلها النفيس وأسـهروا

حديث 1052، ومسلم كتـاب الكسـوف بـاب ما عـرض على النبي في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار حديث 907.

1 (?) انظــر: حــادي الأرواح لابن القيم ص 35، حيث نقل الإجمــاع على ذلــك، ثم أشــار إلى خــروج طائفة القدرية والمعتزلة من هذا الإجماع لأنهم زعموا أن الجنة والنار ليسـتا مخلوقتـان الآن، بل ينشـئهما يـوم المعـاد، وأن خلقهما قبل الجزاء عبث، فخالفوا بذلك الحق الثابت بأدلة الكتاب والسـنة وإجماع سلف الأمة.

2 (?) الشريعة للآجري 1/397.

لسبيلها الليالي، لينجوا من عذاب النار، ويفوزا بدخول دار الحيوان ومجاورة عرش الرحمن.

وقد ورد من أخبـار الجنة والنـار ما يحقق لمن تأملها حياة القلب ونور الإيمان.

يقول ابن كثير -رحمه اللـه-: (وإن جـاءت الآيـات في وصف المعـــاد وما فيه من الأهـــوال وفي وصف الجنة والنـــــار وما أعد الله فيهما لأوليائه وأعدائه من النعيم والجحيم والملاذ والعــذاب الأليم، بشـــرت به وحـــذرت وأنـذرت؛ ودعت إلى فعل الخـيرات واجتنـاب المنكـرات، وزهـــدت في الـــدنيا ورغبت في االآخـــرة، وثبتت على الطريقة المثلى، وهـــدت إلى صـــراط الله المســـتقيم وشـــرعه القـــويم، ونفت عن القلـــوب رجس الشـــيطان الرجيم)[1].

ومما جـــــاء في وصف الجنة وما فيها من نعيم قوله تعالى: ﭽ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﭼ[2].

وقوله تعالى: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﭼ[3].

وقوله تعالى: ﭽ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﭼ[4]. يقول الشيخ السعدي في تفسير قوله ﭽ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﭼ (وهذا لفظ جامع، يأتي على كل نعيم وفرح، وقرة عين، وسرور قلب، فكل ما اشتهته النفوس، من مطاعم، ومشارب، وملابس، ومنـاكح، ولذته العيـون، من مناظر حسنة، وأشجار محدقـة، ونعم مونقـة، ومبـان

1 (?) تفسير ابن كثير 1/84-85.

2 (?) سورة الشجدة الآية: 17.

3 (?) سورة محمد الآية: 15.

4 (?) سورة الزخرف الآيات: 70-71.

مزخرفة، فإنه حاصل فيها، معد لأهلها، على أكمل الوجوه وأفضـلها ... وهـذا هو تمـام نعيم أهل الجنـة، وهو الخلد الـدائم فيهـا، الـذي يتضـمن دوام نعيمها وزيادتـه، وعـدم انقطاعه) [1].

وفي الحـديث القدسي أن الله تبـارك وتعـالى قـال: «أعـــددت لعبـــادي الصـــالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» [2].

ومما جـاء في وصف النـار وما فيها من أهـوال، قوله تعالى: ﭽ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ [3]. وقوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ [4] أي: تنـزع جلدة الرأس وأطراف البدن، وقيل: تحرق النار كل شيء منـه، ويبقى فؤاده يصيح [5]. وقوله تعالى: ﭽ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﭼ [6].

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قـال: «يُجـاء بالرجل يـوم القيامة فيُلقى في النـار، فتَنْـدَلِق أقتابُـه في النـار، فيدُور كما يدور الحمار بِرَحاهُ، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلانا ما شـأنك؟ أليس كنت تأمرننا بـالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهـاكم عن المنكر وآتيه» [7].

---

1 (?) تفسير السعدي ص 769.

2 (?) رواه البخـاري كتـاب بـدء الخلق بـاب في صـفة الجنة ... حـديث 3342، ومسـلم كتـاب الجنة وصـفة نعيمها حـديث 2824.

3 (?) سورة التحريم الآية: 6.

4 (?) سورة المعارج الآيات: 15-16.

5 (?) انظر تفسير الطبري 23/609، والتخويف من النـار لابن رجب ضمن مجموع رسائله 3/236.

6 (?) سورة الحاقة الآيات 30-33.

7 (?) رواه البخـاري كتـاب بـدء الخلق بـاب صـفة النـار وأنها مخلوقة حـديث 3267، ومسـلم كتـاب الزهد والرقـائق بـاب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله حديث 2989.

وفي الحديث أن الله تعالى لما خلق الجنة والنار قال لجبريل : (اذهب إلى النار فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضا، فرجع إليه فقال: وعزّتك لا يسمع بها أحد فيدخلها، فأمر بها فَحُفّت بالشهوات، فقال: ارجع إليها فرجع إليها، فقال: وعزّتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها«[1].

وقد كان من حالة السلف أنهم يتذكرون هذه النصوص، فيستبشرون بالجنة وما فيها من نعيم، ويخافون من النار وما فيها من العذاب، فعاشوا حياتهم راجين رحمة الله، خائفين من عذابه، راغبين متشوقين إلى الجنات النعيم، والنجاة من العذاب الأليم، ثم عملوا بما يحقق لهم ذلك.

كان سعيد الجرمي[2] -رحمه الله- يصف الخائفين ويقول: (إذا مروا بآية من ذكر النار، صرخوا منها فرقا، كأن زفير النار في آذانهم، وكأن الآخرة نصب أعينهم)[3].

وقال الحسن البصري -رحمه الله-: (إن لله عبادا كمن رآى أهل الجنة في الجنة المخلدين، وكمن رآى أهل النار في النار معذبين)[4].

وعن سفيان الثوري -رحمه الله- قال: (كان عمر بن عبد العزيز ساكتا وأصحابه يتحدثون، فقالوا: ما لك لا تتكلم يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت مفكرا في أهل الجنة

---

1 (?) رواه النسائي كتاب الأيمان والنذور باب الحلف بعزة الله حديث 3763، والترمذي كتاب صفة الجنة عن رسول الله باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات حديث2560، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي 2/317-318.

2 (?) هو سعيد بن محمد بن سعيد الجرمي الكوفي أبو عبيد الله الإمام المحدث الصدوق مات سنة 130هـ. (سير أعلام النبلاء 10/637).

3 (?) التخويف من النار ص 62.

4 (?) التخويف من النار ص 62.

كيف يــتزاورون فيهــا، وفي أهل النــار كيف يصــطرخون فيها، ثم بكى)[1].

وعن إبراهيم الـتيمي[2] قـال: (مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشــرب من أنهارها وأعــانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النــار، آكل من زقومهــا، وأشــرب من صـديدها، وأعـالج سلاسـلها وأغلالهـا، فقلت لنفسـي: أي شــيء تريــدين؟ قــالت: أريد أن أُرَدَّ إلى الــدنيا، فأعمل صالحا، قال: فقلت: فأنت في الأمنية فاعملي)[3].

هكـذا كـان الإيمـان بالجنة والنـار سـببا لـذوق حلاوة الإيمان والتلذذ بعيش سعيد في الدنيا قبل الآخرة.

---

1 (?) الرقة والبكاء لابن أبي الـدنيا ص 71، التخويف من النـار ص 61.

2 (?) إبراهيم بن يزيد التيمي: تيم الرباب، الإمام القدوة الفقيه عابد الكوفة أبو أسماء، كان شابا صـالحا قانتا لله عالما فقيها كبـير القـدر واعظا، يقـال: قتله الحجـاج، وقيل: بل مـات في حبسه سنة اثنتين وتسعين. (سير أعلام النبلاء 5/60).

3 (?) صــفة الصــفوة 3/91، وإحيــاء علــوم الــدين 4/405، والتخويف من النار ص 62.

المطلب الخامس
حلاوة الإيمان برؤية الله في الجنة وأنها أعظم لذة يذوقها العباد

إن رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة لأعلى مراتب نعيم أهل الجنة وأفضله وأجله، وأعظم لذاتهم وآخرها، وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، وليس لسرور أهل الإيمان عند تذكر رؤيته منتهى، ولا نسبة لشيء من لذات الدنيا إلى لذة الشوق إلى لقائه، والتلذذ برؤيته وسماع كلامه.

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع الأنبياء والمرسلين وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون [1].

ومن أدلة الكتاب على إثبات الرؤية:

1- قوله تعالى: ﭽ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭼ[2].

هذه الآية من أكبر الأدلة على إثبات الرؤية وبيان ما فيها من حالة التنعم والتلذذ. وهو قول كل مفسر من أهل السنة والحديث [3].

---

1 (?) انظر: حادي الأرواح ص 361، إغاثة اللهفان 1/41.

2 (?) سورة القيامة الآيات: ٢٢ – ٢٣.

3 (?) انظر: حادي الأرواح ص 373، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز 1/210.

قال ابن كثير: (ﭼ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭼ من النضارة، أي حسنة بَهِيَّة مشـــــــــــرقة مســــــــــــــرورة ﭽ ﭜ ﭝ ﭞ ﭼ أي: تراه عيانا)[4].

وقـــال ابن القيم: (ومن أســـرار هـــذه الســـورة أنه ســبحانه جمع فيها لأوليائه بين جمـال الظـاهر والبـاطن: فزين وجوههم بالنضرة وبـواطنهم بـالنظر إليه، فلا أجمل لبـــــــواطنهم ولا أنعم ولا أحلى من النظر إليه، ولا أجمل لظـــواهرهم من نضـــرة الوجه وهي إشـــراقه وتحســـينه وبهجته)[2].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭼ[3].

قـال ابن القيم: (فالحســنى: الجنــة، والزيــادة: النظر إلى وجه الله الكريم، كـذلك فسـرها رسـول الله ﷺ الـذي أنزل عليه القرآن والصحابة من بعده)[4].

وبين ابن كثير أن هذه الزيادة تشـمل ما يعطيهم الله في الجنان من القُصُـور والحُـور والرضا عنهم، وما أخفـاه لهم من قـــرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظـــرُ إلى وجهه الكـريم، فإنه زيـادة أعظم من جميع ما أعطـوه، لا يستحقونها بعملهم، بل بفضله ورحمته[5].

---

4 (?) تفسير ابن كثير 4/578.
2 (?) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ص 91.
3 (?) سورة يونس الآية: 26.
4 (?) حادي الأرواح ص 364.
5 (?) تفسير ابن كثير 2/541.

ثم أثبت سـبحانه لهم بعد النظر ما يـدل على كمـال السـرور واللـذة بنفي ما يضـاد ذلـك، والنفي هنا يتضـمن كمال الضد، وهو قوله سبحانه: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭼ أي: لا يغشى وجوههم كآبة، ولا كسوف، حتى تصير من الحزن كأنما علاها قترٌ. أي: قتام وسواد من القُتْرة والغُبْرة، ﭽ ﭡ ﭢ ﭼ أي: هوان وصغار، ﭽ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭼ أي: فيها ماكثون أبدًا لا تبيـد، فيخـافوا زوال نعيمهم، ولا هم بمخـرجين فتتنغَّص عليهم لذَّتُهم[1].

3- وقوله تعالى: ﭽ   ﭼ[2]. قال الطبري: (يقـول: وعنـدنا لهم على ما أعطينـاهم من هـذه الكرامة التي وصف جلّ ثناؤه صفتها مزيد يزيدهم إيـاه، وقيل: إن ذلك المزيد: النظر إلى الله جلّ ثناؤه)[3].

ومن أدلة السنة على رؤية الله يوم القيامة ما يلي:

1- ما جاء في الصـحيحين أن النـبي نظر إلى القمر ليلة البدر ثم قال لأصحابه:

---

[1] (?) انظر: تفسير الطبري 15/72، وتفسير ابن كثير 2/542.

[2] (?) سورة ق الآية: 35.

[3] (?) تفسير الطبري 22/367.

«إنكم سترون ربكم كما ترون هـذا القمر لا تضـامون في رؤيته»[1].

وفي رواية قـال: «إنكم سـترون ربكم عيانا»[2]. وهو صريح الدلالة على الرؤية بالعين، حيث شـبه النـبي رؤية الباري سبحانه يوم القيامة، برؤية القمر في الـدنيا، وليس المرئي كالمرئي[3].

2- وفي صـحيح مسـلم عن صـهيب بن سـنان عن النبي قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقـول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تـبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قـال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم »[4].

قـال شـيخ الإسـلام: (فـبين النبي أنهم مع كمـال تنعمهم بما أعطـاهم الله في الجنة لم يعطهم شـيئا أحب إليهم من النظر إليه، وإنما يكـون أحب إليهم، لأن تنعمهم وتلـذذهم به أعظم من التنعم والتلـذذ بغـيره، فـإن اللـذة تتبع الشـعور بـالمحبوب، فكلما كـان الشـيء أحب إلى الإنسان كان حصوله ألذ له وتنعمه به أعظم)[5].

---

1 (?) رواه البخاري كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ حديث 7436 ومسلم كتاب المساجد باب فضل صلاتي الصبح والعصر حديث 633.

2 (?) رواه البخاري كتاب التوحيد حديث 7435.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 17/319.

4 (?) رواه مسلم كتاب الإيمان بـاب إثبـات رؤية المؤمـنين في الآخرة ربهم حديث 181.

5 (?) مجموع الفتاوى 1/26.

وقـال ابن القيم: (وإنما كـان ذلك أحب إليهم، لأن ما يحصل لهم به من اللذة والنعيم والفرح والسرور وقـرة العين، فـوق ما يحصل لهم من التمتع بالأكل والشـرب والحور العين، ولا نسبة بين اللذتين والنعيمين ألبتة)[1].

3- وقوله ﷺ: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشـوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضـلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هـداة مهتـدين»[2]. فقد جمع النـبي ﷺ في هذا الدعاء العظيم القدر بين أطيب شيء في الـدنيا: وهو الشوق إلى لقائه سبحانه وأطيب شـيء في الآخـرة: وهو النظر إلى وجهه سبحانه، ولما كان كمال ذلك وتمامه موقوفا على عدم ما يضر في الدنيا ويفتن في الدين، قال : «في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة» ...

ولما كـانت الزينة زينـتين زينة البـدن وزينة القلب، وكـانت زينة القلب أعظمهما قـدرا، وأجلها خطـرا، وإذا حصلت زينة البدن على أكمل الوجـوه في العقـبى، سـأل ربه الزينة الباطنة فقال: «زينا بزينة الإيمان»[3].

والمقصود أنه جمع بين أطيب ما في الـدنيا وهو لـذة الإيمـان به ومعرفته سـبحانه، وأطيب ما في الآخـرة وهو لذة النظر إلى وجهه الكريم، والأول سبب للثاني، والثاني ثمرة للأول وتابع لـه. وأما كـون الأول سـبب للثـاني، فقد بينه ابن القيم - رحمه اللـه-، فقـال: (فـأعظم الأسـباب

---

1 (?) إغاثة اللهفان 1/41.
2 (?) تقدم تخريجه في ص 29.
3 (?) انظر: إغاثة اللهفان 1/37-38.

الــتي تحصل هــذه اللــذة هو أعظم لــذات الــدنيا على الإطلاق، وهي لذة معرفته سبحانه ولـذة محبته، فـإن ذلك هو لـذة الـدنيا ونعيمها العـالي، ونسـبة لـذاتها الفانية إليه كتفْلَةٍ في بحر، فإن الروح والقلب والبدن إنما خلق لذلك، فأطيب ما في الـدنيا معرفته سـبحانه ومحبته، وألذ ما في الجنة رؤيته ومشاهدته، فمحبته ومعرفته قرة العيون ولذة الأرواح وبهجة القلــوب ونعيم الــدنيا وســرورها، بل لذات الدنيا القاطعة عن ذلك تنقلب آلاما وعذابا، ويبقى صـاحبها في المعيشة الضنك، فليس الحياة الطيبة إلا بالله)[1].

وأما كون الثـاني ثمـرة للأول وتـابع له فقد بينه شـيخ الإســلام ابن تيمية - رحمه اللــه- فقــال: (وأعظم لــذات الآخرة لذة النظر إلى الله سبحانه ... و هو ثمــرة معرفته وعبادته في الدنيا، فـأطيب ما في الـدنيا معرفته، وأطيب ما في الآخرة النظر إليه سبحانه)[2].

وقــال ابن القيم: (إن لــذة النظر إلى وجه الله يــوم القيامة تابعة للتلــذذ بمعرفته ومحبته في الـدنيا، وكما أنه لا نســــبة لنعيم ما في الجنة إلى نعيم النظر إلى وجهه الأعلى ســبحانه، فلا نســبة لنعيم الــدنيا إلى نعيم محبته، ومعرفته والشــــوق إليه والأنس به، بل لــــذة النظر إليه سـبحانه تابعة لمعـرفتهم به ومحبتهم له، فـإن اللـذة تتبع الشـعور والمحبة، فكلما كـان المحب أعـرف بـالمحبوب

---

1 (?) الداء والدواء ص 441.

2 (?) مجموع الفتاوى 14/163.

وأشد محبة له كـان التـذاذه بقربه ورؤيته ووصـوله إليه أعظم)[1].

فعرف من هذا كله أن قـوة المحبة المشـروطة في ذوق حلاوة الإيمان في قوله : «أن يكـون الله ورسـوله أحب إليه مما سـواهما» هي مطلوبـة كـذلك في تحقيق أعلى مـراتب الرؤية يـوم القيامة، إذ النـاس في ذلك اليـوم متفـاوتون حسب درجة محبتهم وقـربهم من الله ومعـرفتهم به[2]، فـإن كمـال الرؤية تتبع كمـال محبة المرئي، وما لا يحب ولا يبغض في نفسه لا تكـون رؤيته أحب إلى الإنسـان من جميع أنـواع النعيم، وكلما كـان الشيء أحب كانت اللذة بنيله أعظم[3].

لذا كـانت الرؤية محط أشـواق العبـاد، وغاية مطـالبهم كما روي عن الحسن البصـري أنه قـال: (لو علم العابـدون بأنهم لا يرون ربهم في الآخـرة لـذابت نفوسـهم في الـدنيا شوقا إليه) [4].

وعن سفيان الثوري أنه قال: (ليس من علامات الهدى شيء أبين من حب لقـاء اللـه، فـإذا أحب العبد لقـاء اللـه، فقد تناهى في البر) أي: قد بلغ[5].

---

1 (?) إغاثة اللهفان 1/43-44.

2 (?) انظر: مجموع الفتاوى 6/485.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 8/356، 10/696.

4 (?) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة 3/501، وعبد الله بن الإمام أحمد في السـنة 1/263، وانظـر: مجمـوع الفتاوى 10/696-697.

5 (?) حلية الأولياء 9/314.

وكـان داود الطـائي[1] يقـول: (اللهم همك عطل علي الهموم وحال بيني وبين السـهاد، وشـوقي إلى النظر إليك منع مني اللـذات والشـهوات، فأنا في سـجنك أيها الكـريم مطلوب)[2].

وكـــان عبد الواحد بن زيد[3] يقـــول: (يا إخوتـــاه، ألا تبكون شوقا إلى الله ؟ ألا إنه من بكى شوقا إلى سـيده لم يُحْرِمه النظر إليه، يا إخوتاه، ألا تبكون خوفا من النار؟ ألا إنه من بكى خوفا من النار أعـاذه الله منها)[4]. وهكـذا عاشوا متنعمين بلذة الشوق إلى لقــاء الله ورؤية وجهه الكريم.

---

[1] (?) داود بن نصير الطائي أبو سليمان الكـوفي الفقيه الزاهد، ولد بعد المائة بسـنوات. كـان رأسا في العلم والعمـل، مـات سنة خمس وستين ومائة. (سير أعلام النبلاء 7/422، تهـذيب التهذيب 3/176).

[2] (?) حلية الأولياء 7/357، وصفة الصفوة 3/141.

[3] (?) عبد الواحد بن زيد أبو عبيدة البصري الزاهد، شيخ العباد، مـات بعد الخمسـين ومائـة. (انظر: التاريخ الكبير 6/61، وسير أعلام النبلاء 7/78).

[4] (?) صفة الصفوة 3/322، التخويف من النار ضـمن مجمـوع رسائل ابن رجب 3/75.

المبحث الثاني
حلاوة الإيمان بالقضاء والقدر

إن الإيمـان بالقضـاء والقـدر هو الـركن السـادس من أركان الإيمان، فلا يصح إيمـان العبد حـتى يـؤمن بـأن الله هو مقدر الأشياء كلهـا، وأن كل ما كـان وما هو كـائن وما سيكون وكيف يكـون سـابق في علم الله ومكتـوب في اللوح المحفـوظ عنـده، وأن جميع أفعـال العبـاد من خـير وشر مخلوقة له، وأنه لا يقع شيء إلا بمشيئته وحسب ما تقتضيه حكمته سبحانه[1].

قال تعالى: ﭽ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﭼ[2]، وقال تعالى: ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ[3]، وقال تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ[4].

وفي حـديث جبريـل المتقـدم أنـه قـال: «أن تـؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسـله واليـوم الآخر وتـؤمن بالقـدر خـيره وشـره» وفي صـحيح مسـلم عن طـاووس بن كيسـان قـال: أدركت ناسـا من أصـحاب رسـول اللـه يقولون: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس»[5].

قـال الشـيخ السـعدي -رحمـه اللـه-: (هـذا الحـديث متضـمن لأصل عظيم من أصـول الإيمـان السـتة، وهو الإيمان بالقدر خيره وشره، حلـوه ومـره، عامه وخاصـه، سابقه ولاحقه، بأن يعترف العبد أن علم الله محيط بكل

---

[1] (?) انظر: شرح السنة للبغوي 1/140، ومعارج القبول 3/917-919.
[2] (?) سورة القمر الآية: 49.
[3] (?) سورة الفرقان الآية: 2.
[4] (?) سورة الإنسان الآية: 30.
[5] (?) رواه مسلم كتاب القدر باب كل شيء بقدر حديث: 2655.

شيء، وأنه علم أعمال العباد خيرها وشـرها، وعلم جميع أمورهم وأحوالهم، وكتب ذلك في اللـوح المحفـوظ. كما قال تعالى ﭽ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﭼ[1] ثم إن الله ينفذ هذه الأقدار في أوقاتها بحسب ما تقتضـيه حكمته ومشـيئته الشـاملتان لكل ما كان وما يكـون، الشـاملتان للخلق والأمـر، وأنه مع ذلـك، ومع خلقه للعباد وأفعالهم وصفاتهم، فقد أعطـاهم قـدرة وإرادة تقع بها أفعـالهم بحسب اختيـارهم، لم يجـبرهم عليها. وهو الذي خلق قدرتهم ومشيئتهم، وخـالق السـبب التـام خـالق للمسـبب، فأفعـالهم وأقـوالهم تقع بقـدرتهم ومشيئتهم اللتين خلقهما الله فيهم، كما خلق بقية قـواهم الظاهرة والباطنة، ولكنه تعالى يَسَّرَ كلاً لما خلق له.

فمن وَجَّه وجهه وقصده لربه: حبب إليه الإيمان وزينه في قلبـه، وكـرّه إليه الكفر والفسـوق والعصـيان، وجعله من الراشـــدين، فتمت عليه نعم الله من كل وجه، ومن وجّه وجهه لغير الله، بل تولى عدوه الشيطان: لم ييسره لهـذه الأمـور، بل وَلاَّه الله ما تـولى، وخذلـه، ووكله إلى نفسـه، فضَـلّ وغـوى وليس له على ربه حجـة، فـإن الله أعطاه جميع الأسباب الـتي يقـدر بها على الهدايـة، ولكنه اختار الضلالة على الهدى، فلا يلومنّ إلا نفسه)[2].

هـذه خلاصة ما يتضـمنه الإيمـان بالقضـاء والقـدر، وقد جعله أهل العلم إلى أربع مـراتب هي: علم الـرب سبحانه بالأشياء قبل كونها، وكتابته لهـا، ومشـيئته لها وخلقه لها[3]. فمن آمن بهذه الأربعة كان من المؤمنين

---

[1] (?) سورة الحج الآية: 70.

[2] (?) بهجة قلوب الأبرار ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي رحمه الله 2/21-22.

الإيمان الكامل، الواجدين لحلاوة الإيمان، والفائزين بالقرب من الرحمن، ويدل على ذلك ما يلي:

1- ما جاء في سنن أبي داود عن عبادة بن الصامت أنه أوصى ابنه، وقال: يا بني، إنك لن تجد **طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك**، سمعت رسول الله يقول: « إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ». يا بنى، إني سمعت رسول الله يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»[1].

2- وفي رواية عند الإمام أحمد أن الوليد بن عبادة قال: (دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي. فقال: أَجلسوني، قال: يا بني، **إنك لن تطعم طعم الإيمان ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره.** قال: قلت يا أبتاه، فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك. يا بني، إني سمعت رسول الله يقول: «إن أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة». يا بني، إن مت ولست على ذلك دخلت النار)[2].

---

[3](?) انظر: شفاء العليل لابن القيم ص 55، ومعارج القبول 3/920-940.

[1] (?) رواه أبو داود كتاب السنة باب في القدر حديث 4700، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة 5/607.

[2] (?) رواه الإمام أحمد في المسند 5/317، وقال محققو

3- وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله : **«لا يجد عبد حلاوة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه»**[1].

دلت مجموع هذه الروايات على أن العبد لن يجد حلاوة الإيمان وطعمه حتى يؤمن بالقضاء والقدر، كما صرح بذلك أهل العلم، فقد أورد الشيخ محمد بن عبد الوهاب حديث عبادة بن الصامت، ثم ذكر من المسائل المستنبطة منه قوله: (الإخبار أن أحدا لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به) أي: بالقدر[2]. وقال الشيخ سليمان بن عبد الوهاب في شرحه لهذا الحديث: (وفيه أن للإيمان طعما وهو كذلك، فإن له حلاوة وطعما، من ذاقه تسلى به عن الدنيا وما عليها ... وإنما يكون العبد كذلك إذا كان مؤمنا بالقدر ... فإن المحبة التامة تقتضي المتابعة التامة فمن لم يؤمن بالقدر لم يكن الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فلا يجد حلاوة الإيمان ولا طعمه)[3].

وتدل الأحاديث على أن حلاوة الإيمان بالقدر لا تحصل للعبد إلا بتحقيق ما يلي:

الموسوعة (37/379): "حديث صحيح وهذا إسناد حسن" .

1 (?) السنة لابن أبي عاصم 1/110، وقال: "إسناده حسن" وكذا قال الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة 5/566.

2 (?) كتاب التوحيد مع شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين المسمى القول المفيد 3/243.

3 (?) تيسير العزيز الحميد ص 524.

1- الإيمان بالقدر خيره وشره[1] كما في رواية الإمـام أحمـــد، وهو شـــرط أســـاس في تحقيق حلاوة الإيمـــان بالقدر، فلا بد من اعتقـاد أن جميع الواقعـات بقضـاء الله تعـــالى وقـــدره خيرها وشـــرها ونفعها وضـــرها، وحلوها ومرها[2] كما في قوله تعالى: ﭽ □ ﭼ[3] أي: كل من الحسنة والسيئة بقضاء الله وقدره[4]. فعلم العبد أن ما يصــيبه من خـــــير أو شر فمرجعه إلى الله تعـــــالى ما يهـــــون عليه المصائب ويحقق له العيش السعيد.

قـــال الشـــوكاني -رحمه اللـــه-: (وإذا مكّنه الله من الإيمـان بهـذه الخصـلة كما ينبغي وعلم أنها من عند الله سـبحانه بقـدره السـابق لكل عبد من عبـاده، هـانت عليه المصائب، لعلمه بأن ذلك من عند الله سـبحانه، وما كـان من عند الله سبحانه فالرضا به والتسليم شأن كل عاقل، لأنه خالقه وموجـده من العـدم، فهو حقه وملكه يتصـرف به كيف يشاء ... ومن فوائد رسوخ الإيمان بهـذه الخصـلة أنه يعلم أنه ما وصل إليه من الخـير على أي صـفة كـان، وبيد من اتفق فهو منه □ فيحصل له من الحبور والســرور ما لا يقادر قدره، لما له سبحانه من العظمة الـتي تضـيق

---

1 (?) وقد أنكــرت القدرية المجوســية أن يكــون الله □ خــالق الخير والشر، حيث زعموا أن الله خالق الخير= =

والشر خلقه غيره، لذا شبههم العلمـاء بالمجوسـية القـائلين بـالإلهين: إله النـور وإله الظلمـة، وأن الخـير من فعل النـور والشر من فعل الظلمـة، والحق أن كلا من الخـير والشر من خلق الله □، ولا يكـــون شـــيء منهما إلا بمشـــيئته، فـــالأمران مضافان إليه خلقا وإيجادا، وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا (انظر: معـالم السـنن للخطـابي 4/317، ومجمـوع الفتاوى 8/258).

2 (?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 16/411.

3 (?) سورة النساء الآية: 78.

4 (?) انظر: تفسير ابن كثير 1/689.

أذهان العباد عن تصورها وتقصر عقـولهم عن إدراك أدنى منازلها)[1].

2- علم العبد أن ما يصيبه لم يكن ليخطئه وما أخطـأه لم يكن ليصيبه، هـذا ما أوصى به عبـادة بن الصـامت ابنه قبل موتـه، لأن ذلك مقتضى الإيمـان بخـير القـدر وشـره. فقوله: «حـتى تعلم أن ما أصـابك» أي: من النعمة والبلية والطاعة والمعصية مما قدره الله له، وعليه «لم يكن ليخطئك» أي: يجاوزك، «وما أخطـأك» من الخـير والشر «لم يكن ليصيبك» وهذا وُضِـع مَوْضِـع المُحـال كأنه قيـل: مُحال أن يخطئه[2].

فـإذا علم العبد أن ما قـدره الله أن يصـيبه فلا بد أن يصيبه ولا شيء يمنعه أو يغـيره، وأن ما قد فاته من خـير أو شر لم يكن ليناله، عـرف أن الأمـور كلها بيد الله ومقدوره الأزلي المكتوب في لوحته الخاص به، فلا داعية إذن من القلق والحسرة والندامة على ما قد فـات، أو ما قد وقع، فهذا أدعى إلى اطمئنان القلب وانشـراح الصـدر وذوق طعم الإيمان.

قال الشـيخ محمد بن صـالح العـثيمين –رحمه اللـه- : (فـأنت إذا علمت هـذا العلم، وتيقنته بقلبـك، ذقت حلاوة الإيمان، واطمأننت، واستقر قلبك وعـرفت أن الأمر جـار على ما هو عليه لا يمكن أن يتغـير، ولهـذا كثـيرا ما يجد الإنسان أن الأمور سارت ليصل إلى هذه المصيبة، فتجده يعمل أعمـالا لم يكن من عادته أن يعملها حـتى يصل إلى

---

1 (?) قطر الولي على حديث الولي للشوكاني ص 413-414.

2 (?) تحفة الأحوذي 6/297.

ما أراد الله ﻷ مما يدل على أن الأمور بقضاء الله وقـدره)[1].

3- العلم بأن الله تعـالى قد كتب كل ما هو كـائن إلى قيـام السـاعة، وهو ما أضـافه عبـادة في نصـيحته لابنه تأكيدا لقوله: «أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ...» أي: أن الأمر قد فرغ منه، مكتوبا عليك فلا بد أن يقع مهما فعلت أو فعل لك غـيرك لمنعه لا تسـتطيع إلى ذلك سـبيلا، ولن تجد طعم الإيمان حتى تؤمن بذلك.

وقد دل القرآن والسنة على مثل هذا:

فمن القرآن: قوله تعالى: ﭽ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[2] (وهذا عام لجميع المصائب في النفس والمال والولد، والأحباب، ونحـوهم، فجميع ما أصاب العباد فبقضاء الله وقدره، قد سبق بذلك علم الله تعـالى وجـرى به قلمـه، ونفـذت به مشـيئته، واقتضـته حكمته ... فـإذا آمن أنها من عند اللـه، فرضي بـذلك، وسلم لأمره، هـدى الله قلبـه، فاطمـأن ولم ينـزعج عند المصـائب، كما يجـري لمن لم يهد الله قلبـه، بل يرزقه الله الثبات عند ورودها، والقيام بموجب الصـبر، فيحصل له بذلك ثواب عاجل، مع ما يدخر الله له يوم الجـزاء من الثـواب)[3]. والمقصـود بـالثواب العاجل هو ما يجـده من طمأنينة النفس وحلاوة الإيمان في قلبه.

وقوله تعالى: ﭽ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ

---

[1] (?) القول المفيد على كتاب التوحيد 3/229-230.

[2] (?) سورة التغابن الآية 11.

[3] (?) تفسير السعدي ص 867.

       ﭼ[1]، أي: أن المصائب التي تصيب الخلق من خير وشر كلها مكتوب في كتاب، فلا داعية إذن من اليأس والحزن على ما فات مما تطمح إليه النفوس وتتشوق إليه الأفئدة، كما لا داعية إلى الفرح بما أوتي من نعم وفضل فرح بطر وأشر للعلم أن ذلك إنما حصل له بفضل الله ومنّه، بل عليه أن يشكر الله في كلتي الحالتين[2].

ومنه قوله تعالى: ﭽ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾﭼ[3]. أي: قدره وأجراه في اللوح المحفوظ. ونحن تحت مشيئة الله، وقدره[4].

ومن السنة ما جاء في وصية النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﷺ: «يا غلام إني أعلمك كلمات» وذكر منها: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[5].

قال ابن رجب: (واعلم أن مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل، وما ذُكر قبله وبعده فهو متفرِّعٌ عليه

---

1 (?) سورة الحديد الآية: ٢٢-23.

2 (?) انظر: تفسير السعدي ص 842.

3 (?) سورة التوبة الآية 51.

4 (?) انظر: تفسير ابن كثير 2/476، وتفسير السعدي ص 339.

5 (?) رواه الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ باب منه، حديث 2516، وقال: "هذا حديث حسن صحيح" وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي 2/309.

وراجع إليه، فـإن العبد إذا علم أنـه لن يصـيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقــدور غــير مفيد البتة، علم حينئذ أن الله وحده هو الضَّارُّ النَّافعُ المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه وإفـــراده بالطاعة وحفظ حـــدوده ... فمن علم أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع غــــير الله، أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجـاء والمحبة والسـؤال والتضرع والدعاء، وتقديم طاعته على طاعة الخلق جميعا وأن يتقي ســخطه ولو كـــان فيه ســخط الخلق جميعا، وإفراده بالاستعانة به والسؤال له، وإخلاص الدعاء له في حال الشدة وحال الرّخاء)[1].

وقــد تحــدث أهــل العلم عن علاقــة القضــاء بالرضــا والصــبر، ومــا ينشــأ من هــذه العلاقــة من لــذة وحلاوة وطمأنينــة القلب وســروره. وذلــك أن أهــل الإيمــان في طريقة تعاملهم مع قضاء الله وقدره المؤلمة قسمان:

الأول: من يتحلى برداء الصبر، فيصبر على البلاء بــأن يكــف النفس عن الشــكوى ويحبســها عن التســخط مــع وجود الألم وتمني زوال ذلك، وكــف الجــوارح عن العمــل بمقتضى الجزع، وهذا أمر واجب متحتم على كل مــؤمن، وقد وعد الله عليه الخير الكثير والأجــر الجزيل[2]، وهـؤلاء لهم من طعم الإيمــان حسب قــوة الصــبر في القلب كمــا تقدم معنا في حلاوة الصبر[3].

والثاني: من يرضى بذلك، بأن ينشرح صــدره، ويتســع بالقضــاء بحيث لا يتمــنى زوال ذلــك الألم، وهــذه درجــة

---

1 (?) جامع العلوم والحكم 1/484-485.

2 (?) انظر: جامع العلوم والحكم 1/488.

3 (?) انظر: ص 132.

عالية رفيعة جدا، ولا يصل إليها إلا خواص أهل المحبة والإيمان[1]، وقد كان النبي يسأل الله هذه المرتبة ويقول: «**أسألك الرضا بعد القضاء**»[2]. ومن وصل إلى هذه الدرجة كان عيشه كله في نعيم وسرور[3]، وذلك أن الإيمان بالقضاء والرضا به يذهب عن العبد الهم والغم والحزن[4].

قال ابن رجب: (فأما الرضا بالقضاء فهو من علامات المخبتين الصادقين في المحبة، فمتى امتلأت القلوب بمحبة مولاها رضيت بكل ما يقضيه عليها من مؤلم وملائم)[5].

وهؤلاء وإن وجدوا الإحساس بالألم، لكن الرضا يخفِّفُه لما يباشر القلب من روح اليقين والمعرفة، وإذا قوي الرِّضا، فقد يزيل الإحساس بالألم بالكلية. وطريقتهم في ذلك أنهم تارةً يلاحظون حكمة المبتلي وخيرته لعبده في البلاء، وأنَّه غير متَّهم في قضائه، وتارةً يُلاحظون ثوابَ الرِّضا بالقضاء، فيُنسيهم ألم المقضي به، وتارةً يُلاحظون عظمةَ المبتلي وجلالَه وكمالَه، فيستغرقون في مشاهدة ذلك، حتى لا يشعرون بالألم، حتى ربَّما تلذَّذوا بما أصابهم لملاحظتهم صدوره عن حبيبهم[6].

---

1 (?) انظر: جامع العلوم والحكم 1/486، 488.

2 (?) حديث صحيح رواه النسائي وقد تقدم تخريجه في ص 29، وهو طرف من حديث: «أسألك لذة النظر إلى وجهك».

3 (?) جامع العلوم والحكم 1/487.

4 (?) مدارج السالكين 2/231.

5 (?) شرح حديث لبيك ضمن مجموع رسائل ابن رجب 4/106.

6 (?) انظر: جامع العلوم والحكم 1/487، 488.

قال عبد الله بن مسعود : (إنَّ الله بقسطه وعدله جعلَ الرَّوحَ والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشكِّ والسخط)[1].

وقال أبو الدرداء : (إن الله إذا قضى قضاءً أحبَّ أنْ يُرضى به)[2].

وعنه أيضا قال: (ذروة الإيمان: الصبر للحكم والرضا بالقدر، والإخلاص في التوكل والاستسلام للرب)[3].

وقد سئل أحد العباد: ما السبيل إلى الرضاء؟ قال: (علم القلب بأن المولى عادل في قضائه، غير متهم فيما حكم)، وسئل: فما معنى الرضاء؟ قال: (سرور القلب بمُرِّ القضاء)[4].

وقال عمر بن عبد العزيز -رحمه الله-: (أصبحت ومالي سرورٌ إلا في مواقع القضاء والقدر)[5].

وقال إبراهيم بن إسحاق الحربي[6]: (أجمع عقلاء كل أمة أنه من لم يجر مع القدر لم يَتَهَنَّ بعيشه)[7].

فعلم بهذا أن الإيمان بالقضاء والقدر من أعظم أسباب حلاوة الإيمان وراحة النفوس وطمأنينة الحياة

---

1 (?) تاريخ دمشق 33/175، صفة الصفوة 1/415، وجامع العلوم والحكم 1/487.

2 (?) تاريخ دمشق 7/456، الثبات عند الممات لابن الجوزي ص 35، وجامع العلوم والحكم 1/486.

3 (?) حلية الأولياء 1/216، وصفة الصفوة 1/635.

4 (?) صفة الصفوة 4/366.

5 (?) شرح حديث "لبيك اللهم لبيك" لابن رجب ضمن مجموع رسائله 4/106، وجامع العلوم والحكم 1/487.

6 (?) هو إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم بن بشير أبو إسحاق البغدادي، الحربي، الإمام، الحافظ صاحب التصانيف، ولد في سنة 198هـ. ومات ببغداد سنة 285هـ. (انظر: سير أعلام النبلاء 13/356، وطبقات الحنابلة 1/84).

7 (?) صفة الصفوة 2/405.

وطيب العيش، وفقنا الله إليها بعظيم قدرته وواسع رحمته.

دلالات حلاوة الإيمان وآثارها

وتحته فصلان:

الفصل الأول: دلالات حلاوة الإيمان

الفصل الثاني: آثار حلاوة الإيمان

الفصل الأول

دلالات حلاوة الإيمان

وتحته أربعة مباحث

المبحث الأول: دلالة حلاوة الإيمـان على الولاية والقرب

المبحث الثاني: دلالة حلاوة الإيمان على زيادة الإيمان وعلو درجته

المبحث الثالث: دلالة حلاوة الإيمان على صحة الأعمال

المبحث الرابـــع: الحلاوة جـــزاء من الله على الطاعات

المبحث الأول
دلالة حلاوة الإيمان على الولاية والقرب

إن في حلاوة الإيمان على ضوء ما تقدم من نصــوص الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم لأكــبر دلالة على ثبــوت الوَلاية والقرب، بل إنها تعتبر أعلى مـراتب الولايـة، وذلك أنه كما تقرر أن أهل الإيمان متفـاوتون في إيمـانهم، وأن صاحب حلاوة الإيمان لم يـذق حلاوة إيمانه إلا بعد أن أتى بأعلى درجات الإيمـان، فلا بد إذن أن يتقــرر في الأذهـان بــأن أهل حلاوة الإيمــان هم الســابقون الأولــون في الحصول على ولاية الله والقرب منه.

والوَلاية لغة: مصدر من ولي الشيء وهو يليه ومواليه إذا قَرُب منه[1]، ففي القاموس المحيط: (الوَلْيُ : القُـرْبُ والدُّنُوُّ. والوَلِيُّ: الاسمُ منه والمُحِبُّ والصَّـدِيقُ والنَّصـيرُ)[2].

وقال ابن أبي العز: (الـولي خلاف العـدو، وهو مشـتق من الولي، وهو الـدنو والقـرب)[3]. فتـبين من هـذا أن الولاية تدور معناها حول المحبة والقرب والنصرة.

قال شيخ الإسلام: (الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد)[4].

---

1 (?) انظر: كتـاب العين 8/365، والمصـباح المنـير ص 552، ومجموع الفتاوى 11/161.

2 (?) القاموس المحيط 2/1760.

3 (?) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز 2/509.

4 (?) مجموع الفتاوى 11/ 160- 161.

وأما المعنى الشرعي فقد أخـذه العلمـاء من المعـنى اللغـوي وعـبروا عنه بعبـارات عديـدة تعـود مجموعها إلى مقصد واحد:

قـــال شـــيخ الإســـلام -رحمه اللـــه-: (ولاية الله هي موافقته بالمحبة لما يحب والبغض لما يبغض، والرضا بما يرضى والسـخط بما يسـخط، والأمر بما يـأمر به والنهى عما ينهى عنه، والموالاة لأوليائه والمعاداة لأعدائه)[1].

وقال ابن رجب: (فأولياء الله هم الذين يتقربــون إليه بما يقـربهم منـه، وأعـداؤه الـذين أبعـدهم عنه بأعمـالهم المقتضية لطردهم وإبعادهم منه)[2].

وقـــال ابن أبي العـــز: (فـــولي الله هو من والى الله بموافقته في محبوباته، والتقرب إليه بمرضاته)[3].

من خلال هـــذه التعريفـــات نجد أن مـــادة "الحب" و"القـــرب" و"النصـــرة" موجـــودة في التعريف اللغـــوي والشرعي، وأن هـذه الثلاثة عليها مـدار تحقيق الولاية بين العبد وربه ، وذلك أن الولاية ينقسم إلى: ولاية العبد لله وولاية الله للعبد[4]، وكل منهما يتحقق بـــالحب والقـــرب والنصرة.

أما ولاية العبد لله فهو السبب الرئيسي لولاية الله له، الأمر الذي يـوجب له حلاوة الإيمـان، وذلك من خلال تحقيقه الأمور الثلاثة:

---

1 (?) مجموع الفتاوى 2/370.
2 (?) جامع العلوم والحكم 2/335.
3 (?) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز 2/509.
4 (?) انظر: القول المفيد على كتاب التوحيد 2/195.

أولهــا: المحبــة: وهي أصــل الولايــة ومفتاحهــا، فالمؤمنون يحبون الله كما قال تعالى: ﭽ ڎ ژ ڙ ڑ ڙ ڑک ﭼ والله سبحانه وتعالى يقابلهم بالمثل فيحبهم، فتنشأ علاقـة حب بين العبد وربه كما قـال تعـالى: ﭽ   ﭼ . وعلى حسب ما في قلب العبد من محبة الله تحصل محبة الله لـه، فحقيقـة الولايـة إنمـا هي علاقـة حب بين اللـه وبين عبده.

قـال ابن القيم: (والولاية: أصـلها الحب فلا مـوالاة إلا بحب، كما أن العــداوة: أصــلها البغض، والله ولي الــذين آمنوا وهم أوليـاؤه، فهم يوالونه بمحبتهم له، وهو يـواليهم بمحبته لهم، فالله يوالي عبده المــؤمن بحسب محبته له)[1]، ثم من تمــام محبتهم للــه أنهم يحبــون أوليــاء اللــه ويبغضـون أعـداءه، لأن حقيقــة المحبـة لا تتم إلا بمـوالاة المحبــوب، وهــو موافقتــه في حب مــا يحب، وبغض مــا يبغض[2].

~~**والثــاني: القــرب** وهو منشــور الولاية وأساسـها، ويكون من العبد إلى الله من خلال تحقيقه للطاعــات، وامتثال الكامل لأوامر الله والانتهــاء عن نواهيــه، وهي من لوازم المحبــة، فلا حب إلا بالطاعــة، ومن أحب الله أطاعه.~~

قال شيخ الإسلام: (إن الــولي ســمي وليــا من موالاتــه للطاعات أي متابعته لها)[3].

---

1 (?) الداء والدواء ص 434.

2 (?) انظر: مجموع الفتاوى 10/192.

3 (?) مجموع الفتاوى 11/161.

وقال ابن رجب: (فمن أحبه الله، رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته، فأوجب له ذلك القرب منه، والزلفى لديه، والحظوة عنده)[1]. ولا يكون ذلك إلا عن طريق متابعة الرسول ﷺ ظاهرا وباطنا، في أقواله وأعماله وجميع أحواله كما قال تعالى: ﭼﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳﭼ[2]. قال شيخ الإسلام: (فلا يكون وليا لله إلا من آمن به وبما جاء به، واتبعه باطنا وظاهرا، ومن ادعى محبة الله وولايته وهو لم يتبعه، فليس من أولياء الله، بل من خالفه كان من أعداء الله وأولياء الشيطان)[3].

وأحب الطاعات إلى الله ﷻ ما افترضه على عباده كما أخبر بذلك على لسان رسوله ﷺ فقال: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه»[4]. قال ابن حجر: (ويستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله)[5]. وقال ابن رجب: (ويشمل ذلك فعل الواجبات وترك المحرمات، لأن ذلك كله من فرائض الله التي افترضها على عباده)[6] فمن أتى بالواجبات وترك المحرمات فقد حقق كمال الإيمان الواجب المطلوب في تحصيل ولاية الله ﷻ، وإذا قويت المحبة وذاق حلاوة الطاعة، ارتقى إلى كمال الإيمان المستحب، وتقرب إلى الله بالفرائض والنوافل ليحقق بذلك كمال الولاية والقرب، كما في تمام الحديث

---

1 (?) جامع العلوم والحكم 2/337.

2 (?) سورة آل عمران الآية: 31.

3 (?) مجموع الفتاوى 11/163.

4 (?) رواه البخاري كتاب الرقاق باب التواضع حديث 6502.

5 (?) فتح الباري لابن حجر 11/351.

6 (?) جامع العلوم والحكم 2/335.

المتقدم أن الله تعالى قال: «وما يـزال عبـدي يتقـرب إلي بالنوافل حـتى أحبـه، فـإذا أحببتـه كنت سـمعه الـذي يسمع به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشـي بهـا، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما تـرددت عن شـيء أنـا فاعلـه تـرددي عن نفس المـؤمن يكـره الموت، وأنا أكره مساءته»[1].

والشاهد أن العبد إذا تقرب إلى الله بالطاعات تقرب الله إليه، فيجازيه بالمثل، وتقربه إلى العبد يكـون بحسب تقـرب العبد إليه سـبحانه كما أخـبر بـذلك في الحـديث القدسي: «وإن تقـرب إليّ شـبراً تقـربت إليه ذراعاً، وإن تقـرب إليّ ذراعاً تقـربت إليه باعاً»[2]. وتفـاوت درجـات القرب من أدنى إلى أعلى دليل على قـوة الإيمـان ولذته في القلب، فالمؤمن قد يبـدأ من أدنى درجة من درجـات الإيمان حتى إذا أنس بهـا وذاق حلاوته، تـدرج في مـدارج الــرقي: فمن إيمــان إلى إســلام إلى أداء ركن إلى أداء فـرض، إلى أداء واجب إلى أداء منـدوب غـير مؤكد، ومن ترك نفاق إلى ترك شرك، وكفر إلى ترك كبيرة إلى ترك صغيرة، إلى ترك مكروه تحريما، إلى تـرك مكـروه تنزيها إلى ترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس، ومن مجرد أداء للنوافل إلى زيادة فيها وإكثـار منها، حـتى يصل العبد إلى

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 73.

2 (?) رواه البخاري كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿ ﴾ آل عمـران: ٢٨، حـديث: 7405، ومسـلم كتـاب الـذكر والدعاء ... باب الحث على ذكر الله تعالى حديث: 2675.

ذلك المقــام الــذي جــاء فيه عن الله تعــالى، وهو مقــام الولاية والقرب[1].

والثالث: النصرة، فتكون من العبد من خلال نصـرته لــدين الله ﻷ والــدعوة إليه والجهــاد في ســبيله، فهي من أعظم أسباب الولاية كما قال تعالى: ﭽ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ[2]، وقال تعالى: ﭽ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ[3] وقد أخــبر الله ســبحانه وتعــالى في هــذه الآيــات أنه ينصر من نصــره، أي: أن هنــاك علاقة نصر وتأييد بين العبد وربه ﻷ، ونصـرته ســبحانه لعبــده يكــون بتثبيته على الحق وتوفيقه على الطاعة وتأييــده، ومــوالاة جميع أمــوره كما بين ذلك في الحــديث المتقــدم: «فــإذا أحببتــه كنت ســمعه الــذي يسمع به، ويده التي يبطش بها، ورجله الــتي يمشــي بهــا، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه ...»

وشعور العبد المــؤمن واستشــعاره بحب الله له وقربه منه ونصرته له لأعظم أحــوال الإيمــان المــوجب للطمأنينة والســكون الــدال على كمــال اللــذة وحلاوة الإيمــان، إنها الحالة التي استشعر بها أولئك القــوم لما قــالوا: (إنه ليمر بالقلب أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل هــذا إنهم لفي عيش طيب)[4].

فعلم من كل ما ســـبق أن حلاوة الإيمـــان دليل على الولاية والقـــرب، وأن من ذاق حلاوة الإيمـــان فقد حقق أعلى معــاني الولاية من المحبة والقــرب والنصــرة، فالله

---

[1] (?) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني 2/264 .

[2] (?) سورة محمد الآية: 7.

[3] (?) سورة الحج الآية 40.

[4] (?) تقدم في ص 68.

أحب إليه من كل شيء، وكذا الطاعات المقربة إلى الله يـأتي بها على درجة محبته لله فهي بالنسـبة له مصـدر سـعادته ولـذة قلبه وبهجة روحـه، لا شـيء أحب إليه من خالقه ومعبوده الذي لا معبود له سواه، كما لا شيء أكـره إليه من وقـوع فيما يعكر علاقته مع الله ، فـإن ولايته مع الله يقتضي حب ما يحبه الله وكـره ما يكرهه اللـه، والله الموفق إلى ذلك.

المبحث الثاني
دلالة حلاوة الإيمان على زيادة الإيمان وعلو درجته

إن من أصول أهل السنة والجماعة القول بأن الإيمـان يزيد وينقص ويتفاضل النــاس فيــه، وأن منهم من يــزداد إيمانه حـــتى يصل إلى أعلى درجاتـــه، ومنهم من ينقص إيمانه إلى أدناهـا، وأن الزيـادة تكـون بالطاعـات والنقص يكــون بالمعاصــي، وعلى حسب قــوة الطاعــات يقــوى الإيمـان، ويرتفع إلى العلـو، وعلى قـدر المعاصي يضـعف الإيمان وينزل إلى الدنو. هذا ما دلت عليه نصوص الكتـاب والسنة وإجماع السلف رحمهم الله.

فمن الكتاب: قوله تعالى: ﭽ ی ی ی ی ی ی ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ی ی ی ی ی ی ی ی ی ﭼ[1]، وقوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﭼ[2] وقوله تعالى: ﭽ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ[3].

ومن السنة قوله ﷺ: «الإيمـان بضـعة وسـبعون شـعبة فأفضـــلها قـــول لا إله إلا اللـــه، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[4]. يدل هذا الحـديث على أن الإيمـان ذو شـعب وأجـزاء متعـددة له أعلى وأدنى، وأفضل ومفضـول، وأول وآخر، وأكـبر وأصـغر، وأن النـاس بين هـذه الـدرجات من التفاضل على قدر إيمانهم وتباينهم في درجاته.

ومنه أيضا قوله ﷺ: «لا يــزني الــزاني حين يــزني وهو مــؤمن، ولا يشــرب الخمر حين يشــرب وهو مــؤمن، ولا يســـرق حين يســـرق وهو مـــؤمن، ولا ينتهب نهبة يرفع

---

1 (?) سورة آل عمران الآية 173.

2 (?) سورة الفتح الآية 4.

3 (?) سورة المدثر الآية 31.

4 (?) تقدم تخريجه في ص 20.

النـــاس إليه فيها أبصـــارهم حين ينتهبها وهو مـــؤمن»[1]. والمـــراد من نفي الإيمـــان هو نفي كماله الـــواجب عمن اقـترف هـذه المعاصي وأنه لا يفعل هـذه المعاصي وهو كامل الإيمـان، وهـذا من الألفـاظ الـتي تطلق على نفي الشـــيء ويـــراد بها نفي كماله[2]، وفيه إثبـــات التفاضل والتبـاين في الإيمـان، وأن هنـاك إيمـان كامل وإيمـان ناقص.

وقد أجمع السـلف على ذلك كما نقله شـيخ الإسـلام وقـــال: (أجمع الســـلف أن الإيمـــان قـــول وعمل يزيد وينقص)[3]. والنصوص في ذلك كثيرة جدا لا يسع المجـال ذكرها، إذ المقصود بيان تفاضل الناس في الإيمان تمهيدا لبيان دلالة حلاوة الإيمان على ذلك.

وإن من أعظم ما يدل على زيادة الإيمـان وعلو درجته كون بعض المؤمـنين يجـدون له حلاوة ولـذة في قلـوبهم، ودلالة ذلك من وجوه كالآتي:

1- أن وصف الإيمـان بـالحلاوة دليل على وجـود أمر زائد على الإيمـــان وأن هـــذه الحلاوة واللـــذة ثمـــرة تلك الزيـادة، وليست هي نفس الإيمـان، بل أتت نتيجة لقـوة الإيمان ومخالطته بشاشة القلوب، وتمكنه فيه بقـدر أكـبر من الإيمـان المجـرد، ولا شك أن الإيمـان كله خـير وحلـو، ولكن حلاوته أحلى في القلب، وأرفع درجة منـــه. وكـــون بعض المؤمنين يجـدون هـذه الحلاوة دون بعض دليل على التفاوت والتفاضل في الإيمان.

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 77.

2 (?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 2/41.

3 (?) مجموع الفتاوى 7/672.

قــال ابن القيم -رحمه اللـــه-: (فــإن للإيمــان فرحة وحلاوة ولذة في القلب، فمن لم يجدها فهو فاقد للإيمان أو ناقصه ...)[1].

وقـــال الســـعدي -رحمه اللـــه-: (من وجـــوه زيادته ونقصــه: أن من المؤمــنين من هو واجد لحلاوة الإيمــان، وقد ذاق طعمـــه، واســـتحلى الطاعـــات، واســـتنار قلبه بالإيمان، ومنهم من لم يصل إلى ذلك) [2].

وقد اسـتدل هرقل ملك الـروم بهـذه الحلاوة الإيمانية على زيـادة الـداخلين في الإسـلام وعـدم تسـخطهم منـه، وذلك في أسئلته لأبي سـفيان بن حـرب حين سـأله عن أمـور النـبي فقـال: «وسـألتك: أيزيـدون أم ينقصـون؟ فـــذكرت أنهم يزيـــدون، وكـــذلك أمر الإيمـــان حـــتى يتم وســـألتك: أيرتد أحد ســـخطة لدينه بعد أن يـــدخل فيه؟ فـــذكرت أن لا، وكـــذلك الإيمـــان حين تخالط بشاشـــته القلوب ...»[3].

وفي رواية أنه قال: (وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلبا فتخرج منه) [4].

قال السعدي -رحمه الله-: (فـذكر من علامـات النبـوة زيــادة الإيمــان وزيــادة الــداخلين فيــه، ومحبة أهله لــه، وإيثـارهم إيـاه على كل ما سـواه، إذا ذاقـوا حلاوته وخالط نوره قلوبهم)[5].

---

[1] (?) تقدم في ص 44، 64.

[2] (?) التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة للشيخ السعدي ص 112.

[3] (?) رواه البخاري كتاب بدء الـوحي بـاب (7) حـديث رقم (6) انظر: فتح الباري لابن حجر 1/42.

[4] (?) تـاريخ الطـبري 2/129، تـاريخ دمشق 23/430، وفتح الباري لابن حجر 1/49، والبداية والنهاية لابن كثير 4/263.

وقـال ابن حجر في شـرح قولـه: «وكـذلك الإيمـان»: (أي: أمر الإيمـان، لأنه يظهر نـورا، ثم لا يـزال في زيـادة حـتى يتم بـالأمور المعتـبرة فيه من صـلاة وزكـاة وصـيام وغيرها)[1].

وقال في قولـه: «حين يخالط بشاشة القلـوب» (أي: يخالط الإيمان انشراح الصدور... وهو شرحه القلوب التي يدخل فيها)[2].

قـــال شـــيخ الإســـلام: (فالإيمـــان إذا باشر القلب وخالطته بشاشته لا يسخطه القلب بل يحبه ويرضاه، فإن له من الحلاوة في القلب واللــذة والســرور والبهجة ما لا يمكن التعبـير عنه لمن لم يذقـه) [3]. فثبت بهـذا أن حلاوة الإيمان دليل على تفاوت الناس وتفاضلهم في إيمانهم.

2- أن المؤمــنين في إدراكهم لهــذه الحلاوة واللــذة الإيمانية ليســوا على درجة واحــدة، فهم متفــاوتون فيها حسب تفــاوتهم في الإيمــان كما ســبق بيــان ذلك في الحديث عن درجات النـاس في حلاوة الإيمـان، وأن منهم من يصل إلى درجة عين اليقين، ومنهم من يـــــرقى إلى درجة حق اليقين[4].

قــال شــيخ الإســلام: (والنــاس متفــاوتون في ذوقه والفرح والسـرور الـذي في القلب له من البشاشة ما هو بحسبه)[5]. وقال أيضا: (فوجود المؤمن حلاوة الإيمان في قلبه وذوق طعم الإيمـــان أمر يعرفه من حصل له هـــذا

---

5 (?) وجوب التعاون بين المسـلمين ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ 5/ج1 ص 243.

1 (?) فتح الباري لابن حجر 1/48.

2 (?) فتح الباري لابن حجر 1/49.

3 (?) مجموع الفتاوى 10/648.

4 (?) انظر: ص 84.

5 (?) مجموع الفتاوى 10/648.

الوجد. وهذا الذوق أصـحابه فيه يتفـاوتون، فالـذي يحصل لأهل الإيمان عند تجريد توحيد قلوبهم إلى الله، وإقبــالهم عليه دون ما سواه بحيث يكونـون حنفـاء له مخلصـين له الــدين لا يحبــون شــيئا إلا له، ولا يتوكلــون إلا عليه ولا يوالون إلا فيه، ولا يعـادون إلا له ولا يسـألون إلا إيـاه، ولا يرجون إلا إياه، ولا يخافون إلا إياه، يعبدونه ويسـتعينون له وبه، بحيث يكونــــــون عند الحق بلا خلق، وعند الخلق بلا هــوى، قد فــنيت عنهم إرادة ما ســواه بإرادته ومحبة ما سـواه بمحبته، وخـوف ما سـواه بخوفـه، ورجـاء ما سـواه برجائه، ودعـاه ما سـواه بدعائـه، هو أمر لا يعرفه بالـذوق والوجد إلا من له نصيب، وما من مؤمن إلا له منه نصـيب) [1].

قلت: ونصــــيب بعض المؤمــــنين أوفر من بعض، وقد تضمن كلامه -رحمه الله- أعلى مـراتب الإيمـان وهو تجريد أعمال القلوب وإخلاصها لله ، ولا شك أن من كـان إيمانه على هـذا الوصـف، فما يجـده من حلاوة أعظم مما يجـده من لم يصل إلى تلك المرتبـة، ووجـود تفـاوت النـاس في ذوق حلاوة الإيمــان دليل على أن الإيمــان قابل للزيــادة والنقص في جميع مراتبه.

3- أن في الخصال المذكورة في حديث حلاوة الإيمـان كذلك دلالة واضحة على زيادة إيمــان من ذاق حلاوة إيمانه ونقصه فيمن لم يــــذقها. وذلك في قوله «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسـوله أحب إليـه

1 (?) مجموع الفتاوى 10/335-336.

مما سواهما، وأن يحب المـرء لا يحبـه إلا للـه، وأن يكـره أن يعود في الكفر كما يكـره أن يقـذف في النـار» وبيـان ذلك كالآتي:

أولا- ورود هـــذه الخصـــال الثلاث في الحـــديث مع أن خصال الإيمان كثيرة وموجبـات حلاوته كـذلك كثـيرة، دليل على تفضـيلها على غيرهـا، فهـذه الخصـال الثلاث شـأنها أعظم ومكانتها بين خصال الإيمان أرفع، كما تقدم عن ابن رجب أنه قـال: (فهـذه الثلاث خصـال من أعلى خصـال الإيمـــــان، فمن كمّلها فقد وجد حلاوة الإيمـــــان وطعم طعمه)[1]، وذكر العيني في سبب تخصيص هـذه الخصـال دون غيرها بأنها عنوان كمال الإيمان المحصل لتلك اللذة، وذلك لاشـتمالها على محبة الله ورسـوله الـتي هي أصل الإيمان بل عينه، ولا تصح محبة الله ورسـوله حقيقـة، ولا حب لغـير الله ولا كراهة الرجـوع في الكفر إلا لمن قـوي الإيمان في نفسه وانشرح له صـدره وخالط دمه ولحمـه، وهـــذا هو الـــذي وجد حلاوته[2]، أي: الـــذي قـــوي إيمانه بالزيادة فيه.

ثانيـا- أن هـذه الخصـال قد تضـمنت في نفسـها أعلى مراتب الإيمـان، فقولـه: «أحب» صـيغة تفضـيل تـدل على التفاضل في المحبـــــة، وأن درجة الأحبية أعلى من درجة المحبة، وهذا كقوله : «إني لأخشاكم لله وأتقــاكم له»[3]،

---

1 (?) انظر: ص 89.

2 (?) انظر: عمدة القاري 1/148، 149.

3 (?) تقدم تخريجه في ص 225.

وقوله: «أكمل المؤمـنين إيمانا أحسـنهم خلقا»[1]. وكقـول الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭼ[2]، حيث فسر "أحسن العمل" بقوله: (أخلصه وأصــوبه ...)[3]. فهــذه الكلمــات: أخشى وأتقى وأكمل وأحســن، وأخلص وأصوب كلها صيغ التفضيل تدل على وجود الأعلى والأدنى.

والخصـــــلة الثالثـــــة: وهي كراهية الكفر مثل كراهية الدخول في النار، تدل على عظم حب الإيمان والشح فيه، فهـــــــــــذه الدرجة من الكراهة أعلى من كراهية الكفر المجردة، فالتفاضل بينهما ظاهر لمن تأمله.

ثالثا: أن هذه الخصال الثلاث من أعمال القلوب القابلة للزيادة والنقص، كما بين ذلك شيخ الإسـلام في ثنايا حديثه عن أوجه الزيادة والنقص، فقال: (الوجه الثـاني في زيـادة الإيمان ونقصه، وهو زيادة أعمال القلوب ونقصها، فإنه من المعلوم بالذوق الذي يجده كل مؤمن أن الناس يتفاضـلون في حب الله ورســـوله وخشـــية الله والإنابة إليه والتوكل عليه والإخلاص له، وفي سلامة القلـوب من الريـاء والكـبر

---

1 (?) رواه أبو داود كتاب السنة باب الدليل على زيادة الإيمـان ونقصانه حديث 4682، والترمذي كتاب الرضاع بـاب ما جـاء في حق المرأة على زوجها حديث 1162، وقال: "هذا حديث حسن صحيح وصححه الشيخ الألباني في السلسـلة الصـحيحة 1/573.

2 (?) سورة الملك الآية 2.

3 (?) تقدم في ص 111.

والعجب ونحو ذلك والرحمة للخلق والنصح لهم ونحو ذلك من الأخلاق الإيمانية)[4].

فيخلص من كل ما تقــدم أن حلاوة الإيمــان دليل على زيادة الإيمان ونقصانه، وتفاضل الناس فيه.

[4] (?) مجموع الفتاوى 7/563.

المبحث الثالث

دلالة حلاوة الإيمان على صحة الأعمال

إن الله سبحانه وتعالى جعل للعمل الصحيح المقبول عنده شروطا، وقد يجعل لمن يحقق هذه الشروط على الوجه المطلوب علامات وشواهد يستشعرون بها فيستدلون بها على الصحة من خلال ما يجدونه من نفحات الجزاء وفيضان الرحمة في نفوسهم.

أما الشروط على صحة الأعمال فمرجعها إلى ثلاثة:

أولها- الإيمان وهو أصل صحة الأعمال وأساسها، فلا يصح عمل عامل ولا يقبل إلا بالإيمان، والأدلة على ذلك كثيرة منها: قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﭼ[1]. قال السعدي - في قوله ﭽ ﮈ ﮉ ﭼ: (وهذا شرط لجميع الأعمال لا تكون صالحة، ولا تقبل، ولا يترتب عليها الثواب، ولا يندفع بها العقاب، إلا بالإيمان ... فالإيمان هو الأصل، والأساس، والقاعدة التي يبنى عليها كل شيء، وهذا القيد ينبغي التفطن له في كل عمل مطلق، فإنه مقيد به)[2].

وقوله تعالى: ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ[3]. قال الشوكاني: (ﭽ ﯚ ﯛ ﭼ بالله إيماناً صحيحاً ، لأن العمل الصالح لا يستحق صاحبه الجزاء عليه إلاّ إذا كان من المؤمنين)[4].

وقال تعالى: ﭽ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭼ[5] (أي باطلا مضمحلا قد خسروه وحرموا أجره، وعوقبوا عليه وذلك لفقده الإيمان، وصدوره عن مكذب لله ورسله

---

[1](?) سورة النساء الآية: 124.

[2](?) تفسير السعدي ص 205.

[3](?) سورة الاسراء الآية: 19.

[4](?) فتح القدير للشوكاني 3/217.

[5](?) سورة الفرقان الآية: 23.

فالعمل الذي يقبله الله، ما صـدر عن المـؤمن المخلص المصدق للرسل المتبع لهم فيه)[1].

ثانيا- الإخلاص: وهو تجريد القصد في العمل، فلا يكـون إلا لله

وثالثا- المتابعة وهو تجريد الاتبـاع، ولا يتبع في عمله إلا الرسول

فهـذان الشـرطان هما شـرطا قبـول الأعمـال بعد الإيمان، ولا يكـون العمل صـحيحا إلا أن يكـون لله وعلى طريقة رسول الله ، وقد دل على ذلك القرآن والحديث:

فمن القرآن قوله تعالى: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ[2]. قال ابن كثير: ﭽ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﭼ أخلص العمل لربه، ، فعمل إيمانًا واحتساباً ﭽﮓ ﮔ ﭼ

أي: اتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسـوله من الهـدى ودين الحـق، وهـذان الشـرطان لا يصح عمل عامل بدونهما، أي: يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكـون للـه، والصـواب أن يكـون متابعًا للشـريعة فيصح ظـاهره بالمتابعـة، وباطنه بـالإخلاص، فمـتى فقد العمل أحد هـذين الشرطين فسد)[3].

---

[1] (?) تفسير السعدي ص 581.
[2] (?) سورة النساء الآية: 125.
[3] (?) تفسير ابن كثير 1/732.

وقال تعالى: ڇ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ں ڇ[1]. (أي: من اتقاه في ذلك العمل بــأن يكــون عملا صــالحا خالصا لوجه الله تعالى، وأن يكون موافقا للسنة)[2].

وقال تعالى: ڇ ... ڇ[3]. قال ابن كثير في قوله تعالى: ڇ ... ڇ (أي: ثوابه وجزاءه الصالح، ڇ ... ڇ ، ما كان موافقًا لشرع الله ڇ ... ڇ وهو الذي يراد به وجه الله وحــده لا شــريك لــه، وهــذان ركنا العمل المتقبل، لا بد أن يكون خالصًا لله، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ)[4].

وفي الحــديث قوله ﷺ: «إنما الأعمــال بالنيــات، وإنما لكل امــرئ ما نـــوى»[5]. ذكر أهل العلم في قوله «إنما الأعمال بالنيات» بـأن تقـديره: إنما الأعمـال صـحيحة، أو معتــبرة، أو مقبولة بالنيــات[6]، والمقصــود صــلاح النية وحسن العمــل، فكلما كــان الإنســان أصــدق إخلاصا لله وأقوى اتباعا لرسـول الله ﷺ كـان أكـثر أجـرا وأعظم ثوابا عند الله ﷻ[7].

---

[1] (?) سورة المائدة الآية: 27.

[2] (?) مجموع الفتاوى 11/662.

[3] (?) سورة الكهف الآية: 110.

[4] (?) تفسير ابن كثير 3/146.

[5] (?) رواه البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي حديث 1، ومسلم كتاب الإمارة باب قوله إنما الأعمـال بالنية حديث 1907.

[6] (?) انظــر: شــرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص 28، وجامع العلوم والحكم 1/64، وفتح الباري لابن رجب 1/20.

[7] (?) انظر شرح رياض الصالحين للشيخ محمد العـثيمين رحمه الله 1/547.

وهـذه الشـروط إذا تـوفرت في الإنسـان كـان عمله صحيحا مقبولا عند الله ، فالله سبحانه وتعالى من كرمه ورحمته قد يجعل له من علامـات تدله على صـحة عملـه، ومن ذلك ما يجـــده في نفسه من انشـــراح الصـــدر وطمأنينة القلب ولـــذة الطاعـــات، فـــإن للحســـنات والطاعـات آثـارا محبوبة لذيـذة طيبة لـذتها[1]، وإن كـان صــحة العمل أو فســاده لا يثبت بــالأحوال، إلا أن هــذه الحلاوة واللذة الإيمانية علامات ودلالات على الصحة.

وفي الحـديث أن النـبي قـال: «من سـرته حسـناته وساءته سيئاته فهو مؤمن»[2].

فــدل هــذا الحــديث على أن الســرور والفــرح بعد الطاعة دليل على حسن العمل وصــحته، وأن المــؤمن يحب الحسنة ويفرح بها، ويبغض السيئة ويسوءه فعلها[3].

ولهـذا قـال القاضي عيـاض في معـنى قوله : «ذاق طعم الإيمان ...» (صح إيمانه واطمأنت به نفسه، وخـامر باطنه، لأن رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته، ونفـاذ بصيرته ومخالطة بشاشته قلبه)[4].

وقال ابن القيم: (ومن لم يجد هذا السـرور ولا شـيئا منه فليتهم إيمانه وأعماله، فإن للإيمان حلاوة من لم يذقها فليرجع وليقتبس نورا يجد به حلاوة الإيمان)[5].

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين 1/456.

2 (?) رواه الإمام أحمد في المسند 1/18، وصححه المحققون في الموسوعة الحديثية للمسند 1/269.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 7/306.

4 (?) تقدم في ص 55.

5 (?) مدارج السالكين 2/70.

وعن ثـابت البنـاني[1] عن رجل من العبـاد قـال: قـال يوما لإخوانه (... إني لأعلم حين يسـتجيب لي ربي، قـال: فعجبـوا من قوله، قـالوا: تعلم حين يسـتجيب لك ربك ؟ قـال: نعم، قـالوا: وكيف تعلم ذلك؟ قـال: إذا وجل قلـبي واقشعر جلدي، وفاضت عيناي وفتح لي في الـدعاء، فثم أعلم أن قد استجيب لي قال: فسكتوا)[2].

فـدل ذلك على أن ما يجـده المـؤمن من انشـراح الصـدر وطمأنينة القلب وفرحه وسـروره علامـات وبشـارات تـدل على أن ما يقـوم به من طاعة هو فيها على الصـواب والكمـال، لكن يجب التنبيه إلى أن ذلك ليس لازما، وأن الـذي لم يجد في نفسه هـذه الأحـوال لا يـدل ذلك على فسـاد عملـه، إذ صـحة العمل من فسـاده متوقف على تحقيق شروط قبول الأعمال لا على حـالات اللذة و الحلاوة. والله تعالى أعلم.

---

1 (?) ثابت بن أسلم البناني أبو محمد البصري مولاهم إمام ثقة عابد، ولد في خلافة معاوية، ومات سنة 127هـ، وهو ابن ست وثمـانين سـنة (انظـر: التـاريخ الصـغير 1/319، وسـير أعلام النبلاء 5/220، وتقريب التهذيب ص 132).

2 (?) حاية الأولياء 2/324، وصفة الصفوة 3/261.

المبحث الرابع
الحلاوة جزاء من الله على الطاعات

إن الله سـبحانه وتعـالى متصف بصـفات الكمـال والجمال، فهو جواد كريم رحيم ودود عليم شكور، يجـازي المحسن على إحسـانه حسـنات، ويـثيب المطيـع على طاعتـه خـيرات، فلا يضـيع عنـده أجـر من أحسـن في العبادات ، كما وعد بذلك فقال: ﭽ ۀ ہ ۂ   ﭼ[1]. وقال تعالى: ﭽ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﭼ[2]. وقال تعالى: ﭽ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ   ﭼ[3]. هذه الآيات من أعظم الأدلة على تمام نعم الله وإحسانه على عبـاده، حيث وفقهم إلى الإيمـان والطاعـات ثم جـازاهم عليهـا رحمة منه وفضلا.

وجزاء الله سبحانه عبـاده يكـون في الـدنيا والآخـرة، والجزاء الأخروي أعظم من الجزاء الـدنيوي بمـا لا نسـبة بينهما.

وإن من أعظم ما يجازي به العباد على طاعـاتهم في الدنيا هو ما ينـزله في قلوبهم من نور الإيمـان، وانشـراح الصدور وطمأنينة القلوب، ومـا يتبعهـا من سـعادة العيش ونعيم الحيـاة. **ودلالـة القـرآن على ذلـك في آيـات كثيرة منها:**

قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ في هذه الآية، ذكر الله جزاء من جمع بين

---

[1] (?) سورة آل عمران الآية: ١٧٩.

[2] (?) سورة الكهف الآية: ٣٠.

[3] (?) سورة التوبة الآية: ١٢٠.

الإيمان والعمل الصالح في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا ﭽ ﮒ ﮓ ﮔﭼ (وذلك بطمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشـــوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقا حلالا طيبا من حيث لا يحتسب)، وفي الآخرة ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﭼ (من أصناف اللذات، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فيؤتيه الله في الدنيا حسنة وفي الآخــرة حسنة)[1].

وقوله تعالى: ﭽﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﭼ[2]. قال السعدي: (ﭽﮓ ﮔ ﭼ في عبادة الله تعالى، وأحســـــــــنوا إلى عبـــــــــــاد الله فلهم ﭽﮕ ﮖ ﮗ ﮘﭼ ﮙ رزق واسع، وعيشة هنيئة، وطمأنينة قلب، وأمن وسرور ﭽﮛ ﮜ ﮝﮞ ﭼ من هذه الدار وما فيها من أنواع اللذات والمشتهيات)[3].

ومنه قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸﭹ ﭺ ﭼ قال شيخ الإسلام: (فقوله: ﭽ ﭴ ﭼ جواب الأمر في قوله ﭽﭲﭼ وهو بمنـــزلة الجــزاء مع الشــرط، ولهــذا جــزم، وهــذا ثــواب عملهم، وهو اتبــاع الرســول ﷺ فأثــابهم على ذلك بـــأن أحبهم، وجـــزاء الشـــرط وثـــواب العمل ومسبب السبب لا يكون إلا بعده لا قبله)[4].

وهكذا يقال أيضا في حـديث «ثلاث من كن فيـه وجـد حلاوة الإيمـــان ...» فـــإن الحلاوة جـــزاء وثـــواب من أتى

---

[1] (?) تفسير السعدي ص 449.

[2] (?) سورة النحل الآية: ٣٠.

[3] (?) تفسير السعدي ص 439.

[4] (?) مجموع الفتاوى 7/443.

بالخصـــال الثلاث، وكــذا قولــه: «ذاق طعم الإيمــان من رضي بالله ربا، وبالإسـلام دينـا وبمحمـد رسـولا» فـذوق طعم الإيمان جزاء لمن رضي بالأمور الثلاثة، وهكذا يقـال في جميع النصوص التي فيها أن من فعل كذا كان له كـذا وكـذا. ولصـاحب حلاوة الإيمـان أوفـر الجـزاء في الـدنيا بالإضافة إلى ما ينتظره في الآخرة.

قال الغزالي: (ولو لم يكن للمطيـع جـزاء على عملـه إلا مــا يجــده من حلاوة الطاعــة وروح الأنس بمناجاتــه، لكفى فكيف بما ينضاف إليه من نعيم الآخرة)[1].

وقــال ابن القيم: (فالإحســان له جــزاء معجل ولا بد، والإساءة لها جزاء معجل ولا بد، ولو لم يكن إلا ما يجازي به المحسن من انشراح صدره وانفسـاح قلبه وسـروره، ولذته بمعاملة ربه وطاعته وذكــره ونعيم روحه بمحبته، وذكــره وفرحه بربه ســبحانه وتعــالى أعظم مما يفــرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه)[2].

وقال أيضا: (وسمعت شيخ الإسـلام ابن تيمية يقــول: "إذا لم تجد للعمل حلاوة في قلبك وانشـــــراحا فاتهمه، فإن الرب تعالى شـكور" يعـني: أنه لابد أن يـثيب العامل على عمله في الــدنيا من حلاوة يجــدها في قلبه، وقــوة انشـراح وقـرة عين، فحيث لم يجد ذلك فعمله مـدخول" والقصد: أن الســـرور بالله وقربه وقـــرة العين به تبعث على الازدياد من طاعته وتحث على الجد في السير إليه)[3].

---

[1] (?) إحياء علوم الدين 4/60.
[2] (?) الوابل الصيب ص 109.
[3] (?) مدارج السالكين 2/70.

وقال في بيان ثواب الصلاة: (فإن للصلاة مزيد ثـواب عاجـل في القلب من قـوة إيمانـه واسـتنارته وانشـراحه وانفساحه ووجود حلاوة العبادة والفـرح والسـرور واللـذة التي تحصل لمن اجتمع همه وقلبه على الله، وحضر قلبه بين يديـه كمـا يحصـل لمن قربـه السـلطان منـه وخصـه بمناجاته والإقبال عليه، والله أعلى وأجل)[1].

فسـبحان من أنعم على عبـده هـذا الفضـل العظيم، وقد فـاز من شـكر هـذه النعمـة وحافـظ عليهـا ثم نماهـا بالمزيـد من الطاعـات. والحمـد للـه الـذي بنعمتـه تتم الصالحات.

---

[1] (?) مدارج السالكين 1/567.

الفصل الثاني
آثار حلاوة الإيمان

وتحته تمهيد وسبعة مباحث:

تمهيـد: بيـان معـنى آثـار حلاوة الإيمـان وبعض القواعد المتعلقة بها

**المبحث الأول: أثر حلاوة الإيمـــــان في تقوية صلة العبد بربه **

المبحث الثــاني: أثر حلاوة الإيمــان في إقبال النفس نحو الطاعات وتحمل المشاق فيها

المبحث الثــالث: أثر حلاوة الإيمــان في الثبات على الحق وإيثار ذلك على النفس

المبحث الرابــع: أثر حلاوة الإيمــان في تحقيق السعادة والطمأنينة في الحياة

المبحث الخامس: أثر حلاوة الإيمـان في تزكية النفس وتهذيب السلوك والأخلاق

المبحث السادس: أثر حلاوة الإيمـان في تحصــين القلب ضد أعمــال الكفر والفسق والعصيان

المبحث الســابع: أثر حلاوة الإيمـان في علاج الأمراض النفسية والعصبية

بيان معنى آثار حلاوة الإيمان وبعض القواعد المتعلقة بها

الآثار في اللغة جمع أثر، وأَثَر الشــيءُ وأثّر أي: حصل ما يــدل على وجــوده، وهو في الأصــل: العلامة والبقية والرواية [1].

قال الجرجاني: (الآثـار هي اللـوازم المعلَّلة بالشـيء، والأثر له ثلاثة معــان: الأول بمعــنى النتيجة وهو الحاصل من شيء، والثاني بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجــزء) [2].

وقال العيـني: (وأثر الشـيء هو ما يـدل على وجـوده ويتبعه)[3] وهذا المعنى هو المعتبر في آثار حلاوة الإيمـان، فالمقصـود: الأمـور الـتي تحصل بسـبب تحقيق الإيمـان وذوق حلاوتـــه، أو ما يظهر على من حقق الإيمـــان من علامـات وأمـارات تـدل على ذوقه لحلاوة إيمانـه، وهـذا كقوله تعالى: ﭽ [illegible] ﭼ[4]. وقد فُسـرت ﭽ [illegible] ﭼ في الآية بالمطر الذي ينـزله الله من السماء، أي: فـانظر إلى آثـار المطـر وحسـن تـأثيره في الأرض كيـف يحيي بـه الأرض الميتـة، فينبتهـا ويعشـبها من بعـد موتهـا ودثورها[5].

فالإيمان كـالمطر من السـماء ينــزله الله إلى قلـوب عباده لينبت فيها الحيـاة، وإذا غـذيت بالطاعـات توسـعت ليســري الإيمــان إلى بقية الأجــزاء حــتى يختلط بــاللحم

---

1 (?) انظر: مفردات ألفاظ القـرآن ص 62، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر 1/513.

2 (?) التعريفات ص 23.

3 (?) عمدة القاري 22/91.

4 (?) سورة الروم الآية 50.

5 (?) انظر: تفسير الطبري 20/116، وتفسير البغوي 3/487.

والـدم، فعندئذ تثمر حلاوته ولذتـه. إذن فـأثر الإيمـان في القلب متوقف على سعة القلب وصحته، وهذا إنما يكــون من نور الطاعات وقوتها، وهذا ما قصده أهل العلم عندما عرفوا حلاوة الإيمان بقولهم: (استلذاذ الطاعات عند قوة النفس بالإيمــان وانشــراح الصــدر له بحيث يخالط لحمه ودمه)[1].

قــال ابن رجب -رحمه اللــه-: (وكلما قــويت معرفة العبد بالله قويت محبته له، ومحبته لطاعته، وحصلت له من لـذة العبـادة والـذكر وغـيره على قـدر ذلـك)[2]. فمن وصل إلى هـــــذه الحالة فلا بد أن يحصل فيه من آثـــــار وعلامات هي من لوازم هذه المرتبة الإيمانية.

وقد اعتـاد بعض أهل العلم على تشـبيه حالة من وجد حلاوة الإيمـــــان بحالة من وجد حلاوة حلو من طعـــــام وغـيره[3]، وإن كـان بينهما من التبـاين والتفـاوت مثل ما بين السماء والأرض، إلا أن هناك أوجه شبه بين الوَجْـدَين تكون بالنسبة لهذا الموضوع بمثابة قواعد ومفـاتيح، بيانها كالآتي:

أولا- أن الحلاوة واللـــذة مطلب كل إنســـان، كما أن الطعام والشراب مطلبه، فالجميع يسعى لأجل تحقيق ما تحلو به حياته وتســتلذ به روحــه، فهي مصــدر ســعادته وحياته، وإن اختلفوا في وسائل تحقيقها.

---

1 (?) تقدم في ص 22.

2 (?) استنشاق نسيم الأنس لابن رجب ضمن مجمـوع رسـائله 1/188.

3 (?) انظر أقـوال أهل العلم في إثبـات حلاوة الإيمـان في ص 64.

قـال شـيخ الإسـلام -رحمه اللـه-: (فـاعلم أن اللـذة والســرور أمر مطلــوب، بل هو مقصــود كل حي، وكونه أمرا مطلوبا ومقصودا أمر ضروري من وجـود الحي، وهو في المقاصد والغايات بمنـزلة الحس)[1].

ثانيـا- أن من وجد حلاوة الشـيء وظفر بها أحبهـا، بل آثر محبتها على غيرها من صنوف اللذات.

ثالثا- أنه يسعى جاهدا إلى نيلها على الـدوام ولا يحب مفارقتها لحظــة، هــذا كما قــال السنوسي-رحمه اللــه-: (اســتلذه واســتطابه وأخذ بجــامع قلبه حــتى يــود أن لا يفارقه ولو في نفس كأحب الأشياء عنده)[2].

رابعا- وعليه فإنه لا يمكن أن يسخطه أبـدا كما تقـدم في أسـئلة هرقل لأبي سـفيان: "أيرتد أحد سـخطةً لدينه بعد أن يـدخل فيـه؟ قـال: لا، قـال: وكـذلك الإيمـان حين تخالط بشاشــته القلــوب" وفي روايــة: "وكــذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلبا فتخرج منه"[3].

خامسا- أنه يصبر على الأذى والمشقة التي تحصل له في سبيل تحقيقها على أكمل وجه، بل ولو هُدد بالضــرب والقتل، فإنه لا يؤثرها على شيء، لأنها بالنسبة له مصــدر حياته وسعادته.

وسادسا- أنه لن يأتي بما يفسد هذه الحلاوة عليه، بل يحافظ عليها ويشح بهـا، كما قـال الـبيهقي: (فإنه إذا شح

---

1 (?) انظر الاستقامة 1/148.
2 (?) تقدم في ص 22.
3 (?) تقدم في ص 325.

بالإيمـان لم يـأت بما يفسـده عليه كما أن من وجد حلاوة الحلو لم يأت بما يبطلها عليه)[4].

هـــذه قواعد مهمة في فهم أثر حلاوة الإيمـــان على حياة المؤمن، فستجد تطبيقاتها فيما سيأتي من المباحث إن شاء الله.

[4] (?) تقدم في ص 150.

المبحث الأول
أثر حلاوة الإيمان في تقوية صلة العبد بربه

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: محبة الله و الأنس به

المطلب الثـــاني: الانقطـــاع لـــذكر الله ودعائه ومناجاته

المطلب الثـــالث: الاســـتغناء بالله عما سواه

المطلب الأول
محبة الله و الأنس به

إن محبة الله والأنس به من أجل آثار حلاوة الإيمان، وثمراته الدالة على قوة صلة العبد بربه وقربه منـه، لأن من ذاق حلاوة الشيء أحبه ولا يحب مفارقتـه، فما يجـده من حلاوة الإيمان يغرس المزيد من محبة الله في قلبه، والأنس به دون غيره، لأنه مصـدر لـذة قلبه وبهجة روحـه، ولا تـزال هـذه الحالة تثمر ثمارهـا، وتـؤتي أكلها كل حين بـإذن ربهـا، أصـلها في قـرار القلب ثـابت وفرعها متصل بباقي الجوارح، لأن الأمور الوجدانية الذوقية إنما تعلم بما تظهر من آثارها وعلاماتها، وما بعد إدراك المحبة مقـام إلا وهو ثمـــــرة من ثمارهــــا، ولا قبلها إلا وهو مقدمة من مقـدماتها[1]، فالمحبة توصل إلى القـرب، والقـرب يـوجب الأنس، والأنس يــــوجب الانقطـــــاع إلى الله بالكلية والاستغناء به عما سواه، هذه المـراتب الثلاثة عليها مـدار صـلة العبد بالله ، وهـذا الـذي يتضـمنه البحث في هـذه المطالب إن شاء الله.

وأما **الأنس** فهو ضد الوحشــــة، والأنيس: الــــذي يُستأنس به، وتأنَّسْتُ به إذا سكن إليه القلب ولم يَنفر[2].

والأنس بالله : هو سـكون القلب إليه وطمأنينته بـه، وشعوره بـالتوحش من غـيره، وهو من آثـار المحبة الـتي تثمر تمام الانشغال بالمحبوب وبذل الذل له بحيث يكـون قلبه كله لله وبالله ومع الله، فلا يتعلق به شـاغل يشـغله عن سـلوكه وسـيره إلى اللـه، لشـدة طلبه البـاعث عليه أنسه الذي قد ذاق طعمه، وتلذذ بحلاوته[3].

---

1 (?) انظر: مدارج السالكين 3/9

2 (?) انظـر: النهاية في غـريب الحـديث 1/179، والمصـباح المنير ص 32.

3 (?) انظر: إحياء علوم الدين 4/339، ومدارج السـالكين 3/17، 99.

قـــال ابن القيم -رحمه اللـــه-: (والأنس بالله حالة وجدانية وهي من مقامات الإحسـان، تقـوى بثلاثة أشـياء: دوام الذكر وصدق المحبة، وإحسان العمل)[1].

فـــالأنس إذن ثمـــرة الطاعة والمحبـــة، فكل مطيع مستأنس، وكل عاص مستوحش[2].

والأنيس بالله مَن غلب عليه حلاوة الطاعة بحيث لا يشبع منها، فتجـده دوما على ذكر الله واسـتماع كلامـه، وإذا دخل في الصلاة وَدّ أن لا يخـرج منهـا، لما يتلـذذ فيها بقـــراءة القـــرآن، فقد فُتح له بـــاب شـــهود عظمة الله المتكلم به وجلاله، وكمال نعوته وصفاته وحكمته ومعـاني خطابــه، بحيث يسـتغرق قلبه في ذلك حـتى يغيب فيــه، ويحس قلبه في عالم آخر غير ما الناس فيه[3].

ويغلب عل الأنيس بالله حبّ الخـــير وأهله ومجالسة العلمــاء والتقــرب من أوليــاء اللــه، والخلــوة في بيوته والاستئناس بقراءة كلام ربه.

وقد روي عن الفضيل بن عياض -رحمه الله- أنه قال: (طوبى لمن استوحش من الناس وكان الله جليسه)[4].

وفي رواية قـال: (كفى بالله محبـا، وبـالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا)[5].

---

[1](?) مدارج السالكين 3/99 .
[2](?) انظر: مدارج السالكين 2/423.
[3](?) انظر: مدارج السالكين 3/396-397.
[4](?) تاريخ دمشق 48/408، حلية الأولياء 8/108.
[5](?) تاريخ دمشق 48/411، إحياء علوم الدين 2/222.

وعن إبـــراهيم بن أدهم قـــال: (أعلى الـــدرجات أن تنقطع إلى ربك وتســـــــتأنس إليه بقلبك وعقلك، وجميع جوارحك حتى لا ترجو إلا ربك، ولا تخاف إلا ذنبك، وترسخ محبته في قلبك حتى لا تؤثر شيئا عليه، فـإذا كنت كـذلك لم تبال في بَرٍّ كنت أو في بحر أو في سـهل أو في جبل، وكان شوقك إلى لقاء الحـبيب شـوق الظمـآن إلى المـاء البارد، وشوق الجائع إلى الطعام الطيب، ويكون ذكر الله عنــدك أحلى من العسل وأشــهى من المــاء العــذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف)[1].

وقال أبو سليمان الداراني: (لا آنســني الله إلا به أبدا)[2].

وعن عبد الواحد بن زيد قـــال: (كـــان أصـــحاب غزوان[3] يقولـون لـه: ما يمنعك عن مجالسة إخوانـك؟ فيبكي ويقول: إني أصبت راحة قلــبي في مجالسة من لديه حــاجتي)[4]. فهنيئا لمن كــان الله أنيسه والقــرآن جليسه، والعبادة شغله.

---

[1] (?) استنشـاق نسـيم الأنس لابن رجب ضـمن مجمـوع رسـائله 1/213-214.

[2] (?) جامع العلوم والحكم 1/134.

[3] (?) هو غـزوان بن غـزوان الرقاشي وكـان خـيرا فاضلا عابدا يقال: إنه كـان لا يضـحك وكـان يكـثر القـراءة في المصـحف (انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد 7/217).

[4] (?) صفة الصفوة 3/252، جامع العلوم والحكم 1/133.

المطلب الثاني
الانقطاع لذكر الله ودعائه ومناجاته

إن المحب إذا ذاق حلاوة محبته لله وأنسه بـــــه، دفعته هذه اللذة إلى الانقطـاع إليه لـدوام طاعته وذكـره ومناجاته في جميع أحواله.

قــال ابن رجب -رحمه اللــه-: (فــإذا ذاق العبد حلاوة الإيمان ووجد طعمه وحلاوته، ظهر ثمرة ذلك على لسـانه وجوارحه، فاستحلى اللسان ذكر الله وما والاه وأسـرعت الجـوارح إلى طاعة الله، فحينئذ يـدخل حب الإيمـان في القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده في اليـوم الشديد حرّه للظمآن الشديد عطشه) [1].

وتمام الانقطـاع إلى الله يكـون بسـير القلب كله إليه والتعلق بذكره ومناجاتـه، فيكـون همه كله في الله، وحبه كله له، وقصده له وبدنه له وأعماله له، ونومه له ويقظته له، وحديثه والحـــديث عنه أشـــهى إليه من كل حـــديث، وأفكاره تحوم على مراضيه ومحابه، الخلوة به آثر عنـده من الخُلْطَة إلا حيث تكـون الخُلْطَـة أحب إليه وأرضى له، قــرة عينه به وطمأنينته وسـكونه إليه ... فينصــبغ القلب بين يــدي إلهه ومعبــوده الحق بصـــبغة العبودية فتصـــير العبودية صــفة له وذوقا لا تكلفا، فيــأتي بها تــوددا وتحببا وتقربا كما يــأتي المحب المقيم في محبة محبوبه بخدمته وقضاء أشغاله[2].

قال ابن القيم -رحمه اللـه-: (إن أعظم النعم الإقبـال على الله، والتعبد له والانقطــــاع إليه والتبتل إليه، ولكل

---

[1] (?) لطائف المعارف ص 426-427.
[2] (?) انظر: إغاثة اللهفان 1/88.

نعمة حاسد على قـــــدرها دقت أو جلت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة)[1].

وقد بين -رحمه اللــه-: مقصــود الشــارع بالاعتكــاف فقــال: (وشــرع لهم الاعتكــاف الــذي مقصــوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيَّتُه عليه، والخلــوة به والانقطــاع عن الاشــتغال بــالخلق والاشــتغال به وحــده سبحانه، بحيث يصير ذكــره وحبه والإقبــال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بـدلَها ويصـير الهَمُّ كلّــه به، والخطــرات كلّها بــذكره، والتفكر في تحصــيل مراضيه، وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بـدلاً عن أنسه بالخلق، فيعـده بـذلك لأنسه به يـوم الوحشة في القبـور، حين لا أنيس له ولا ما يفــرح به ســواه، فهــذا مقصــود الاعتكاف الأعظم)[2].

قال مسلم بن يسار -رحمه الله-: (ما تلذذ المتلذذون بمثل الخلوة بمناجاة الله ‌)[3]

وعن الحسن البصـري -رحمه اللـه-: قـال: (إن أحبـاء الله هم الــذين ورثــوا أطيب الحيــاة بما وصــلوا إليه من مناجاة حبيبهم وبما وجدوا من لذة حبه في قلوبهم)[4].

وقال عبد الله بن زيد[5]: (طوبى لمن عاش في الدنيا وعاش في الآخرة، قيل له: وكيف ذلك؟ قال: ينـاجي الله في الدنيا ويجاوره في الآخرة)[6].

---

1 (?) بدائع الفوائد 3/9.

2 (?) زاد المعاد 2/82-83.

3 (?) حلية الأولياء 2/294.

4 (?) شــرح حــديث لبيك لابن رجب ضــمن مجمــوع رســائله 4/109.

5 (?) عبد الله بن زيد بن أســلم العــدوي مــولى آل عمر أبو محمد المــــــــدني صـــــــــدوق فيه لين، مـــــــات سنة 164هـ. (انظر: تقريب التهذيب ص 304).

6 (?) إحياء علوم الدين 2/227.

وقال بعض العارفين لقوم: (ما تعــدون العيش فيكم؟ قالوا: الطعام والشراب ونحو ذلك، فقال: إنما العيش أن لا تبقى منك جارحة إلا وهي تجاذبك إلى طاعة الله)[1].

هــــذا ويجب أن يكـــون الانقطـــاع إلى الله والخلـوة بمناجاته على هـدي النـبي والسـلف الصالح من بعده، فقد كان النبي سيد المنقطعين إلى الله بـدوام ذكـره ومناجاته في كل الأحـوال كما نُقل ذلك عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قـالت: «كـان النـبي يـذكر الله على كل أحيانه»[2] أي: في حـال قيامه ومشيه وقعـوده واضـطجاعه وسـواء كـان على طهـارة أو على حدث[3]، بل إنه كان إذا قطع عن الـذكر لحظة أحس بـالغين في قلبه فيفـزع إلى الـذكر كما تقـدم[4]، وهو مع هـــذه الحالة مع ربه كـــان يقـــوم على شـــؤون الأمة الإسـلامية ويجـالس زوجاته وأصـحابه حـتى كـان النـاس يظنون أن أبا بكر خليله، فأخبر النبي عن استغراق همه بالله فقـال: «لو كنت متخـذا خليلا لاتخـذت أبا بكر خليلا، ولكن صاحبكم خليله الله»[5].

والمقصود أن النـبي كـان ببدنه مع الخلق وبقلبه مع الله ولم يتخذ لنفسه مكانا أو زمانـــا، ولا ذهب إلى جبل

---

1 (?) شـــرح حـــديث لبيك لابن رجب ضـــمن مجمـــوع رســـائله 4/109.

2 (?) رواه البخـــاري تعليقا كتـــاب الحيض بـــاب نقض الحـــائض المناسك كلها إلا الطـــواف (فتح البـــاري لابن حجر 1/485)، ورواه مســـلم كتـــاب الحيض بـــاب ذكر الله تعـــالى في حـــال الجنابة حديث 373.

3 (?) جامع العلوم والحكم 2/516.

4 (?) انظر: ص 200.

5 (?) رواه البخاري كتاب المنـاقب بـاب قـول النـبي : «سـدوا الأبواب إلا باب أبي بكر» حديث 3654، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر حديث 2383.

أو كهف بقصد الخلوة بربه ومحبوبه، كما يفعل بعض أهل البــدع، الــذين يقصــدون أمــاكن خاصة في أزمنة خاصة بقصد الاعتزال والخلوة بذكر الله ويعطلون بذلك الجمع والمســـاجد، ويزعمـــون أنه يحصل لهم من الأحـــوال الرحمانية ما يحصل بل إنها أحـوال شـيطانية لمخـالفتهم شـريعة النـبي وقد بين شـيخ الإسـلام ابن تيمية -رحمه الله - أحوال هؤلاء وردّ عليهم بما يشفي[1].

أما هـدي السـلف في الانقطـاع إلى الله فقد كـانوا على هدي النبي ، حياتهم كـانت حافلة بـذكر الله ودعائه ومناجاته، وكانوا يستوحشون من كل شاغل يشـغلهم عن الذكر، فلا شيء أحب إليهم من الخلـوة بـربهم. ومما ورد عنهم في ذلك ما يلي:

1- عن موسى بن المغـــيرة، قـــال: (رأيت محمد بن سيرين يدخل السوق نصف النهار يكبر ويسبح ويذكر الله تعالى، فقال له رجل: يا أبا بكر، في هذه السـاعة؟ قـال: إنها سـاعة غفلة) [2]. ويحكى أنـه كـان بالليل بكـاء نائحا، وبالنهـار بسـاما سـائحا يصـوم يوما ويفطر يوما[3] وكـان عامة كلامه: سبحان الله العظيم، سبحان الله وبحمده[4].

---

[1] (?) انظر: مجموع الفتاوى 10/393-407.
[2] (?) حلية الأولياء 2/272، وصفة الصفوة 3/254.
[3] (?) انظر: حلية الأولياء 2/236، 272.
[4] (?) جامع العلوم والحكم 2/517.

2- ويحكى عن عبيد بن عمـير الواعظ[1] - وكـان من تابعي أهل مكة - أنه كان يـذكر الله لَهجاً وبنعم الله عليه بَهجاً وعن ذكر من سوى الله حرجاً[2].

3- وقد أخبر ابن القيم عن شيخ الإسلام بأنه كان يعد الـذكر قوته اليـومي وأنه كـان يـذكر الله من بعد صـلاة الفجر إلى منتصف النهار ثم يقـول: (هـذه غـدوتي ولو لم أتغد هذا الغداء لسقطت قوتي)، وقال: (لا أترك الذكر إلا بنية إجمـام نفسي وإراحتها لأسـتعد بتلك الراحة لـذكر آخر). وأخـبر أنه كـان يقـول في سـجوده وهو محبـوس: (اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شـاء الله)[3].

هكذا عاش السلف بعد أن ذاقوا حلاوة طاعـة ربهم، وتلـذذوا بمناجـاة خـالقهم، وقلـوبهم إليـه منقطعـة وجوارحهم في أوامـره منشـغلة، فهنيئـا لمن تشـبه بهم وسار على خطاهم.

---

1 (?) عبيد بن عمير بن قتادة الليـثي أبو عاصم المكي الواعظ ولد في حياة رسول الله ، وكان من ثقـات التـابعين وأئمتهم بمكة، توفي سنة 74هـ (انظر: سـير أعلام النبلاء 4/156، و تقريب التهذيب ص 377).

2 (?) حلية الأولياء 3/266.

3 (?) الوابل الصيب ص 101، 108.

المطلب الثالث
الاستغناء بالله عما سواه

وهو أعلى ثمرات المحبة التي يوجبها الانقطاع إلى الله ، وذلك أن العبد إذا انقطع إلى الله أول ما يفيده ذلك الاستغناء به عمن سواه. أي: الاستغناء بمحبة الله عن محبة ما سواه، وبعبوديته عن عبودية ما سواه، وبخوفه ورجائه عن خوف ورجاء ما سواه، وبدعائه والخضوع له والذل والاستكانة له، عن الدعاء والخضوع والذل والاستكانة لغيره، وهكذا في جميع أعمال العباد التعبدية، وهذا منتهى السفر إلى الله وتجريد التوحيد له سبحانه في العبادة.

قال شيخ الإسلام: (الاستغناء أن لا يرجو بقلبه أحدا فيتشرف إليه)[1]. أي: أن لا يتطلع إلى أحد من المخلوق في جلب نفع أو دفع ضر، وهذه درجة أخرى من الاستغناء بالله وتمام الافتقار إليه.

وقال ابن القيم: (الاستغناء بالله هو عين الفقر إليه، وهما عبارتان عن معنى واحد، لأن كمال الغنى به، هو كمال عبوديته، وحقيقة العبودية كمال الافتقار إليه من كل وجه، وهذا الافتقار هو عين الغنى به)[2].

وهذه المعاني كلها موجودة في من ذاق حلاوة الإيمان، وذلك أن القلب إذا ذاق حلاوة عبوديته لله ومحبته له لم يكن شيء أحب إليه من ذلك حتى يتطلع إليه في جلب نفع أو دفع ضر، بل يجد في نفسه ضرورة

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/259.

2 (?) طريق الهجرتين ص 42.

اللجوء إلى من هو أحب إليه، وهو المحبوب الكامل الذي يفتقر إليه جميع الخلائق.

قال شيخ الإسلام: (فإن المخلص لله ذاق من حلاوة عبوديته لله ما يمنعه من عبوديته لغيره، ومن حلاوة محبته ما يمنعه عن محبة غيره[1]، إذ ليس عند القلب لا أحلى ولا ألذ ولا أطيب ولا ألين ولا أنعم من حلاوة الإيمان المتضمن عبوديته لله ومحبته له، وإخلاصه الدين له، وذلك يقتضي انجذاب القلب إلى الله فيصير القلب منيبا إلى الله خائفا منه راغبا راهبا)[2].

وقال ابن القيم: (فإذا كان في القلب وجدان حلاوة الإيمان وذوق طعمه، أغناه ذلك عن محبة الأنداد وتأليهها)[3].

وقال أيضا: (فإنه من ذاق حلاوة معرفة الله والقرب منه والأنس به، لم يكن له أمل في غيره)[4].

وقال المناوي: (فإذا أراد الله بعبد خيرا، قذف في قلبه النور، فأضاء، ووجدت النفس لها حلاوة وروحا ولذة تلهي عن لذات الدنيا وشهواتها، وتذهب مخاوفها وعجلتها وحرقتها وتلهيها، فيطمئن القلب فيصير غنيا بالله)[5].

---

1 (?) والمقصود: محبة العبودية وسياق كلامه يدل عليه، وأما المحبة الشرعية الأخرى فهي تابعة لمحبة الله، وليس ندا له.

2 (?) مجموع الفتاوى 10/215-216.

3 (?) إغاثة اللهفان 2/152.

4 (?) مدارج السالكين 3/97.

5 (?) فيض القدير 1/254.

ومن نماذج هذا النوع من الاستغناء والافتقار إلى الله ﷻ:

ما ورد في قصة إبراهيم خليل الله ﷺ أنه «لما رُفع ليُلقى في النار عرض له جبريل ﷺ، فقال: يا إبراهيم، هل لك من حاجة؟ قال: أما إليك فلا»[1].

قال البيهقي: (لأنه غابت نفسه بالله، فلم ير مع الله غير الله، وكان ذهابه بالله من الله إلى الله بلا واسطة، وهو من علامات التوحيد[2] وإظهار القدرة لنبيه إبراهيم ﷺ)[3].

وفي امتثاله أمر الله بذبح ولده فيما حكى عنه ربه في قوله ﷻ: ﴿ ﴾[4] لأقوى دلالة على الاستغناء بالله عما سواه.

قال ابن القيم: (ليس العجب من أمر الخليل بذبح الولد، إنما العجب من مباشرة الذبح بيده، ولولا الاستغراق في حب الآمر، لما هان مثل هذا المأمور)[5].

وصُور هذا الاستغناء كثيرة في حياة النبي ﷺ وحياة صحابته.

فقد عرضت قريش على النبي ﷺ كل ما يُلتذ به من أمور الدنيا مثل لذة الرياسة والنساء والأموال، لكنه ردّ كل ذلك استغناء بالله ﷻ، وروي أنه قال لعمه يوماً: (يا عم، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في

---

1 (?) رواه الطبري في تفسيره 9/42، والبيهقي في شعب الإيمان 3/286، وقال محققه: "إسناده رجاله موثوقون".

2 (?) المراد: كمال التوحيد، فهذه حال الكمل من عباد الله، أما من دونهم من المؤمنين فلا ضير عليهم في اتخاذ الأسباب المباحة حتى ولو كان أفضل الناس إيماناً.

3 (?) شعب الإيمان للبيهقي 3/474.

4 (?) سورة الصافات الآية 102.

5 (?) بدائع الفوائد 3/189.

يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته)[1].

وأبو بكر الصديق يوم أمر النبي بالصدقة أتى بكل ما عنده من مال، وقال له النبي : «ما أبقيت لأهلك؟» قال: «أبقيت لهم الله ورسوله»[2]. فيه دليل على قوة الإيمان وتمام الاستغناء بالله والافتقار إليه وحده دون سواه.

ويجدر التنبيه إلى أنه ليس في هذا الخبر ما يدل على وجوب التجرد عن جميع الأموال، وأن الإنسان لا يُعدّ متوكلا على الله حق التوكل حتى يخرج من جميع ماله كما هو المذهب عند المتصوفة[3]، وفي تمام هذا الحديث ما يدل على بطلان هذا، وذلك أن عمر بن الخطاب أتى بنصف ماله، ولم ينكر عليه رسول الله ، وقد قال لسعد بن أبي وقاص: «إنك إن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»[4]. وقد صح أن النبي «كان يبيع نخل بني النضير، ويحبس لأهله قوت سنتهم»[5].

وهذا دليل على أن التوكل إنما يتحقق باتخاذ الأسباب لا تركها.

---

[1] (?) السيرة النبوية لابن هشام 2/101، تاريخ الطبري 1/545، البداية والنهاية لابن كثير 3/48.

[2] (?) رواه أبو داود كتاب الزكاة باب في الرخصة في ذلك حديث 1678، والترمذي كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر حديث 3675، وقال: " هذا حديث حسن صحيح".

[3] (?) انظر: المنتقى النفيس من تلبيس إبليس ص 235-237.

[4] (?) رواه البخاري كتاب الوصايا باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس حديث 2742، ومسلم كتاب الوصية باب الوصية بالثلث حديث 1628.

[5] (?) رواه البخاري كتاب النفقات باب حبس الرجل قوت سنة على أهله حديث 5357.

المبحث الثاني
أثر حلاوة الإيمان في إقبال النفس نحو الطاعات وتحمل المشاق فيها

إن من أجل آثــار حلاوة الإيمــان ما تغرسه في نفس المؤمن من حب للطاعات والإقبال الكامل عليها، وتحمل المشـقات الملازمة لهـا، بل إن روح الطاعـات ونشـاطها راجع إلى مـدى قـوة الإيمـان ووجـدان لـذة العبـادة في القلوب، وذلك لأمرين:

الأول: أن الإيمــان نفسه هو غـــذاء الإنســان وقوته وصلاحه وقوامه، فإذا صـار للمـؤمن كمالها يتقـوى عندئذ لـدفع ما يطـرأ في النفس من الكآبة والكسل والـتراخي في أداء الواجبـات، فتصـبح النفس نشـيطة، وقد وجـدت كمــال قوتها وحياتها للقيــام بعبــادة ربها وتحمل مشــاق البدن فيهـا، بل إن راحة قلبه وطمأنينة نفسه لا تكـون إلا بـــذلك، فما أن ينتهي من عبــادة إلا ويــدخل في عبــادة أخــرى، فهي بالنســبة له كالســمك في المــاء، وقد خالط الإيمان بشاشة قلبه وهانت عليه طاعة ربه، وصارت قرة عينه وسرور قلبه ولذة روحه وكمال نعيمه.

والثاني: أنه لما كـان اللـه ورسـوله أحب إليـه ممـا سواهما، صارت العبادات عنده على هـذه الدرجة، وصـار يتلــذذ بخدمة محبوبه ، بل إن ما يجــده فيها من لــذة لا يساويها شـيء من لذائذ الحيـاة ومتعهـا، فقد فـاض على نفسه وقلبه محبة للعبادة وفرحاً بها وطرباً لها.

قــال ابن القيم -رحمه اللـــه-: (وكلما كــانت المحبة أقوى كانت لذة الطاعة والخدمة أكمل فليزن العبد إيمانه

ومحبته لله بهـــذا المـــيزان، ولينظر هل هو ملتذ بخدمة محبوبه أو متكـــره لها يـــأتي بها على الســـآمة والملل والكراهة، فهذا مَحَكّ إيمان العبد ومحبته لله)[1].

ولا شك أن هــذه الحلاوة الإيمانية هي مصــدر القــوة في العبــادات، والفــارق بين النــاس في طاعــات ربهم، فكثيرا ما تجد رجلين يؤديان العبادة نفسها ويكون الفـرق بينهما مثل ما بين الســماء والأرض، فــإن من وجد لــذة العبادة لا يعـدها تكليفا ولا مشـقة بل يـأتي بها على أكمل وجه ولا يتمــنى الخـــروج منهــا، بخلاف من لا يجد لــذة العبادة، فإنها تشق عليه ويتعب في أدائهــا، فهي بالنســبة له عبأٌ وكلفةٌ يجب الارتياح منها بأسرع وقت.

وقد بين ابن القيم بأن السرور بذوق حلاوة الطاعـات يُعتق العبد من رق التكليف بحيث لا يعده تكليفا، بل تبقى الطاعــات غــذاء لقلبه وســرورا له، وقــرة عين في حقه ونعيما لروحه، يتلذذ بها ويتنعم بملابستها أعظم مما يتنعم بملابسة الطعــام والشـراب واللــذات الجســمانية، فــإن اللـــــذات الروحانية القلبية أقـــــوى وأتم من اللـــــذات الجســـمانية، فلا يجد في أوراد العبـــادة كلفة، ولا تصـــير تكليفا في حقه، فــإن ما يفعله المحب الصــادق ويـأتي به في خدمة محبوبه هو أسرُّ شـــيء إليه، وألذّه عنـــده، ولا يــرى ذلك تكليفا، لما في التكليف من إلــزام المكلف بما فيه كلفة ومشقة[2].

وما يجده العابدون من التكليف والمشقة في البداية، تــزول بمجــرد ذوقهم لحلاوة الطاعة كما يشــير إلى ذلك

---

[1] (?) طريق الهجرتين ص 264.

[2] (?) انظر: مدارج السالكين 3/173.

ابن القيم ويقول: (فإن السالك في أول الأمر يجد تعب التكاليف ومشقة العمل، لعدم أنس قلبه بمعبوده، فإذا حصل للقلب روح الأنس زالت عنه تلك التكاليف والمشاق، فصارت قرة عين له، وقوة ولذة، فتصير الصلاة قرة عينه بعد أن كانت عملاً عليه، ويستريح بها بعد أن كان يطلب الراحة منها) [1].

قال السعدي -رحمه الله-: (ومن الحياة الطيبة التي يرزقونها: ذوق حلاوة الطاعات، واستعذاب المشقات في رضى الله تعالى، فهذه الأحوال كلها خير للمؤمن، إن سهل الله له طريق العبادة وهونها حمد الله وشكره، وإن قامت العقبات صبر في اقتحامها، واحتسب الخير في عنائه وجهاده، ورجا عظيم الثواب) [2].

وقد عد -رحمه الله- هذا من البشرى التي وعد الله بها أولياءه فقال: (فالبشرى التي وعد الله بها أولياءه في الحياة الدنيا من أشرفها وأجلها: أن ييسر لهم العبادات ويهون عليهم مشقة القربات) [3].

يقول شيخ الإسلام: (وإنما نشأ الخير من المحل، فالمأمور به من الكلمات الطيبات والأعمال الصالحات، هي موجبة للخير والرحمة والثواب، وإذا اقترن بها قوة

---

[1] (?) مدارج السالكين 2/389.
[2] (?) القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ج8/134.
[3] (?) القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ج8/133.

إيمـان العبـد ومـا يجـده من حلاوة الإيمـان وتذوقـه من طعمه، تضاعف الخير والرحمة والبركة)[1].

ولهذا تجد من ذاق حلاوة الإيمان يكون أنشط للخير وأعبد لربه وأخدم له ممن لم يذق هذه الحلاوة.

وقد روي عن ضيغم[2] أنه قال: (قـووا على الاجتهـاد بما يدخل قلوبهم من حلاوة العبادة)[3].

وعن يونس بن عبد الأعلى[4] قال: (قيـل لوكيـع أنت رجل تديم الصيام وأنت كذا، فعلى ما ذا؟ قـال: بفـرحي على الإسلام)[5].

وعن وهب بن منبه قال: (من يتعبد يـزدد قـوة، ومن يكسل يزدد فترة)[6].

ويجب التنبيــه إلى أن المقصــود بالمشــقة التي يتحملها صاحب لذة الإيمـان هي مـا كـانت ملازمة للعمل، لا ما يتكلفه العبد بقصـد تعـذيب النفس طلبـا لمزيـد من الأجر، فـإن الـدين مبـني على التيسـير ورفـع الحـرج والمشـقة كمـا دلت عليـه

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/564.

2 (?) هو ضيغم بن مالك، الزاهد أبو بكر الراسبي البصـري، أخذ عن التابعين. قـال عنه عبد الـرحمن بن مهـدي: "ما رأيت مثل ضيغم في الصـلاح والفضل". تـوفي سـنة 180هـ (سـير أعلام النبلاء 8/421).

3 (?) سير أعلام النبلاء 8/421.

4 (?) هو يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة أبو موسى الصدفي المصري الحافظ المقرئ ثقة ولد سـنة سـبعين ومائة وتـوفي سـنة أربع وسـتين ومـائتين (تـذكرة الحفـاظ 2/527، وتقريب التهذيب ص 613).

5 (?) حلية الأولياء 8/369.

6 (?) حلية الأولياء 4/58.

نصوص كثيرة منها: قوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﭼ[1]، وقوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﭼ[2]، وقوله تعالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﭼ[3] وقد قال النبي ﷺ: «إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»[4] وفي رواية قال: «إن خير دينكم أيسره، إن خير دينكم أيسره»[5].

والنصوص في هذا المعنى كثيرة، والمقصود أن لذة العبادة إنما تكون في أحب الأعمال إلى الله وهي ما كان على وجه السداد والاقتصاد والتيسير دون ما كان على وجه التكلف والاجتهاد والتعسير[6].

قال شيخ الإسلام: (خير الأعمال ما كان لله أطوع، ولصاحبه أنفع، وقد يكون ذلك أيسر العملين، وقد يكون أشدهما)[7] فالعمل الميسر مثل الأذكار الشرعية التي يسرها الله على العباد ورتب عليها أعظم الأجور واللذات.

---

[1] (?) سورة الحج الآية 78.

[2] (?) سورة البقرة الآية 286.

[3] (?) سورة البقرة الآية 185.

[4] (?) رواه البخاري كتاب الإيمان باب الدين يسر حديث 39.

[5] (?) رواه الإمام أحمد في المسند 3/479، 4/338، وحسنه المحققون في الموسوعة الحديثية للمسند 25/284، وصححه كذلك الشيخ الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير ص 562.

[6] (?) انظر: المحجة في سير الدلجة لابن رجب ضمن مجموع رسائله 1/429.

[7] (?) مجموع الفتاوى 22/313.

والأعمال الشديدة على النفس والشاق عليها مثل الجهاد في سبيل الله كما في قوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭼ[1].

ومثل الحج وهو الجهاد الصغير، وكذلك الصوم الذي فيه الصبر على الجوع والعطش وكذلك التألم بإسباغ الوضوء في شدة البرد كما أشار إليه النبي في قوله: «وإسباغ الوضوء على المكاره»[2] وقد فسرت المكاره بالبرد الشديد وألم الجسم[3]. وتحمل المؤمن هذه المشقات دليل على قوة الإيمان ولذته في قلبه، وله عند الله الأجر العظيم والدرجات الرفيعة، كما قال تعالى: ﭽ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﭼ[4].

وقد يصل الأمر بصاحب حلاوة الإيمان أن يرضى بهذه المشقات ويتلذذ بها، فتكون هذه الأعمال بالنسبة له عملا يسيرا لا مشقة فيها. وهذه درجة الكمل من

---

1 (?) سورة البقرة الآية 216.

2 (?) رواه مسلم كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره حديث 251.

3 (?) شرح صحيح مسلم للنووي 3/141، واختيار الأولى في اختصام الملأ الأعلى لابن رجب ضمن مجموع رسائله 1/67.

4 (?) سورة التوبة الآية 120.

عباد الله المؤمنين كما سبق بيانه في حلاوة القضاء والقدر[1].

ومن أعظم الدلائل على أثر الحلاوة في إقبال النفس نحو الطاعات، الإكثار من نوافل العبادات بعد الفرائض، فإن النوافل من أهم وسائل القربات، وطلب الدرجات، لما يحصل فيها من مجاهدة النفس وبذل الجهد لدفع هوى النفس والإقبال على الله من غير مَلَلٍ أو تَعَبٍ أو كَلَلٍ، ولكن خير الأحوال ما كان عليه النبي من الوسطية والاقتصاد، فقد كان يقوم الليل وينام، ويصوم ويفطر وهو الذي قال: «أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما»[2].

وقد كان من أكثر الناس اجتهادا في العبادات وتحمل المشاق فيها كما جاء في صفة قيامه أنه كان يقوم يصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فيقول: «أفلا أكون عبدا شكورا؟»[3].

---

1 (?) انظر: ص 309.

2 (?) رواه البخاري كتاب الجمعة باب من نام عند السحر حديث 1131، ومسلم كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا ... حديث 1159.

3 (?) رواه البخاري كتاب الجمعة باب قيام الليل حتى ترم قدماه حديث 1130، ومسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة حديث 2819.

وعن حذيفة بن اليمـان ، قـال: «صـليت مع النـبي ذات ليلة فافتتح البقــرة فقلت يركع عند المائة، ثم مضى فقلت يصــــلي بها في ركعة فمضى: فقلت: يركع بها ثم افتتح النســاء فقرأها ثم افتتح آل عمــران، فقرأها يقــرأ مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سـأل وإذا مر بتعـوذ تعـوذ، ثم ركع، فجعل يقـول: سـبحان ربي العظيم، فكان ركوعه نحوا من قيامه، ثم قال: سـمع الله لمن حمده، ثم قام طويلا قريبا مما ركع ثم سـجد فقـال: سبحان ربي الأعلى، فكان سجوده قريبا من قيامه»[1].

وقد أخبرت عائشـة رضـي اللـه عنهـا أنـه «كـان إذا دخل العشر - أي: من شــهر رمضـــان- أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر»[2] أي: أنه يجتهد في العبادات في هـذه الليـالي زيـادة على عادتـه فيسـتغرقها بالسـهر في الصلاة[3].

هذا هو منهج النبي في نوافل العبادات وعليه مضى أصــحابه، وأئمة الســلف من بعــدهم، فقد كــانوا كثــيري الصلاة والصيام لما قووا عليها من حلاوة العبادة.

---

1 (?) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تطيل القراءة في صلاة الليل حديث 772.

2 (?) رواه البخاري كتاب صلاة التراويح بــاب العمل في العشر الأواخر من رمضان حديث 2024، ومسـلم كتـاب الاعتكـاف بــاب الاجتهــاد في العشر الأواخر من شــهر رمضــان حــديث 1174 واللفظ له.

3 (?) انظر: شرح صحيح مسلم للنووي 8/71.

يقول العباس بن عبد المطلب (كنت جــارا لعمر بن الخطاب، فما رأيت أحدا من الناس كان أفضل من عمـر، إن ليله صلاة، وإن نهاره صيام وفي حاجات الناس)[1].

وروي أن أبا هريرة (كـان يقـوم ثلث الليـل، وتقـوم امرأته ثلث الليل، ويقوم ابنه ثلث الليل، إذا نام هـذا قـام هذا)[2].

وكان عبد الله بن الزبـير قـوام الليل صـوام النهـار، وكان يسمى حمام المسجد[3].

وفي تراجم السلف الصـالح نمـاذج كثـيرة من اجتهـاد في الطاعات، وهذه النمـاذج وإن بـانت فيها مشـقة على النفــوس إلا أنه يحمل على قــوة الإيمــان، لا على قصد المشقة وتعذيب النفس، فهي لم تكن شــاقة عليهم، وإن كـان ما هو أقل منها شــاقا على غــيرهم، ومع هــذا فــإن التوسط والأخذ بالرفق أولى وأحرى.

وقد أشـار شـيخ الإسـلام إلى أن معظم ما يحكى عن بعض العُبّاد أنه يصوم الدهر، وأنه يقـوم الليل كلـه، أو أنه يصـلي ألف ركعـة، أو أنه يصـلي الصـبح بوضـوء العشـاء الآخــرة كــذا كــذا ســنة، أن كثـيرا من المنقــول في ذلك ضعيف[4].

---

1 (?) حلية الأولياء 1/54.
2 (?) الزهد للإمام أحمد ص 177.
3 (?) حلية الأولياء 1/335، وصفة الصفوة 1/767.
4 (?) انظر: مجموع الفتاوى 22/303.

وقد وضع ابن رجب في هـذا قاعـدة جليلة فقـال: (فأفضل النـــاس من ســـلك طريق النـــبي وخـــواص أصحابه في الاقتصاد في العبـادة البدنية والاجتهـاد في الأحوال القلبية ...)[1].

هذا وإن من أهم ما يعين على تحمل مشـاق العبادات والتلذذ بها ما يلي:

أولا- قوة الإخلاص في العبـادة، فبقـدر ما في القلب من إفـراد الطاعة لله وخلـوه من غـيره تهـون الأثقـال ويزول الألم، فلا إحساس بـألم ما كـان العمل لله وبالله ومع الله.

ثانيا- الاستغراق في محبة من أمر بعبادته، فإذا امتلأ القلب بمحبة الله أحب ما يحبه وإن شق على النفس وتألمت به كما يقال: المحبة تهون الأثقال[2].

ثالثـــا- ملاحظة جلال المعبـــود، واستشـــعار عظمته وكبريائـــه، وتـــذكر فضل القيـــام بين يديه ومناجاته في الصـــلاة، فبـــذلك يهـــون كل ألم ينـــال العبد في طلب مرضـــاته، وربما لم يشـــعر بـــالألم بالكلية كما قيـــل: "بالمعرفة هانت على العاملين العبادة"[3].

---

1 (?) المحجة في سير الدلجة لابن رجب ضمن مجموع رسائله 1/434.

2 (?) اختيار الأولى في اختصام الملأ الأعلى بتصرف 1/71.

3 (?) انظر: اختيار الأولى في اختصام الملأ الأعلى 1/68-69.

رابعـا- استحضـار اطلاع الله على عبـده في حـال العمل له، وتحمل المشاق لأجله، واستشعار نــزول الله في ثلث الليل الأخـير وهو قـائم يصـلي له ويناجيه بتلاوة كلامـه، وربه مطلع عليه ويرضى بـه، ويبـاهي به ملائكتـه، فاستحضار ذلك يذهب ألمه[1]

خامسا- تذكر فضل العبادة وما فيها من التقرب إلى الله ونيل ولايته في الـدنيا والـدرجات العلى في الجنـة، فـإن استحضـار عظم الثـواب يهـون ألم المشـقة، وكما قيل: (من لم يعرف ثواب الأعمـال ثقلت عليه في جميع الأحوال)[2].

سادسـا- اشـتياقه إلى ما ادخـره الله له من أصـناف اللــذات يــوم لقائه حين يلتذ أعظم اللــذة بما تحمّل من الألم من أجلــه، وفي مرضــاته، وتكــون لذته وســروره وابتهاجه بقــدر ما تحمّل من الألم في الله ولــه، فيحمله اشتياقه إلى لقاء ربه على تحمل مشقة الألم العاجل، بل ربما غيّبه الشـوق إلى لقائه عن شـهود الألم والإحسـاس بـه، فالشـوق يحمل المشـتاق على الجـدّ في السـير إلى محبوبه، ويقرّب عليه الطريق، ويطوي له البعيـد، ويهـوِّن

---

1 (?) انظر: اختيار الأولى في اختصام الملأ الأعلى 1/70.

2 (?) اختيــار الأولى في اختصــام الملأ الأعلى ضــمن مجمــوع رسائله 1/68.

عليه الآلام والمشاق، وهو من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عبده[3].

[3](?) انظر: زاد المعاد 3/14-15.

المبحث الثالث
أثر حلاوة الإيمان في الثبات على الحق وإيثار ذلك على النفس

جبلت النفــوس على حب الاســتدامة ولــزوم الحالة الطيبة الــتي تطمئن إليهــا، وتطيب بها حياتها وتســعد بها روحها، وتقدم في سبيل ذلك أنفس النفيس لأجل تفــادي زوال هذه الحالة أو الانقطــاع عنها لحظــة، بل إنها تتحمل وبســرور أي مكــروه في ســبيل إبقــاء هــذه الحالة على الــدوام، لتوقف الحيــاة الســعيدة عليهــا. هــذه هي حقيقة أحوال جميع طلاب السعادة، ولصاحب لذة الإيمــان الحظ الأكمل منهــا، وذلك أنه قد وفق إلى الإيمــان الــذي هو مصدر الســعادة الحق كما ســيأتي بيانه قريبــا، ووجد لذته حين خالط إيمانه بشاشة قلبه وسرى فيه سريان دمائــه، لا شيء ألذ عنده ولا أحب إليه منه، ولا حــتى نفسه الــتي بين يديه، يمكنه أن يتحمل أي شيء يصيب حياته وجسده دون ما يصــيب إيمانه ولذتــه، بل يزيــده صــمودا وثباتا لما يشــاهده من لذائذ ويرجــوه من كمــال الحيــاة يــوم لقائه بمحبوبه.

ويــدل عليه ما جــاء في وصف من ذاق حلاوة الإيمــان في تمام الحديث، وهو قوله : «وحتى أن يقذف في النــار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقــــــذه الله»[1] وفي رواية قــال: «ومن كــان أن يلقى في النــار أحب إليه

---

[1] (?) تقدم تخريجه في ص 53.

من أن يرجع في الكفر»[1] وفي روايـــة: «وأن توقد نـــار عظيمة، فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئا»[2].

وهـذه الروايـات صـريحة في إيثـار الحق على النفس بعد ذوق حلاوة الإيمان.

وقد بين ابن رجب -رحمه الله- وجه ذلك فقال: (فـإذا رسخ الإيمـــان في القلب وتحقق به ووجد حلاوته وطعمه أحبه، وأحب ثباته ودوامه والزيـادة منـه، وكـره مفارقتـه، وكان كراهته لمفارقته أعظم عنده من كراهة الإلقـاء في النار)[3].

وهـــذه المحبة والكراهية تســـهل له تحقيق قاعـــدة عظيمـة، مضـمونها: "إيثـار أعلى المحبـوبين على أدناهما واحتمـــال أدنى المكـــروهين للتخلص من أعلاهما بقـــوة الصـبر والثبـات واليقين[4]. ولا يخلص إلى هـذا إلا خـواص المؤمنين.

قال ابن القيم مبينا هذه القاعـدة: (فـالنفس لا تـترك محبوبا إلا لمحبـــــوب ولا تتحمل مكروها إلا لتحصـــــيل محبـــوب، أو للتخلص من مكـــروه آخر، وهـــذا التخلص لا

---

1 (?) تقدم تخريجه في ص 55.

2 (?) تقدم تخريجه في ص 56.

3 (?) فتح الباري لابن رجب 1/56.

4 (?) انظـر: إغاثة اللهفـان 2/118، وهـذه القاعـدة فـرع عن قاعـــدة: "عند الـــتزاحم يجب تقـــديم أعلى المصـــلحتين على أدناهما، وارتكاب أدنى المفسدتين لتفويت أعلاهما. والشـــريعة قد جـاءت بتحصـيل أعظم المصـلحتين بفـوات أدناهمـا، ودفع أعظم الفسـادين باحتمـال أدناهما (انظـر: الاسـتقامة 1/288، ومنظومة أصـــول الفقه وقواعـــده للشـــيخ محمد بن صـــالح العثيمين رحمه الله ص 142-149).

تقصـده إلا لمنافاته لمحبوبها، فصـار سـعيها في تحصـيل محبوبها بالذات وأسبابه بالوسيلة، ودفع مبغوضها بالـذات وأسبابه بالوسيلة، فسعيه في تحصـيل محبوبه لما له فيه من اللذة، وكذلك سعيه في دفع مكروهه أيضا لما له في دفعه من اللـذة، كـدفع ما يؤلمه من البـول والنجو والـدم والقيء وما يؤلمه من الحر والبرد والجوع والعطش وغير ذلك) [1].

وهــذه الحالة من الثبــات دليل على كمــال الإيمــان وقوته، وعلى تمكن حب التوحيد والصبر عليه، وإيثار رضا الله على رضا غيره، وحبه على حب غيره، وخوفه ورجائه على خــوف ورجاء غــيره ، وإيثــار الــذل له والخضــوع والاستكانة والضـراعة والتملق على بـذل ذلك كله لغـيره سبحانه[2].

وهي ثمرة كلمة التوحيد التي ثبّت الله عليها المـؤمن في قوله تعالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷﭸ ﭼ[3]. أي: يثبتهم على الحق بالقول الثابت، وهو شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله[4].

قـال الطـبري -رحمه اللـه-: (وذلك تثبيته إيـاهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسـوله محمد ﷺ ﭽ ﭲ ﭳ ﭼ بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الـدنيا، وذلك في قبـورهم حين يُسـألون عن الــذي هم عليه من التوحيد والإيمــان برسوله ﷺ)[5].

---

1 (?) إغاثة اللهفان 2/119.

2 (?) انظر: طريق الهجرتين ص 248.

3 (?) سورة إبراهيم الآية 27.

4 (?) انظر: تفسير الطبري 16/602، وزاد المسير 4/361.

5 (?) تفسير الطبري 16/602.

وقال شيخ الإسلام: (فـالمؤمن عنـده يقين وطمأنينة، والإيمان في قلبه ثابت مستقر وهو في نفسه ثـابت على الإيمـان مسـتقر لا يتحـول عنه)[1]. أي: من قـوة ثباتـه، والحامل على هـذا الثبـات ذوق طعم الإيمـان ومباشـرته للقلب، ويصـدق ذلك بـذلهم أحب شـيء إليهم في رضا ربهم، وتحملهم المكروه في سـبيل ذلـك، بل إن بعضـهم حتى لو أراد مصانعة من يدعوه إلى ما ينـافي حالة كماله لا تطاوعه نفسه إلى ذلك.

ونمـاذج هـذا الثبـات كثـيرة في القـرآن والأحاديث وحياة الصحابة وأئمة السـلف رحمهم الله، أنقل من ذلك ما يلي:

1- ثبات سـحرة فرعـون بعد تـذوقهم حلاوة الإيمان.

قـال تعـالى – حاكيا قصة سـحرة فرعـون مع موسى بعد أن ظهر عليهم أمـام الملأ وأيقنـوا بآيـات الله وآمنـوا بموسى ﷺ-: ﭽ ٻ ٻ ٻ ٻ پ ٻ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ڈ ڈ ک ک ک ک ﭼ[2].

دلت هذه الآيات على ثبات سحرة فرعون على الحق وإيثاره على النفس، وذلك من عدة أوجه:

أولا-: إعلانهم الإيمان أمام فرعـون وملئـه مـع علمهم بشدة العواقب، لم يبالوا بما سيحصل لهم من عقاب بعد أن عرفوا الحق، واطمأنوا إليـه، وباشـر الإيمـان قلـوبهم،

[1] (?) مجمو الفتاوى 13/159.
[2] (?) سورة الأعراف الآيات 120-126.

أعلنوا ذلك بالقول والفعل فسجدوا لله و ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔﭼ وحتى لا يتوهم أحد بأن المقصـود من الإلـه هـو فرعـون، لأنه كان قد أثبت ذلك لنفسه: أضافوا قائلين: ﭽﭕ ﭖ ﭗﭼ.

ثانيا- أنه لما توعدهم فرعـون بقطـع أيـديهم وأرجلهم على خلاف وصلبهم أجمعين آثـروا ذلـك على العـودة إلى الكفــر وفقــدان الســعادة الــتي تحققت لهم من خلال إيمانهم بربهم وردّوا قائلين: ﭽﭫ ﭬ ﭭ ﭮﭼ قال ابن كثير: (أي: قد تحققنا أنا إليه راجعون وعذابه أشـد من عـذابك، ونكاله على ما تـدعونا إليـه اليـوم ومـا أكرهتنـا عليـه من السـحر أعظم من نكالـك، فلنصـبرن اليـوم على عـذابك لنخلص عن عذاب الله)[1]. وهذا الذي ذكره ابن كثـير هـو معـنى القاعـدة السـابقة في إيثـار أعلى المحبـوبين على أدناهما واحتمال أدنى المكروهين للتخلص من أعلاهما ...[2]

وقال البيضـاوي -رحمـه اللـه-: (أي: إنا منقلبـون إلى ربنا وثوابه إن فعلت بنا ذلك، كأنهم استطابوه شغفاً على لقـاء الله)[3]. وقـد تقـدم أن التطلـع إلى رضـوان اللـه ﷻ ورجاء ما عنده من الثواب من أسباب الثبـات على الحــق وإيثاره على النفس[4].

---

[1] (?) تفسير ابن كثير 2/319.
[2] (?) انظر: ص 360.
[3] (?) تفسير البيضاوي 3/49.
[4] (?) انظر: ص 123.

ويوضح هذا الموقف، وهذا الإيثار قوله تعالى: چ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ﯨ ﯨ ﯩ ﯩ ... چ[1].

ثالثـا- دعـاؤهم اللــه ﻷ بالصــبر والثبــات على الحــق، بقولهم: چﮋ ﮌ ﮍ ﮎ چ.

قال الشوكاني -رحمه الله-: (الإفراغ: الصـبّ، أي اصببه علينا حتى يفيض ويغمرنا. طلبوا أبلغ أنـواع الصـبر، استعداداً منهم لما سينـزل بهم من العذاب من عدوّ الله، وتوطيناً لأنفسهم على التصلب في الحق، وثبـوت القـدم على الإيمان، ثم قالوا: چﮏ ﮐچ أي: توفنا إليك حـال ثبوتنا على الإسلام، غير محرّفين، ولا مبـدّلين، ولا مفتـونين)[2]. وفي هذا إشارة إلى حرصهم على إيمانهم وخوفهم عليه، وهو من آثار حلاوة الإيمان كما سـيأتي بيانـه في موضـعه إن شاء الله[3].

2- ثبات ماشطة بنت فرعون

روى الإمام أحمد وغـيره عن ابن عبـاس رضـي اللــه عنهما قــال: قــال رســول الله ﷺ: «لما كــان الليلة التي أسري بي فيها أتت عليّ رائحة طيبة فقلت: يا جبريل، ما هــذه الرائحة الطيبة؟ فقــال هــذه رائحة ماشــطة ابنة فرعــون وأولادها. قــال: قلت: وما شــأنها؟ قــال: بينا هي تَمْشُـط ابنة فرعــون ذات يــومٍ إذ ســقطت المِــدْرَى من يــديها، فقــالت: بسم الله. فقــالت لها ابنة فرعــون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي وربُّ أبيك الله . قالت: أخبره بذلك، قالت: نعم. فأخبرته، فدعاها فقال: يا فلانة، وإن لك ربّــا

---

[1] (?) سورة طه الآيات 72-73.

[2] (?) فتح القدير للشوكاني 2/235.

[3] (?) انظر: ص 394.

غـيري؟ قـالت: نعم، ربي وربك الله. فـأمر ببقـرةٍ من نحـــاس فأُحْمِيَتْ ثم أمر بها أن تُلقى هي وأولادها فيها، قـالت له: إنّ لي إليك حاجة. قـال: وما حاجتك؟ قـالت: أحب أن تجمع عظـامي وعظـام ولدي في ثـوب واحد وتـدفننا. قـال: ذلك لك علينا من الحق. قـال: فـأمر بأولادها فأُلقوا بين يديها واحـدا واحـدا إلى أن انتهى ذلك إلى صـبي لها مُرْضَـع، كأنها تقاعست من أجله، قـال: يا أُمَّهْ، اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عـذاب الآخـرة فاقتحمت »[1].

وفي روايـة أنـه قـال: « يا أمتـاه اثبـتي فإنك على الحق»[2].

والقصة ظاهرة الدلالة على الثبات على الحق وإيثار ذلك على النفس، حيث ثبتت ماشـطة بنت فرعـون من حين انكشف أمرها بـإخلاص العبـادة لله وحـده، ولم تهتم بما قد يحصل لها إذا علم فرعـون بـذلك، وعند ما أرادت أن تتقـاعس ذكّرها ولـدها بالثبـات وضـرورة إيثـار أدنى العـذاب على أشـدها، وتحمل أدنى المكـروهين للتخلص من أعلاهما وفقا للقاعدة المتقدمة.

3- ثبات أصحاب الأخدود

وهم قوم أخـبر عنهم القـرآن بـأنهم كـانوا فُتنـوا على إيمـانهم وحُرقـوا بالنـار ليرتـدوا عن الإيمـان، فاختـاروا الإيمان على النار.

قال تعالى: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ[3].

وفي صـحيح مسـلم حـديث طويل عن صـهيب عن رسـول الله وفيـه: «أن ملكا فيمن كـان قبلكم ... أمر

---

[1] (?) رواه الإمـام أحمد في المسـند 1/309، وقـال محققو الموسوعة الحديثية للمسند (5/31): "إسناده حسن" .

[2] (?) صحيح ابن حبان 7/163، وقال محققه شـعييب الأرنـؤوط: "إسناده قوي".

[3] (?) سورة البروج الآيات: 4-8.

بالأخدود في أفواه السِّكك، فخُدَّت وأضْرَمَ النِّيرَان، وقال: من لم يرجع عن دينه فأحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمَّهِ، اصبري فإنك على الحق»[1].

**4- ثبات بلال بن رباح **

قال ابن هشام: (وكان بلال مولى أبي بكر رضي الله عنهما لبعض بني جُمح مولدا من مُوَلِّديهم، وهو بلال بن رباح، وكان اسم أمه حمامة، وكان صادق الإسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا، والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزّى، فيقول: وهو في ذلك البلاء: أحد أحد)[2].

وروى ابن ماجه وغيره عن عبد الله بن مسعود قال: «كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله

---

[1] (?) رواه مسلم كتاب الزهد والرقائق باب قصة أصحاب الأخدود ... حديث 3005.

[2] (?) السيرة النبوية لابن هشام 2/159.

وأبو بكر وعمار وأمه سمية وصهيب وبلال والمقـداد، فأما رسـول الله فمنعه الله بعمه أبى طـالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سـائرهم فأخـذهم المشـركون وألبسوهم أدرع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحد إلا وقد واتـاهم على ما أرادوا إلا بلالا، فإنه قد هـانت عليه نفسه في الله وهـان على قومه، فأخـذوه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شـعاب مكة وهو يقول: أحد أحد»[1].

هذا من أروع النماذج في الثبات، فـإن بلالاً كما أخـبر ابن مسعود قد هانت نفسه في الله" لما تمكن الإيمـان في قلبه وذاق حلاوة التوحيد، فامتزج مرارة العذاب بهذه الحلاوة، فصـار لا يحس بعـذاب بل كل ما عـذب في الله وجد لسانه يـردد شـعار التوحيـد: "أحد أحـد"، فهي كلمـة تخرج من قلبه إلى ظاهر لسانه ثم تعود إلى بـاطن قلبـه، فيتمكن فيه مرة أخرى ويسـتولي على جوارحه[2]، فـيزداد قوة وصلابة لتحمل المزيد من الأذى، لذا لم يجـد أميـة بن خلف فائـدة في تعذيبـه، لأنـه لم يكن ليجيبـه إلى مـراده،

---

1 (?) رواه ابن ماجه في المقدمة بـاب فضـائل بلال حـديث 150، وقال محققه: "إسـناده ثقـات" ورواه الإمـام أحمد في المسند 1/404 وقال محققو الموسـوعة (6/382):ـ "إسـناده حسن" ورواه ابن حبـان في صـحيحه 15/558. والحـاكم في المستدرك 3/320. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجـاه ووافقه الذهبي قي التلخيص. وقد حسـنه الشـيخ الألبـاني في صـحيح سنن ابن ماجه 1/30.

2 (?) انظر: ص 105.

فقرر التخلص منه، وذلك ببيعه لأبي بكر الذي اشتراه وأعتقه.

**5- ثبات آل ياسر **

قال ابن إسحاق: (وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه، وكانوا أهل بيت إسلام إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة، فيمر بهم رسول الله فيقول - فيما بلغني-: صبرا آل ياسر موعدكم الجنة، فأما أمه فقتلوها وهي تأبى إلا الإسلام)[1].

وروى الحاكم بسنده عن جابر «أن رسول الله مرّ بعمّار وأهله وهم يُعذبون فقال: أبشروا آل عمار وآل ياسر، فإن موعدكم الجنة»[2].

**6- ثبات الزبير بن العوام **

عن أبي الأسود قال: (أسلم الزبير بن العوام وهو ابن ثماني سنين، وهاجر وهو ابن ثمان عشرة سنة، كان عم الزبير يعلق الزبير في حصير ويدخن عليه النار، وهو يقول: ارجع إلى الكفر، فيقول الزبير: لا أكفر أبدا)[3].

---

1 (?) السيرة النبوية لابن هشام 2/162.

2 (?) رواه الحاكم في المستدرك 3/438، وقال: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي في التلخيص. وقال الشيخ الألباني في تحقيقه لفقه السيرة لمحمد الغزالي ص 103: "حسن صحيح".

3 (?) حلية الأولياء 1/89.

7- ثبات الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-

وذلك أنه لما كـان عهد الخليفة العباسي "المـأمون" اسـتحوذ عليه جماعة من المعتزلة فـأزاغوه عن طريق الحق إلى الباطـل، وزينـوا له القـول بخلق القـرآن، فأخذ يحمل النـاس على هـذا القـول، وأرسل بـذلك إلى نائبه ببغـداد إسـحاق بن إبـراهيم، وأمـره أن يـدعو النـاس إلى القول بخلق القرآن، وأن يمتحن من لم يجبه إلى ذلك[1].

قال صالح بن الإمـام أحمـد: (ثم امتحن القـوم، فوجـه بمن امتنع إلى الحبس، فأجاب القوم جميعا غير أربعة: أبي ومحمد بن نوح، وعبيد اللـه بن عمـر القـواريري، والحسـن بن حماد سجادة، ثم أجاب عبيد الله بن عمر، والحسـن بن حماد، وبقي أبي ومحمد بن نـوح في الحبس، فمكثـا أيامـا في الحبس، ثم ورد الكتاب من طرسوس بحملهمـا، فحملا مقيدين زميلين) [2].

وقد مات محمد بن نوح في طريق عودتهما إلى بغـداد بعد أن جاء الخبر بموت مأمون، فبقي الإمـام أحمـد وحـده المتمسـك بـالحق، بينمـا أجـاب جميـع العلمـاء مُكْـرَهين متأولين قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﭼ[3]. وقد لقي الإمام في سـبيل ذلـك أنواعـا من المِحَن في عهـد المعتصـم والواثـق باللـه من الضـرب الشـديد والحبس الطويـل، والتهديـد بالقتـل وسـوء العـذاب، وصـبر على كـل ذلـك

---

1 (?) انظـر: منـاقب الإمـام أحمد ص 417، والبداية والنهاية 10/332.

2 (?) مناقب الإمام أحمد ص 420، سير أعلام النبلاء 11/238.

3 (?) سورة النحل الآية: 106.

متمسكا بما كـان عليـه من الحـق القـويم من أن القـرآن كلام الله غير مخلوق[1].

وهذا الثبـات والإيثـار من بـراهين قـوة الإيمـان وذوق حلاوته في القلب، وقد ذكر ابن كثير قصـة الإمـام أحمـد هذه ثم قارنها بحديث حلاوة الإيمان مستدلا بما جـاء فيـه من قول النبي : «وأن يقذف في النار أحب إليــه من أن يرجـع إلى الكفر» وهـذا كـان حـال الإمـام أحمـد -رحمـه الله-، فـإن الضـرب والحبس والقيـود الثقيلـة على يديـه ورجليه بل حتى الموت كـان أحب إليـه من القـول بخلـق القرآن[2].

ومن مواقفه وأقواله الدالة على ثباته ما يلي:

ما روي عن أبي معمر القطيعي أنه قال: (لمـا حضـرنا في دار السلطان أيام المحنة، وكان أبو عبد اللـه بن حنبـل قد أحضر، وكان رجلا ليِّناً، فلما رأى الناس يجيبـون انتفخت أوداجه، واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين الـذي كـان فيـه، فقلت: إنــه غضــب للــه)[3]. وقــد تقــدم الحــديث في أن الغضـــب في اللـــه والحب في اللـــه من علامـــات حلاوة الإيمان[4].

ومن ذلك قوله: (لست أبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحـــد، ولا قتلا بالســـيف، إنما أخـــاف فتنة الســـوط، فسمعه بعض أهل الحبس، فقال: لا عليك يا أبا عبد اللـه،

---

1 (?) انظـــر: ســـير أعلام النبلاء 11/242، والبداية والنهاية 10/231.

2 (?) انظر: البداية والنهاية 10/231.

3 (?) مناقب الإمام أحمد ص 420، سير أعلام النبلاء 11/238.

4 (?) انظر: ص 61، 146.

فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سُرِّي عنه)[1].

وقد قيل له: يا أبا عبد الله، أو لا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟ قال: كلا، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة، وقلوبنا بعد لازمة للحق[2].

رحم الله هذا الإمام الجليل، فقد صار مثلا يضرب به في المحنة والصبر على الحق، وصار علما لأهل السنة الجائين بعده من جميع الطوائف، كلهم يوافقه في جمل أقواله وأصول مذاهبه، لأنه حفظ على الأمة الإيمان الموروث والأصول النبوية ممن أراد أن يحرفها ويبدلها[3].

---

1 (?) مناقب الإمام أحمد ص 427-428، سير أعلام النبلاء 11/240.

2 (?) مناقب الإمام أحمد ص 421-428، سير أعلام النبلاء 11/238.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 12/358، 439.

المبحث الرابع:
أثر حلاوة الإيمان في تحقيق السعادة والطمأنينة في الحياة

إن السعادة وطمأنينة الحيـاة هي الغاية الـتي يسـعى إليها كل إنسان، ولأجلها يبذل كل نفيس، فلا معنى لحيـاة لا سـعادة فيها ولا طمأنينـة، لـذا تجد الكثـير من البـاحثين قــديما وحــديثا قد تطرقــوا لموضــوع الســعادة بحثا عن ماهيتها وأسباب تحصيلها لينعموا بحيـاة سـعيدة في هـذه الـدنيا. ولكنهم اختلفـوا في ذلك اختلافا كبـيرا، فمنهم من ظن أن السـعادة الحقيقيـة في المـال والغـنى والـثروة، ومنهم من جعلها في صـنوف اللـذات الجسـدية والإباحيـة ومنهم من طلبها في السلطة والرياسة، وآخرون طلبوهـا في نيـل الشـهرة، وغيرهـا من الأمـور الدنيويـة والماديـة التي لا تحقق السعادة الحقيقية التي تتطلع إليها النفوس، فقد أكد المجربون والذين عاشوا مع هـؤلاء الأصـناف من الناس أن لا سعادة في حياتهم، وأنهم وإن حصل لبعضهم بعض الكمال في جانب معين تبقى جـوانب أخـرى كثـيرة ناقصة، ما يجعلهم يعيشون حياة التعاسة والشقاء[1].

والسعادة كمـا عرفهـا أهـل العلم هي ضـد الشـقاوة، يقـال: سَـعِد الرجـل وهو سـَعِيدٌ ومَسْـعودٌ وأسْـعَدَهُ الله وقوم سعداء إذا عاشوا عيشا سعيدا لا شقاء فيه[2].

---

1 (?) انظر: طريق السعادة د. مقـداد يـالجن ص 6-9، الإيمـان والحياة د. يوسف القرضاوي ص 74-81.

2 (?) انظر: القاموس المحيط 1/421، ومفردات ألفاظ القرآن ص 410.

قـال الـراغب الأصـفهاني: (والسـعادة معاونة الأمـور الإلهية للإنسان على نيل الخير، ويضادها الشــقاوة)[1]. ثم جعلها على ضربين: سعادة دنيوية وسعادة أخروية، وجعل الســعادة الدنيويــة على ثلاثــة أضــرب: نفســية وبدنيــة وخارجية[2].

وقــال الــدكتور مقــداد يــالجن: (الســعادة هي ذلــك الشعور المستمر بالغبطة والطمأنينة، والأريحية، والبهجة، وهــذا الشــعور نتيجــة للإحســاس الــدائم بخيريــة الــذات وخيرية الحياة وخيرية المصير)[3].

فالســعادة في الجملــة تــدور حــول تحقيــق الأمن والراحة النفسية وطمأنينة القلوب والبعد عما يضاد ذلـك، وهو فقـدان الأمن والطمأنينـة ومـا يصـاحبها من الهمـوم والأحزان وغيرهـا. فهي إذن تقـوم على أمـرين: أحـدهما: السـبب المـوجب للسـعادة، والثـاني: البعـد عمـا ينـافي السعادة ويكدرها. ومن حقق الأمرين فقـد ذاق السـعادة، ولكن كثيرا من الناس قد أخطئوا طريقهـا وخاضـوا فيمـا ظنوا فيه سعادتهم، ثم خابوا وخسروا.

وإن صاحب الفطرة السليمة مدرك تماما حاجتـه إلى المصدر الإلهي الذي يـبين لـه حقيقـة السـعادة وأسـبابها، وهـذا مـا يؤكـد لنـا أن أول خطـوة لنيـل السـعادة وطيب الحياة هي الإيمان بالله ، والاستجابة للوحي، فالمؤمنون باللــه ورســوله هم الــذين وقعــوا على طريــق الســعادة، وبقدر تحقيقهم متطلبات الإيمان ولوازمه، يجنون ثمرتــه، ويذوقون حلاوته، فتطيب بها حياتهم، وتطمئن بها قلوبهم، وترتاح إليها نفوسهم.

---

1 (?) مفردات ألفاظ القرآن ص 410.

2 (?) انظر: مفردات ألفاظ القرآن ص 460.

3 (?) طريق السعادة ص 23.

قال شيخ الإسلام: **(فإن الإيمان بالله ورسوله هو جماع السعادة وأصلها)**[1].

وقد دلت على ذلك نصوص القرآن والسنة وأقوال أهل العلم والسلف الصالح رحمهم الله، أذكر منها ما يلي:

1- قوله تعالى: ﭼ ﯦ ﯧ ﯨ □ □ □ □ □ □ □ □ ﭽ[2].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (والآية نفت مسمى الضلال والشقاء عن متبع الهدى مطلقا، فاقتضت الآية أنه لا يضل في الدنيا ولا يشقى، ولا يضل في الآخرة ولا يشقى فيها ... وأما نفي شقاء الدنيا، فقد يقال: إنه لما انتفى عنه الضلال فيها وحصل له الهدى والهدى فيه من برد اليقين وطمأنينة القلب، وذاق طعم الإيمان فوجد حلاوته، وفرحة القلب به وسروره والتنعيم به، ومصير القلب حيّاً بالإيمان مستنيراً به قويّاً به، قد نال به غذاؤه ورواءه وشفاءه وحياته ونوره وقوته ولذته ونعيمه ما هو من أجل أنواع النعيم وأطيب الطيبات وأعظم اللذات)[3].

2- وقال تعالى: ﭼ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭽ[4].

قال السعدي -رحمه الله-: (فرتب على اتباع هداه أربعة أشياء: نفي الخوف والحزن، ... وإذا انتفيا، حصل ضدهما، وهو الأمن التام، وكذلك نفي الضلال والشقاء عمن اتبع هداه، وإذا انتفيا ثبت ضدهما، وهو الهدى والسعادة، فمن اتبع هداه حصل له الأمن والسعادة

---

1 (?) مجموع الفتاوى 20/193.

2 (?) سورة طه الآية: 123.

3 (?) مفتاح دار السعادة 1/58، 59.

4 (?) سورة البقرة الآية: 38.

الدنيوية والأخروية والهــدى، وانتفى عنه كل مكــروه، من الخـــوف، والحـــزن، والضـــلال، والشـــقاء، فحصل له المرغوب، واندفع عنه المرهوب، وهـذا عكس من لم يتبع هداه، فكفر به، وكذب بآياته)[1].

3- وقال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭼ[2].

(أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، لــه، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يـوم القيامـة، المهتـدون في الدنيا والآخرة) [3]. فدل ذلك على أن التوحيد الخالص سـبب للأمن والطمأنينـة في الحيـاة، والشـرك والكفـر والمعاصي سبب لفقـدان الأمن والطمأنينـة، الأمـر الـذي يوجد الشقاء الدائم.

4- وقال تعالى: ﭽ □ □ □ □ □ □ □ ﭼ[4].

قال ابن كثير -رحمه الله-: (أي: ضـنكا في الـدنيا، فلا طمأنينة لـه، ولا انشـراح لصـدره، بل صـدره ضـيق حَـرَج لضـلاله، وإن تَنَعَّم ظـاهره، ولبس ما شـاء وأكل ما شـاء، وسـكن حيث شــاء، فــإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهـدى، فهو في قلق وحـيرة وشـك، فلا يـزال في ريبة يتردد. فهذا من ضنك المعيشة)[5].

وهكذا دلت مجموع هذه الآيـات على حصـول سـعادة العبد بتحقق أسبابها، وهو اتباع الهدى والذكر، والمقصود: كتاب الله الذي أنزله على نبيه ﷺ، فـإن من أخـذ بـه هـدي وسـعد، ومن تركـه ضـل وشـقي، وقـد تقـدم بيـان ذلـك

---

1 (?) تفسير السعدي ص 50.
2 (?) سورة الأنعام الآية: 82.
3 (?) تفسير ابن كثير 2/207.
4 (?) سورة طه الآية: 124.
5 (?) تفسير ابن كثير 3/226.

بالتفصيل في حلاوة الإيمان بالكتب، وحلاوة تلاوة القــرآن وتدبره[1].

5- ومن الآيــات الصــريحة في اشــتراط الإيمــان لتحقيق الحياة السعيدة، قوله تعالى: ﭽ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﭼ[2].

قال ابن القيم: (فهذا خبر أصـدق الصـادقين ومخـبره عند أهله عين اليقين بل هو حق اليقين، ولا بد لكل من عمل صــــالحا أن يحييه الله حيـــــاة طيبة بحسب إيمانه وعمله، ولكن يغلط الجفــاة الأجلاف في مســمى الحيــاة حيث يظنونها التنعم في أنــــــواع المآكل والمشــــــارب والملابس والمناكح، أو لذة الرياسة والمال، وقهر الأعداء والتفنن بأنواع الشهوات، ولا ريب أن هـذه لـذة مشـتركة بين البهائم، بل قد يكون حظ كثـير من البهـائم منها أكـثر من حظ الإنسان، فمن لم تكن عنـده لـذة إلا اللـذة الـتي تشاركه فيها السباع والدواب والأنعـام فـذلك ممن ينـادى عليه من مكان بعيد ...)[3].

وقـد بين السـعدي سـبب تنعم من جمـع بين الإيمـان والعمل الصـالح بالحيـاة الطيبـة، فقـال: (فـإن المؤمـنين بالله الإيمـان الصـحيح، المثمـر للعمـل الصـالح، المصـلح للقلـوب والأخلاق والـدنيا والآخـرة، معهم أصـول وأسـس يتلقـون فيهـا جميـع مـا يـرد عليهم من أسـباب السـرور

---

1 (?) انظر: ص 168 وص 259.
2 (?) سورة النحل الآية: 97.
3 (?) مفتاح دار السعادة 1/59.

والابتهاج، وأسباب القلق والهمّ والأحزان، يتلقون المحابّ والمسارّ بقبول لها وشكر عليها واستعمال لها فيما ينفـع، فإذا استعملوها على هذا الوجـه، أحـدث لهم من الابتهـاج بها، والطمع في بقائها وبركتها، ورجـاء ثـواب الشـاكرين، أمورا عظيمة تفوق بخيراتها وبركاتها هذه المسرات التي هذه ثمرتها)[1].

ومن دلالة السنة على أصـول السـعادة قولـه : «إني قد تــركت فيكم شــيئين لن تضــلوا بعــدهما كتــاب الله وسنتي»[2]. ففي هـذا الحـديث نفى الضـلال عمن عمل بكتــاب الله وســنته ، وذلك يســتلزم إثبــات الضد وهو الهـدى المســتلزم لسـعادة الـدنيا وطيب الحيـاة والنعيم العاجل[3].

قال شيخ الإسلام: (قاعدة نافعة في وجوب الاعتصام بالرسالة وبيان أن السعادة والهدى في متابعة الرسـول وأن الضــلال والشــقاء في مخالفته، وأن كل خــير في الوجود إما عـام وإما خـاص، فمنشـأه من جهة الرسـول، وأن كل شر في العــالم مختص بالعبد، فســببه مخالفة الرسول، أو الجهل بما جــاء به، وأن ســعادة العبــاد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة)[4].

---

1 (?) الوســائل المفيــدة للحيــاة الســعيدة ضــمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي ص 483.

2 (?) رواه الإمــــام مالك في الموطأ 2/899 والحــــاكم في المستدرك 1/172، والدارقطني في سننه 4/245، وحسـنه الشيخ الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح 1/40.

3 (?) انظر: مفتاح دار السعادة 1/61.

4 (?) مجموع الفتاوى 19/93.

يتبين من كـل مـا تقـدم أن السـعادة إنمـا تكـون لمن آمن بالله ورسـوله ثم عمـل بمقتضـى هـذا الإيمـان من توحيد الله وعبادته على طريقة رسوله ، والقيام بكل مـا أمر الله به ورسوله والانتهاء عن كل مـا نهى اللـه عنـه ورسوله، وبذلك تحصل السـعادة والطمأنينـة في الحيـاة، وقـد تقـدم في بيـان مـا يحققـه العبـد من لـذة النفـوس وسعادة القلوب من خلال تحقيق أصول الإيمـان وأركانـه، وتحقيـق عبوديـة القلـوب مثـل الخـوف والرجـاء والصـبر والرضا، وعبودية الجوارح مثل الصـلاة والصـيام والجهـاد، وعبودية اللسان مثل الذكر وقراءة القرآن وغيرهما، ومن عرف حقيقة السعادة الـتي يجـدها صـاحب لـذة الإيمـان، جعل حياته كلها في نيـل هـذه اللـذة والعمـل على بقائهـا وعدم زوالها، وذلك أن السعادة الحقيقية تكون في جمال القلوب والأرواح بزينة الإيمـان، وليس في جمـال الأبـدان والأجساد بأنواع من المآكل والمشارب والملابس.

قـال ابن رجب -رحمـه اللـه-: (وأما الـروح ... فقوتها ولـــــذتها وفرحها وســــرورها في معرفة خالقها وبارئها وفاطرها، وفي ما يقـــرب منه من طاعته في ذكـــره ومحبته، والأنس به والشـــوق إلى لقائه، فهـــذا هو عيش النفس وقوتها، فـــإذا فقـــدت ذلك مرضت وهلكت أعظم مما يهلك الجسد بفقد طعامه وشراب، ولهـذا يوجد كثـير من أهل الغنى والسعة يعطي جسده حظه من التنعيم ثم يجد ألما في قلبه ووحشة، فيظنه الجهـال أن هـذا يـزول بزيـادة هـذه اللـذات الحسـية، وبعضـهم يظن أنه يـزول

بإزالة العقل بالسكر، وكل هذا يزيد الألم والوحشة، وإنما سببه أن الروح فقـدت قوتها وغـذاءها فمرضت وتـألمت) [1].

وقال السعدي -رحمه الله-: (فاعلم أن أصول اللذات المطلوبـة: أولاً: راحة القلـوب وسـكونها، وفرحها وبهجتها وزوال همومها وغمومهـــا، ثانيـــا: القناعة والطمأنينة بما أوتيه العبد من المطـالب الجسـدية، ثالثـا: اسـتعمال ذلك على وجه يحصل به الســرور والاغتبــاط، فهــذه الأمــور الثلاثة من رُزِقها واســتعملها على وجهها فقد نــال كل ما تعلق به طمع الطامعين، فـإن جميع اللـذات ترجع إلى ما ذكرنا.

فأما لـذات القلـوب وحصـول سـرورها وزوال كدَرِها، فإنما أصل ذلك بالإيمـــان التـــام بما دعا الله عبـــاده إلى الإيمـــان به من الإيمـــان بتوحـــده بجميع نعــوت الكمـــال وامتلاء القلب من تعظيمه وجلاله، ومن التأله له وعبوديته والإنابة إليه، وإخلاص العمل الظـــاهر والبـــاطن لوجهه الأعلى، ... فمن أوتي هذه الأمور فقد حصل لقلبه من الهداية والرحمة والنـــور والســـرور، وزوال الأكـــدار والهمـوم والغمـوم ما هو نمـوذج من نعيم الآخـرة، وأهل هذا الشأن لا يغبطون أرباب الدنيا والملـوك على لـذاتهم ورياساتهم، بل يرون ما أعطوه من هذه الأمـور يفـوق ما أعطيه هـؤلاء بأضـعاف مضـاعفة. وهـذا النعيم القلـبي لا يعرفه حق المعرفة إلا من ذاقه وجربه فإنه كما قيل :

---

1 (?) شــرح حــديث لبيك ضــمن مجمــوع رســائل ابن رجب 4/108.

من ذاق طعم نعيم القــــــوم يُدْريه ... ومن دَرَاه غدا بالرُّوحِ يَشْريه

فهذا إشارة لطريق هذا النعيم القلـبي الـذي هو أصل كل نعيم)[1].

وقد بين ابن القيم أثر حلاوة الإيمـان في زوال موانـع السعادة من القلب فقال: (ففي القلب شَعَث، لا يلمه إلا الإقبــال على الله، وفيه وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفيه حـزن، لا يذهبه إلا السـرور بمعرفته وصـدق معاملته، وفيه قلق، لا يسـكنه إلا الاجتمـاع عليه، والفـرار منه إليه، وفيه نيران حسرات، لا يطفئها إلا الرضى بأمره ونهيه وقضـائه ومعانقة الصـبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه طلب شــديد، لا يقف دون أن يكــون هو وحـــده مطلوبه، وفيه فاقة، لا يَســــــُدها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكــره وصــدق الإخلاص له، ولو أعطي الــدنيا وما فيها لم تُسَدُّ تلك الفاقة منه أبدا)[2].

كمـا عـد -رحمـه اللـه- حيـاة من ذاق حلاوة الإيمـان أطيب الحيـاة وأسـعدها، بـل إنهـا هي الحيـاة الحقيقيـة، فقال: (فأطيب الحياة على الإطلاق: حياة هذا العبد، فإنه محب محبوب، متقرب إلى ربه، وربه قريب منه، قد صار لــه حبيبــه لفــرط اســتيلائه على قلبــه، ولهجــه بــذكره، وعكوف همته على مرضاته، بمنزلة سمعه وبصره، ويـده ورجله، وهـذه آلات إدراكـه وعملـه وهمتـه وسـعيه، فـإن

---

1 (?) انتصـار الحق ضـمن المجوعة الكاملة لمؤلفـات الشـيخ السعدي 5/ج2ص411-412.

2 (?) مدارج السالكين 3/172.

سمع سمع بحبيبه، وإن أبصر أبصر به، وإن بطش، بطش به، وإن مشى مشى به ... فهـذه الحيـاة هي حيـاة الـدنيا ونعيمها في الحقيقية، فمن فقدها ففقده لحياته الطبيعية أولى به)[1].

ثم قـال: (فلا عيش إلا عيش المحـبين الـذين قـرت أعينهم بحبيبهم، وسكنت نفوسهم إليه، واطمأنت قلـوبهم به، واستأنسـوا بقربـه، وتنعمـوا بحبـه، ... ومن لم يظفـر بذلك فحياته كلها هموم وغموم، وآلام وحسرات)[2].

وعقد -رحمه الله- مقارنة بين ما يحصل لأهـل الكفـر والعصيان من شقاء وآلام وحسرات وبين ما يحصل لأهل حلاوة الإيمـان من نعيم وارتيـاح، فقـال: (فـأين هـذا من نعيم من يرقص قلبه طربـاً وفرحـاً وأنسـاً بربـه واشـتياقا إليه، وارتياحا بحبه، وطمأنينة بذكره؟ حتى يقـول بعضـهم في حال نزعه: واطرباه، ويقول الآخر: إن كان أهل الجنة في مثل هذا الحال، إنهم لفي عيش طيب)[3].

---

1 (?) مدارج السالكين 3/281-285.
2 (?) مدارج السالكين 3/285.
3 (?) الداء والدواء ص 161.

ومن أقـــوال الســـلف في بيـــان أثر حلاوة الإيمان في تحقيق السعادة ما يلي:

1- قال الحسن البصري -رحمـه اللـه-: (إن أحبـاء الله هم الذين ورثوا طيب الحياة وذاقـوا نعيمها بما وصـلوا إليه من مناجاة حبيبهم وبما وجدوا من حلاوة حبه في قلوبهم) [1].

2- وعن صـالح بن عبد الجليل -رحمـه اللـه-[2] قـال: (ذهب المطيعون لله بلذيذ العيش في الدنيا والآخرة) [3].

3- وقـــال إبـــراهيم بن أدهم لأبي يوسف[4]: (يا أبا يوسف، لو علم الملـوك وأبنـاء الملـوك ما نحن فيه من السرور والنعيم، إذن لجالدونا على ما نحن فيه بأسـيافهم أيـــام الحيـــاة، على ما نحن فيه من لـــذة العيش، وقلة التعب). فرد عليه أبو يوسف وقال: (يا أبا إسـحاق، طلب القـــوم الراحة والنعيم، فـــأخطئوا الطريق المســـتقيم، فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟)[5].

---

1 (?) شرح حديث لبيك ضمن مجمـوع رسـائل ابن رجب 4/126.

2 (?) صالح بن عبد الجليل البصري من قـدماء مشـايخ بغـداد، ذكـره ابن أبي حـاتم وقـال: "كـان واعظا زاهـدا روى عنه أبو سليمان الداراني" (انظر: الجرح والتعديل 4/408).

3 (?) حلية الأولياء 8/317، تاريخ دمشق 53/257.

4 (?) هو أبو يوسف الغسولي، واسـمه يعقـوب بن المغـيرة من عبـاد أهل الثغر ممن كـان لا يأكل إلا الحلال المحض فـإن لم يجده استف الرملة، له مقدار خمسة أحاديث مسـندة (الثقـات لابن حبان 9/284).

5 (?) حلية الأولياء 7/370-371.

4- وعن عبد الله بن المبارك -رحمه الله- قال: (أهـل الدنيا خرجوا من الدنيا، قبـل أن يتطعمـوا أطيب مـا فيها، قيل له: وما أطيب ما فيها؟ قال: المعرفة بالله)[1].

5- وعن يحيى بن معاذ – وهـو يصـف حالـه مـع ربـه- قال: (هذا سروري بك خائفا فكيف سروري بك آمنا؟ هذا سـروري بك في المجـالس، فكيف سـروري بك في تلك المجالس؟ هذا سـروري بك في دار الفنـاء، فكيف يكـون سروري بك في دار البقاء؟)[2].

6- وقد تقدم عن شيخ الإسلام وصفه لما أعطـاه الله من السرور والبهجة والأنس بالله حتى إن السجن الذي يعده الإنسان همّاً وحزناً، هو بالنسبة له خلوة للمزيد من الطاعة والتلذذ بالعبادة، قـال: (ما يصـنع أعـدائي بي؟ أنا جنـــتي وبســـتاني في صـــدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شـهادة، وإخـراجي من بلدي سياحة)[3].

وهـذا السـرور والسـعادة السـرمدية المطلقة الـتي يجب على العاقل أن يؤثرها على غيرهـا، وأسـعد النـاس على الإطلاق من جمع الله له بين السعادتين.

---

[1] (?) حلية الأولياء 8/167.
[2] (?) صفة الصفوة 4/97.
[3] (?) الوابل الصيب ص 109.

المبحث الخامس
أثر حلاوة الإيمان في تزكية النفس وتهذيب السلوك والأخلاق

إن من أعظم آثار حلاوة الإيمـان مـا تصـنعه في نفس صاحبها من التزكية والتنقيـة لهـا من الرذائـل، ومـا يظهـر عليـه من طيب السـلوك والأخلاق، فيجمـع من ذاق حلاوة الإيمـان بين طهـارة البـاطن وجمالـه بالإيمـان، وطهـارة الخارج وجماله بالأخلاق الحميدة، فإنـه قـد ثبت بـالنص أن لا صلاح للخارج إلا بصلاح الباطن كمـا يـدل عليـه قولـه ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضـغة إذا صـلحت صـلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب ...» [1].

قال ابن القيم: (وإذا كانت حياة القلب حياة طيبة تبعتـه حياه الجوارح، فإنه ملكها) [2].

أما حياة القلب، فتكون بزكاتها، وأصل الزكاة: النمــاء والزيادة والبركة.

قـال شـيخ الإسـلام: (الزكـاة: الزيـادة في الخـير، منـه يقال: زَكَـا الـزرع، وزكـا المـال إذا نمـا، ولن ينمـو الخـير إلا بترك الشر، والزرع لا يزكو حتى يزال عنـه الـدغل، فكـذلك النفس والأعمال لا تزكـو حـتى يـزال عنهـا مـا يناقضـها، ولا يكون الرجل متزكيا إلا مع ترك الشر)[3].

وقـال في موضـع آخـر: (فـإن الـتزكي هـو التطهـر والتبرك بترك السيئات الموجب زكـاة النفس) [4]، فزكـاة

---

[1] (?) تقدم تخريجه في ص 109.
[2] (?) مدارج السالكين 3/270.
[3] (?) مجموع الفتاوى 10/628-629.
[4] (?) مجموع الفتاوى 16/198.

النفس إذن تقـــوم على ركـــنين: الأول: تطهيرهـــا من الأوســاخ والرذائــل مثــل الشــرك والكفــر والمعاصــي، والثاني: تنميتة الخير فيها، وذلك بالإيمان والتوحيد وجميع الطاعات حتى يبلغ بها درجة الإحسان[1].

روى الطبري عن قتادة في تفسير قولـه تعـالى: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭼ[2] أنه قال: (قد أفلح من زكى نفسه بعمل صالح)[3].

وقال السعدي -رحمه الله-: ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰﭼ: (أي: طهر نفسه من الذنوب ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاّها بالعلم النافع والعمل الصالح)[4].

وإن لحلاوة الإيمـان أثـرا ظـاهرا في تحقيـق هـذين المطلبين، بل إن المقصود من حلاوة الإيمـان هـو طهـارة النفس وصحتها وحياتها ثم لـذتها، فالـذي يسـعى لتحقيـق حلاوة الإيمــان لا بــد لــه من تطهــير نفســه وتنقيتهــا من الــذنوب ثم تنميتهــا وترقيتهــا بالطاعــات، وإذا تــرقت بالطاعات بسطت النفس وانشرح الصدر، ويجد الإنســان في نفسه اتسـاعا وبسـطا، ثم طمأنينـة ولـذة وهي حالـة من ذاق حلاوة الإيمان.

وقد دل على ذلـك قولـه : «ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمـــان: من عبد الله وحـــده بأنه لا إله إلا هـــو،

---

[1] (?) انظـــر: منهج الإســـلام في تزكية النفس د. أنس أحمد كرزون ص 16.

[2] (?) سورة الشمس الآية: 9.

[3] (?) تفسير الطبري 24/456.

[4] (?) تفسير السعدي ص 926.

وأعطى زكـاة ماله طيبة بها نفسه في كل عـام، ولم يعط الهَرِمَةَ ولا الدرِنَـةَ ولا المريضة ولكن من أوسط أمـوالكم؛ فـإن الله لم يسـألكم خيرها ولم يـأمركم بشـرها، **وزكّى نفسه**» ، فقـــال رجل: وما تزكية النفس؟ فقـــال : «أن يعلم أن الله معه حيث كان»[1].

ففي أول الحــديث دلالــة على أن ذوق طعم الإيمــان سببه التوحيد وفعل أركان الإيمان ومبانيه العظام، ودل آخر الحديث على أن ذوق ذاك الطعم باعث على تطلب الزيادة منـه بزيـادة أسـباب الـتزكي، حيث قـال في آخـر الحـديث: «وزكى نفسه» ثم فســر هــذه التزكيــة بمراقبــة اللــه الحاملة على الإحسان بتكميل مراتب التقوى.

ويـدل عليـه كـذلك قولـه «ثلاث من كن فيـه وجـد حلاوة الإيمـان: أن يكـون اللـه ورسـوله أحب إليـه ممـا سـواهما، وأن يحب المـرء لا يحبـه إلا للـه، وأن يكـره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[2].

دل هــذا الحــديث على أثر حلاوة الإيمــان في تزكية النفوس من وجهين:

الأول: دلالته على تطهـير النفس وتنقيتها من الــذنوب والمعاصي، فقد عبر النـبي عن ذلك بقولـه: «وأن يكـره أن يعود في الكفر كما يكـره أن يقـذف في النـار»، وهـذه درجــة أعلى من مجــرد تطهـير النفس، فـإن ذلـك حاصـل

---

1 (?) رواه الطــبراني في المعجم الصــغير 2/185، وصــححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة 3/37.

2 (?) تقدم تخريجه في ص 32.

بمجرد ترك الذنوب والمعاصـي، وأما كراهيتها هـذا الكـره، فذلك أبلغ في التطهير.

والثـاني: دلالته على تنميتة النفس وترقيتها إلى أعلى درجـات الإيمـان وهي درجة الأحبية المعـبر عنها بقوله ﷺ: «أن يكـون اللـه ورسـوله أحب إليـه ممـا سـواهما» ومن أحب الله ورسوله هـذا الحب سـارع في الامتثـال بـأوامر الله ورسوله، الأمر الـذي تزكو به النفـوس، كما دل عليه قوله تعالى: ﭽ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ[1].

قال شيخ الإسـلام: (إن الـتزكي يحصـل بامتثـال أمـر الرسول ﷺ)، ثم ذكر الآية وقال: (فـالتلاوة عليهم والتزكيـة عـام لجميـع المؤمـنين وتعليم الكتـاب والحكمـة خـاص ببعضهم، وكذلك التزكي عام لكل من آمن بالرسول ﷺ)[2].

وفي هذا دليل على أن التزكية إنما تكون على المنهج الذي شرعه الله ورسوله ﷺ.

وأمـا مـا يفعلـه بعض أهـل البـدع من طلب التزكيـــة عن طريـــق الرياضة[3] والمجاهـــدة[4]

---

1 (?) سورة الجمعة الآية: 2.

2 (?) مجموع الفتاوى 16/185.

3 (?) الرياضة عند الصوفية هي إضعاف الجسم بالجوع والسهر وكثرة العبادة بقصد تقوية الـروح (انظـر: التصـوف بين الحق والخلق ص 171).

4 (?) المجاهـدة هي حمل النفس على المشـاق البدنية ومخالفة الهـوى ومحاربة الشـهوات بقصد تربية النفس وتـرويض الغرائز (انظـر: معجم مصـطلحات الصـوفية ص 181، التصـوف بين الحق والخلق ص 174).

والخلوة التي لم يجئ بها الرسول فهؤلاء كما قال ابن القيم: (كالمريض الذي يعالج نفسه برأيه، وأين يقع رأيه من معرفة الطبيب، فالرسل أطباء القلوب، فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم وبمحض الانقياد والتسليم لهم والله المستعان) [1].

وقال أيضا: (فصاحب الرياضات، والعامل بطريق الرياضات والمجاهدات والخلوات: هيهات هيهات، إنما يوقعه ذلك في الآفات، والشبهات، والضلالات، فإن تزكية النفوس مُسَلَّم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية ووَلاَّهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعليماً وبياناً وإرشاداً، لا خلقاً ولا إلهاماً، فهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم)[2].

وإذا تعالجت النفوس بما يغرس فيها من الإيمان والعمل الصالح، أثمر ذلك صلاح الظاهر وجماله بالأخلاق الفاضلة والسلوك الطيب، فالسلوك الظاهر هو المعبِّر عن صلاح النفس أو فسادها، فإذا طابت النفس وتهذبت، استقام السلوك الداخلي والخارجي، وارتقى الإنسان إلى درجة الكمال، كما قال النبي «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا»[3]. فجعل كمال الإيمان في كمال حسن الخلق[4].

وقد دلت نصوص كثيرة على أن حسن الخلق من أسباب كمال الإيمان.

ومن ذلك قوله : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[5].

---

1 (?) مدارج السالكين 2/328.

2 (?) مدارج السالكين 2/327.

3 (?) تقدم تخريجه في ص 328.

4 (?) مجموع الفتاوى 10/659.

5 (?) رواه البخاري كتاب الإيمان باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه حديث 13، ومسلم كتاب الإيمان باب الدليل

وقوله ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له»[1].

وقوله ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن». قيل ومن يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»[2]. وغير ذلك من النصوص.

وقد فسر النبي ﷺ البرّ بحسن الخلق، فقال : «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»[3].

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وهذا يدل على أن حسن الخلق هو الدين كله، وهو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام، ولهذا قابله بالإثم)[4].

وقال السعدي -رحمه الله-: (إن الإيمان يدعو إلى حسن الخلق مع جميع طبقات الناس ... وجماع حسن الخلق: أن يتحمل العبد الأذى منهم، ويبذل إليهم ما استطاع من المعروف القولي والبدني والمالي، وأن يخالقهم بحسب أحوالهم بما يحبون إذا لم يكن في ذلك محذور شرعي، وأن يدفع السيئة بالتي هي أحسن، ولا يقوم بهذا الأمر إلا المؤمنون الكمل; وإذا ضعف الإيمان أو نقص أو انحرف أثّر ذلك في أخلاق العبد انحرافا بحسب بعده عن الإيمان)[5].

على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه حديث 45.

1 (?) رواه الإمام أحمد في المسند 3/135، وقال محققو الموسوعة (19/376): "حديث حسن، وهذا إسناد رجاله ثقات" ، وصححه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير ص 1314.

2 (?) رواه البخاري كتاب الأدب باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه ح 6016.

3 (?) رواه مسلم كتاب البر والصلة والآداب باب تفسير البر والإثم حديث 2553.

4 (?) مدارج السالكين 2/319.

5 (?) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي رحمه الله ج 8/ 216.

فتبين بهذا أثر حسن الخلق في ارتقاء درجـة الإيمـان إلى الكمال، ومنـه إلى الأكمـل والأفضـل، وكلمـا ارتفعت درجة الخلق ارتفعت درجة الإيمان وازدادت حلاوته ولذتـه في القلب، وهذه الحلاوة بما تحملهـا من معـاني الكمـال والجمــال تنعكس مــرة أخــرى على الســلوك، فتظهــر بشاشــة القلب وبهجــة النفس ولــذة الــروح إلى جميــع سلوك العبد وأخلاقـه، تهـذبها وتقودهـا إلى هـذه المعـاني الجميلة، فتجده بشوشة الوجه، تشرق عليه نـور الإيمـان، يحب المرء لا يحبـه إلا للـه، ويكـره إيـذاءه كمـا يكـره أن يقذف في النار، ويخاف الله فيه، ويتسم بمكــارم الأخلاق من العفــة والكــرم والجــود والصــبر والحلم وغــير ذلــك، وكلما كانت هذه الأخلاق في شخصيته أكمل كـانت حياتـه في الدارين أهنأ وأتم.

المبحث السادس
أثر حلاوة الإيمان في تحصين القلب ضد أعمال الكفر والفسوق والعصيان

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: كراهية أعمـــال الكفر والمعاصي ومرارتها في القلب

المطلب الثـــاني: دفع الخطـــرات والوساوس وما يتولد عنهما من الشــبهات والشهوات

المطلب الثـالث: الخـوف على الإيمـان والعمل على حفظه

المطلب الأول
كراهية أعمال الكفر والمعاصي ومرارتها في القلب

تقـــــدم في تعريف الحلاوة أنها ضد المـــــرارة، وأن الإيمان ضـده الكفـر، فحلاوة الإيمـان إذن يقتضي النفـور من ضـده، فـإن من ذاق حلاوة الشـيء يكـره ضـده وهي مرارتـه، وكـذلك من ذاق حلاوة الإيمـان يكـره ضـده وهو الكفر، ومتى ما اقترف شيئا من شعب الكفر وجد مرارة ذلك في قلبه، فيكرهه أشد الكره.

قال السندي -رحمه اللـه-: (فالإيمـان لـذة في القلب تشبه الحلاوة الحسية بل ربما يغلب عليها حـتى يـدفع بها أشد المـرارت، وهـذا مما يعلم به من شـرح الله صـدره للإسلام)[1].

وهذه الكراهية للكفر وما يتبعه من المعاصي والفسوق هي من لـوازم حلاوة الإيمـان وموجباته من جهـة، وهي أثر من آثــار وجــود حلاوة الإيمــان وذوقها في القلب من جهة أخرى.

أما كونها من لــوازم حلاوة الإيمــان، فــذلك لورودها خصلة من الخصال الـتي من كنّ فيها وجد حلاوة الإيمـان كما في قوله ﷺ: «ثلاث من كن فيــه وجــد حلاوة الإيمـان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممـا سـواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للـه، وأن يكـره أن يعـود في الكفـر كمـا يكره أن يقذف في النار».

دل هـذا الحـديث على أن حلاوة الإيمـان حاصـل لمن كـان حبه لله ورسـوله أشـدَّ من حبه لغيرهمـا، ومن كـان

---

[1] (?) حاشية السندي على النسائي 8/95.

يحب شخصا لله لا لغيره، ومن كان يكره ضد الإيمان كما يكـره أن يلقى في النـار، فهـذا الحب للإيمـان والكراهية للكفر استلزم حلاوة الإيمان[1].

قـال شـيخ الإسـلام: (فحلاوة الإيمـان المتضـمنة من اللــذة به والفــرح ما يجــده المــؤمن الواجد من حلاوة الإيمـــان تتبع كمـــال محبة العبد لله، وذلك بثلاثة أمـــور: تكميل هذه المحبة، وتفريعها، ودفع ضدها ...) [2].

وأما كون هذه الكراهية من آثار حلاوة الإيمان، فـذلك لأن المؤمن إنمـا اسـتطاع أن ينفـر من الكفـر بعـد ذوقـه حلاوة الإيمـــان وإدراكـــه الفـــرق بين الحلاوة والمـــرارة، فيكرهه خوفا من مرارته التي تعكر عليه حلاوة الإيمان.

قـال العيـني -رحمـه اللـه-: (قوله: «وأن يكـره» إلى آخره معناه: أن هذه الكراهة إنما توجد عند وجـود سـببها وهو ما دخل قلبه من نـــور الإيمـــان، ومـــا كُشف له عن محاسن الإسلام وقُبْح الجهالات والكفران)[3].

وقال ابن رجب -رحمـه اللـه-: (فـإذا وجد القلب حلاوة الإيمـان أحسّ بمـرارة الكفر والفسـوق والعصـيان، ولهـذا قال يوسف : ﭽ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒﮓ [4] ﭼ[5].

---

1 (?) انظر: الفتاوى الكبرى 2/356.

2 (?) قد تقدم بيان ذلك في ص 117.

3 (?) عمدة القاري 1/149.

4 (?) سورة يوسف الآية 33.

5 (?) فتح الباري لابن رجب 1/58.

وقد روي عن بشر بن السري[1] أنه قال: (من اشتغل بمناجاة الله أورثته حلاوة ذكر الله تعـالى مـرارة ما يلقي إليه الشيطان)[2].

وهذه الكراهية إنمـا كـانت نتيجـة لكمـال المحبـة في القلب، فإن من أحب الله أحب ما أحبـه اللـه وكـره مـا يكرهـه، وقد حبّب الله لعبـاده الإيمـان وكـرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان كما أخبر بذلك في قوله: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﭼ[3].

نقل شيخ الإسلام عن محمد بن نصر المروزي -رحمه الله- أنه قـال: (لما كـانت المعاصـي بعضـها كفر وبعضـها ليس بكفر فـرق بينها فجعلها ثلاثة أنــواع: نــوع منها كفر ونوع منها فسوق وليس بكفر، ونـوع عصـيان وليس بكفر ولا فســوق، وأخــبر أنه كرهها كلها إلى المؤمــنين، ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الإيمـان وليس فيها شـيء خــارج عنه، لم يفــرق بينها فيقــول: حبب إليكم الإيمــان والفرائض وسائر الطاعات، بل أجمل ذلك فقال: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﭼ فـدخل في ذلك جميع الطاعـات، لأنه قد حبب إلى المؤمنين الصلاة والزكاة وسائر الطاعات حب تـدين، لأن الله أخـــــبر أنه حبب ذلك إليهم وزينه في قلـــــوبهم ...

---

1 (?) بشر بن السـري البصـري أبو عمـرو الأفـوه سـكن مكة، وكان إماما زاهدا عابدا واعظا ثقة كثـير الحـديث تـوفي سـنة خمس أو ست وتســعين ومائة (انظــر: ســير أعلام النبلاء 9/332، وتهذيب التهذيب 1/394).

2 (?) حلية الأولياء 10/122.

3 (?) سورة الحجرات الآية 7.

ويكرهـون جميع المعاصـي: الكفر منها والفسـوق وسـائر المعاصي كراهة تدين، لأن الله أخبر أنه كره ذلك إليهم)

ثم قال شيخ الإسلام: (قلت: وتكريهه جميع المعاصـي إليهم يسـتلزم حب جميع الطاعـات، لأن تـرك الطاعـات معصية، ولأنه لا يترك المعاصي كلها إن لم يتلبس بضدها، فيكـــون محبا لضـــدها وهو الطاعة، إذ القلب لابد له من إرادة، فإذا كـان يكـره الشر كله، فلابد أن يريد الخـير ...)[1]. فينتج من هــذا عبودية المحبة والكراهيــة، فــإذا أحب الخير كـره الشر تبعا لمحبته للخـير، وإلا لم تصـدق محبته للخير، وهكذا يقـال في كل ما يـدخل فيه الحب والكراهية من أمور الدين، فحب الإيمان يسـتلزم كـره الكفـر، وحب التوحيد يستلزم كره الشرك، وحب الطاعات يستلزم كره المعاصـي، وحب السـنة يسـتلزم منه كـره البدعة وحب أولياء الرحمن يستلزم منه كره أولياء الشيطان، ، ويكـون ذلك كله تبعا لمحبة الله فيحب ما أحبه الله ويكـــره ما يكرهه الله.

قـــال بشر بن الســـري: (ليس من أعلام المحبة أن تحب ما يبغضه حبيبك)[2].

وقد بين ابن رجب مقدار هذه الكراهة فقـال: (واعلم أن القدر الـواجب من كراهة الكفر والفسـوق والعصـيان هو أن يَنفر من ذلك ويتباعد منه جهـده ويعـزم على أن لا يلابس شيئا منه جهده، لعلمه بسخط الله له وغضبه على أهله)[3].

---

1 (?) مجموع الفتاوى 7/42-43.

2 (?) حلية الأولياء 10/7.

3 (?) فتح الباري لابن رجب 1/58.

وهكذا، فإن من ذاق حلاوة الإيمان كان محبا لما يحبه الله ومتقربا منــه، ومبغضا لما يبغضه الله ومبتعــدا عنــه، ومدركا للفرق بين طريق السعادة وطريق الشقاء.

المطلب الثاني
دفع الخطرات والوساوس وما يتولد عنهما من الشبهات والشهوات

الخَطَرَات جمع خطـرة، وهي ما يخطر في القلب من تدبير أمر، يقال: خَطَر ببالي كذا، ويَخْطِرُ خَطْراً وخُطُوراً. والخطـرات منها ما هو خـير وتكـون من الملَـك، ومنها ما هو شر، وتكون من الشيطان[1].

قال ابن القيم: (وأما الخطرات، فشأنها أصـعب فإنها مبدأ الخير والشر، ومنها تتولد الإرادات والهمم والعـزائم، فمن راعى خطراته ملك زمـام نفسه وقهر هـواه، ومن غلبته خطراته فهـواه ونفسه له أغلب، ومن اسـتهان بالخطرات قادته قهرا إلى الهلكات)[2].

وأما الوسـاوس فهي جمع وسوسـة، وهي حـديث النفس والتفكير بما لا نفع فيه ولا خـير، يقـال: وسْوسـتْ إليه نفسه وسْوسـةً ووِسْواسـاً. والوسـواس أيضـا: اسم للشيطان[3].

قـال ابن القيم -رحمـه اللـه-: (فالوسـواس فعلال من وسوس، وأصل الوسوسة: الحركة أو الصوت الخفي الذي لا يحس فيحـترز منه، فالوسـواس: الإلقـاء الخفي في

---

1 (?) انظر: المصباح المنـير ص ، والنهاية في غـريب الحـديث 4/556.

2 (?) الداء والدواء ص 304.

3 (?) انظر: النهاية في غريب الحديث 5/405، ومختار الصحاح للرازي ص 740.

النفس إما بصـوت خفي لا يسـمعه إلا من ألقي إليه، وإما بغير صوت كما يوسوس الشيطان إلى العبد)[1].

وقال ابن حجر -رحمه الله-: (المراد بالوسوسة تـردد الشيء في النفس من غير أن يطمئن إليه ويستقر عنده)[2]. فالوساوس كلها شرّ ومن الشيطان، بخلاف الخطـرات فقد يكون منها خير كما تقدم.

والـمُوَسْوِسُ نوعان: إنسٌ وجنٌّ، وإن كان إلقاء الإنسي ووسوسته، فتكون بواسطة الأذن، أما الجني فلا يحتاج إلى تلك الواسطة، لأنه يـدخل في ابن آدم ويجـري منه مجـرى الدم[3].

---

1 (?) بدائع الفوائد 2/213.
2 (?) فتح الباري لابن حجر 5/191.
3 (?) انظر: بدائع الفوائد 2/225.

والأصل في الخطـرات والوسـاوس أنها معفو عنها لما ثبت في الصـحيح عن أبي هريـرة يرفعه قـال: «إن الله تجـاوز لأمـتي عما وسوست أو حـدثت به أنفسـها ما لم تعمل به أو تكلم»[1]. وفي رواية عن ابن عبـــاس رضي الله عنهما عن النبي فيما يروي عن ربه قال: «إن الله كتب الحسـنات والسـيئات ثم بين ذلك: فمن همّ بحسـنة فلم يعملها كتبها الله له عنـده حسـنة كاملة، فـإن هو همّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضـعف إلى أضـعاف كثـيرة، ومن همّ بسـيئة فلم يعملها كتبها الله له عنـده حسـنة كاملة، فـإن هو همّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة»[2].

وقد بين ابن حجر مــراتب ما يحــدث في النفس من الخطــرات والوســاوس وحُكم كل منها فقــال: (وقسم بعضهم ما يقع في النفس أقساما يظهر منها الجواب عن الثاني: أضعفها: أن يخطر له ثم يـذهب في الحـال، وهـذا من الوسوسة وهو معفو عنه وهو دون التردد، وفوقه: أن يـــــتردد فيه فيهَمُّ به ثم ينفر عنه فيتركه، ثم يهَمُّ به ثم يـترك كـذلك ولا يسـتمر على قصـده، وهـذا هو الـتردد فيعفى عنه أيضا، وفوقه: أن يميل إليه ولا ينفر عنه، لكن لا يصـــمم على فعله، وهـــذا هو الهَمّ، فيعفى عنه أيضا، وفوقه: أن يميل إليه ولا ينفر منه، بل يصـــمم على فعله،

---

1 (?) رواه البخاري كتاب الأيمـان والنـذور بـاب إذا حنث ناسـيا في الأيمان حديث 6664.

2 (?) رواه البخاري كتاب الرقاق باب من هم بحسـنة أو بسـيئة حديث 6491، ومسـلم في كتـاب الإيمـان بـاب إذا هم العبد بحسنة كتبت .. . حديث 131.

فهـــذا هو العــــزم وهو منتهى الهم، وهو على قســـمين: القسم الأول أن يكون من أعمال القلـوب صـرفا كالشك في الوحدانية أو النبوة أو البعث فهـذا كفر ويعـاقب عليه جزما، ودونه المعصية الــتي لا تصل إلى الكفر كمن يحب ما يبغض الله ويبغض ما يحبه الله، ويحب للمســلم الأذى بغير مـوجب لـذلك، فهـذا يـأثم ويلتحق به الكـبر والعجب والبغي والمكر والحسد ...) [1].

وهذا يدل على أن الوساوس وإن كان معفـوّاً عنها إلا أن الاجتهاد لدفعها أمر مطلـوب، وذلك حـتى لا ينتقل من مرتبة الوســاوس الــتي لا يؤاخذ عليها إلى مرتبة العــزم الــــتي يؤاخذ عليهـــــا، وقد قــــال ابن حجر عقب الكلام المنقول عنه آنفا: (لكن من يقع له ذلك مــأمور بمجاهدته النفس على تركه)[2].

وقال ابن القيم -رحمه اللـه-: (وأول ما يطـرق القلب الخطرة، فـإن دفعها اسـتراح مما بعـدها، وإن لم يـدفعها قويت فصـارت وسوسة، فكـان دفعها أصـعب، فـإن بـادر ودفعها وإلا قويت وصارت شهوة، فإن عالجها وإلا صارت إرادة، فإن عالجها وإلا صارت عزيمة، ومـتى وصـلت إلى هذه الحــال لم يمكن دفعها، واقـترن بها الفعل ولابد، وما يقـدر عليه مـرة بــدون مقدماته، وحينئذ ينتقل العلاج إلى أقوى الأدوية وهو الاستفراغ التام بالتوبة النصوح).

---

[1] (?) فتح الباري لابن حجر 11/335.

[2] (?) فتح الباري لابن حجر 11/335.

ثم قـال: (ولا ريب أن دفع مبـادئ هـذا الـداء من أوله أيسر وأهون من استفراغه بعد حصوله إن ساعد القـدر[1] وأعـــان التوفيق، وإن الـــدفع أولى به)[2]. أي: أفضل من وجوده وذلك لأمرين:

الأول: ما فيها من خطـورة، فـإن الوسـاوس أصل كل معصــية وبلاء، ولهــذا أمر الله بالاســتعاذة من شــرها، وجعلها أهم من كل مستعاذ منه[3]. فقال تعالى: ﭽﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﭼ[4]. وهذا يعم كل شر الشيطان، فقد وصفه سبحانه بـأعظم صـفاته وأشـدها شـرّاً وأقواها تــأثيراً، وأعمها فســاداً، وهي الوسوسة الــتي هي مبــادئ الإرادة، فـــإن القلب يكـــون فارغا من الشر والمعصـــية فيوســـوس إليه، ويخطر الـــذنب بباله، فيصـــوره لنفسه ويمنيه، ويشهيه فيصير شهوة، ويزينها له ويحسنها ويخيلها له في خيــال تميل نفسه إليه فيصــير إرادة، ثم لا يــزال يمثل ويخيل ويمني ويشهي وينسى علمه بضررها ويطوي عنه سوء عاقبتها، فيحول بينه وبين مطالعته، فلا يــرى إلا صــورة المعصــية والتــذاذه بها فقط وينسى ما وراء ذلك فتصــير الإرادة عزيمة جازمة، فيشــتد الحــرص عليها من

---

[1] (?) ~~قول ابن القيم هنا (إن ساعد القـدر وأعـان التوفيـق) مراده بالقـدر والتوفيق المعهـودان اللـذان هما تقـدير الله وتوفيقه سـبحانه، ولا يريد نسـبة الفعل إلى محض القــدر ومحض التوفيق، والله تعالى أعلم.~~

[2] (?) التبيان في أقسام القرآن ص 248، وانظر كـذلك: الفوائد ص 231.

[3] (?) انظر: بدائع الفوائد 2/219.

[4] (?) سورة الناس الآيات 4-5.

القلب، فيبعث الجنود في الطلب فيبعث الشـيطان معهم مدادا لهم وعوناً فإن فتروا حرّكهم وإن ونوا أزعجهم[1].

والثـاني: أن الإنسـان بحاجة إلى السـكينة وطمأنينة البـال، والوسـاوس تعكر ذلك فكلما بـادر إلى دفعها وجد الراحة والطمأنينة بحسب ذلك، ولهذا فـإن من قـدر على دفع الوسـاوس أو اسـتطاع أن لا يحصل له شـيء منهـا، فهو على أفضل حـال وأعلى درجة من الإيمـان، لما ثبت أن النـبي ﷺ قـال: «من توضأ نحو وضـوئي هـذا ثم صـلى ركعـتين لا يحـدث فيهما نفسه غفر له ما تقـدم من ذنبه»[2].

قـال القاضي عيـاض -رحمـه اللـه-: (إنما حصـلت له هذه المرتبة لمجاهدة نفسه من خطرات الشيطان ونفيها عنه، ومحافظته على صـلاته حـتى لم يشـتغل عنها طرفة عين، وسَلِم من الشيطان باجتهاده وتفريغه قلبه)[3].

وقال ابن حجر -رحمه اللـه-: (من اتفق أن يحصل له عدم حديث النفس أصلا أعلى درجة بلا ريب)[4].

وأما ابن القيم، فقد اعتبر ذلك شرطا في كمال زكاة النفس وطهارتها فقـال: (وإنما شـرف النفس وزكاتها وطهارتها وعلوها بأن تنفى عنها كل خطرة لا حقيقة لهـا، ولا ترضى أن لا يخطرها بباله ويأنف لنفسه منها)[5].

---

1 (?) انظر: بدائع الفوائد 2/219.

2 (?) رواه البخاري كتاب الوضوء باب الوضـوء ثلاثا ثلاثا حـديث 159، ومسلم في كتاب الطهارة بـاب صـفة الوضـوء وكماله حديث 226.

3 (?) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض 2/19.

4 (?) فتح الباري لابن حجر 1/313.

5 (?) الداء والدواء ص 305.

ومن هنا يــأتي دور الإيمــان ونــوره وحلاوته في تنقية القلب وتطهــيره من الوســاوس الشــيطانية، ومن ثم تحصـينه ضد كل ما له صـلة إلى الكفر والمعاصـي، وذلك من خلال ما يلي:

أولا- ما فيه من قوة الإيمان الذي مـتى اكتمل وتمكن في القلب دفع جميع الخطــرات والوســاوس الــتي يعترضها، أو يقـدح في كمالهـا، وذلك مفهـوم من قوله ﷺ: «وأن يكـره أن يعـود في الكفر كما يكـره أن يقـذف في النـار» وهـذه الكراهية تسـتدعي صد جميع طـرق الكفر والمعاصي، فلا تجد الوساوس إليه بابا مفتوحا تدخل منه.

ثانيا – أنه قد استحق الوصف بصريح الإيمــان لما فيه من كراهية للكفر والمعاصــي، واستشــعاره خطــورة الوساوس، وذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يأتي الشـيطان أحـدكم فيقـول: من خلق كـذا من خلق كذا، حتى يقول من خلق ربك ؟ فـإذا بلغه فليسـتعذ بالله ولينته»[1].

وفي رواية عنه قال: جـاء نـاس من أصـحاب النـبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قـال: «وقد وجـدتموه؟» قـالوا: نعم، قـال: «ذاك صـريح الإيمـان»[2]. قـال ابن الأثـير: (أي: كـراهتكم له وتفـاديكم منه صريح الإيمان، والصريح: الخالص من كل شــيء وهو ضد الكناية، يعني أن صريح الإيمـان هو الـذي يمنعكم من

---

1 (?) رواه البخاري كتاب بدء الخلق باب صـفة إبليس وجنـوده حديث 3276، ومسلم كتاب الإيمان باب بيـان الوسوسة في الإيمان ... حديث 134.

2 (?) تقدم تخريجه في ص 60.

قبـول ما يلقيه الشـيطان في أنفسـكم حـتى يصـير ذلك وسوسة لا تتمكن في قلـوبكم ولا تطمئن إليه نفوسـكم)[1].

وقال شيخ الإسلام: (حصول هـذا الوسـواس مع هـذه الكراهة العظيمة له ودفعه عن القلب هو من صـــــريح الإيمـان، كالمجاهد الذي جـاءه العـدو فدافعه حـتى غلبه، فهـذا أعظم الجهـاد، والصـريح الخـالص كـاللبن الصـريح، وإنما صـار صـريحا لما كرهـوا تلك الوسـاوس الشـيطانية ودفعوها، فخلص الإيمان فصار صريحا)[2].

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جـاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني أحدث نفسي بالشيء لأن أخِـرَّ من السـماء أحبّ إليّ من أن أتكلم به، قـال: فقـال النـبي ﷺ: «الله أكـبر، الله أكـبر، الله أكـبر، الحمد لله الذي ردّ كيده إلى الوسوسة»[3].

فتأمل قولـه: (لأن أخِـرَّ من السـماء أحبّ إليّ من أن أتكلم به) وما جـاء في حـديث حلاوة الإيمـان من قولـه: «وحـتى أن يقـذف في النـار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقـــذه الله» فبينهما توافق تـــام يؤكد أن صاحب حلاوة الإيمان هو صاحب صـريح الإيمـان الـذي رد كيد شـيطانه بما اتصف به من شـدة الكراهية لما يقـدح في إيمانه.

---

1 (?) النهاية في غريب الحديث 3/40.

2 (?) مجموع الفتاوى 7/282.

3 (?) رواه الإمـــام أحمد في المســـند 1/235 وقـــال محققو الموسوعة (4/10): "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

ثالثا- أن صـاحب حلاوة الإيمـان هو دوما على الطاعة لما يجد فيها من حلاوة ولـــذة لا يطيق الانقطـــاع عنهـــا، فتجده كثير الصلاة والـذكر والصـيام مما يمكنه من تقميع الشـــــيطان ورد وساوســـــه، فــــإن من أعظم ما يقمع الشـــــــيطان ويؤذيه هو ذكر الله ، (فـــــــذكر الله يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه كالسـياط والمقـامع الـتي تـؤذي من يضرب بها، ولهذا يكون شيطان المؤمن هزِيلاً ضـئيلاً مضنى مما يعذبه المؤمن ويقمعه به من ذكر الله وطاعته ... كلما اعترضه صب عليه ســــــياط الــــــذكر والتوجه والاسـتغفار والطاعـة، فشـيطانه معه في عـذاب شـديد ليس بمنـــزلة شــيطان الفــاجر الــذي هو معه في راحة ودعة، ولهذا يكون قويا عاتيا شديدا) [1].

وإذا قـوي العبد بما وجـده من حلاوة الإيمـان على دفع الوساوس الـتي يلقي إليه الشـيطان، تمكن كـذلك من دفع ما يتولد عنها من شــبهات وشهوات، وهما من أعظم الفتن على القلوب.

أما الشـــبهات فهي ما يعـــترض القلب، ويلبس عليه الحق من الباطــــل، أو الحلال من الحــــرام، فيحصل بها القلق والاضطراب المـوجب للشك[2]. ولكن القلب الـذي ذاق حلاوة الإيمـان لا يضـره ذلـك، لأنه قلب حي سـليم، وقد قــــوي لـــرد ما يلقيه إليه الشـــيطان من شـــبهات وشـكوك، فيكرهها ويبغضـها، ويعلم أن الحق في خلافهـا، فيُخبت للحق ويطمئن وينقـــاد، ويعلم بطلان ما ألقـــاه

---

[1] (?) بدائع الفوائد 2/217.

[2] (?) انظـر: المصـباح المنـير ص 249، إغاثة اللهفـان 2/160، وجامع العلوم والحكم 2/280.

الشـيطان فـيزداد إيمانا ومحبة له وكفـرا بالباطل وكراهة له[1].

قـــال ابن القيم: (فللإيمـــان طعم وحلاوة يتعلق بهما ذوق ووجد، ولا تـزول الشـبه والشـكوك عن القلب إلا إذا وصل العبد إلى هــذه الحــال، فباشر الإيمــان قلبه حقيقة المباشرة فيذوق طعمه ويجد حلاوته، والله الموفق)[2].

وأما الشـــهوات فهي من جنس اتبــاع الهــوى وميلان النفس إلى ما تســتلذه من أمــور الــدنيا من غــير داعية الشرع[3]. وهي من أكبر سلاح الشيطان في إضلال العباد وصد طريقه إلى الله ﻷ، فإن القلوب المتعلقة بالشــهوات محجوبة عن الله، فقد قهرته الشهوة وأسره الهوى ووجد الشـيطان فيه مقعـدا يتمكن فيــه، فلا يجد ســبيلا للخلاص من الوساوس والأفكار الهدامة، فهي من أخطر الأمــراض على القلب[4]. قال تعالى: ﭽﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[5].

ولكن القلب الذي ذاق حلاوة الإيمــان واســتنار بنــوره قد زين الله الإيمـــان فيه وحببه إليـــه، وكـــره إليه الكفر والفسوق والعصيان، فهو في هذا الدرع الحصين يــرى ما يزينها الشيطان من الشهوات قبيحــا، فلا يســتقر ذلك في قلبه بل يدفعه فور وصوله بسلاح الكراهية عنده.

---

[1] (?) انظر: إغاثة اللهفان 1/16.
[2] (?) مدارج السالكين 3/92.
[3] (?) انظر: المصباح المنير ص 268، ومجموع الفتاوى 10/571، والتعريفات للجرجاني ص 320.
[4] (?) انظر: الفوائد ص 134، والوابل الصيب ص 65.
[5] (?) سورة آل عمران الآية: 14.

قـال شـيخ الإسـلام: (فـإن السـيئات تهواها النفـوس ويزينها الشيطان، فتجتمع فيها الشبهات والشهوات، فـإذا كـان المـؤمن قد حبّب الله إليه الإيمـان وزينه في قلبه، وكـره إليه الكفر والفسـوق والعصـيان حـتى يُعَـوِّض عن شـــهوات الغي بحب الله ورســـوله وما يتبع ذلك، وعن الشـهوات والشـبهات بـالنور والهـدى، وأعطـاه الله من القوة والقدرة ما أيده به حيث دفع بالعلم الجهل، وبإرادة الحسنات إرادة السيئات، وبالقوة على الخـير القـوة على الشر في نفسه فقط، والمجاهد في ســـبيل الله يطلب فعل ذلك في نفسه وغيره أيضا حتى يدفع جهله بـالظلم، وإرادته السيئات بإرادة الحسنات ونحو ذلك)[1].

وقال ابن القيم: (قلب محشو بالإيمان قد استنار بنور الإيمـان وانقشـعت عنه حجب الشـهوات، وتنقلع عنه تلك الظلمات، فلنوره في قلبه إشراق، ولـذلك الإشـراق إيقـاد لو دنا منه الوســاوس احــترق بــه، فهو كالســماء الــتي حرست بـــالنجوم، فلو دنا منها الشـــيطان يتخطاها رجم فــاحترق، وليست الســماء بــأعظم حرمة من المــؤمن، وحراسة الله تعـالى له أتم من حراسة السـماء، والسـماء متعبد الملائكة ومســتقر الــوحي، وفيها أنــوار الطاعــات، وقلب المــؤمن مســتقر التوحيد والمحبة والإيمــان، وفيه أنوارها فهو حقيق أن يحــرس ويحفظ من كيد العــدو، فلا ينال منه شيئا إلا على غِرّة وغفلة وخطفة)[2]. وهكـذا كـان الإيمان وما يثمر منه من نور وحلاوة تحصن قلب المــؤمن من جميع أســـباب الكفر والفســـوق والمعاصـــي، والله الموفق إلى ذلك.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى 15/400-401.

[2] (?) الوابل الصيب ص 63.

المطلب الثالث
الخوف على الإيمان والعمل على حفظه

إن الخوف على الكنوز الثمينة بعد السعي والبذل في اقتنائها غريزة جعلها الله في البشرية، تجدهم يخافون على أموالهم أكثر من خوفهم على حياتهم ونفوسهم، بل إنهم يبذلون النفيس من أجل الحفاظ عليها، وعدم ضياعها أو نقصانها، هذا وإن حصل في الأمور المادية البحتة، فكيف بالإيمان الذي هو أعظم الكنوز وأتمها على الإطلاق، فليس ثمة نعمة أعظم من الإيمان بالله ، فبه تتم جميع النعم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (فالحياة نعمة وإدراك اللذات نعمة، وأما الإيمان فهو أعظم النعم وبه تتم النعم)[1].

والمؤمن الذي يوفق إلى حقيقة الإيمان حيث يجد لذته وحلاوته في قلبه لن يحب زوال هذه النعمة وضياعها، وبالتالي ستدفعه هذه الحالة من الحلاوة إلى أن يكون أحرص الناس على إيمانه، وأخوف ما يخاف عليه زوال شيء منه.

وهذا الخوف ظاهر من خلال وصف النبي من ذاق حلاوة الإيمان بأنه يكره العودة إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار، فيكون خوفه على زوال إيمانه وانتقاله إلى الكفر مثل خوفه على نفسه من إلقائها في النار أو أشد، فينتج من ذلك الاجتهاد على بقاء الإيمان والازدياد

---

1 (?) رسالة في تحقيق الشكر لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ص 110

فيه، فتجده يحرص على عمل الطاعات وأدائها على أكمل وجـه، إذ بها غـذاء إيمانه وتنميته إلى الـدرجات العلى من اللذة والحلاوة.

فقد روى ابن المبـارك والـبيهقي بسـنديهما عن أبي الـدرداء أنه قـال لأهل المدينـة: «ما لي لا أرى حلاوة الإيمـان تظهر عليكم؟ والـذي نفسي بيـده، لو أن دُبّ الغابـة، وجد طعم الإيمـان لظهر عليه حلاوته، ما خـاف عبد على إيمانه إلا مُنِحَـه، وما أَمِن عبد على إيمانه إلا سُلِبه»[1]. فجعل الخـوف على الإيمـان أثـرا من آثار وجود حلاوته.

وقد كـان من منهج السـلف الصـالح من الصـحابة والتـابعين وتـابعيهم أنهم كـانوا يخـافون على إيمـانهم ولا يأمنون عليه، لذا كانوا أكثر الناس اجتهـادا في الطاعـات، فكانوا في غاية العمل مع غاية الخوف، فـإذا عملـوا عملا خافوا أن لا يقبل منهم.

وقد امتدحهم الله على هذا الخوف في كتابه العزيز فقال: ﭽ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭼ[2].

وفي سـنن الترمـذي أن عائشة زوج النبي قـالت: سألت رسول الله عن هذه الآية ... أهم الذين يشـربون الخمر ويسـرقون؟ قـال: «لا يا بنت الصـديق، ولكنهم

---

1 (?) الزهد لابن المبارك ص 541، وشـعب الإيمـان للـبيهقي 3/130-131 واللفظ له.

2 (?) سورة المؤمنون الآيات: ٦٠ – ٦١.

الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يقبل منهم ﭽ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺﭼ »[1]. قال القرطبي: (أي: في الطاعات كي ينالوا بذلك أعلى الدرجات والغرفات) [2]. وروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (سبقت لهم السعادة) [3]. فكان خوفهم على إيمانهم سببا لسباقهم إلى السعادة.

وقد وصف ابن أبي مليكة أصحاب النبي بهذا الخوف فقال: (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي كلهم يخاف النفاق على نفسه)[4].

وقال الحسن البصري: (لقد أدركنا أقواما كانوا من حسناتهم أن تُردّ عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها)[5].

---

1 (?) رواه الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله باب ومن سورة المؤمنون حديث 3175، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن الترمذي 3/79.

2 (?) تفسير القرطبي 12/133.

3 (?) تفسير الطبري 19/47.

4 (?) رواه البخاري تعليقا في صحيحه، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ينظر فتح الباري 1/135، ورواه كذلك المروزي في تعظيم قدر الصلاة 2/634، والخلال في السنة 3/608.

5 (?) تفسير القرطبي 12/132، وصفة الصفوة 3/227.

وعن عبد العزيز بن أبي رواد[1]. قال: (أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح، فإذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا)[2].

وقال مالك بن دينار: (الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل)[3].

وسئل أبو عثمان[4]: ما علامة السعادة والشقاوة؟ فقال: (علامة السعادة أن تطيع الله وتخاف أن تكون مردودا، وعلامة الشقاوة أن تعصي الله وترجو أن تكون مقبولا)[5].

وقال ابن القيم: (والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف، ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن، ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جمعنا بين التقصير، بل التفريط والأمن ...)[6].

---

1 (?) عبد العزيز بن أبي رواد شيخ الحرم، واسم أبيه ميمون، وقيل: أيمن بن بدر مولى الأمير المهلب بن أبي صفرة، الأزدي، المكي، أحد الأئمة العباد، كان كثير المحاسن، لكنه رمي بالإرجاء، توفي في سنة تسع وخمسين ومائة (انظر: التاريخ الكبير 6/22، وسير أعلام النبلاء 7/184).

2 (?) لطائف المعارف ص 398.

3 (?) حلية الأولياء 2/377، لطائف المعارف ص 398.

4 (?) هو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور النَّيْسَابُورِيُّ الحِيريُّ الصوفي، ومنه انتشر طريقة التصوف في نيسابور، ولد سنة 230هـ بالرّي ومات سنة 298هـ (انظر: سير أعلام النبلاء 14/62، وطبقات الصوفية ص 39).

5 (?) حلية الأولياء 10/246.

6 (?) الداء والدواء ص 95-96.

وهذا يعد أيضا من خوفه - رحمه الله - على أعماله إذ قد كان معروفا بالاجتهـاد في العبـادات قل من يصل إلى ما وصل إليه، لكنه مع ذلك يعد نفسه من المقصرين، فما ذا عسى أن يكـــون حالنا نحن؟ والله المســـتعان وعليه التكلان.

المبحث السابع
أثر حلاوة الإيمان في علاج الأمراض النفسية والعصبية

الأمـــراض النفســـية كما عرفها علمـــاء النفس هي مجموعة متعددة المظـاهر من الاضـطرابات والانفعـالات التي تحدث في كيان الشخصية وتخل بوظائفها، ولا تصدر عن ســـبب عضـــوي معين في الجســـم، وتقـــترن غالبا بأسباب وعوامل نفسية المنشأ[1].

وأما العصـــبية، فهي نـــوع من الأمـــراض النفســـية أو مجموعة أعـراض نفسـية تصـحبها أحيانا مظـاهر جسـمية شـــاذة ناشـــئة عن عوامل نفســـية كالانفعـــالات المكبوتة والصـدمات والصـراع بين الـدوافع المتناقضة والمظـاهر الجسمية الشاذة، وصـاحب العصـبية قد يعـاني من كل أو بعض الأمراض النفسية الآتية أو أعراضها: القلق الاكتئاب الفوبيا الوسواس القهري ... إلخ[2].

ويذكر أحد البـاحثين أن جميع مـدارس العلاج النفسي تتفق على أن القلق هو الســـــبب الرئيسي في نشـــــوء أعـراض الأمـراض النفسـية، ولكنها تختلف فيما بينها في تحديد العوامل الـــتي تســـبب القلـــق، وعلى أن الهـــدف الرئيسي للعلاج النفسي هو التخلص من القلـــــق، ولكنها تتخذ أساليب علاجية مختلفة[3].

---

1 (?) انظر: النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها د. علي كمـال ص 9.

2 (?) انظر: الأمراض النفسية والعقلية د. عبد الـرحمن عيسى ص 20-21.

3 (?) انظر: الصـحة النفسـية في المفهـوم الإسـلامي د. هـانم بنت حامد ياركندي ص 39.

وينبه بعضـهم إلى معانـاة الأطبـاء النفسـانيين قـديما وحديثا في إيجاد العلاج المناسب للأمراض النفسية، وإلى أن أكــثر محــاولاتهم بــاءت بالفشــل، حيث إن أعــداد المرضى تتضـاعف عاما بعد عـام، وقد خلص إلى القـول بأن وسائل العلاج السائدة في الوقت الحاضر تحتــاج هي نفســها إلى علاج نفســي، لأنها أصــبحت قليلة الأثر في النفوس المضطربة[1].

ولست بصدد تفصيل القول في هذا الموضوع إذ مجاله كتب علم النفس، والكلام فيه يطول، لكنه من المهم أن يقال بأن سبب فشل العلاج النفسي السائد هو أن القائمين عليه من غير أصحاب التخصص في هذا المجال ممن لم يعرفوا موارد الصحة النفسية ومواطنها فإنهم إن اتفقوا على أن الأمراض النفسية هي نفسية المنشأ، وأنها ناتج عن القلق والاضطراب، وهذا يعني بأن أي علاج يقدم لا بد أن يحقق ما يضاد هذه الأعراض، فالقلق والاضطراب يضادها الراحة والسكون والطمأنينة، وكذلك الغم والهم والحزن كلها من أمراض النفس، وشفاؤها بأضدادها من الفرح والسرور[2].

وهــذا النــوع من العلاج لم يجعله الله إلا بأيــدي الأنبياء والرسل عليهم السـلام فهم المرجع الأسـاس في علاج أمراض القلوب كما قرر ذلك ابن القيم فقال: (فأما طب القلـوب فمُسَلّم إلى الرسل صـلوات الله وسـلامه عليهم، ولا ســبيل إلى حصــوله إلا من جهتهم وعلى

[1] (?) انظر: الصحة النفسية دراسات في سيكلوجية التكليف د. مصطفى فهمي ص 363، 365.

[2] (?) انظر: إغاثة اللهفان 1/25.

أيديهم، فإن صلاح القلوب أن تكون عارفة بربها وفاطرها وبأسـمائه وصـفاته وأفعاله وأحكامه، وأن تكـون مُـؤْثِرَة لمرضـاته ومحابه، متجنبة لمناهيه ومسـاخطه، ولا صـحة لها ولا حيـاة البتة إلا بـذلك، ولا سـبيل إلى تلقِّيه إلا من جهة الرسل وما يظن من حصـول صـحة القلب بـدون اتبـاعهم فغلط ممن يظن ذلك، وإنما ذلك حيـاة نفسه البهيمية الشهوانية، وصـحتها وقوتها، وحيـاة قلبه وصـحته وقوته عن ذلك بمعزل، ومن لم يميز بين هذا وهذا فليَبْك على حيـاة قلبه، فإنه من الأمـوات وعلى نـوره، فإنه منغمس في بحار الظلمات)[1].

فهـذا تقرير يفيد بـأن جميع طـرق العلاج لأمـراض القلـوب غـير نافعة إلا طريق الرسل فهم أهل هـذا الاختصاص، وقد تضـمنت رسـالاتهم أنفع الأدوية لأمـراض القلوب، وقد أثبت ذلك من جـرب هـذا الطريق بعد فشل الطرق الأخرى، وكثـير من الأطبـاء النفسـيين ثبت لـديهم بالتجـارب المتكـررة أن الإيمـان بالله والآخـرة من أعظم الأدوية الفعالة في القضاء على الأمراض النفسية، وكثـير منهم استعان بالـدين في علاج مرضـاهم، فنجحـوا أعظم نجاح[2]. وقد نقل تصريحات بعضهم في ذلك، منها:

ما قاله العـالم النفسي "وليم جيمس": (إن أعظم علاج للقلق ولا شك هو الإيمان)[3].

---

[1] (?) زاد المعاد 4/7.
[2] (?) انظر: الإيمان والحياة د. يوسف القرضاوي ص 340.
[3] (?) الإيمان والحياة ص 345.

وقال "ديل كارنيجي": (إن أطبـاء النفس يـدركون أن الإيمان القوي والاستمسـاك بالـدين والصـلاة، كفيلة بـأن تقهر القلق والمخاوف والتوتر العصبي)[1].

ويقــول الــدكتور "كــار يــونج": (عــالجت مئــات من المرضــى، فلم أجد مشــكلة واحــدة من مشــكلات أولئك الــــذين بلغــــوا منتصف العمر لا ترجع في أساســـها إلى الافتقاد إلى الإيمان وخروجهم عن تعاليم الدين ... ويصح القـول بـأن كل واحد من هـؤلاء وقع فريسة المـرض لأنه حرم سكينة النفس التي يجلبها الدين، ولم يـبرأ واحد من هـؤلاء المرضى إلا حين اسـتعاد إيمانـه، واسـتعان بـأوامر الدين ونواهيه على مواجهة الحياة)[2].

وإذا كــانت هــذه الطمأنينة الــتي يعــترف بها هــؤلاء الملحدون تحصل بالعودة إلى الدين والإيمان بالله واليوم الآخر على تلك المفاهيم الخاطئة، فما بالك بالــدين الحق وأثــــره العظيم في تحقيق ســــكينة النفــــوس وطمأنينة القلوب وتزكيتها وتطهيرها من أمراضها؟

وهــذا ما أوضــحه الطــبيب النفسي الشــرعي الإمــام الجليل شــمس الــدين ابن القيم الجوزية - والــذي تعلم طب النفس من مشــكاة النبــوة - حين وضع قواعد طب الأبدان والقلوب فقـال: (قواعد طب الأبـدان ثلاثـة: حفظ الصحة، والحمية عن المؤذي، واستفراغ المواد الفاسـدة)[3]، وفي موضع آخر قــال: (ومــدار الصــحة على: حفظ

---

[1] (?) الإيمان والحياة ص 346.

[2] (?) الإيمان والحياة ص 346.

[3] (?) زاد المعاد 4/6.

القوة والحمية عن المؤذي واستفراغ المـواد الفاسـدة)[1] فهذه ثلاث قواعد:

القاعدة الأولى: حفظ الصحة أو القوة، وهذا يكون بتقوية القلب بالإيمان والطاعات، فـالقلب محتـاج إلى ما يحفظ عليه قوته وهو الإيمـان وأوراد الطاعـات، فيتغـذى القلب من الإيمـان والطاعـات بما يزكيه ويقويه ويؤيـده، ويفرحه ويسـره وينشـطه ويثبت ملكه كما يتغـذى البـدن بما ينميه ويقويه [2].

وفي ذلك يقول الشيخ السـعدي -رحمـه اللـه-: (ومن أعظم العلاجـــات لأمـــراض القلب العصـــبية، بل وأيضا للأمـــراض البدنية: قـــوة القلب وعـــدم انزعاجه وانفعاله للأوهام والخيالات الـتي تجلبها الأفكـار السـيئة. والغضب، والتشـــوش من الأســـباب المؤلمة، ومن توقع حـــدوث المكاره وزوال المحاب، أوقعه ذلك في الهموم والغمــوم والأمـراض القلبية والبدنيـة، والانهيـار العصـبي الـذي له آثاره السيئة التي قد شاهد الناس مضارها الكثيرة، ومتى اعتمد القلب على اللـــه، وتوكل عليـــه، ولم يستســـلم للأوهام ولا ملكته الخيالات السـيئة، ووثق بالله وطمع في فضله، انـدفعت عنه بـذلك الهمـوم والغمـوم، وزالت عنه كثير من الأسقام البدنية والقلبية وحصل للقلب من القوة والانشراح والسـرور ما لا يمكن التعبـير عنـه، فكم ملئت المستشـفيات من مرضى الأوهـام والخيـالات الفاسـدة، وكم أثَّرت هذه الأمـور على قلـوب كثـيرين من الأقويـاء، فضـــلاً عن الضـــعفاء، وكم أدت إلى الحمق والجنـــون، والمعـافى من عافـاه الله ووفقه لجهـاد نفسه لتحصـيل الأسباب النافعة المقوية للقلب، الدافعة لقلقه) [3].

---

[1] (?) إغاثة اللهفان 1/23.

[2] (?) انظر: إغاثة اللهفان 1/25، 1/58.

[3] (?) الوسائل المفيدة للحياة السـعيدة ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي ص 491.

والقاعدة الثانية: حمية القلب عن المـؤذي الضـار وذلك باجتناب الآثام والمعاصي وأنواع المخالفات[1].

والقاعدة الثالثـة: اسـتفراغ المـواد الفاسـدة أي: اسـتفراغ القلب من كل مـادة فاسـدة تعـرض لـه، وذلك بالتوبة النصوح واستغفار غافر الخطيئات[2].

وهــذه القواعد الثلاثة نجــدها منطبقة تماما على من ذاق حلاوة الإيمــان، فالمتأمل في حــديث حلاوة الإيمــان يجد أن صاحب هذه الحلاوة قد حفظ إيمانه وقوّاه بـأعلى درجــات الإيمــان المعــبر عنه بقوله ﷺ: "أن يكــون الله ورسـوله أحب إليه مما سـواهما" فاتصـافه بهـذه الدرجة يضمن له أعظم الغذاء الإيمـاني ما يقـوى به لطـرد جميع أسباب القلق والاضطراب ويوفر له السكينة والطمأنينة.

وكــذلك لديه ما يحمي به قلبه من المــؤذي الضــار، ويســـتفرغه عما يفســـده من خلال كراهيته للكفر مثل كراهيته الإلقاء في النار، فإن هـذه الكراهية لا شك تمنعه من الوقوع في المعاصي والمخالفات التي توجب الهموم والغموم.

وإذا انضـــاف إلى هــذه القواعد ما يجــده من لـــذة وســرور في قلبــه، وما يثمر ذلك من لــذة العيش وبهجة النفوس لم يجد القلق فيه مجالا يدخل منه.

وقد جمع السعدي -رحمـه اللـه- هـذه الآثـار الطيبة – وهو يبين ثمرات الإيمـان فقـال: (ومنها أن قـويّ الإيمـان يجد في قلبه من ذوق حلاوته ولذة طعمه واستحلاء آثاره، والتلذذ بخدمة ربه وأداء حقوقه وحقوق عباده - الـتي هي موجب الإيمان وأثره - ما يزري بلذات الدنيا كلها بأسرها، فإنه مسـرور وقت قيامه بواجبـات الإيمـان ومسـتحباته، ومســـرور بما يرجـــوه ويؤمله من ربه من ثوابه وجزائه العاجل والآجـل، ومسـرور بأنه ربح وقته الـذي هو زهـرة عمره وأصل مكسبه، ومحشوٌّ قلبه أيضا من لــذة معرفته

---

[1] (?) إغاثة اللهفان 1/23.
[2] (?) انظر: إغاثة اللهفان 1/23.

بربه ومعرفته بكماله وكمال بره، وسعة جوده وإحسانه ولذة محبته والإنابة إليه الناشئة عن معرفته بأوصافه، وعن مشاهدة إحسانه ومننه.

فالمؤمن يتقلب في لذات الإيمان وحلاوته المتنوعة، ولهذا كان الإيمان مسلّياً عن المصيبات مهوِّناً للطاعات، ومانعاً من وقوع المخالفات، جاعلاً إرادة العبد وهواه تبعا لما يحبه الله ويرضاه)[1]

والمؤمن في هذه الحالة من اللذات يمتلك كذلك قوة الصبر والرضا بقضاء الله وقدره ما يهون عليه جميع المصائب ويطفئ عنه نيران الحسرات.

ولديه من محبة الله والأنس به ما يزيل عنه الوحشة.

ولديه من تمام التوكل على الله ما يدفع به جميع الهموم والغموم.

ولديه من الاستبشار بالله ورجاء ثوابه ما يقوي قلبه على الصبر على تكاليف الحياة وما يعرض له من المنغصات.

ونفسه غنية بالله مجتمعة عليه، متشوقة لما عنده من خزائن رحمته وصنوف لذاته ما تلهيه عن جميع أسباب القلق والاضطراب.

فمن كانت راحة نفسه في مناجاته لربه، وطمأنينة قلبه في ذكره لمولاه، وهمه في خدمته لمحبوبه، فمن أين يأتيه القلق والاضطراب؟

فهذه هي أنفع العلاجات، وأولى أن تكون هي الوصفة الطبية لكل من يشتكي من حالات القلق والاضطراب النفسي، والله الموفق إلى ذلك.

---

1 (?) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي رحمه الله ج 8/216-217.

الرد على الانحرافات المتعلقة بحلاوة الإيمان

وتحته تمهيد وفصلان:

تمهيـد: بيـان أثر الأهـواء والبـدع على حلاوة الإيمان، والفـرق بين ما يحصل لأهل البدع من حلاوة وما يحصل لأهل الإيمان

الفصل الأول: الـرد على انحرافـات الفلاسـفة والجهمية والمعتزلة في حلاوة الإيمان

الفصل الثـاني: الـرد على انحرافـات الصوفية في حلاوة الإيمان

بيان أثر الأهواء والبدع على حلاوة الإيمان، والفرق بين ما يحصل لأهل البدع من حلاوة وما يحصل لأهل الإيمان

بعد الفراغ بحمد الله وتوفيقه من الأبواب الثلاثة التي خصصت لبيان الطرق المشروعة لذوق حلاوة الإيمان وآثار ذلك على العبد المؤمن، ناسب أن يخصص هذا الباب لبيان الطرق المبتدعة والمزعوم أنها سبل لذوق حلاوة الإيمان، ليتميز الحق من الباطل ويستبين السبيل أمام أصحاب الهمم الذين يتشمرون للوصول إلى هذه الدرجة من الإيمان.

لا شك أن حلاوة الإيمان الدالة على كماله وعلو درجته، وعلى جميع ما تقدم من ثمرات وآثار طيبة هي خاصة بمن عبد الله ﷻ على طريقة رسول الله ﷺ وطريقة الصحابة والسلف الصالح رحمهم الله، وذلك أن جميع ما ورد فيها من فضائل ومناقب إنما تكون لمن سلك طريق الهدى الذي حصره النبي ﷺ في قوله: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ...»[1].

فمن سلك طريقا في العبادة غير ما شرعه الله ورسوله ومضى عليه سلف هذه الأمة فقد ابتدع في دين الله ﷻ واتبع غير سبيل أهل الإيمان الذين يذوقون حلاوته، وصار في زمرة أصحاب الأهواء والبدع، لاختياره طريقا غير الذي شرعه الله ﷻ متبعا في ذلك هواه. وهؤلاء قد ذمهم الله ﷻ في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ.

فمن الكتاب قوله تعالى: ﭽ ... ﭼ[2].

وقال تعالى: ﭽ ... ﭼ[3].

---

[1] (?) تقدم تخريجه في ص 281.

[2] (?) سورة القصص الآية: 50.

[3] (?) سورة النساء الآية: 115.

وقال تعالى: ﭽﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ[1].

ومن السنة قوله ﷺ: «وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[2]. وفي صحيح مسلم أن النبي ﷺ خطب وجاء فيه قوله: «فإن خير الحديث كتاب الله. وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»[3]. وزاد النسائي «وكل ضلالة في النار»[4]. وقوله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[5]. دلت هذه النصوص على أن البدع شر لا خير فيه وأن مصيره إلى الضلال وإلى النار والعياذ بالله.

قال ابن القيم - رحمه الله-: (البدع واتباع الهوى هما أصل كل شرٍّ وفتنة وبلاء، وبهما كُذِّبت الرسل وعُصي الرب ودخلت النار وحلَّت العقوبات: فالأول من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات؛ ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب الهوى فتنة هواه، وصاحب دنيا أعجبته دنياه)[6].

---

1 (?) سورة الشورى الآية: 21.

2 (?) تقدم تخريجه في ص 281. وهو مكمل لحديث: "عليكم بسنتي ..."

3 (?) رواه مسلم كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة حديث 867.

4 (?) رواه النسائي كتاب صلاة العيدين باب كيف الخطبة حديث 1578، وصححه الشيخ الألباني في صحيح سنن النسائي 1/512.

5 (?) ~~رواه البخاري كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود حديث 2697، ومسلم كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور حديث 1718، واللفظ للبخاري.~~

6 (?) إعلام الموقعين 1/136.

وعليه فـإن هـؤلاء لن يكـون لهم حظ في ذوق حلاوة الإيمـان لمخـالفتهم الطريق المشـروعة الموجبة لهـذا الـذوق الإيمـاني، ولكن قد يظهر عليهم بعض صـفات الـذوق والوجد أثنـاء ممارسـتهم لبـدعهم مما تشـبه حالة صـاحب حلاوة الإيمـان، الأمر الـذي ينخـدع به كثـير من الجهلة الذين ضعفت بصيرتهم في الدين، فيرون ما يظهر على هـؤلاء من الخشـوع والتضـرع وما يتبع ذلك من اقشعرار الجلود ودموع العيون، فيظنـون أنهم على خـير، وفي حالة من الكمـال والجمـال. فلا بد إذن من بيـان الفـرق بين ما يجـده صـاحب البـدع من حلاوة وما يجـده صاحب السنة من حلاوة الإيمان.

وقد أكد أهل العلم بـأن البـدع لها حلاوة في قلـوب أصـحابها: ومن ذلك ما أثر عن ابن عبـاس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﭽ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔﮕ ﭼ[1] أنه قال:

(إن الضـلالة لها حلاوة في قلـوب أهلها، والبدعة هي استحسان ما يسوق إليه الهوى)[2].

وقيل لسـفيان بن عيينة - رحمه اللـه-: ما بـال أهل الأهواء لهم محبة شـديدة لأهـوائهم؟ فقـال: أنسـيت قوله تعالى: ﭽ ﯦ ﯧ   ﭼ[3] أو نحو هذا من الكلام[4].

وقـال الإمـام الأوزاعي -رحمـه اللـه-: (بلغـني أن من ابتدع بدعة خلاه الشيطان والعبادة وألقى عليـه الخشـوع والبكاء، لكي يصطاد به)[5].

---

1 (?) سورة فاطر الآية 8.
2 (?) إحياء علوم الدين 1/81.
3 (?) سورة البقرة الآية: 93.
4 (?) مجموع الفتاوى 10/170.
5 (?) الحوادث والبدع للطرطوشي ص 149.

وقد تحدث شيخ الإسلام عن خشوع هؤلاء فقال: (وهؤلاء إذا قصد أحدهم القبر الذي يعظمه يبكي عنده ويخشع ويتضرع ما لا يحصل له مثله في الجمعة والصلوات الخمس، وقيام الليل، فهل هذا إلا من حال المشركين لا الموحدين، ومثل هذا أنه إذا سمع أحدهم سماع الأبيات حصل له من الخشوع والحضور ما لا يحصل له عند الآيات بل يستثقلونها ويستهزؤون بها وبمن يقرؤها ...)[1]. فقد صدق رحمه الله، فها نحن اليوم نشاهدهم في مقبرتي البقيع وشهداء غزوة أحد يقرؤون أورادهم البدعية وهم في غاية من الخشوع والتضرع والصراخ بالبكاء وكأنهم ظفروا بأعظم اللذات، وإذا دخلوا المسجد لا ترى عليهم هذا الخشوع والبكاء، بل وبعضهم لا يحسن الصلاة، ولا يلبثون فيها إلا قليلا، ويخرجون منها مسرعين إلى المقابر، ويعكفون فيها طويلا، ففيها لذة قلوبهم وبهجة نفوسهم، ولو أنهم ضربوا أو أحرقوا بالنار على أن يتركوا ما هم عليه لا يتركونه، وهم في هذه الحالات من اللذة والثبات قد تشبهوا بصاحب لذة الإيمان من بعض الأوجه، لكن الفارق بينهما مثل ما بين السماء والأرض، وفيما يلي بعض الفروقات بين حلاوة البدع وحلاوة الإيمان:

1- أن حلاوة الإيمان تكون لأهل الإيمان الخلص الذين سلكوا طريق الكتاب والسنة والسلف الصالح رحمهم الله، أما حلاوة البدع فهي لمن خالف هذا الطريق، لذا يحرمون الذوق الصحيح الذي يوجبه العمل الصحيح، لأنهم وجدوا الذوق الباطل.

---

[1] (?) مجموع الفتاوى 15/49-50.

ففي أثر عن جعفر بن أحمد بن ســـنان[1] أنه قـــال: (سـمعت أبي يقـول: إذا ابتـدع الرجل بدعة نـزعت حلاوة الحديث من قلبه)[2].

وقـــال ابن القيم: (فمـــتى تجيء الأذواق الصـــحيحة المسـتقيمة إلى قلـوب قد انحــرفت أشد الانحــراف عن هدي نبيها ، وتـركت ما كـان عليه هو وأصـحابه والسـلف الصالح؟)[3].

2- أن حلاوة الإيمـــان مرجعها إلى المحبة الشـــرعية بأن يكـون الله ورسـوله أحب إلى المـؤمن مما سـواهما، وحلاوة البدع والأهـواء مرجعها إلى المحبة البدعيـة، وهي أن تكون النفس وهواها أحب إلى العبد مما سواهما قـال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭼ[4].

3- أن حلاوة الإيمـــان من الله ومن نفحـــات الجنة وبداية ذوق لثــواب العمــل. وحلاوة البــدع من الشــيطان يبعثها في نفوسهم، فيزين لهم بها أعمــالهم، فــيرون أنهم على الحق لـــذا قيـــل: إن البـــدع أحب إلى الإبليس من المعصية، وأن صاحب المعصــية قد يوفق إلى التوبة وأما صاحب البدع فلا يوفق إلى التوبة كما قال النــبي : «إن الله

---

1 (?) جعفر بن أحمد بن سـنان ابن أسد أبو محمد الواسـطي القطـان الحافـظ، تـوفي سـنة 307هـ (سـير أعلام النبلاء 14/308).

2 (?) سير أعلام النبلاء 12/245.

3 (?) أســـرار الصـــلاة والفـــرق والموازنة بين ذوق الصـــلاة والسماع لابن القيم ص 129-130.

4 (?) سورة الجاثية الآية: ٢٣.

حجب التوبة عن كل صــاحب بدعة حــتى يــدع بدعته« [1]، لــذا يـزداد تمســكاً ببدعته لما يجد فيها من لـذة، إلا من رحمه الله .

4- أن حلاوة الإيمان منضبطة بالعلم الشرعي والأدلة والأصــول المرعية في ممارسة العبــادة، والحلاوة نتيجة لها، بينما حلاوة البدع غير منضـبطة، وأهلها جعلـوا ذوقهم ووجــدهم لهـذه الحلاوة دليلا على صـحة الأعمـال، وكلما ذاقـوا حلاوة شـيء بـزعمهم أرعـوا إليه دون بصـيرة من علم، فوقعوا في المهالك، وأوغلوا في البدع والأهواء.

5- أن حلاوة الإيمان حلاوة دائمة وآثارها طيبة بخلاف حلاوة البدع، فإنها مقيـدة بـوقت ممارسة البدعة ونتائجها وخيمــة، فقد تــورث صــاحبها ســكرا[2] أعظم من ســكر الخمر فيجدون لذة بلا تميـيز كما يجد شـارب الخمـر، بل يحصل لهم أكثر وأكبر مما يحصل لشارب الخمر ويصدهم ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة أعظم مما يصـدهم الخمر، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء أعظم من الخمر حتى يقتل بعضــهم بعضا من غــير مس بيد، بل بما يقــترن بهم من الشياطين[3].

6- أن من أعظم ما تتمـيز به حلاوة الإيمـان: طمأنينة القلوب وسكون النفس المـوجب للسـعادة، فهـذه الحالة مفقــودة تماما في حلاوة البــدع، وإن صَــاحَبَها الخشــوع والخضـوع والبكـاء لكن لا طمأنينة فيهـا، فهـذه يختص بها

---

1 (?) رواه الطبراني في الأوسط 4/281، وقـال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (10/189)، "رجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفــروي وهو ثقة". وقــال الألبــاني في صــحيح الترغيب (1/12): "إسناده حسن".

2 (?) السُّكر من مصطلحات الصوفية وهو أن يغيب عن تميـيز الأشــياء، ولا يغيب عن الأســياء، وهو أن لا يمــيز بين مرافقه وملاذه وبين أضـدادها في مرافقة الحـق، فـإن غايـات وجـود الحق تســـقطه عن التميـــيز بين ما يؤلمه ويلـــذه (معجم مصطلحات الصوفية د. أنور فؤاد ص 99-100).

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 11/572-574.

صاحب الإيمان الصحيح، لذا تجد صاحب البدع لا ينعم بحياة سعيدة، حياته مليئة بالقلق والاضطراب، وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﭽ ﭼ[1].

7- أن حلاوة الإيمان حلاوة جمال وكمال، وحلاوة البدع حلاوة استدراج وهلاك.

وبعد هذه الفروق، يجب أن يُعلم بأن عمل أي إنسان لا يمدح أو يذم بمجرد اشتماله على الحلاوة واللذة، أو بما يصحبه من حالات الخشوع والخضوع، بل إنما يمدح منه ما كان لله أطوع، ولعامله في الدارين أنفع، سواء كان فيه لذة أو خشوع أو بكاء، أم ليس فيه هذه الأحوال، فقد تكون بعض الأعمال الشرعية ثقيلة على النفوس، توجب الانزعاج، ولكن حلاوتها تكون في عواقبها كما في قوله تعالى: ﭽ ﭼ[2]. وقد يجد الإنسان في عمل ما راحة وأُنساً وهو غير شرعي، فالضابط إذن في موافقة الدليل الشرعي، لا الذوق والوجد، فمن عرف هذا الضابط لا ينخدع بعد ذلك بانحراف المنحرف لما فيه من حلاوة ظاهرها فيه خير وباطنها من قبله العذاب.

---

[1] (?) سورة طـه الآية: 124.

[2] (?) سورة النساء الآية 19.

الفصل الأول
الرد على انحرافات الفلاسفة والجهمية والمعتزلة في حلاوة الإيمان

وتحته مبحثان:

المبحث الأول: الـــرد على انحرافـــات الفلاسفة في حلاوة الإيمان

المبحث الثـــاني: بيـــان موقف الجهمية والمعتزلة من حلاوة الإيمان

المبحث الأول
الرد على انحرافات الفلاسفة في حلاوة الإيمان

وتحته تمهيد وثلاثة مطالب:

تمهيد: تعريف الفلاسفة

المطلب الأول: المقصـــود باللـــذة عند الفلاسفة

المطلب الثـاني: طريقة الفلاسـفة في تحقيق لذة الإيمان والرد عليهم

تعريف الفلاسفة

الفلاسفة لغة جمع فلسفة وهي كلمة يونانيـة، أصـلها "فيلاسـوفا" مركبة من جـزأين همـا: "فيلا"، و"سـوفا". وتعني كلمة "فيلا" مُحِبّ، و"سوفا": الحكمة، والفيلسوف يعني: مُحِبُّ الحكمة، والفلسفة: مَحبّة الحكمة[1].

أما التعريف الاصطلاحي: فقد تعددت فيه أقـوال أهل العلم من الفلاسـفة وغـيرهم وتعـود مجموعها إلى بيـان خصـائص الفلاسـفة وأوصـافها وأقسـامها دون أن يكـون هناك تعريف جامع مانع مصون من الإسهاب، فمن ذلك:

ما عرفها به أرسـطو[2] بأنها (البحث في علل الأشـياء ومبادئها الأولى، أو هي: العلم الذي يبحث في الوجود من حيث وجوده)[3].

وعرّفها ابن رشد[4] بأنها (النظر في الموجـــــــودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع)[5].

---

1 (?) انظـــر: إغاثة اللهفـــان 2/253، والقـــاموس المحيط 2/1096.

2 (?) هو أرسطو طاليس فيلسوف يوناني من أكـثرهم شـهرة وتأثيرا فيمن بعده ويلقب بالمعلم الأول توفي نحو سـنة 322 قبل الميلاد (انظر: موسوعة الفلسفة 1/98).

3 (?) أرسطو المعلم الأول ص 21-25.

4 (?) هو ابن رشد الحفيد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد أبو الوليد القرطبي الفيلسوف، ولد سنة 520هـ صاحب التصانيف في الفقه والطب والمنطق تـوفي سـنة 595 هـ (سـير أعلام النبلاء 21/307).

5 (?) فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال ص 11.

وعرفها الجرجـاني بقولـه: (الفلسـفة: التشـبه بالإله بحسب الطاقة البشرية، لتحصيل السـعادة الأبدية ... في الإحاطة بالمعلومات والتجرّد عن الجسمانيات)[1].

وعرفها الإمـــام ابن القيم فقـــال: (والمقصـــود أن الفلاسفة اسم جنس لمن يحب الحكمة ويؤثرها.

وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصا بمن خرج عن ديانات الأنبياء ولم يذهب إلا إلى ما يقتضيه العقل في زعمه.

وأخص من ذلك أنه في عرف المتـأخرين اسم لأتبـاع أرسـطو وهم المشـّاؤون[2] خاصة وهم الـذين هذّب ابن سينا[3] طريقتهم وبسطها وقررها وهي الـتي يعرفها بل لا يعرف سواها المتأخرون من المتكلمين)[4].

يتلخص تعريف ابن القيم للفلاسـفة على ثلاثة عناصر هي:

الأول: أنهم محبو الحكمة أخذا من المعنى اللغوي

والثـــاني أنهم الخـــارجون عن ديانـــات الأنبيـــاء من الملاحدة والدهرية.

---

1 (?) التعريفات ص 216، ومنهاج السنة النبوية 3/285.

2 (?) المشاءون نسبة إلى المشي، وذلك لأن أرسطوا كان يعلم تلاميذه ماشيا (انظر: المعجم الفلسفي 2/373).

3 (?) هو الفيلسوف الشهير الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا أبو علي البلخي صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق ولد في قرية أفشنة سنة 370هـ، وتوفي في همذان سنة 418هـ وقيل: 428هـ (انظر: سير أعلام النبلاء 17/531 وموسوعة أعلام الفلسفة ص 15).

4 (?) إغاثة اللهفان 2/254.

والثـالث: أنهم أتبـاع أرسـطو الملقب بـالمعلم الأول للفلاسفة.

والفلاسفة صنفان: أهل الفلسفة المحضة ومنهم المنتســبون إلى الإســلام كالفــارابي وابن ســينا، وأهل الفلسـفة الباطنية وهم نوعـان: رافضـية وصـوفية كـابن عربي[1] وابن سبعين[2] وابن الفارض[3] ونحوهم[4].

وحقيقة الفلسفة تقوم على أساس البحث في طبائع الأشياء بالعقل المجرد من أجل معرفة العلل الخفية لهذه الأشياء، ثم أدخلوا في ذلك الإلهيات أو ما يسمونه بما وراء الطبيعة، فوقعوا في ضلالات خطيرة وأخطاء شنيعة

---

1 (?) هو محمد بن علي بن محمد محـــيي الـــدين بن عـــربي الحـــاتمي الطـــائي الأندلسي الملقب بالشـــيخ الأكـــبر عند الصـوفية، من غلاة الفلاسـفة الباطنية ومؤلفاته مليئة بـالكفر والإلحاد توفي سنة 638هـ (انظر: سـير أعلام النبلاء 23/48، وشذرات الذهب 5/190).

2 (?) هو عبد الحق بن إبـراهيم بن محمد بن سـبعين بن نصر أبو محمد المرسي الصـوفي الملقب بقطب الـدين ولد سـنة 624هـ كـان من زهـاد الفلاسـفة من القـائلين بوحـدة الوجود مات سنة 669هـ ، وقيل 670هـ (انظر: العبر في خبر من غبر للذهبي 5/291، ولسان الميزان 2/392).

3 (?) عمر بن علي بن مرشد الحموي ثم المصري شرف الدين المعروف بابن الفارض ينعق بالاتحاد الصريح في شـعره مـات سـنة 632هـ (انظـر: سـير أعلام النبلاء 22/368، ولسـان الميزان 4/317).

4 (?) انظـر: قـول الفلاسـفة المنتسـبين للإسـلام في توحيد الربوبية أ. د. ســعود بن عبد العزيز الخلف ضــمن مجلة أم القرى العدد (21) ص 356-360.

لعدم سلوكهم الطريق الموصل إلى هذا النوع من العلم وهو طريقة الكتاب والسنة[5].

5 (?) انظر: مبادئ الفلسفة ص 26، وجناية التأويل الفاسد ص 402.

المطلب الأول
المقصود باللذة عند الفلاسفة

تقـدم أن اللـذة هي ذلك الشـعور الحاصل عقب ذوق المشــتهى وإدراك الملائم، وأنها أمر مطلــوب لكل حي، فهي في المقاصد والغايــات بمنـــزلة الحس، وأن هــذه اللــذة تكــون منفعة لصــاحبها إذا طلبها بوجه مشــروع، وتكـون مضـرة له إذا طلبها بوجه غـير مشـروع. هـذا ما عليه أهل الحق في أمر اللذات[1].

أما الفلاســفة، فقد غلط كل من الفلاســفة المحضة والفلاسفة الباطنية الصـوفية في تحديد المفهـوم باللـذة، وفي الطريق الموصل إليها.

أما غلطة الفلاســــــفة المحضة في تحديد المفهوم باللذة، فذلك قولهم بأن اللذة إدراك الملائم، أو أنها مجرد الإدراك والشعور[2]، فجعلوا اللــذة هي نفس الإدراك ونفس الشعور، بمنـزلة من جعل لذة الطعام هي نفس الأكل، ولذة النظر هي نفس النظر، وأضاف بعضهم على الإدراك المجرد "النيل".

قال ابن سينا: (اللـذة هي إدراك ونيل لوصـول ما هو عند المـدرك كمـال وخـير من حيث هو كـذلك)[3]. أي: أن من نـــال مـــراده فقد حصل على اللـــذة بغض النظر عن نوعية المراد سواء كان شرا أم خيرا، فهو بالنسـبة لهـذه النظرية خير وكمال يتحقق بمجرد الإدراك والنيل.

---

1 (?) انظر: ص 28.
2 (?) انظر: مجموع الفتاوى 7/536، 10/205، 325.
3 (?) المعجم الفلسفي د. جميل صليبا ص 282.

وهذا لا شك أنه مخالف لصريح العقل والنص. وهؤلاء الفلاسفة إنما ضلوا في هـذا البـاب بسـبب أصـلهم الـذي أصــلوه في جعلهم المعــاني المتعــددة شــيئا واحــدا، فيجعلون العلم والقدرة والإرادة شـيئا واحـدا بل يجعلـون العلم هو العالم والقدرة هي القادر فكـذلك جعلهم اللـذة هي الإدراك[1].

قـال شـيخ الإسـلام: (ومن قـال من المتفلسـفة ومن اتبعهم: إن اللذة هي إدراك الملائم من حيث هو ملائم، وأن الألم هو إدراك المنافر من حيث هو منافر، فقد غلط في ذلك، فـإن اللذة والألم حـالان يتعقبـان إدراك الملائم والمنافر، فـإن الحب لما يلائمه، كالطعـام المشـتهى مثلا له ثلاثة أحوال:

أحدها: الحب كالشهوة للطعام.

و الثانى: إدراك المحبوب كأكل الطعام.

والثـالث: اللذة الحاصـلة بــذلك، واللــذة أمر مغــاير للشــهوة ولــذوق المشــتهى، بل هي حاصــلة لــذوق المشتهي، ليست نفس ذوق المشتهى.

وكـذلك المكـروه كالضـرب مثلا، فـإن كراهته شـيء وحصوله شـيء آخر، والألم الحاصل به ثـالث، وكـذلك ما للعارفين أهل محبة الله من النعيم والسـرور بـذلك، فـإن حبهم لله شـيء، ثم ما يحصل من ذكر المحبـوب شـيء، ثم اللــذة الحاصــلة بــذلك أمر ثــالث، ولا ريب أن الحب

---

[1] (?) انظر: الصفدية 2/236.

مشـروط بشـعور المحبـوب، كما أن الشـهوة مشـروطة بشعور المشتهى، لكن الشعور المشروط في اللـذة غـير الشعور المشروط في المحبة، فهذا الثاني يسـمى إدراكا وذوقا ونيلا ووجــدا ووصــالا، ونحو ذلك مما يعــبر به عن إدراك المحبوب سـواء كـان بالبـاطن أو الظـاهر، ثم هـذا الــذوق يســتلزم اللــذة، واللــذة أمر يحسه الحي باطنا وظاهرا)[1].

فاتضح بهـذا التبـاين الواضح بين اللـذة والإدراك، وأن اللـــذة تـــأتي عقب الإدراك وليس هي نفس الإدراك أو الشعور، والله تعالى أعلم.

وأما غلطة الفلاســفة الباطنية الصــوفية في مفهوم اللذة فلأنهم قصروا ذلك على اللذات العقلية أو ما يسمونه باللذات الروحانيـة، واعتقـدوا أن اللـذات الحسـية والوهمية ليست لــذات في الحقيقـــة، وإنما هي دفع آلام، وربما حسـنوا العبـارة، فقـالوا: ليس المقصـود بها التنعم، وإنما المقصــــود بها دفع الألم، بخلاف اللــــذات العقلية الروحانية، فإنها هي اللذات فقط[2].

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/325-327.

2 (?) انظر: قاعدة في المحبة ص 65.

وأصل هذا المبدأ مأخوذ من الفلسفة الأبيقورية نسبة إلى أبيقور اليوناني[1] الذي جعل اللـذة هي الخـير الوحيد في الوجود، وهي عنده نوعـان: نـوع حـاد ومتقلب يـذهب سـريعا ويبقى ما يخلفه من الآلام، وهـذا النـوع هو اللـذة الجنسـية، فـإذا جعلها الإنسـان غرضه من الحيـاة انقلبت لذته ألما.

والنوع الثاني: هو اللذة العقلية التي لا اضطراب فيها ولا ألم ولا نصب وهي دائمة الاستمرار، ويريد باللذة العقلية: لذة المعرفة التي من شأنها البعد عن الألم بتحديد المطالب الشاذة والابتعاد عن اللذة الجسمية الحائدة ما أمكن[2].

ومن هنا أخذ الصوفية فلسفتهم في محاربة اللذات الجسدية والسعي إلى إشباع اللذات الروحية واعتبارها اللذة الدائمة التي لا تنقطع، ثم ابتدعوا في سبيل تحقيقها أنواعا من المجاهدة والرياضة والخلوة والرقص والسماع وغيرها من الطرق المخالفة لما شرعه الله وشرعه رسوله كما سيأتي بيان ذلك قريبا إن شاء الله.

---

1 (?) أبيقـور اليونـاني ولد في أثينا عـام 270 ق. م.، ونشأ في سـاموس، واشـتهر بنظريته الخلقية في اللـذة، وأخذ في الطبيعيـات بنظرية مـذهب ديمـوقريطس، ومـذهب أرسـطو المادية، وأخذ عن السفساطائيين مذهب المعرفة وتـوفي في أثينا عام 342 ق. م. (انظر: الموسوعة الفلسفية المختصـرة ص 14، وتهافت الفلسفة عن درك الحقيقة المطلقة محمود الحسيني ص 112-113).

2 (?) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة ص 14، وتهـافت الفلسـفة عن درك الحقيقة المطلقة ص 112-113، والموسـوعة الميسـرة في الأديـان والمـذاهب والأحـزاب المعاصرة 2/800.

ولا يخفى ما في هذا المفهوم من خطأ واضح مخالف لصريح النص والعقل والفطرة، وذلك أن اللذات لا تنحصر على جهة الروح فحسب، بل دل العقل والحس على نيل الجسد كمال اللذات في الأكل والشرب والجماع وغيرها.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنواع اللذات، فقال: (واللذات الموجودة في الدنيا ثلاثة أجناس: فجنس بالجسد تارة كالأكل والنكاح ونحوهما مما يكون بإحساس الجسد فإن أنواع المأكول والملبوس يباشرها الجسد.

وجنس يكون مما يتخيّله ويتوهّمه بنفسه ونفس غيره: كالمدح له والتعظيم له والطاعة له، فإن ذلك لذيذ محبوب له، كما أن فوات الأكل والشرب يؤلمه، وأكل ما يضره يؤلمه وكذلك فوات الكرامة بحيث لا يكون له قدر عند أحد، ولا منزلة يؤلمه كما يؤلمه ترك الأكل والشرب، ويؤلمه الذم والإهانة كما يؤلمه الأكل والشرب الذي يضره.

فالمأكول والمنكوح هي أجساد تنال بالجسد، يتلذذ بوجودها، ويتألم بفقدها ولحصول ما يضر منها. وأما الكرامة فهي في النفوس إذا كانت النفوس ملائمة له وموافقة له، بأن يعتقد فيه ما يسره ويوافقه بالمحبة والتعظيم، كان ذلك مما يوجب لذته، ولذته بإدراكه ذلك الملائم من الناس، ومدحهم المظهر لاعتقادهم، ومن طاعتهم وموافقتهم المظهرة لمحبتهم وتعظيمهم.

والجنس الثالث أن يكون ما يعلمه بقلبه وروحه وبعقله كذلك: كالتذاذه بذكر الله ومعرفته ومعرفة الحق، وتألمه بالجهل إما البسيط وهو عدم الكلام والذكر وإما

المركب وهو اعتقاد الباطل، كما يتألم الجسد بعدم غذائه تارة، وبالتغذي بالمضار أخري ...

وهـــذه اللـــذات الثلاث: اللـــذات الحســـية والوهمية والعقلية. وقد علمت أن كل ما خلقه الله في الحي من قوى الإدراك والحركة فإنما خلقه لحكمة، وفي ذلك من جلب المنفعة للحي ودفع المضـــرة عنه ما هو من عظيم نعم الله عليه.

والله سبحانه بعث الرسل لتكميل الفطـرة وتقريرها، لا لتحويلها وتغييرها وأنزل معهم الكتاب والمـيزان ليقـوم النـاس بالقسط والله شـرع من الـدين ما فيه اسـتعمال هـذه القوى على وجه العـدل والاعتـدال الـذي فيه صـلاح الدنيا والآخرة)[1].

~~وفي هذا بيان قاطع على عدم اقتصـار اللـذات على العقل والروح، وأن لـذات الـدنيا مطلوبة لـذاتها لا لأجل دفع الألم كما توهمت الباطنية. وقد أشار شـيخ الإسـلام أيضا إن أن قـولهم هـذا أسـوأ من قـول النصـارى في اللـذات، فقـال: (فاقتصـارهم على اللـذة العقلية خطأ، والنصارى زادوا عليهم السمع والشم، فقـالوا: يتمتعـون بالأرواح المتعشقة والنغمات المطربة، ولم يثبتوا هم ولا اليهـود الأكل والشـرب ولا النكـاح - وهي لـذة اللمس - والمسـلمون أثبتـوا جميع أنـواع اللـذات سـمعا وبصـرا وشما وذوقا ولمسا للـروح والبـدن جميعا وكـان هـذا هو الكمـال لا ما يثبته أهل الكتـاب، ومن هو شر منهم من الفلاسفة الباطنية)[2].~~

---

1 (?) قاعدة في المحبة ص 60-62.

2 (?) مجموع الفتاوى 14/163.

المطلب الثاني
طريقة الفلاسفة في تحقيق لذة الإيمان والرد عليهم

إن الفلاسـفة لما غلطـوا في تحديد المقصـود باللـذة كـان لا بد أن يغلطـوا كـذلك في طريقة تحقيقهم للـذة الإيمان وحلاوته، وبيان ذلك كما يلي:

أما غلطة الفلاسفة المحضة في تحقيق لـذة الإيمـان بالله ﷻ فـذلك من خلال غلطتهم في تحقيق توحيد الله ﷻ، فقد قصـروا ذلك على مجـرد العلم به سبحانه، وهم يجعلـون ربهم ذلك الوجـود المطلـق، وهـذا هو التوحيد الذي أثبتوه لله ﷻ، فكمال اللذة الـتي يحققونها لا تكون إلا عن طريق إدراك الوجود المطلق[1].

ومن أقـوالهم في ذلـك، ما قاله أحد أكـابرهم وهو الكندي[2] الذي يسـمي الله "الواحد الحـق" قـال: (... بل هو الواحد على الإطلاق، وهـذا لا يسـمح بأية كـثرة، ولا تركيب، والواحد الحق ليس مادة ولا صـورة، ولا كمـا، ولا ينعت، ولا يتصف بأية مقولة، ولا يتحرك، إنه وحدة محضة ...)[3].

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى 14/162، وقاعدة في المحبة ص 66.

2 (?) هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشـعث الكنـدي فيلسـوف العـرب يكـنى أبا يوسف وكـان متهما في دينه بخيلا، سـاقط المـروءة، وله مصنفات كثيرة في المنطق والنجوم والفلسفة (انظـر: سـير أعلام النبلاء 12/327، ولسان الميزان 6/305)

3 (?) موسوعة الفلسفة 2/303.

هكـذا سـلبوا الله عن صـفات كماله وأثبتـوا وجـودا مطلقا لا حد له ولا صـفة، ثم جعلـوا لمن نـال هـذا العلم كمال اللذة المطلوبة.

قــال شــيخ الإســلام: (ولا ريب أن لــذة العلم أعظم اللذات، واللـذة التي تبقى بعد المـوت و تنفع في الآخـرة هي لـــذة العلم بالله و العمل له، و هو الإيمــان به، و هم يجعلـون ذلك الوجـود المطلق. وأيضا فنفس العلم به إن لم يكن معه حب له و عبـادة له، بل كـان مع حب لغـيره كائنا من كان، فإن عذاب هذا قد يكون من أعظم العذاب في الـدنيا والآخـرة وهم لا يجعلـون كمـال اللـذة إلا في نفس العلم)[1].

وأما غلطة الفلاســفة الباطنية في تحقيق لــذة الإيمــان بالله فلأنهم جعلــوا ذلك في أنــواع من التربية الروحية التي تحول الرغبة في استقصاء اللذة الحســية أو المعنوية كالرياضة والمجاهـدة والسـماع والـرقص وغيرها من طرق هـدفها إشـباع اللـذات الروحية والحصـول على صـفاء النفـوس وزكاتها للوصـول إلى الغاية العظمى وهو الاتصال بالله والاتحاد فيه.

قـال الغـزالي: (اعلم أنه لا وصـول إلى الله سـبحانه وتعــالى إلا بالتنـــزه عن الشــهوات والكف عن اللــذات والاقتصار على الضرورات فيها، والتجـرد لله سـبحانه في جميع الحركات والسكنات، ولأجل هـذا انفـرد الرهبـانيون في الملل السـالفة عن الخلق وانحـازوا إلى قلل الجبـال وآثــروا التــوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله فــتركوا لله اللــذات الحاضــرة وألزمــوا أنفســهم المجاهــدات الشاقة طمعا في الآخرة ...)[2] فهـذا نص صـريح منه في

---

1 (?) مجموع الفتاوى 14/162.

2 (?) إحياء علوم الدين 1/265-266.

الـدعوة إلى تـرك لـذات الـدنيا وطلب لـذات الآخـرة عن طريق المجاهدة والخلوة.

وقد تقـــدم بيـــان معـــنى المجاهـــدة والرياضة عند القوم[1]، وبيان عدم صلاحية هذه الطـرق لتزكية النفـوس وتطهيرهــا، وأما الســماع والــرقص الصــوفي فســتأتي دراسته والرد عليه بالتفصيل في مبحث مستقل إن شــاء الله[2].

---

1 (?) انظر: ص 379.

2 (?) سيأتي في ص 438.

المبحث الثاني
بيان موقف الجهمية والمعتزلة من حلاوة الإيمان

وتحته تمهيد وثلاثة مطالب:

تمهيد: تعريف الجهمية والمعتزلة

المطلب الأول: بيان أن من لوازم إنكارهم المحبة نفي حلاوة الإيمان

المطلب الثاني: بيان أن من لوازم إنكارهم الرؤية نفي حلاوة الإيمان

المطلب الثالث: بيان أن من لوازم تعطيلهم صفات الله نفي حلاوة الإيمان

تعريف الجهمية والمعتزلة

أولا- التعريف بالجهمية:

الجهمية إحدى الفرق الكلامية المنتسبة إلى الإسـلام، وهي في الأصل تنتسب إلى جهم بن صـفوان أبو محـرز السمرقندي الضال المبتـدع، أس الضـلالة، ورأس الفتنـة، وذلك لنشـره مقالة التعطيل الـتي أخـذها عن الجعد بن درهم[1]، وهي مجموعة من المقـالات المبتدعة الكفريـة، منهـا: القـول بنفي أسـماء الله وصـفاته، ونفي كلامه سبحانه، والقـول بـأن القـرآن مخلـوق، وأن الله بذاته في كل مكان، وأن الإيمـان مجـرد المعرفة القلبية وغيرها من المقـالات الـتي بسـببها اشـتد موقف أئمة السـلف منهم، فقد ذموهم وبينوا خطورة مقالاتهم وحذروا الأمة منها:

---

1 (?) الجعد بن درهم عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبـراهيم خليلا ولم يكلم موسى، أقـام بدمشق حتى أظهر القول بخلق القرآن، فتطلبه بنو أمية فهرب منهم، فسكن الكوفة فلقيه فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول، فقتله خالد بن عبد الله القسـري يـوم عيد الأضـحى بالكوفة (انظر: لسان الميزان 2/105، البداية والنهاية 9/350).

قال الأصـمعي[1] -رحمه الله -: (ليس قـوم أشد نقضا للإسـلام من الجهمية والقدريـة، فأما الجهمية فقد بـارزوا الله تعالى، وأما القدرية فإنهم قالوا في الله ﷻ)[2].

وقـال القاضي أبو يوسف - رحمه الله -: (صـنفان ما على ظهر الأرض أشر منهما: الجهمية والمقاتلية [3]) [4].

وقد ذكر شيخ الإسلام عددا كبيرا من مؤلفـات علمـاء السـلف في الـرد على الجهميـة، في كتابيـه: الفتـوى الحموية الكبرى[5]، ودرء تعارض العقل والنقل[6].

ثانيـا- التعريف بالمعتزلـة: المعتزلة هي فرقة أخرى من الفرق الكلامية المنتسـبة إلى الإسـلام، نشـأت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسـي، اعتمدت النظر العقلي المجرد أساسا لعقائدها وأفكارهـا، فخلطوا بين الشرعيات والفلسفة والعقليات في كثير من

---

1 (?) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصـمع بن مطهر بن ربـاح بن عمـرو البـاهلي أبو سـعيد الأصـمعي البصـري، أحد الأعلام ولد سـنة بضع وعشـرين ومائـة. كتب شـيئا لا يحصى عن العـرب، وكـان ذا حفظ وذكـاء ولطف عبارة، مـات سـنة 215هـ وقيـل: 216هـ (انظـر: سـير أعلام النبلاء 10/175، وتهذيب التهذيب 6/368).

2 (?) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد 1/104-105.

3 (?) المقاتلية: نسبة إلى مقاتل بن سليمان البلخي، قـال فيه ابن حبان: كان يأخذ من اليهـود والنصـارى علم القـرآن الـذي يوافق كتبهم، وكـان شـبهيا يشـبه الـرب بـالمخلوقين وكـان يكـذب مع ذلك في الحـديث مـات سـنة 105هـ (المجـروحين لابن حبان 3/14).

4 (?) السنة لعبد الله بن الإمام أحمد 1/108.

5 (?) انظر: الفتوى الحموية الكبرى ص 58.

6 (?) 2/23، 6/26، 105، 7/108.

مسائل العقيدة[1]، وهي في الأصل تنتسب إلى واصل بن عطاء[2] الذي اعتزل مجلس الحسن البصري، وهو يقول: إن مــرتكب الكبــيرة ليس بمــؤمن ولا كــافر، ويقــول بالمنـــــزلة بين المنـــــزلتين مما أدى إلى طـــــرده من المجلس، فــاعتزل، وتبعه جماعة ســموا بالمعتزلــة، أو الوعيديــة، ثم تطــور أمــرهم بعد اتصــالهم بالجهمية إلى القول بنفي الصـفات والقـول بخلق القـرآن، حـتى انتهى أمرهم إلى أصول خمسة أجمعوا عليها وهي:

التوحيد: ومفهومه عندهم هو نفي الصـفات عن الله .

والعدل: ويقصد به نفي أن يكـون الله خالقا لأفعـال العباد.

والوعد والوعيــد: ويعنــون به أنه يجب على الله إنفاذ وعده ووعيده، وإلا كان مخالفا للميعاد.

والمنـزلة بين المنـزلتين، ويقصد بـذلك مـرتكب الكبيرة، فهو عندهم ليس مؤمنا ولا كـافرا بل في منــزلة بين الكفر والإيمان، وهذا حكمه في الدنيا، أما في الآخرة فهو خالد مخلد في النار على مقتضى الأصل الثالث.

والأمر بـــــــــالمعروف والنهي عن المنكر والمقصــود بــذلك عنــدهم هو العمل على نشر مبــادئهم والأصول التي أصـلوها، وإيجـاب ذلك على الجميع كل بما يستطيع، حتى لو أدى إلى استخدام السيف، ومنه وجـوب

---

[1] (?) انظــر: الموســوعة الميســرة في الأديــان والمــذاهب والأحزاب المعاصرة 1/69.

[2] (?) واصل بن عطــاء البصــري الغــزال الأفــوه أبو حذيفة المخــزومي، مولــده سـنة ثمــانين بالمدينــة، كــان من أجلاء المعتزلة مات سنة إحدى وثلاثين ومائة. (انظـر: سـير أعلام النبلاء 5/464، ولسان الميزان 6/214).

الخــروج على الحــاكم إذا خــالف وانحــرف عن الحــق، ويقصدون بالمعروف: كل فعل عرف فاعله حسنه، أو دل عليه، والمنكر: هو كل فعل عرف فاعله قبحه[1].

ولا يخفى ما في هذه الأصـول من مخالفـات صـريحة لأصـول الشـرع ومبادئه العظـام المسـتمدة من الكتـاب والسـنة، وإن سـموها بهـذه التسـميات فهي حق أريد بها باطل، لذا لم يقف علمـاء السـلف أمامها مكتوفة الأيـدي بل أنكـروا عليهم، ووضـعوا المؤلفـات الكثـيرة في الـرد عليهم، ومعظم مؤلفـاتهم في الـرد على الجهمية شـملت المعتزلة أيضا، وذلك لموافقتهم الجهمية في القـول بنفي الصـفات، والقـول بخلق القـرآن وإنكـار رؤية المؤمـنين ربهم يوم القيامة.

وتعد الجهمية والمعتزلة في الـــــــدرجات الأولى من درجـــات التعطيل[2] لنفيهم جميع صـــفات الله ، ثم أتى

---

1 (?) انظـــر: مقـــالات الإســـلاميين 1/235، الملل والنحل للشهرستاني 1/38، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السـنة منها د. عـواد المعتق ص 255-ـ 264، والموسـوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة 1/73.

2 (?) انظر: الفتاوى الكبرى 6/369.

بعـــــدهم الصــــــفاتية[1] من الكلابية[2] والأشـــــاعرة[3] والماتريدية[4] الذين أنكـروا بعض الصـفات وأثبتـوا البعض الآخر بحجج عقلية باطلـة. وهم بصـنيعهم هـذا قد عطلـوا أعظم أصـــول الإيمـــان الـــتي تقـــوم عليها ذوق حلاوته ووجدان لذته في القلوب كما سـيأتي بيانه في المطـالب الآتية إن شاء الله.

---

1 (?) الصفاتية تطلق على من تكلم في الصفات، فأثبت بعضها ونفى البعض الآخر كالأشـــاعرة، والكلابية والكرامية (انظـــر: مجموع الفتاوى 6/520، 12/206).

2 (?) الكلابيـة: فرقة تنسب إلى أبي محمد عبد الله بن سـعيد بن كلاب، كان له آراء كلامية عرفت عنه. (انظر: أصول الدين للبغـدادي ص 89، 90، 97، ومقـالات الإسـلاميين 1/249، ولسان الميزان 3/290-291).

3 (?) الأشـاعرة أو الأشـعرية هم المنتسـبون إلى أبي الحسن الأشــــعري في مذهبه الثــــاني بعد رجوعه عن الإعــــتزال، وعـــامتهم يثبتـــون ســـبع صـــفات فقط وهي: العلم والحيـــاة والقـدرة والإرادة والسـمع والبصر والكلام وينفـون البـاقي أو يأولونهـــا. (انظـــر: الملل والنحل للشهرســـتاني 1/81-91)، ومذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي 1/487).

4 (?) الماتريدية: أتباع أبي منصور الماتريدي وهم يثبتـون ثمـان صـفات فيضـيفون على ما أثبته الأشـاعرة صـفة "التكـوين". (انظـــر: الماتريدية دراسة وتقويما للبـــاحث أحمد بن عـــوض اللهيبي ص 460-464).

المطلب الأول
بيان أن من لوازم إنكارهم المحبة نفي حلاوة الإيمان

تقــدم في أكــثر من موضع بــأن المحبة هي أســاس خصــال الإيمــان[1] والأصل الــذي يقــوم عليه ذوق حلاوة الإيمـــان وتحصـــيل ولاية الـــرحمن، وأنه لا طريق للعبد المـؤمن إلى نيل هـذه الحلاوة إلا أن يكـون الله ورسـوله أحب إليه مما سـواهما، فـدل ذلك على أن إثبـات صـفة المحبة لله ، والإيمان بـأن الله يُحِب ويُحَبّ هو المـوجب الأساس لذوق حلاوة الإيمان ولذته في القلوب.

أما أهل السنة والجماعة فقد كان أســاس منهجم في صــفات الله تعــالى، أنهم يثبتــون ما أثبته الله لنفسه من صـفات الكمـال أو أثبته له رسـوله من غـير تحريف ولا تعطيـــل، ومنها الصـــفات الاختيارية المتعلقة بمشـــيئته سبحانه كالمحبة والرحمة والرضا والغضـب، وذلك لـورود هذه الصـفات في الكتـاب والسـنة وإجمـاع السـلف على إثباتها كما جاءت: "إثباتا بلا تمثيل وتنـزيها بلا تعطيل"[2].

والنصــوص في إثبــات محبة الله لعبــاده المؤمــنين ومحبتهم له كثيرة في الكتاب والسنة منهــا: قوله تعــالى: ﭽ ﯘ ﯙ ﭼ[3].وقوله تعالى: ﭽ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﭼ[4]. وقوله تعالى:

---

1 (?) انظر: ص 115، 320، 341.
2 (?) انظر: مجموع الفتاوى 3/3-4.
3 (?) سورة المائدة الآية: 54.
4 (?) سورة البقرة الآية: 195.

ﭽ ﯘ ﯙ ﯙ ﮤ ﯛ ﯜ ﭼ[1]. وقوله ﷺ: «حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[2].

قال شيخ الإسلام: (وهذه المحبة حق كما نطق بها الكتاب والسنة، والذي عليه سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة والحديث، وجميع مشايخ الدين المتبعون، وأئمة التصوف[3]، أن الله سبحانه محبوب لذاته محبة حقيقية، بل هي أكمل محبة ... وكذلك هو سبحانه يحب عباده المؤمنين)[4].

ولهذا كان لهم الحظ الأكمل في ذوق حلاوة الإيمان لإثباتهم المحبة، وما تقتضي ذلك من محبة الله وتقديم محبته على محبة ما سواه كما تقدم بيان ذلك في الحديث عن حلاوة المحبة.

وأما الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الصفاتية فقد أنكروا محبة الله ﷻ، وأنكروا أن يكون الله ﷻ يُحِبّ ويُحَبّ، وأوّلوا النصوص الواردة في إثبات هذه الصفة بين الله وعباده المؤمنين.

---

1 (?) سورة البقرة الآية: 222.

2 (?) تقدم تخريجه في ص 115.

3 (?) ومقصود الشيخ بأئمة التصوف: هم بعض أئمة السلف ممن اتخذهم الصوفية أئمة لهم لاشتهارهم بالزهد والعبادة مثل الفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبو سليمان الداراني، وأبو إسماعيل الهروي، وسهل بن عبد الله التستري وغيرهم. فهؤلاء كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة ومذهب أهل الحديث. (انظر: الصفدية 1/267).

4 (?) مجموع الفتاوى 10/66.

فالجهمية والمعتزلة أنكروها مطلقا وزعمـــــــوا أن المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة[1].

والمؤولة من الصفاتية، أولوا محبة الله وقــالوا: أنها الإحســـان، أو إرادة الإحســـان إلى العبد فتكـــون من الأفعال[2].

وقد نقل الجويـني[3] معتقد أئمة الأشـاعرة في المحبة فقال: (قـال بعضـهم: المحبة والرضا يعـبر بهما عن إنعـام الله تعالى وإفضاله، وهما من صـفات الأفعـال، وإذا قيـل: "أحب الله تعالى عبـدا" فليس المـراد به تحننا عليه وميلا إليه، بل المراد إنعامه على عبده، ومحبة العبد لربه تعالى إذعانه له وانقياده لطاعتـه، فـإن الله تعـالى يتقـدس عن أن يميل أو يمال إليه) إلى أن قال: (ومن حقق من أئمتنا لم يكع عن تهويل المعتزلة، وقـال: المحبة بمعـنى الإرادة

---

1 (?) مجموع الفتاوى 10/66.

2 (?) قاعدة في المحبة ص 51.

3 (?) هو أبو المعالي عبد الملك ابن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي يعقـــوب يوسف بن عبد الله بن يوسف الجويـــني، المعـروف بإمـام الحـرمين صـاحب التصـانيف، بـرع في علم الأصول وغـيره، ولد في أول سـنة 419هـ، خـرج إلى الحجـاز وجاور بمكة أربع سنين، وبالمدينة يـدرس ويفـتي، فلهـذا قيل له إمـام الحـرمين، ورد أنه قـال: "لو اسـتقبلت من أمـري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام" مات سنة 478هـ (انظر: سـير أعلام النبلاء 18/468، وفيات الأعيان 3/167).

وكذلك الرضا...) فخلص إلى القول بأن الرب لا تتعلق به المحبة على الحقيقة[1].

هكذا نفى هـؤلاء المحبة وأولوها عن حقيقتهـا، فالله سبحانه لا يُحِب ولا يُحَب في مـذهبهم، وهم بهـذا قد نفـوا الأساس الـذي يقـوم عليه ذوق حلاوة الإيمـان، فـإذا كـان المطلوب من المحبة هو كمالها، فـأي حظ يكـون لمن لم يثبت أصـلها؟، فـالبيت لا يقـوم إلا على أسـاس ثـابت، والحلاوة ثمـرة للمحبـة، فـإذا لم توجد المحبة ولا حـتى الاعـتراف بحقيقتهـا، لم تكن هنـاك حلاوة، فـالأثر تـابع للمؤثر، وإذا عدم المؤثر انعدم الأثر.

وقد اشـتد موقف السـلف ممن أنكر المحبة حـتى إن رئيسـهم "الجعد بن درهم" لما أظهر هـذه البدعة في أوائل المائة الثانية ضـحى به خالد بن عبد الله القسـري أمير العراق والمشـرق، فقد خطب النـاس يـوم الأضـحى فقال: "أيها الناس ضحوا، تقبل الله ضحاياكم، فـإني مضح بالجعد بن درهم، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبـراهيم خليلا، ولم يكلم موسى تكليما، ثم نزل فذبحه[2].

فنفي ما ورد من صـفات الله الثـابت في الكتـاب والسنة أقصر طريق لسد باب معرفة الله والتقرب منه ونيل نفحات الإيمان ولذاته.

---

[1] (?) الإرشاد للجويني ص 338-339، وانظر كـذلك الانصـاف للباقلاني ص 38-39.

[2] (?) انظر: مجموع الفتاوى 10/66-67.

المطلب الثاني
بيان أن من لوازم إنكارهم الرؤية نفي حلاوة الإيمان

إن رؤية المؤمـــنين ربهم يـــوم القيامة كما أنه أعلى نعيم أهل الجنة وأفضله وأجله، وهو كذلك أفضل ما يكرم الله به عباده المؤمـنين من أهل السـنة والجماعة الـذين أثبتوا هـذه الرؤية وعاشـوا متنعمين بنفحـات هـذه اللـذة، متشـوقين إليهـا، سـائلين الله أن يـذيقهم إياها وأن لا يحرمهم منها، مقتدين بذلك برسولهم ونبيهم الذي كـان يدعو الله ويقول: «أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك»[1] فتنعم بلــذة الشـــوق إلى لقائه في الــدنيا داعيا الله أن يمنحه كمال هذه اللذة في الآخرة.

أما أهل البـدع والضـلال من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم ممن أنكـروا هـذه الرؤية ونفـوا أن يكـون الله يُـرى يـوم القيامة[2]، وأوّلـوا النصـوص الـواردة في ذلك تأويلا باطلا، فحرمانهم من هذه اللذة أعظم أنواع العذاب الذي يذوقونه.

فهؤلاء أنكروا هـذه الرؤية وأنكـروا أن يكـون المـؤمن يتنعم بنفس الرؤية، لأنه لا مناسـبة بين المحـدث والقـديم كما زعمـــوا، وذهب بعضـــهم إلى أن الله يخلق لهم نعيما ببعض المخلوقــات مقارنا للرؤيــة، وبعضــهم فسر الرؤية بزيــــادة كشف أو علم أو جعلها بحاسة سادسة ونحو ذلك من الأقوال الباطلة التي حُجبوا بسـببها عن أفضل الثـواب وأعلى النعيم الذي وعد الله به أولياؤه[3].

قال تعالى: ﭽ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ[4].

---

1 (?) تقدم في ص 29.

2 (?) انظر: مقالات الإسلاميين 1/238.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 10/695-696.

4 (?) سورة المطففين الآيات: ١٥ – ١٦.

قال شيخ الإسلام: (فعذاب الحجاب أعظم أنواع العذاب، ولذة النظر إلى وجهه أعلى اللذات، ولا تقوم حظوظهم من سائر المخلوقات مقام حظهم منه تعالى)[1].

فقد روي عن الإمام الأوزاعي -رحمه الله- أنه قال: (إني لأرجو أن يحجب الله جهما وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعده أولياؤه حين يقول: ﭽ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭼ[2] فجَحَد جهم وأصحابه أفضل ثوابه الذي وعد أولياءه)[3].

وقد أشار ابن القيم إلى إنكار الجهمية وغيرهم للرؤية فقال: (وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون، وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ورسوله ودينه مسالمون، وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون أولئك أحزاب الضلال، و شيعة اللعين و أعداء الرسول وحزبه)[4].

وذلك أن الجزاء من جنس العمل، لما أنكروا لذة النظر إلى وجهه سبحانه كان حقهم أن يحرموا منها جزاء وفاقا، فلم يكن لهم في الدنيا لذة الشوق إليها، ولا لهم في الآخرة لذة النظر إلى وجهه الكريم، وهم بإنكارهم الرؤية قد سدوا أعظم الأبواب لنيل حلاوة الإيمان ولذته في القلوب.

---

1 (?) مجموع الفتاوى 1/27.

2 (?) سورة القيامة الآيات: 22-23.

3 (?) شرح أصول اعتقاد أهل السنة 3/558.

4 (?) حادي الأرواح ص 361.

المطلب الثالث
بيان أن من لوازم تعطيلهم صفات الله نفي حلاوة الإيمان

تقـدم بـأن الإيمـان بأسـماء الله وصـفاته أصل الـدين وأســاس الطريق لــذوق حلاوة الإيمــان، والتنعم بعبــادة الرحمن ، وذلك أن المحبة الموجبة لهـذا الـذوق لا تتحقق إلا بمعرفة الله ولا طريق لمعرفته إلا من خلال معرفة أســمائه وصــفاته، فهــذه المعرفة هي أفضل وأوجب ما اكتســبته القلــوب وحصــلته النفــوس، وأدركته العقــول السليمة، فمن كان بالله وبأسـمائه وصـفاته أعـرف كـان فيه أرغب وله أحب، وإليه أقـــــرب، وفي عبادته أخلص، وكان ما يناله من فيضان محبته لله وقربه منـه، ووجـدان حلاوة ذلك ولذته في قلبه أعظم[1].

أما من لم يكن له حظ في معرفة الله عن طريق أســمائه وصــفاته كــان بالله وبــالطريق الموصل إليه والتقــرب منه أجهــل، وكــان ما يناله من حيــاة التعاسة والشقاء أعظم.

قــال شــيخ الإســلام ابن تيمية -رحمه اللــه-: (وأصل عبادته معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسله، ولهـذا كـان مـذهب السـلف أنهم يصـفون الله بما وصف به نفسه وما وصـفه به رسـله من غـير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ...)[2].

---

1 (?) انظر: ص 97.
2 (?) مجموع الفتاوى 13/160.

وقـــال ابن القيم -رحمه اللـــه-: (فالإيمـــان بالصـــفات ومعرفتها، وإثبات حقائقها، وتعلق القلب بها، وشـهوده لها: هو مبـــدأ الطريق ووســـطه وغايته، وهو روح الســـالكين وحاديهم إلى الوصول ومحرك عزمـاتهم إذا فـتروا، ومُثـير هممهم إذا قصـروا، فـإن سـيرهم إنما هو على الشـواهد، فمن كان لا شاهد له فلا سير له، ولا طلب ولا ســلوك له، وأعظم الشواهد: صفات محبوبهم ونهاية مطلــوبهم، وذلك هو العَلَمُ الذي رُفع لهم في السير فشمروا إليه ...)[1].

ولما كان منهج السلف في الصفات هو إثبات ما أثبته الله ورسوله من صفات الكمـال ونفي ما نفـاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله من صفات النقص المتضـمن كمـال الضـــد، كـــان لهم الحظ الأوفر في عبودية الله وعبودية أســمائه وصــفاته، وكــانوا أقــرب النــاس لتحقيق حلاوة الإيمـــان، وذلك أن القلب لا يفلح ولا يصـــلح ولا يتنعم ولا يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه .

وأما الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من أهل الكلام فقد عطلـــوا الله عن صـــفات كماله وخـــالفوا ما عليه الحق الثابت من الكتاب والسنة في أسماء الله الحســنى وصـــفاته العليـــا: فالجهمية أنكـــروا جميع أســـماء الله وصفاته وذلك لظنهم أن إثبـات الأسـماء والصـفات يلـزم منه التشبيه، وأثبتوا اسمي "الخـالق" و"القـادر" وزعمـوا أن لا تشـــبيه فيهمـــا؛ ولأن العبد عنـــدهم ليس بقـــادر ولا خالق غير الله سبحانه[2].

---

[1] (?) مدارج السالكين 3/366.

[2] (?) انظـــر: مقـــالات الإســـلاميين 1/235، والملل والنحل

والمعتزلة أثبتوا الأسماء مجردة عن الصفات، فالله عندهم عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة وحي بلا حياة ...إلخ[1].

ثم تبع هؤلاء أهل الكلام من الكلابية والأشاعرة والماتريدية، فأثبتوا بعض الصفات وأنكروا البعض الآخر على تفصيل في إنكارهم، ومنهم من بالغوا في إثبات الصفات إلى حد تمثيل صفات الله بصفات المخلوقين كالكرامية[2].

فجميع هؤلاء قد سدوا باب معرفة الله والقرب منه والأنس به، فلا يمكن على هذا المنهج محبة الله ولا مدحه، ولا حمده وتمجيده والثناء عليه، ولا الرضى به، ولا الابتهاج بقربه ولا الفرح به ولا اللذة العظمى برؤية وجهه، ولا لذة الآذان والأرواح بسماع كلامه، بل ولا الشوق إليه، ولا الأمان ولا الطمأنينة به وإليه ... بل أعظم من ذلك أنهم سدوا على أنفسهم طريق العلم بإثباته وإثبات ربوبيته إلا بما ينافي صفاته وأفعاله، فليس لهم طريق إلى إثبات ذاته إلا بما يستلزم نفي ذاته وصفاته وأفعاله[3].

للشهرستاني 1/86، ومجموع الفتاوى 6/34-35 ومنهاج السنة النبوية 2/526.

1 (?) انظر: مقالات الإسلاميين 1/235، و مجموع الفتاوى 6/34-35، ومنهاج السنة النبوية 2/526.

2 (?) الكرامية: أتباع أبي عبد الله بن محمد بن كرام كان ممن يثبت الصفات إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم والتشبيه. (انظر: الملل والنحل للشهرستاني 1/99، والفرق بين الفرق ص 203).

3 (?) انظر: الصواعق المرسلة 4/1434-1435.

ولهـــذا لا تجد من هـــؤلاء من تنعم بـــالأمن والراحة النفسية التي يوجدها حلاوة الإيمان فقد عاشوا في حـيرة واضطراب من أمرهم مع فرط علمهم وذكائهم.

قال شيخ الإسـلام: (وتجد عامة هـؤلاء الخـارجين عن منهاج السلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بـذلك، إما عند الموت وإما قبل المـوت، والحكايـات في هـذا كثـيرة معروفة:

هذا أبو الحسن الأشـعري[1] نشأ في الاعـتزال أربعين عاما ينـــاظر عليه ثم رجع عن ذلك وصــــرح بتضـــليل المعتزلة وبالغ في الرد عليهم.

وهــــذا أبو حامد الغــــزالي مع فــــرط ذكائه وتألهه ومعرفته بـــالكلام والفلســـفة، وســـلوكه طريق الزهد والرياضة والتصوف، ينتهي في هذه المسـائل إلى الوقف والحيرة، ويحيل في آخر أمـره على طريقة أهل الكشف، وإن كان بعد ذلك رجع إلى طريقة أهل الحـديث وصـنف: "إلجام العوام عن علم الكلام".

---

1 (?) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسـماعيل بن عبد الله بن موسى ابن بلال بن أبي بـردة ابن أبي موسى أبو الحسن الأشـعري البصـري إمـام المتكلمين، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، مولده سنة 260هـ أخذ علم الكلام أولا عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ثم فارقه ورجع عن الاعـتزال وأظهر ذلك، وشـرع في الـرد عليهم والتصـنيف على خلافهم على مـذهب ابن كلاب تـوفي في سـنة 324هـ وقيل سـنة 320هـ وقيل سـنة 330هـ (انظـر: تـاريخ بغـداد 11/346، ووفيات الأعيان 3/284، وطبقات الشافعية 1/113).

وكذلك أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي[1]، قال في كتابه الذي صنفه في أقسام اللذات: "لقد تـأملت الطـرق الكلاميـة والمنـاهج الفلسـفية فمـا رأيتهـا تشـفي عليلا، ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القـرآن: اقـرأ في الإثبات: ﭽ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﭼ[2] ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﭼ[3]، واقرأ في النفي ﭽ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠﭡ ﭼ[4] ﭽ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﭼ[5] ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭼ[6]، ثم قال: "ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي" وكان يتمثل كثيرا:

نهـــــاية إقدام العقـــــول وأكثر سعي العالمين

وأرواحنا في وحشة من وحاصل دنيانا أذى

ولم نستفذ من بحثنا طول سوى أن جمعنا فيه قيل

وهـذا إمـام الحـرمين تـرك ما كـان ينتحله ويقـرره، واختار مذهب السلف، وكان يقول: يا أصحابنا، لا تشتغلوا بـالكلام، فلو أني عـرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما

---

[1] (?) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الـتيمي البكـري الطبرسـتاني الأصل الـرازي المولـد، الملقب بفخر الـــدين، المعـــروف بـــابن الخطيب، الفقيه الشافعي، الأصولي المفسر متكلم من أصل فارسي، ولد سنة 544هـ، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة، مات سنة 606 هـ ، قال ابن خلكان: "ورأيت له وصية أملاها في مـرض موته على أحد تلامذته تدل على حسن العقيدة". (انظر: سـير أعلام النبلاء 21/500، ووفيـات الأعيـان 4/248، وموسـوعة أعلام الفلسفة ص 156).

[2] (?) سورة طه الآية: 5.

[3] (?) سورة فاطر الآية: 10.

[4] (?) سورة الشورى الآية: 11.

[5] (?) سورة طه الآية: 110.

[6] (?) سورة مريم الآية: 65.

اشـتغلت به، وقـال عند موته: "لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلـومهم، ودخلت فيما نهـوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويـني، وها أنذا أموت على عقيـدة أمي، أو قـال: عقيـدة عجـائز نيسابور.

وكـذلك قـال أبـو عبـد اللـه محمـد بن عبـد الكـريم الشهرستاني أخبر أنه لم يجد عنـد الفلاسـفة والمتكلمين إلا الحيرة والندم، وكان ينشد:

لعمـري لقد طفت وسـيرت طـرفي بين تلك
فلم أرَ إلا واضعـــاً نـــادم)[1]

فهذه الاعترافـات كافية في بيـان مـدى حاجة النـاس إلى التمسك بـالمنهج النبـوي منهج السـلف الصـالح، وأن الأمن والاسـتقرار النفسي والحيـاة الطيبة لا تكـون إلا بسلوك طريقهم، وأخذ علمهم، فكانوا أعلم الناس بمـراد الله ومـراد رسـوله ما جعلهم أعـرف النـاس بالله وبالطريق الموصل إليه والتنعم بعبادته سبحانه.

---

1 (?) مجموع الفتاوى 4/72-73.

الفصل الثاني
الرد على انحرافات الصوفية في حلاوة الإيمان

وتحته تمهيد ومبحثان:

تمهيد: تعريف الصوفية

المبحث الأول: الــرد على الصــوفية في زعمهم أنهم يحققــون حلاوة الإيمـــان عن طريق"السماع" و"الوَجْد"

المبحث الثـــــاني: الـــــرد على بعض المتعبـــدين أنهم يجـــدون للـــذكر حلاوة لا يجدونها عند قراءة القرآن.

تعريف الصوفية

الصـــــوفية اسم من أســــماء النسب كالقرشــــية والمدنية[1]، وقد وردت في بيـــان أصل اشـــتقاقها عـــدة أقـوال منهـا: أنها نسـبة إلى الصـفاء، وأن الصـوفية إنما سميت صوفية لصفاء أسـرارها ونقـاء آثارهـا، وقيـل: إنها نسبة إلى الصف الأول، وقيل: بل نسـبة إلى أهل الصُّـفة الذين كانوا على عهد رسول الله وغيرها من الأقوال[2].

وقد ذكر هذه الأقوال شـيخ الإسـلام ابن تيمية -رحمه اللـه- وبين عـدم سـلامتها من الناحية اللغويـة، إذ لو كـان نسبتها إلى أهل الصفة لقيل: صُفّيٌّ، ولو كان نســبتها إلى الصف لقيل صَـفّيّ، ولو كـان نســبتها إلى الصــفاء لقيل صَـــفوي وهكـــذا، ثم رآى رحمه الله بـــأن الأقـــرب إلى الصواب أن يقال: إنها نسبة إلى لبس الصوف، لأن القوم كانوا في بـدايتهم يتمـيزون بلبس الصـوف، وإن كـانوا لم يختصوا فقط بـذلك، وليس في لبس الصـوف أي فضـيلة دينية تذكر[3].

أما الصــــوفية من الناحية الاصـــطلاحية، فلم يتفق القوم أنفسهم على تحديد تعريف جـامع مُوَحَّد لهـا،

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى 11/6.

2 (?) انظر: لهذه الأقوال الرسالة القشيرية ص 312، التعرف لمذهب التصوف ص 21، ومجموع الفتاوى 11/6.

3 (?) انظـر: مجمـوع الفتـاوى 11/6، تقـديس الأشـخاص في الفكر الصوفي 1/38.

حيث اختلفت فيها أقــوالهم إلى عشــرات بل إلى مئــات التعريفات، ومنها:

1- ما نقله القشـــيري[1] عن الجنيد[2] أنه قـــال: (التصوف ذِكْر مع اجتماع، وَوَجْد مع استماع، وعمل مع اتباع)[3].

2- وقـال أيضـا: (التصـوف تصـفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعيـــة، وإخمـــاد الصـــفات البشـرية، ومجانبة الـدواعي النفسـانية، ومنازلة الصـفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية ...)[4].

3- وقال الجريري[5]: (التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب)[6].

ومن المعاصــرين من عــرف الصــوقية بأنها طريقة زهدية في التربية النفســـية يعتمد على جملة من العقائد

---

1 (?) هو أبو القاسم عبـد الكـريم بن هـوازن بن عبد الملـك بن طلحـــة القشـــيري، الخراســـاني، النيســـابوري، الشـــافعي، الصوفي، المفسر، صاحب "الرسالة" ولد سنة 375هـ. وتوفي سنة 465هـ (سير أعلام النبلاء 18/227).

2 (?) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد أبو القاسم الخــزاز، شــيخ الصوفية، كان أبوه يبيع الزجاج فلذلك كان يقال له القواريري، أصله من نهاوند من بلاد الجبل، ومولده ومنشؤه بالعراق مات سنة 297هـ (انظر: وفيات الأعيان 1/373، والطبقات الكبرى للشعراني 1/84، وطبقات الصوفية ص 36).

3 (?) الرسالة القشيرية ص 313.

4 (?) التعرف لمذهب التصوف ص 25.

5 (?) هو أحمد بن محمد بن الحسـين أبو محمد الجريري، كـان من كبار أصحاب الجنيد ومن علماء مشـايخ القـوم مـات سـنة 311هـ (انظر: الطبقـات الكـبرى للشـعراني 1/94، وطبقـات الصوفية ص 61).

6 (?) الرسالة القشيرية ص 314.

الغيبية مما لم يقم على صحتها دليل في الشرع ولا في العقل[1].

يظهر من هذه التعريفات أن الصوفية عبارة عن أحوال وآداب وسلوكيات، تحكمها الأهواء دون اعتبار للشرع، وما يظهر فيها من تعبيرات عن الزهد وترك ملذات الدنيا إنما هي خاصة بالصوفية الأوائل الذين كان يظهر فيهم هذه الصفات بخلاف صوفية اليوم، فإنهم أسبق الناس إلى الانغماس في ملذات الدنيا وإشباع الغرائز منها.

والصوفي هو شخص سلك طريقة من الطرق الصوفية على يد شيخ موصوف بالوصول عند الصوفية، وسار على الخط المرسوم له، وتدرج إلى النهاية حسب تقدير الشيخ الواصل المربي[2].

وأهم غايات الصوفية هي البحث عن صفاء الروح وتزكية النفس بأنواع من الطرق مثل الرياضة والمجاهدة، والسماع الباعث إلى الوجد، وتعتمد في مصادر التلقي على الذوق والكشف والخواطر والواردات والمنامات وغير ذلك.

---

1 (?) التصوف بين الحق والخلق محمد فهر شفقه ص 7.

2 (?) جناية التأويل الفاسد ص 482.

المبحث الأول

الرد على الصوفية في زعمهم أنهم يحققون حلاوة الإيمان عن طريق "السماع" و"الوجد"

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيـــان حقيقة الســـماع والوجد عند الصوفية

المطلب الثـــاني: الـــرد على مـــزاعم الصوفية وأوهامهم في السماع والوجد

المطلب الثــالث: بيــان حقيقة الســماع عند السلف والصالحين

المطلب الأول
بيان حقيقة السماع والوجد عند الصوفية

لقد ابتـدعت الصـوفية طريقة لـذوق حلاوة الإيمـان ولـذة العبـادة مخالفة للطـرق الشـرعية الموجبة للحلاوة الإيمانية التي سبق بيانها في باب موجبات حلاوة الإيمان، حيث زعمـوا بـأن أحسن طريق لنيل لـذة الطاعة وغـذاء الروح وراحة النفس ورقة القلب هو "السماع" وما يثمره من "وجـد". وهـذا ما يسـتوجب علينا التعـرف على هـذه المصطلحات والوقوف على حقيقتها عند الصوفية.

أولا- السماع:

السماع في اللغة مصـدر من سَـمِع يسـمع سـمْعاً وسَماعاً إذا أدرك الصوت بأداة السـمع أي: الأذن[1]. قـال ابن فـارس: (السـين والميم والعين أصـلٌ واحـدٌ، وهو إينـاسُ الشـيء بـالأُذُن، من النّـاس، وكـلِّ ذي أُذُن)[2]. والسماع له معان أخرى منها:

1- السـماع: ما سَـمَّعْتَ به فشـاع، تقـول: سَـمَّعْتُ بالشيء، إذا أشعتُهُ ليُتَكلَّم به[3].

2- ويطلق ويـراد به الـذكر الجميل الحسـن، يقـال: ذهب سـمْعُه في النـاس وصِـيتُه أَي: ذكـره، وهـذا أَمر ذو سِمْع وذو سَماع إِمّا حسَنٌ وإِمَّا قَبِيحٌ[4].

---

[1] (?) انظر: لسان العرب 8/162، والمفردات لألفاظ القـرآن ص 495.

[2] (?) معجم مقاييس اللغة 3/102.

[3] (?) انظر: لسان العرب 8/162، وكتاب العين 1/348.

[4] (?) انظـر: لسـان العـرب 8/162، ومعجم مقـاييس اللغة

3- ويطلق على كل ما يستلذه الإنسان من صَوْتٍ حَسَنٍ[1]

4- ويطلق خاصة على الغناء ويقال: المُسْمِعةُ أي: المُغَنِّيةُ[2].

وأما **السماع في الاصطلاح الشرعي** فيراد به التلقي، مثل تلقي القرآن أو الحديث أو غيره من كلام طيب ونافع.

قال الراغب الأصفهاني في قوله تعالى: ﭽ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭼ[3]: (فحث على التثبت في السماع وعلى ترك الاستعجال في تلقيه وتلقنه)[4].

ويطلق عند السلف عموما على سماع كتاب الله ﻷ وتدبر آياته والتلذذ بها[5].

وعند المحدثين، فالسماع: ضرب من ضروب تحمل الرواية ونقلها، ويكون بسماع لفظ الشيخ بالتحديث أو الإملاء، وهو أرفع درجات أنواع الرواية[6].

ويطلق أيضا على سماع أهل الجنة وهو ما يستمعونه ويتلذذون به من الأصوات التي في الجنة، وقد ورد ذلك في تفسير قوله تعالى: ﭽ [illegible] ﭼ[7] نقل

3/102.

[1] (?) انظر: الكليات ص 495، ولسان العرب 8/162.

[2] (?) انظر: كتاب العين 1/349، ولسان العرب 8/162، ومعجم مقاييس اللغة 3/102.

[3] (?) سورة طه الآية 114.

[4] (?) المفردات لألفاظ القرآن ص 860.

[5] (?) انظر: مجموع الفتاوى 11/557، ومدارج السالكين 1/521.

[6] (?) انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ص 118، والمعجم الوجيز في اصطلاحات أهل الحديث ص 124.

[7] (?) سورة الروم الآية: 15.

الطبري عن يحي بن أبي كثير رحمهم الله في معنى: ﭼ ﭼ أنه قال: (السماع في الجنة)[1]. وهذا السـماع إمـا سـماع من الأشجار التي تحركها الريح، ويكون لها صوت لذيذ، أو سماع من غناء الحور العين يغنين لهم[2].

ويستخلص من هذه التعريفـات اللغويـة والاصـطلاحية أن السماع إدراك صوت جميـل يحـدث لـذة في النفـوس سواء كان هذا الصـوت من مصـدر شـرعي مثـل القـرآن الكريم والحديث والمواعـظ المـؤثرة، أو أنـه مصـدر غـير شرعي مثل الغناء المحـرم بـالمزامير والـدفوف. فيكـون السماع نوعان: سماع مشروع وسماع غير مشروع.

أما السماع في الاصطلاح الصوفي فهو سـماع القصائد الملحّنة بالآلات المطربة والنغمـات الطيبـة الـتي تحـرك الطبـائع بقصـد التقـرب إلى اللـه والحصـول على صفاء النفس وزكاتها والذوق والوجد الإيماني.

وصورة هذا السماع: هو أن يجتمع القوم رجالا ونسـاء في مسجد أو مكان ما ويستمعون إلى القصـائد المطربـة بالدف والشـبابة[3] وآلات اللهـو، والتصـفيق بـالكف وربمـا يختلـط الرجـال بالنسـاء يرقصـون على صـوت الشـبابات والـدفوف والغنـاء، ويزعمـون أن ذلـك قربـة تقـربهم إلى اللــه، ويزيــد في أذواقهم ومواجيــدهم الإيمانيــة، وأن من

---

1 (?) تفسير الطبري 20/83.

2 (?) انظـر: التعليق المختصر على القصـيدة النونية للشـيخ صالح الفوزان 3/1200، وفيه أبيـات جميلة أوردها ابن القيم في وصف سـماع أهل الجنة وتلـذذهم بما يسـمعون من أصوات جميلة.

3 (?) الشبابة: نوع من المزمار، وتسميها العامة مِنْجَيرة (انظر: المنجد في اللغة ص 371).

رقص غفر له، وقد يصل الحال ببعضهم إلى درجة الصـعق والبكاء والغشية وتمزيق الثياب وإلقاءه للقوال[1].

قـال ابن الجـوزي: (هـذه الطائفـة إذا سـمعت الغنـاء تواجدت، وصفّقت وصاحت ومزقت الثياب)[2].

هذه صورة السماع الصوفي كمـا وصـفها المحققـون، وإن كان الإمـام أبي العبـاس القرطـبي يفـرق بين قـدماء الصوفية وغيرهم في هذا، ويـرى أن هـذه الصـورة خاصـة للصوفية في أيامه، وأن متقدميهم كانوا يطلقـون السـماع على فهم يقع لأحدهم بغتة، يكون عنده وجد وغيبـة سـواء كان ذلك في نظم أو نثر أو غيرهما[3].

وأيّاً كان الأمـر، فـإن حقيقـة السـماع الصـوفي يظهـر جليا من خلال أقوال الصوفية وما صرح به أكابرهم، أنقـل منها ما يلي:

1- قال القشيري: (واعلم أن سماع الأشـعار بالألحـان الطيبة والنغم المتلذة إذا لم يعتقـد السـمع محظـورا، ولم يسمع على مذموم في الشرع، ولم يثجر في زمام هــواه، ولم ينخرط في سـلك لهـواه، مبـاح في الجملـة)[4]. وهـذا

---

1 (?) انظـر: الكلام على مسـألة السـماع لابن القيم ص 89، وكشف الغطــاء عن حكم ســماع الغنــاء له بتحقيق ربيع بن أحمد خلف ص 21، والنهي عن الــرقص والســماع للإمــام الحافظ أبي القاسم الدســـتي رســـالة علمية بتحقيق علي مصري سيمجان ص 1.

2 (?) المنتقى النفيس من تلبيس إبليس ص 327.

3 (?) انظــر: كشف القنــاع عن حكم الوجد والســماع لأبي العباس القرطبي ص 44.

4 (?) الرسالة القشيرية ص 364.

تصـريح منـه بمشـروعية السـماع على هـذه الصـورة، لأن الاستحباب حكم شرعي لا يجوز إثباته إلا بدليل شرعي.

2- وقـال أيضـا: سـمعت الأسـتاذ أبـا علي الـدقاق[1] يقول: (السماع حـرام على العـوام لبقـاء نفوسـهم، مبـاح للزهـاد لحصـول مجاهـداتهم، مسـتحب لأصـحابنا لحيـاة قلوبهم)[2] وهذا أيضا يصرح بمشروعية السماع لكنه جعله خاصا لطبقة الزهاد دون العوام من الناس، وهذا يـدل عن شدة حرصهم على السماع، إذ لو سُمح لكـل النـاس ربمـا أدرك بعضهم بفطرهم السـليمة بطلانـه فيسـقط منـــزلته عندهم.

3- ونقــل الغــزالي عن بعض الصــوفية أنهم قــالوا: (الســـماع غـــذاء الأرواح لأهل المعرفة لأنه وصف يـدق عن سـائر الأعمـال، ويـدرك برقة الطبع لرقته وبصــفاء السر لصــفائه، ولطفه عند أهله)[3]. وهــذا تصريح منهم بأثر السماع العميق في القلب والـروح، ومـا يزعمون فيه من صفاء القلوب وتزكية النفوس.

4- وقال الغزالي: (والسـماع يـؤثر في تصـفية القلب، والصفاء يسبب الكشف، ومنها انبعاث نشـاط القلب بقـوة السـماع فيقـوى به على مشـاهدة ما كـان تقصر عنه قبل ذلك)[4].

هذه بعض شطحات القوم في السـماع، وكتبهم مليئـة بـأقوال وأباطيـل ينفـر منهـا كـل صـاحب فطـرة سـليمة، والمقصود هنا إعطاء الصورة الحقيقية للسماع عند القـوم

---

1 (?) هو الحسن بن علي أبو علي الـدقاق النيسـابوري الزاهد العـارف شـيخ الصـوفيه تـوفي في ذي الحجة سـنة 406هـ. (انظر: شذرات الذهب 3/179، وتذكرة الحفاظ 3/1064).

2 (?) الرسالة القشيرية ص 368.

3 (?) إحياء علوم الدين 2/292.

4 (?) إحياء علوم الدين 2/293.

كوسـيلة من وسـائل تـذوق حلاوة الإيمـان، وسـيأتي الـرد على مزاعمهم وأوهامهم في السماع في المبحث القــادم إن شاء الله.

ثانيا- الوَجْد

أمـا الوجـد فقـد تقـدم تعريفـه لغـة واصـطلاحا وبيـان الفــرق بين الوجــد الشــرعي والصــوفي في أول هــذه الرسالة[1] ما يغني عن الإعـادة هنـا، وسـأكتفي هنـا ببيـان حقيقته عنـد الصـوفية كوسـيلة من وسـائل تـذوق الحلاوة واللذة الإيمانية.

الوجد كما يبدو من أقوال الصوفية هو حالة من اللــذة والحلاوة يســعون للوصــول إليهــا عن طريــق الســماع، والتواجد[2] غير أنهم يعبرون عن حصـوله بمصـادفة وعـدم التكلف، وأنه نتيجة عن صفاء القلب يورثه السماع، فيرفع الحجاب وتحصل المشاهدات والمكاشفات. ومن أقــوالهم في ذلك ما يلي:

1- قـــال الغــــزالي: (الوجد عبـــارة عن حالة يثمرها الســـماع، وهو وارد[3] حق جديد عقيب الســـماع يجـــده

---

1 (?) انظر: ص 30 وما بعدها.

2 (?) التواجد: اسـتدعاء الوجد لضـرب من الاختيـار، وذلك أنهم إذا اجتمعوا للسـماع فمنهم المتكلف حركة ظـاهرة مسـتجلبا بذلك حضور باطنه، فيميل يمينا وشمالا، ويترنح يمينا وشمالا، ويحرك رأسه ومنكبيه، ويضرب صدره، ويصــفق بيديه إلى أن يســتغرقه بزعمه الوجــد، فيغيب عن الوجد بما يلــوح له من المشـاهد والشـهود (كشف القنـاع عن حكم الوجد والسـماع ص 153).

3 (?) الـــوارد عند الصـــوفية هو كل ما يـــرد على القلب من المعـــاني الغيبية من غـــير تعمد من العبد (انظـــر: معجم مصطلحات الصوفية د. أنور فؤاد أبي خزام ص 181).

المستمع من نفسه)[1]. أي: أنه تنزل على قلبه من المعاني الغيبية أثناء السماع ما يجد به لذة في نفسه.

2- وقال القشيري: (الوجد ما يصادف قلبك، ويرد عليك بلا تعمد ولا تكلف)[2]

وقد بين الكلاباذي نوع الوارد هنا فقال: (هو ما صادف قلبك من فزع أو غم أو رؤية معنى من أحوال الآخرة أو كشف حالة بين العبد والله ﷻ)[3]، فأرجع الوجد إلى المكاشفة والمشاهدة.

3- وقال السهروردي[4]: (الوجد ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أو حزنا ويغيره عن هيئته، ويتطلع إلى الله، وهو فرحة يجدها المغلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها إلى الله تعالى)[5].

---

1 (?) إحياء علوم الدين 2/293.

2 (?) الرسالة القشيرية ص 97.

3 (?) إحياء علوم الدين 2/293.

4 (?) هو أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عمويه، الملقب بشهاب الدين السهروردي كان شيخ الشيوخ ببغداد تخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة، مولده بسهرورد سنة 539هـ. وتوفي ببغداد سنة 632هـ (انظر: سير أعلام النبلاء 22/373، ووفيات الأعيان 3/446)..

5 (?) معجم مصطلحات الصوفية د. أنور فؤاد ص 183.

4- وقال أبو الحسين النوري[1]: (الوجد لهيب ينشأ في الأسرار وينسح عن الشوق فتضطرب الجوارح طربا أو حزنا عند ذلك الوارد)[2].

5- وقال أبو سعيد بن الأعرابي[3]: (الوجد رفع الحجاب عن القلب، ثم مشاهدة الحق وملاحظة الغيب)[4].

تلك بعض أقوالهم التي تدلنا على حقيقة الوجد عندهم، وأنه عبارة عن مكاشفات ومشاهدات يحصل فيها الاطلاع على الغيب وتلقي الواردات التي تحصل بها صفاء النفس ولذة الروح وبهجة النفوس، ثم إن القوم لم يقفوا عند هذا الحد بل جعلوا هذه الحالة من الوجد مصدرا شرعيا به يعرف الحق من الباطل والحلال من الحرام، فما وافق مواجيدهم قُبل وما خالفها رُدّ من غير اعتبار لذلك بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف هذه الأمة[5].

---

1 (?) هو أحمد بن محمد أبو الحسين النوري بغدادي المولد والمنشأ خرساني الأصل يعرف بابن البغوي، كان من أجل مشايخ القوم وعلمائهم مات سنة 295هـ (انظر: الطبقات الكبرى للشعراني 1/87، وطبقات الصوفية ص 38).

2 (?) التعرف لمذهب التصوف ص 113.

3 (?) هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر بن درهم ابن الأعرابي العنزي بصري الأصل سكن مكة، وكان في وقته شيخ الحرم، صنف للقوم كتبا كثيرة مات بمكة سنة 341هـ (انظر: الطبقات الكبرى للشعراني 1/117، وطبقات الصوفية ص 104).

4 (?) معجم مصطلحات الصوفية د. أنور فؤاد ص 183.

5 (?) انظر: ص 33.

المطلب الثاني
الرد على مزاعم الصوفية وأوهامهم في السماع والوجد

زعمت الصوفية وتوهموا في السماع والوجد أمورا كثيرة، من أهمها:

1- زعمهم بأن السماع دين، وأن الله أمر به وشرعه الرسول ﷺ، وأذن فيه لأمته.

2- زعمهم بأنه قربة وطاعة، يحصل به صفاء القلوب ورقته، وتزكية النفوس.

3- توهمهم في السماع والوجد لذة وحلاوة تستلذه النفوس وتستروح إليها.

هذه المزاعم والأوهام قد صرح بها القشيري في رسالته، واستدل عليها بنصوص الكتاب والسنة والقياس.

فمن الكتاب استدل بقوله تعالى: ﴿ ... ﴾[1] ثم قال: (اللام في قوله: ﴿ ... ﴾ تقتضي التعميم والاستغراق ...)[2].

ومن السنة استدل بالسنة التقريرية، فقال: (ولا خلاف أن الأشعار أنشدت بين يدي الرسول ﷺ، وأنه سمعها ولم ينكر عليهم في إنشادها، فإذا جاز استماعها بغير الألحان الطيبة فلا يتغير الحكم بأن يسمع بالألحان).

ثم ذكر ما يوجبه هذا السماع من الرغبة على الطاعات والرفعة في الدرجات والقربات ونيل صفاء القلوب من الواردات، فقال: (ثم ما يوجب للمستمع توفر الرغبة على

---

1 (?) سورة الزمر الآيات: ١٧ – ١٨.

2 (?) الرسالة القشيرية ص 364.

الطاعـات وتـذكر مـا أعـد اللـه تعـالى لعبـاده المتقين من الدرجات، ويحمله على التحرّز من الزلات، ويؤدي إلى قلبه في المحال صفاء الواردات مستحب في الدين ومختار في الشرع)[1].

ومن القياس قوله: (واستلذاذ القلوب واشتياقها إلى الأصوات الطيبة واستروحها إليها ممـا لا يمكن جحـوده، فإن الطفل يسكن إلى الصوت الطيب، والجمل يقاسـي تعب السير ومشقة الحمولة، فيهون عليه الحُداء[2])[3].

تلك أبــرز الشــبهات الــتي بــنى عليها القــول بجــواز السماع واستحبابه.

وقد أورد الغــزالي أيضا جملة من الاحتجــاج بما ظنه أدلة الكتـــــاب والســــــنة والأقيسة العقلية على إباحة السماع، ثم قال: (فهذه المقاييس والنصـوص تـدل على إباحة الغنـاء والـرقص والضـرب بالـدف واللعب بالـدرق والحراب، والنظر إلى رقص الحبشة والزنوج في أوقـات الســــــرور كلها ...)[4] بل أدهى من ذلك وأمر أنه جعل الســــماع وما يتبعه من أحـــوال الوجد غاية في تحقيق القـرب من اللـه، وزعم أن المحـروم هو من حـرم لـذة السماع[5].

والرد على هذه المزاعم والأوهام كما يلي:

---

1 (?) الرسالة القشيرية ص 364.

2 (?) الحداء: سوق الإبل والغناء لها (مختار الصحاح ص 167).

3 (?) الرسالة القشيرية ص 367.

4 (?) إحياء علوم الدين 2/279.

5 (?) انظر: إحياء علوم الدين 2/279.

أولا- أما استدلال القشيري بالآية فاستدلال باطل من وجوه:

الوجه الأول: أن الله سبحانه وتعالى لا يأمر باستماع كل قول حتى يقال: اللام للاستغراق والعموم، بل من القول ما يحرم استماعه ومنه ما يكره، ويلزم من هذا القول جواز سماع كل قول مهما كان ماجنا وفاحشا وهذا باطل[1].

والوجه الثاني: أن المراد بالقول في هذا الموضع القرآن كما جاء ذلك في قوله تعالى: ﮋ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﮊ[2]، أي: وصل الله لهم القول في هذا القرآن يخبرهم كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع بمن اقتفى آثارهم، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا، فالقول الذي أمروا بتدبره هو الذي أمروا باستماعه[3].

والوجه الثالث: أن الصحابة لم يكونوا يستحسنون استماع كل قول منظور ومنثور، بل هم كانوا أعظم الناس كراهة ونفرة لما لا يحبونه من الأقوال، ونفورهم عن كثير من الأقوال أعظم من نفور المنازع لهم في سماع المكاء والتصدية عن هذا السماع، وإذا لم يكن العموم مرادا بالاتفاق كان حمل الآية عليه باطلا[4].

---

1 (?) انظر: الاستقامة 1/216، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي 1/319.

2 (?) سورة القصص الآية 51.

3 (?) انظر: تفسير الطبري 19/593، والاستقامة 1/222.

4 (?) انظر: الاستقامة 1/230.

ثانيا: أما استدلاله بإنشاد الشعر بين يدي الرسول ولم ينكره، فلا دليل فيه لما يلي:

أ- أن إنشاد الشعر ليس هو محل النزاع، وهو غير السماع المتعارف عليه لدى الصوفية.

ب- أن شعرهم لم يكن فيه ألحان ولا رقص وهما شرطان في السماع الصوفي.

ت- أن الذين كانوا ينشدون الشعر في عهد الرسول ما كانوا يعتقدون أن ذلك من العبادات التي يتعبد الله بها ويتقرب بها إليه[1].

ثالثا: أما ما زعم فيه من القربة والطاعة وحصول تزكية النفوس منه، فهي مزاعم باطلة، وذلك أن المرجع في القرب والطاعات إلى الشريعة، والتقرب إلى الله تعالى بسماع الغناء الملحن مع آلات اللهو مما يعلم بالضرورة من دين الإسلام، بل ومن سائر شرائع المسلمين أنه ليس مما يتقرب به إلى الله ولا مما تزكو به النفوس وتطهر به، ولا خير يحصل منه بل ضرره على النفس أكبر من نفعه، فقد يهيج الوجد المشترك فيثير في النفس كوامن تضره آثارها ويغذي النفس ويفتنها فتعتاض به عن سماع القرآن حتى لا يبقى فيها محبة لسماع القرآن ولا التلذذ به، ولا استطابة له، بل يبقى في النفس بغض لذلك واشتغال عنه والعياذ بالله[2].

---

1 (?) انظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي 1/320.

2 (?) انظر: الاستقامة 1/260، نزهة الأسماع لابن رجب ص 69 ، ومجموع الفتاوى 11/593-594.

ولهذا تجد من اعتاده واغتذى بـه لا يحن إلى القـرآن ولا يفـرح بـه، ولا يجـد في سـماع الآيـات كمـا يجـد في سماع الأبيـات، بـل إذا سـمعوا القـرآن سـمعوه بقلـوب لاهيـة، وألسـن لاغيـة، وإذا سـمعوا المكـاء والتصـدية خشعت الأصوات، وسكنت الحركات، وأصـغت القلـوب، وتعاطت المشروب[1].

فقـد سـئل الإمـام أحمـد -رحمـه اللـه- عن السـماع، فقال: (هو بدعة محدث، قيـل لـه: أنـه يـرق القلب، قـال: بدعـة)[2] فـبين أنه طريقة بدعية لا تصـلح لصـلاح القلـوب وزكاتها.

رابعا: وأما قياسه على جواز التلذذ بالسماع بالتلذذ بالأصوات الطيبة التي تشتاقها النفوس وتستروح إليها، فهو قياس باطل لما يلي:

أ- أن كون الصوت الحسن فيـه لـذة للحاسـة وملائم لها لا يدل على إباحته ولا تحريمـه، ولا كراهتـه، إذ يلـزم من ذلـك أن يكـون التلـذذ بالزنـا والخمـر وغيرهـا من المحرمات مستحبا، لاشتراكها في جنس اللذة، ولا يقول ذلك مؤمن[3].

ب- أن العمـل لا يمـدح ويـذم بمجـرد اشـتماله على اللذة وعدمها، بـل إنمـا يمـدح منـه مـا كـان للـه أطـوع، ولعامله في الدارين أنفع سواء كان فيه لـذة أو مشـقة،

---

1 (?) مجموع الفتاوى 11/568.

2 (?) مجموع الفتاوى 11/592، ونزهة الأسماع ص 72.

3 (?) انظر: الاستقامة 1/338، ومدارج السالكين 1/527.

فكم من لذيذ هو طاعة ومنفعة، وكم من مشق هو معصية ومضرة، وبالعكس[1].

ت- أن ما يجدونه من لذة في السماع ليست هي لذة الإيمان الصحيحة فبينهما فرق شاسع كما سبق بيانه[2]. فلذتهم متصلة بالشيطان والأهواء من واردات الدفوف والألحان والأغاني المطربة والرقص والضجيج، فهي بمنزلة من شرب عسلا في إناء نجس، بينما لذة الإيمان الصحيحة متصلة بالله من نفحات الأعمال الصحيحة المشروعة، ومن قراءة كتاب الله وتدبره، واستماعه، وفي مزاحمة العلماء بالركب، وفي الجهاد في سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الحب في الله، والبغض فيه، وتوابع ذلك، فهذة اللذة والذوق بمنزلة من يشرب الشراب الطهور الطيب النظيف في أنظف إناءٍ، وأطيبه وأطهره[3].

فأين حال من يطرب بسماع الغناء والقصب بين المثلث والمثاني وذوقه ووجده من حال من يجد لذة السماع[4]، وروح الحال وذوق طعم الإيمان إذا سمع في حال إقبال قلبه على الله وأنسه به، وشوقه إلى لقائه، واستعداده لفهم مراده من كلامه وتنزيله على حاله

---

1 (?) الكلام على مسألة السماع ص 358.

2 (?) انظر: ص 404.

3 (?) انظر: الكلام على مسألة السماع ص 178، وأسرار الصلاة ص 138-140.

4 (?) أي: سماع كتاب الله من صوت حسن فهو سماع السلف والصالحين. انظر: ص 452.

وأخذه بحظه الوافر منه قارئا مجيدا حسن الصوت والأداء[1].

بل إن لذة السماع الشيطاني لا تجتمع مع لذة السماع الإلهي في قلب واحد، فكلما قوي إحداهما ضعفت الأخرى، وفي ذلك أنشد ابن القيم قائلا:

حبُّ الكتاب وحبُّ ألحان الغنا ... في قلب عبدٍ ليس يجتمعان

ثقل الكتاب عليهم لما رَأَوْا ... تقييده بشرائع الإيمان

واللّهْوُ خَفّ عليهم لما رأوا ... ما فيه من طربٍ ومن ألحان

قُوت النفوس وإنما القرآن قو ... تُ القلب أنىّ يستوي القوتان

ولذا تراهُ حظّ ذي النقصان كالْـ ... ـجهال والصِّبيان والنِّسوان

وألذّهم فيه أقلّهم من الـ ... ـعقل الصحيح فسل أخا العرفان

يا لذّة الفسَّاق لَسْتِ كلذّة الْـ ... أبْرار في عَقْلٍ ولا قُرْآن[2].

وإذا عُلم بطلان مزاعم الصوفية وأوهامهم في السماع والوجد تأكد عند ذلك عدم مشروعيته، وعدم صلاحيته ليكون طريقا لذوق حلاوة الإيمان والقرب من ولاية الرحمن، إذ ذلك لا يكون إلا بما شرعه الله في كتابه وشرعه رسوله .

أما السماع والوجد الصوفي، فلم يدل عليه كتاب الله ولا سنة رسوله ، وقد سئل عنه أئمة أهل العلم والدين في استفتاء كُتب في سنة أربعين وسبعمائة،

[1] (?) الكلام على مسألة السماع ص 180- 181.
[2] (?) شرح قصيدة ابن القيم 2/521.

وأجمعوا جميعا على تحريمه وذم القائمين عليه[3]، ومما ورد في إجاباتهم ما يلي:

1- قال الإمام تقي الدين السبكي[1]: (السماع على الصورة المذكورة منكر وبدعة لم يرد عن نبي من الأنبياء ولا أتى به كتاب منزل من السماء، بل هو من أفعال الجهال والشياطين، واجتماع الدف والشبابة ... فزعمهم أن ذلك قربة كذب وافتراء على الله وعلى دينه، وكونه يزيد في أذواقهم لا يقوله إلا جاهل أو متجاهل، فإن الذي يزيد في الأذواق هو السماع على غير هذه الصورة، والمواجيد الإيمانية إنما تقوى وتزيد في السماع المشروع، كسماع القرآن والسنة، والعلم وأخبار الصالحين وما يُؤَثِّر في القلوب، ونحو ذلك على غير الصورة المذكورة في الاستفتاء الواقعة بين أكثر الجهّال.

وقولهم: إن من رقص غُفر له كذب، فالرقص نقص والغناء سفاهة ...

وليست الأشياء التي يفعلها هؤلاء طاعة ولا قربة، ولا دينا شرعه الله لعباده ولا رضيه منهم، ولم يفعل رسول الله شيئا من ذلك، ومن نسب ذلك إلى رسول الله على أنه فعله يُؤَدّب أدباً شديداً، ويعزّر تعزيرا بليغا، ويدخل في زمرة الكذابين على رسول الله)[2].

---

[3] (?) انظر: كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء لابن القيم ص 20.

[1] (?) هو الإمام تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى السبكي الشافعي المفسر الحافظ الأصولي اللغوي النحوي المقرئ، شيخ الإسلام أوحد المجتهدين ولد سنة 683 ومات سنة 756 (انظر: شذرات الذهب 6/179، وطبقات الشافعية 3/37-38).

[2] (?) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء ص 24-25.

2- وقال شرف الدين أحمد بن الحسن الحنبلي[1] -رحمه الله-: (الهيئة المسؤول عنها من السماع بدعة محرمة باتفاق الجمهور من العلماء، وفاعل هذا والحالة هذه آثم ساقط المروءة مردود الشهادة، وقد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسنة على ذم ذلك والنهي عنه وكشف وجه فساده، وكثر ذم السلف والأئمة الأربعة وغيرهم من العلماء لهذه الأفاعيل والنهي عن هذه الأباطيل، ولو بُسِط ذلك لاحتمل مجلدات.

وقد تضمنت هذه الحالة المسؤول عنها وجوها نُهِي عنها شرعا، واجتماع الدُّفّ والشبابة والغناء منهي عنه باتفاق الجمهور، وحضور النساء مع الرجال على تلك الحالة غير سائغ أيضا، ومن أعظم البدع والمنكرات دعواهم كون ذلك قربة يُتقرب به إلى الله سبحانه، فإن هذه الدعوى كذب من القول، وباطل من الكلام، وافتراء على الشريعة المطهرة طهرها الله تعالى عن مثل أفعال هؤلاء الجهلة الضلال مرتكبي الباطل ... فإنه إنما يتقرب إلى الله بما شرع، لا يتقرب إليه بالمحرمات ومنكرات البدع)[2].

ومن فتاوي أئمة آخرون بعد القرن السابع ما يلي:

1- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - في فتاويه-: (وبالجملة قد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي لم يشرع لصالحي أمته وعبادهم وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة، مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف، كما لم يبح لأحد أن يخرج عن

---

1 (?) هو شرف الدين أبو العباس أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة الحنبلي شيخ الحنابلة المقدسي الأصل ثم الدمشقي المشهور بابن قاضي الجبل مولده في سنة 693هـ برع في الحديث والنحو والمنطق (شذرات الذهب 6/218).

2 (?)كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء ص 37.

متابعته واتباع ما جاء به من الكتاب والحكمة لا في باطن الأمر ولا في ظاهره ولا لعامي ولا لخاصي ولكن رخص النبي في أنواع من اللهو في العرس ونحوه[1]، كما رخص للنساء أن يضربن بالدف في الأعراس والأفراح، وأما الرجال على عهده فلم يكن أحد منهم يضرب بدف ولا يصفق بكف ...)[2] .

2- وقال ابن القيم -رحمه الله-: (إن هذا السماع على هذا الوجه حرام قبيح، لا يبيحه أحد من المسلمين، ولا يستحسنه إلا من خلع جلباب الحياء والدين عن وجهه، وجاهر الله ورسوله ودينه وعباده بالقبيح، وسماع مشتمل على مثل هذه الأمور قبحه مستقر في فطر الناس، حتى إن الكفار ليعيرون به المسلمين ودينهم.

نعم خواص المسلمين ودين الإسلام براء من هذا السماع الذي كم حصل به من مفسدة في العقل والدين والحريم والصبيان، فكم أفسد من دين، وأمات من سنة، وأحيا من فجور وبدعة ... وكم جلب من شرك، وأخفى من توحيد، وكم فيه من فتح لطرق الشيطان، وصد عن سبيل الله وعن الإيمان، وكم أنبت في القلب من نفاق، وغرس فيه من عداوة لدين الله وشقاق ...)[3].

---

[1] (?) وذلك فيما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل عليها والنبي عندها يوم فطر أو أضحى، وعندها قينتان تغنيان بما تقاذفت الأنصار يوم بعاث فقال أبو بكر "مزمار الشيطان"؟ مرتين، فقال النبي : «دعهما يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا وإن عيدنا اليوم» رواه البخاري كتاب المناقب باب مقدم النبي وأصحابه المدينة حديث 3931، فدل هذا الحديث على أن الدف من مزامير الشيطان لكنه يرخص فيه للنساء في أيام الأفراح والسرور، وليس فيه حجة في جواز السماع الصوفي. (انظر: نزهة الأسماع ص 50).

[2] (?) مجموع الفتاوى 11/565.

[3] (?) الكلام على مسألة السماع ص 106.

3- وقال ابن رجب - ناقلاً إجماع السلف على تحريم السماع الصوفي-: (وقد حكى الإمام أبو عمرو بن الصلاح[1] وغيره من العلماء الإجماع على تحريم السماع المعتاد في هذه الأزمان على وجهه المعتاد، قال: و من نسب إباحته إلى أحد من العلماء يجوز الاقتداء به في الدين فقد أخطأ ...)[2].

تلك بعض أقوال أهل العلم وفتاويهم في الرد على السماع وبيان ما يتضمنه من منكرات الأعمال يتبرأ منها الدين الذي ارتضاه الله واختاره لعباده وضمن فيه كل أسباب زكاة النفوس وصفاء القلوب وتحصيل السعادة في الدارين.

---

1 (?) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر الكردي الشهرزوري المعروف بابن الصلاح، الشرخاني الملقب تقي الدين، الفقيه الشافعي؛ كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث ونقل اللغة، ولد سنة 577هـ وتوفي سنة 643هـ - (وفيات الأعيان 3/243، تذكرة الحفاظ 4/1430).

2 (?) نزهة الأسماع ص 79.

المطلب الثالث
بيان حقيقة السماع عند السلف والصالحين

إن الله تعـــالى أمر عبـــاده في كتابه وعلى لســـان رســـوله ﷺ بجميع ما يصـــلح قلـــوب عبـــاده ويقربها منـــه، ونهـــاهم عما ينـــافي ذلك ويضـــاده، ولما نهى عبـــاده عن سـماع الغنـاء المحـرم شـرع لهم سـماع القـرآن الكـريم لتتقـــوى به قلـــوبهم، وتزكو به نفوســـهم وتســـتروح إليه أرواحهم، فهذا السماع هو سماع النبيين والمؤمـنين وأهل العلم والمعرفة أجمعين، حث عليه كتـــــاب الله وســـــنة رســـوله ﷺ واجتمع عليه الســـلف الصـــالح من الصـــحابة والتابعين[1].

ومما جـاء في كتـاب اللـه ﷻ في الحث على هـذا السماع ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې﴾[2].

قال السعدي -رحمـه اللـه-: (هـذا الأمر عـام في كل من ســـمع كتـــاب اللّه يتلى، فإنه مـــأمور بالاســـتماع له والإنصات ... فهو أن يلقي سمعه، ويحضر قلبه ويتـدبر ما يستمع، فإن من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتـاب اللّه، فإنه ينال خـيرا كثـيرا وعلما غزيـرا، وإيمانا مسـتمرا متجددا، وهدىً متزايداً، وبصيرة في دينه، ولهـذا رتب اللّه حصـول الرحمة عليهمـا، فـدل ذلك على أن من تُلِيَ عليه

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى 11/557، ونزهة الأسماع ص 81.

2 (?) سورة الأعراف الآية: 204.

الكتـاب، فلم يسـتمع له وينصـت، أنه محـروم الحظ من الرحمة، قد فاته خير كثير)[1].

2- وقوله تعالى: ﭽ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗﭼ[2] فهذه بشارة بالهداية وسلامة العقـل لمن يستمع إلى القرآن ويفهمه ويعمل بما فيه.

3- وقوله تعالى: ﭽ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂﭼ[3]. أي: يتأثرون به غاية التأثر، ويخضعون له[4].

4- وقوله تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫﭼ[5]، أي: ومن أهل الكتاب من إذا سـمع القـرآن أثر ذلك في قلـوبهم وخشـعوا لـه، وفاضت أعينهم بسبب ما سمعوا من الحق الـذي تيقنـوه، فلذلك آمنوا وأقروا به[6].

فهذه الآيات تدل على أن سـماع القـرآن هو السـماع الشـرعي المـؤثر في القلـوب، والحـادي لها إلى علام الغيـوب، ولهـذا كـان يشـهده النـبي ﷺ الـذي بعث لإصـلاح القلوب، وربى عليه صحابته حتى فازوا بأطهر النفوس.

وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود ﭬ قال: قال لي النبي ﷺ: «اقـرأ علي» قلت: يا رسـول الله، أقـرأ عليك وعليك أنزل؟ قـال: «نعم». فقـرأت سـورة النسـاء حـتى أتيت إلى هذه الآية: ﭽ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ

---

1 (?) تفسير السعدي ص 314.
2 (?) سورة الزمر الآيات: 17-18.
3 (?) سورة الاسراء الاية 107.
4 (?) تفسير السعدي ص 468.
5 (?) سورة المائدة الآية 83.
6 (?) انظر: تفسير السعدي ص 242.

ﮔ ﮔ ﭺ[1] قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان[2].

وكـان عمر بن الخطـاب إذا جلس عنـده أبو موسى الأشـــعري قـــال له: «ذكرنا ربنا يا أبا موسى، قـــال: فيقرأ» أي: القرآن وهو يستمع[3].

قـال شـيخ الإسـلام -رحمه اللـه-: (وهـذا هو السـماع الذي كان يشـهده النـبي مع أصـحابه، ويسـتدعيه منهم) وقد بين الآثـار الإيمانية من هـذا السـماع، فقـال: (وهـذا السماع له آثـار إيمانية من المعـارف القدسـية والأحـوال الزكية يطـــول شـــرحها ووصـــفها، وله في الجسد آثـــار محمــودة من خشــوع القلب، ودمــوع العين، واقشــعرار الجلد وهذا مـذكور في القـرآن، وهـذه الصـفات موجـودة في الصحابة) [4].

وفي ذلك يقــول ابن القيم: (كــان أصــحاب محمد ورضي عنهم، إذا اجتمعـوا واشـتاقوا إلى حـادٍ يحـدو بهم ليطيب لهم السير، ومحرك يحرك قلـوبهم إلى محبـوبهم، أمــروا واحــدا منهم يقــرأ والبــاقون يســتمعون، فتطمئن قلــوبهم، وتفيض عيــونهم، ويجــدون من حلاوة الإيمــان أضعاف ما يجده السماعاتية من حلاوة السماع)[5].

وقد تقـدم بيـان ما يجـده المـؤمن من حلاوة الإيمـان في قراءة القرآن وتدبره في باب موجبات حلاوة الإيمـان فليراجع هناك[6]. وبالله التوفيق.

---

1 (?) سورة النساء الآية 41.

2 (?) رواه البخـاري كتـاب فضـائل القلاآن بـاب قـول المقـرئ: "حسبك" حديث 5050.

3 (?) مصــنف عبد الــرزاق 2/486، وحلية الأوليــاء 1/258، ومجموع الفتاوى 11/560.

4 (?) مجموع الفتاوى 11/560، 562.

5 (?) أسرار الصلاة ص 132.

6 (?) انظر: ص 168.

المبحث الثاني
الرد على بعض المتعبدين أنهم يجدون للذكر حلاوة لا يجدونها عند قراءة القرآن.

هذه المسألة لها علاقة بما قبلها حيث أن السماع لون من ألوان الذكر الصوفي، وهم يزعمـون أنهم يجـدون فيه من لـذة وحلاوة لا يجـدونها عند قـراءة القـرآن، وذلك أن السماع عندهم قد حل محل القـرآن جعلـوا مجالسه مثل مجالس القرآن تتنـزّل فيها الرحمة وتستجلب بهـا النعمة، وتحرك بها مواجيد أهل الإيمان، وتستجلي بها مشاهد أهل العرفـان حـتى يقـول بعضـهم إنه أفضل لبعض النـاس أو للخاصة من سـماع القـرآن حـتى يجعلـوه قوتا للقلـوب وغذاء للأرواح وحاديا للنفوس يحدوها إلى السير إلى الله، ويحثها على الإقبال عليه[1].

نُقل عن الجنيد أنه قال: (الرحمة تنـزل على الفقير – أي: الصـــوفي- في ثلاثة مواضع: عند الأكل، فإنه لا يأكل إلا عند الحاجة، وعند الكلام فإنه لا يتكلم إلا للضـــرورة، وعند السماع فإنه لا يسمع إلا عند الوجد)[2].

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى 11/568.

2 (?) التعرف لمذهب التصوف ص 161.

ونقل القشيري عن الخوّاص[1] أنه قـال: (وقـد سـئل: ما بال الإنسان يتحرك عنـد سـماع غـير القـرآن، ولا يجـد ذلك في سماع القرآن؟ فقال: لأن سماع القـرآن صـدمة لا يمكن لأحد أن يتحرك فيه لشدة غلبتـه، وسـماع القـول ترويح فيتحرك فيه)[2].

هكذا جعلوا السماع أفضل من القرآن، ولذتـه أفضـل من لذة القرآن، والحقيقة أنهم حرموا لذة سـماع القـرآن لوجدانهم لذة سماع الأبيات جـزاء وفاقـا، ولـذا لا تجـدهم يحنون إلى القرآن ولا يفرحون به، ولا يجـدون في سـماع الآيـات كمـا يجـدون في سـماع الأبيـات، بل إذا سـمعوا القرآن سـمعوه بقلـوب لاهية، وألسن لاغية، وإذا سـمعوا سَماع المكـاء والتصـدية خشـعت الأصـوات، وسـكنت الحركات، وأصغت القلوب وتعاطت المشروب[3].

وقد استشـــكل بعض النـــاس ما يحصل لهـــؤلاء المشـــتغلين بالـــذكر من أحـــوال الكشف والكرامة وما يجـــدون فيه من لـــذة وحلاوة، فســـألوا عن ذلك شـــيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ونص السؤال كالآتي:

"ما الحكمة في أن المشـــــتغلين بالـــــذكر والفكر والرياضة ومجاهـــدة النفس وما أشـــبهه يفتح عليهم من الكشـوفات والكرامـات، وما سـوى ذلك من الأحـوال مع

---

1 (?) هو أبو إسـحاق إبـراهيم بن أحمد بن إسـماعيل الخـواص من أقران الجنيد والنوري مات سنة 291هـ (انظر: الطبقـات الكبرى للشعراني 1/97، وطبقات الصوفية ص 68).

2 (?) الرسالة القشيرية ص 372.

3 (?) انظر: مجموع الفتاوى 11/568.

قلة علمهم، وجهل بعضــهم ما لا يفتح على المشــتغلين بالعلم ودرسه والبحث عنه؟ حتى لو بات الإنسان متوجها مشتغلا بالذكر والحضور لا بد أن يـرى واقعة أو يفتح عليه شيء، ولو بـات ليلة يكـرر على بـاب من أبـواب الفقه لا يجد ذلك، حتى إن كثـيرا من المتعبـدين يجد للـذكر حلاوة ولذة ولا يجد ذلك عند قراءة القرآن ...؟" [1].

فقد أجـاب -رحمه اللـه- على هـذا السـؤال بأربعة أصول، بيانها كالآتي:

الأصل الأول: أن الذي أوتي العلم والإيمان أرفع درجة من الذين أوتوا الإيمان فقـط، فـالمؤمن العـالم أفضل من المــؤمن الجاهــل، ثم شــرع في بيــان المقصود بالعلم الممدوح، أنه ذلك العلم الموروث عن الأنبياء وهو العلم بالله وبأسماءه وصفاته وأحكامه[2].

هـذا، وقد قـرر شـيخ الإسـلام في موضع آخر بـأن العلم أفضل الأعمـال بعد الفـرائض فقـال: (أما تعليم القرآن والعلم بغير أجـرة فهو أفضل الأعمـال، وأحبها إلى الله، وهـذا مما يعلم بالاضـطرار من دين الإسـلام ليس هذا يخفى على أحد ممن نشأ بـديار الإسـلام)[3].

فدل هذا على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بالـذكر المجـرد بغض النظر عما يحصل مع الـذكر من أحوال.

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى 11/395.

2 (?) انظر: مجموع الفتاوى 11/396-398.

3 (?) مجموع الفتاوى 30/204.

والأصل الثاني: أنه ليس كل عمل أورث كشوفا أو تصرفا[4] في الكون يكـون أفضل من العمل الذي لا يورث كشـفا وتصـرفا، فـإن الكشف والتصـرف إن لم يكن مما يسـتعان به على دين الله وإلا كـان من متـاع الحياة الـدنيا، وقد يحصل ذلك للكفـار من المشـركين وأهل الكتـاب وإن لم يحصل لأهل الإيمـان الـذين هم أهل الجنة، وأولئك أصـحاب النـار، ففضـائل الأعمـال ودرجاتها لا تتلقى من مثل هـــذا وإنما تتلقى من دلالة الكتاب والسـنة، ولهـذا كـان كثـير من الأعمـال يحصل لصاحبه في الدنيا رئاسة ومال، فأكرم الخلق عند الله أتقـاهم، ومن عبد الله بغـير علم فقد أفسد أكـثر مما يصـلح، وإن حصل له كشف وتصـرف، وإن اقتـدى به خلق كثير من العامة[5].

---

[4] (?) ومقصود شيخ الإسـلام بالكشف والتصـرف هي ما يجعله الله من كرامات على يد أوليائه المؤمـنين المتقين، فالكشف هو ما كان من الخـوارق من بـاب العلم، كـأن يعلم العبد ما لا يعلمه غـيره إما إلهاما أو فراسة صـادقة، مثل إخبـار أبي بكر الصـديق بـأن ببطن زوجته أنـثى، وإخبـار عمر بمن يخـرج من ولـده فيكـون عـادلا، فهـذا الكشف الصـحيح لا ما يدعيه الصوفية من كشف علم الغيب.

وأما التصــرف فهو ما كــان من الخــوارق من بــاب القــدرة والتأثير مثل أن يكـون له دعـوة مسـتجابة، أو يكـون من فعل الله الذي لا تـأثير للعبد فيـه، مثل هلاك عـدوه بغـير أثر منـه، قال شيخ الإسلام: (الخارق كشـفا كـان أو تـأثيرا إن حصل به فائدة مطلوبة في الدين كـان من الأعمـال الصـالحة المـأمور بها دينا وشرعا) انظر: مجموع الفتاوى 11/313-318.

[5] (?) مجموع الفتاوى 11/398-399.

يريد رحمه الله أن الميزان في تفاضل الأعمال إنما هو بقدر ما يوافق العمل الكتاب والسنة، لا ما يظهر فيه من أحوال الكشف والكرامة أو ما يشتمل عليه من لذة وحلاوة.

والأصل الثالث: أن تفضيل العمل على العمل قد يكون مطلقا مثل تفضيل أصل الدين على فرعه، وقد يكون مقيدا، فقد يكون أحد العملين في حق زيد أفضل من الآخر، والآخر في حق عمرو أفضل، وقد يكونان متماثلين في حق الشخص وقد يكون المفضول في وقت أفضل من الفاضل، وقد يكون المفضول في حق من يقدر عليه وينتفع به أفضل من الفاضل في حق من ليس كذلك.

مثال ذلك: أن قراءة القرآن أفضل من مجرد الذكر بسنة رسول الله وإجماع الأمة، ولا اعتبار بمن يخالف ذلك من جهال العباد، ثم الركوع والسجود ينهى فيه عن قراءة القرآن ويؤمر فيه بالذكر، وكذلك الذكر والدعاء في الطواف وعرفة ونحوهما أفضل من قراءة القرآن، وكذلك الأذكار المشروعة، مثل ما يقال عند سماع النداء، ودخول المسجد والمنزل والخروج منهما، وعند سماع الديكة والحُمر ونحو ذلك أفضل من قراءة القرآن في هذا الموطن، وأيضا فأكثر السالكين إذا قرؤوا القرآن لا يفهمونه، وهم بعد لم يذوقوا حلاوة الإيمان الذي يزيدهم بها القرآن إيمانا، فإذا أقبلوا على الذكر أعطاهم الذكر من الإيمان ما يجدون حلاوته ولذته، فيكون الذكر أنفع لهم حينئذ من قراءة لا يفهمونها، ولا معهم من الإيمان ما يزداد

بقراءة القـرآن، أما إذا أوتي الرجل الإيمـان، فـالقرآن يزيده من الإيمان ما لا يحصل بمجرد الذكر[1].

والأصل الرابــع: هو أن الرجل قد يــأتي بالعمل الفاضل من غير قيام بشروطه ولا إخلاص، فيه فيكون بتفويت شرائطه دون من أتى بالمفضول المكمل[2].

هــذا ما أجــاب به شــيخ الإســلام ابن تيمية -رحمه اللـــه- لمن استشـــكل ما يظهر من أحـــوال العبـــاد المشتغلين بالذكر من الكرامة والحلاوة.

وخلاصة هـــذا الجـــواب: أن العمل لا يفضل على غيره بمجرد اشـتماله على أحـوال، إنما يفضل بما فيه من موافقة الكتـــاب والســـنة وما يصـــحبه من علم وإخلاص للنيات، فهذه الأمـور الأربعة إذا انضـاف إليها الإيمـــان كـــان ما يجـــده العبد من حلاوة ولـــذة أكمل وأفضل مما يجده المشتغل بالذكر فقط.

فالعلـــم والإيـمان مع عمل موافق للـكتاب والسـنة ضمان لـسعادة الدارين بمشيئة الله

******

الخـاتـمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الأعمال على وجه التمـام، وأشكره على ما أولى به علي من نعمة البداية والإتمــام، إن ذلك من فضله وتوفيقه وكرمه على هـذا العبد الفقـير الذليل الراجي منه دوام التوفيق وحسن الختام، وهو ولي ذلك والقادر عليه ذو الجلال والإكرام. ويطيب لي في هذا

---

1 (?) انظر: مجموع الفتاوى 11/399.

2 (?) انظر: مجموع الفتاوى 11/400.

المقام أن أقدم أبـرز ما توصـلت إليه من نتـائج وثمـرات البحث في هذا الموضوع العظيم:

1- أن للإيمان حلاوة وطعما ولذة يجـدها المـؤمن في قلبه كما يجد حلاوة طعام لذيذ في لسانه.

2- أن هـــذه الحلاوة الإيمانية حقيقية يحس بها العبد بحواسه الداخليــة، وتظهر آثارها على الجــوارح، وليست مجازية كما يقوله بعضــهم، والنصــوص الــواردة في ذلك على ظاهرها لا تحتمل تأويلا ولا تعطيلا.

3- أن حلاوة الإيمان بمثابة حلاوة ثمرة الشـجرة، كما أن الشجرة الطيبة لها ثمرة، والثمــرة لها حلاوة، فكـذلك شـجرة الإيمــان لها ثمــرة ولا بد لتلك الثمــرة من حلاوة. وكما أن حلاوة ثمـــرة الشـــجرة متوقفة على معاهـــدتها بالســـقيا لكي تبقى وتـــدوم، والتنقية لكي تكمل وتتم، كــذلك شــجرة الإيمــان فلا بد من ســقيها بمــاء الإخلاص والعلم واليقين، وتنقيتها من الـــذنوب والبـــدع والمعاصي لكي تثمر حلاوتها.

4- أنه لم يــرد في القــرآن الكــريم نص صــريح على حلاوة الإيمــان ولكن ورد ما يــدل عليه من المعــاني، فهي حقيقة الإيمان، وطمأنينة القلوب، وفرحها وسرورها، وهي زينة الإيمان في القلب، بل هي الحياة الطيبة الـتي يجـدها المؤمن في حياته، وكل ذلك في القرآن الكريم.

5- أما الســنة النبوية فقد اعتنت ببيــان هــذه الحلاوة في أحــاديث كثــيرة يصل عــددها إلى أربعة عشر حــديثا بمختلف الألفــاظ، كما وردت أقــوال كثــيرة عن علمــاء السلف في إثبات حلاوة الإيمان.

6- أن الناس متفاوتون في ذوق حلاوة الإيمان حسب تفاوتهم في الإيمان، فكلما ازداد إيمـان العبـد، كلما ازداد أثر ذلك من لذة وحلاوة يجـدها في قلبـه، فـأعلى النـاس إيمانا أذوقهم لحلاوته.

7- أن حلاوة الإيمـــان تعـــني لمن ذاقها جنة الـــدنيا ونعيمها العــالي، وكثــير ممن ذاقها لم يســتطع وصف ما وجده في قلبه من حالة الحلاوة، وعجزهم هذا عن وصف هذه الحالة كعجزهم عن تحديد معنى المحبة التي تــوجب حلاوة الإيمـــــــان، فالمحبة كما بين ابن القيم لا تحد بحد أوضح منهـــا، وكـــذلك حلاوة الإيمـــان فلا توصف بوصف أوضح منها، لكن من عرف معــنى الحلاوة وما تحملها من معاني الطيب والخير يدرك أن صاحب حلاوة الإيمــان في أطيب الحالات وأفضلها.

8- أن هــــذه الحلاوة تتحقق بتحقيق قواعد الــــدين الأربعة وهي: الحب والبغض والفعل والـــترك، فمن أحب لله وأبغض لله وعمل لله وترك لله اســتكمل إيمانه وذاق حلاوته.

9- أن موجبـات حلاوة الإيمـان كثـيرة ومتعـددة بعـدد شعب الإيمان، ولا تنحصر على الخصال الثلاث المــذكورة في الحـــديث، بل هي داخلة في جميع شـــعب الإيمـــان وأركانه العظام.

10- أن جميع عبـــادات القلب واللســـان والجـــوارح توجب حلاوة الإيمان شريطة أن يأتي العبد بها على أكمل وجه.

11- أن التوحيد والإخلاص من أعظم موجبـــات حلاوة الإيمان وأسباب تحصيلها.

12- أن مـــــرتكب الـــذنوب والمعاصي لا يجد حلاوة الإيمان. فالذنوب إن لم تـؤثر في الإيمـان من حيث ذهابه وبقائه فإنها تنقصـــه، وتمنع صـــاحبها من ذوق حلاوتـــه. والحلاوة تتبع الزيادة وتحصل بها وتزول بالنقص.

13- أن كـون بعض المؤمـنين يجـدون حلاوة الإيمـان دون بعض دليل قـــاطع على ما ذهب إليه أهل الســـنة والجماعة من أن الإيمـــان يزيد وينقص ويتفاضل النـــاس فيه.

14- أن هذه الحلاوة علامة وأمارة على صحة الإيمان وصلاح العمل، وولاية العبد لربه وولاية ربه له.

15- أن لحلاوة الإيمـــان آثـــارا طيبة في حيـــاة من وجـــدها، فهي تقـــوده نحو الزيـــادة في حب الطاعـــات والثبات عليها، وكراهية أعمال الكفر والفسوق والعصيان.

16- أن حلاوة الإيمان من أعظم موانع حصـول القلق والحـــيرة والاضـــراب ومن أعظم عوامل تحقيق أســـباب السعادة والسكون والراحة وطيب الحياة.

17- أن الوقوع في البدع واتباع الهـوى يمنع من ذوق حلاوة الإيمان الصحيح.

18- أن ما يظهر على أصـــحاب البـــدع من حـــالات الخشوع والبكاء ليست ناتجة عن حلاوة الإيمـان الصـحيح ولا تدل عليها، بل هي لذة شيطانية اسـتدراجية، والفـرق بينها وبين حلاوة الإيمان كما بين السماء والأرض.

19- أن الفـرق المنحرفة الحائـدة عن طريق النـبي سلكوا طريق الوجد والسماع وزعموا أنها أقـرب الطـرق لـذوق حلاوة الإيمـان ونيل زكـاة النفـوس، لكنها طريقة بدعية لم يدل عليها كتاب الله ولا سنة رسـوله ولا عمل بها السـلف الصـالح، وعليه فلا يحصل لهم ما طلبـوه من حلاوة الإيمان وزكاة النفوس.

20- أن فقـدان حلاوة الإيمـان كـان من أهم أسـباب الحيرة والقلق لدى العديد ممن انحـرف في بـاب أسـماء الله وصفاته مع فرط علمهم وذكائهم.

هذا ما تيسر ذكره من نتائج في هذا الموضوع، وأرجو أن أكون قد وفقت في اختيار هذا الموضوع والبحث فيـه، وما كان فيه من صـواب فبتوفيق الله وما كـان فيه من خطأ فمن ضعفي وتقصيري. وأصـلي وأسـلم على أفضل

الأنبياء وإمام الرسل صلوات الله وسـلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العلمية

قائمة المصادر والمراجع

1- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة للشيخ الإمام أبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري كتاب القدر تحقيق د. عثمان عبد الله آدم الأثيوبي دار الراية الطبعة الأولى 1418هـ.
2- الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ 1974م.
3- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة د. عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع إصدار عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية الطبعة الأولى 1423هـ 2003م.
4- اجتماع الجيوش الإسلامية للإمام ابن القيم الجوزية نحقيق: د. عوّاد عبد الله المعتق مكتبة الرشد، الرياض الطبعة الثالثة 1419هـ 1999م.
5- إحياء علوم الدين لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي دار االمعرفة بيروت.
6- اختيار الأولى في اختصام الملأ الأعلى للحافظ ابن رجب الحنبلي ضمن مجموع رسائله، تحقيق: ناصر النجار، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.
7- الأذكار النووية تأليف الإمام الفقيه المحدث محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي ، طبعة جديدة منقحة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان 1414 هـ - 1994م.
8- أرسطو المعلم الأول ماجد فخري، الدار الأهلية للنشر بيروت لبنان الطبعة الثانية 1977م.
9- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري للإمام شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1416هـ 1996م.
10- الاستقامة لابن تيمية تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم 1411هـ 1991م.
11- استنشاق أنيس الأنس للحافظ ابن رجب الحنبلي ضمن مجموع رسائله، تحقيق: ناصر النجار، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

12- الاستيعاب للإمـام يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الـــبر تحقيـــق: علي محمد البجـــاوي دار الجيل الطبعة الأولى 1412هـ.
13- أســـرار الصـــلاة والفـــرق والموازنة بين ذوق الصـــلاة والســـماع لابن قيم الجوزية تحقيـــق: إيـــاد بن عبد اللطيف بن إبراهيم القيسي دار ابن حزم الطبعة الثانية 1426هـ 2005م.
14- الإصابة في تميـيز الصـحابة للحافـظ أحمـد بن علي بن حجـر أبـو الفضـل العسـقلاني تحقيـق: علي محمـد البجـاوي دار الجيل بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ.
15- الإصـابة في تميـيز الصـحابة للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل بـيروت، الطبعة الأولى 1412هـ.
16- أصول الدين للشيخ القاضي الإمام سيف السنة والدين أبو اليسر محمد بن محمد بن عبد الكـــريم الـــبزدوي البغـــدادي تحقيق: الدكتور هانز بيـترلنس دار إحيـاء الكتب العربية القـاهرة 1383هـ 1964م.
17- أضواء البيان في إيضاح القـرآن بـالقرآن للشـيخ محمد الأمين بن محمد المختـار الشـنقيطي تخـريج: الشـيخ محمد عبد العزيز الخالدي دار الكتب العلمية بـيروت الطبعة الأولى 1417هـ 1996م.
18- اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل تأليف: عبد الواحد بن عبـد العزيز بن الحارث التميمي، دار المعرفة بيروت.
19- إعلام المـــوقعين عن رب العـــالمين للإمـــام ابن القيم الجوزيـــة، تحقيـــق: طه عبد الـــرءوف ســـعد، دار الجيل بـــيروت 1973م.
20- الإعلام بمن في تـاريخ الهند من الأعلام المسـمى نزهة الخواطر وبهجة المسـامع والنـواظر للعلامة الشـريف عبد الحي بن فخر الـدين الحسـني دار ابن حـزم الطبعة الأولى 1420 هـ 1999م.
~~21- الأعلام تـأليف: خـير الـدين بن محمـود الـزركلي، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الثانية عشر 1997م.~~
22- أعمـال القلـوب وأثرها في الإيمـان رسـالة دكتـوراه لمحمد دوكوري بن محمد 1417-1418هـ 1996-1997م.
23- إغاثـة اللهفـان من مصـايد الشـيطان للإمـام ابن القيم الجوزية تحقيق: محمد سيد كيلاني دار التراث القاهرة.

24- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق: د. ناصر بن عبد الكريم العقل طبعة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة السابعة 1419هـ 1999م.
25- اقتضاء العلم العمل للإمام أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الرابعة ، 1397هـ.
26- إكمال إكمال المعلم للإمام أبي عبد الله محمد بن خلفة الأبي، دار الكتب العلمية بيروت.
27- إكمال المعلم بفوائد مسلم للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق: د. يحي إسماعيل دار الوفاء الطبعة الأولى 1419هـ 1998م.
28- الأم للإمام محمد بن إدريس الشافعي دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية 1393هـ.
29- الأمراض النفسية والعقلية تأليف: د. عبد الرحمن عيسى دار المعرفة الجامعية إسكندرية 1994م.
30- انتصار الحق للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة الطبعة الأولى 1411هـ 1990م.
31- الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به لإمام المكلمين القاضي أبي بكر بن الباقلاني، تحقيق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري المكتبة الأزهرية للتراث 1421 هـ 2000م.
32- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، تأليف: محمد بن إبراهيم القاسمي، دار الكتب العلمية بيروت. الطبعة الثانية 1987م.
33- الإيمان والحياة د. يوسف القرضاوي مكتبة وهبه القاهرة الطبعة السادسة 1398هـ 1978م.
34- البداية والنهاية للحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، مكتبة المعارف بيروت.
35- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية تحقيق: معروف مصطفى زريق محمد وهبي سليمان علي عبد الحميد دار الخير للطباعة والنشر بيروت الطبعة الأولى 1414هـ 1994م.
36- البرهان في علوم القرآن للإمام محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بيروت 1391هـ .

37- بهجة قلــوب الأبــرار للشــيخ عبد الــرحمن بن ناصر السعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفـات الشـيخ مركـز صـالح بن صالح الثقافي بعنيزة الطبعة الأولى 1411ﻫ 1990م.
38- تاريخ الخلفاء للحافظ جلال الدين السيوطي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى.
39- التاريخ الصغير للإمام محمد بن إبـراهيم بن إسـماعيل البخـاري، تحقيـق: محمـود إبـراهيم زايد، دار الـوعي مكتبة دار التراث حلب, القاهرة، الطبعة الأولى 1397ﻫ 1977م.
40- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملـوك) للإمـام أبي جعفر محمد بن جرير الطـــبري، دار الكتب العلمية بـــيروت، الطبعة الأولى 1407ﻫ .
41- التاريخ الكبير للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري، تحقيق : السيد هاشم الندوي، دار الفكر
42- تــاريخ بغــداد للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي مطبعة السعادة مصر 1349ﻫ 1931م.
43- تــاريخ دمشق للحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشـافعي المعـروف بـابن عسـاكر، دراسة وتحقيق علي شيري دار الفكر بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1419 ﻫ 1998م.
44- التبيـان في أقسـام القـرآن للإمـام ابن القيم الجوزية عنايـة: محمد العـرب، المكتبة العصـرية بـيروت، الطبعة الأولى 1424ﻫ 2003م.
45- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري دار الكتب العلمية بيروت.
46- التخويـف من النـار للحافـظ ابن رجب الحنبلي ضـمن مجموع رسائله، تحقيق: ناصر النجار، مكتبة أولاد الشيخ للتراث
47- تــذكرة الحفــاظ للإمــام أبي عبد الله شــمس الــدين الذهبي دار إحياء التراث العربي بيروت.
48- التــذكرة في أحــوال المــوتى وأمــور الآخــرة للإمــام القرطبي تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحـديث القـاهرة، الطبعة الأولى 1419ﻫ 1999م.
49- ترجمة الطبراني تأليف: يحيى بن عبد الوهاب بن منـده أبو زكريا الأصــبهاني، تحقيق: حمــدي بن عبد المجيد الســلفي مطبعة الأمة – بغداد، الطبعة الثانية، 1404ﻫ 1983م.

50- التصــوف بين الحق والخلق تــأليف: محمد فهر شــفقة الدار السلفية الطبعة الثالثة 1403هـ 1983م.
51- التعبد بالأسماء والصفات لمحات علمية إيمانية وليد بن فهد الودعان دار إشبيليا الطبعة الأولى 1424هـ 2003م.
52- التعـرف لمـذهب التصـوف محمد الكلابـاذي أبو بكر دار الكتب العلمية بيروت 1400هـ
53- التعريفــات تــأليف: الشــريف بن محمد الجرجــاني دار الكتب العلمية بيروت لبنان الطبعة الأولى 1403هـ 1983م.
54- تعظيم قدر الصـلاة تـأليف : أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجـــاج المـــروزي تحقيق : د. عبد الـــرحمن عبد الجبـــار الفريوائي مكتبة الدار المدينة المنورة الطبعة الأولى 1406هـ
55- التعليق المختصر على القصـــــيدة النونية المســــماة بالكافية الشافية في الانتصـار للفرقة الناجية لابن القيم، تعليـق: فضيلة الشيخ الـدكتور صـالح بن فـوزان الفـوزان الطبعة الأولى 1424هـ 2004م.
56- تفسـير ابن كثـير المسـمى تفسـير القـرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل ابن كثير مؤسسة الريان.
57- تفسير البغـوي (معـالم التنزيـل) الحسـين بن مسـعود الفــراء البغــوي تحقيــق: خالد العك مــروان ســوار دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية 1407هـ 1987.
58- تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسـرار التأويـل) ناصـر الدين أبو الخير عبـد اللـه بن عمـر بن محمـد البيضـاوي تحقيـق: عبد القـادر عرفـات العشـا حسـونة، دار الفكـر بـيروت، 1416هـ 1996م.
59- تفسير الثعالبي المسمى الجواهر الحســان في تفســير القــرآن، للإمــام عبـد الـرحمن بن محمـد بن مخلـوف الثعـالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.
~~60- تفسير السعدي المسمى تيسير الكـريم الـرحمن في تفســير كلام المنــان للعلامة الشــيخ عبد الــرحمن بن ناصر الســعدي تحقيــق: عبد الــرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1420هـ 2000م.~~
61- تفسير الطبري المسمى جامع البيـان في تأويل القـرآن للإمــام محمد بن جرير أبو جعفر الطــبري، تحقيــق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1420 هـ 2000م.

62- تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القـرآن للإمـام أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي تحقيـق: أحمد عبد العليم البردوني دار الشعب القاهرة الطبعة الثانية 1372هـ.
63- تقـديس الأشـخاص في الفكر الصـوفي عـرض وتحليل على ضوء الكتـاب والسـنة تـأليف: محمد أحمد لـوح دار الهجـرة الرياض الطبعة الأولى 1416هـ-1996م
64- تقـــــريب التهـــــذيب للحافظ أحمد بن علي بن حجر العســقلاني، تحقيق : محمد عوامة دار الرشــيد ســوريا الطبعة الأولى 1406هـ 1986 م.
65- التمهيـــد في علم التجويد للإمـــام محمد بن محمد بن الجزري، تحقيق: د. علي حسين البوّاب، مكتبة المعارف الريـاض، الطبعة الأولى 1405هـ 1985م.
66- التنبيهـــات اللطيفة فيما احتـــوت عليه العقيـــدة الواسطية من المباحث المنيفة للشـيخ عبد الـرحمن السـعدي تحقيق وتعليق أبي محمد أشـــرف بن عبد المقصـــود أضـــواء السلف الرياض الطبعة الأولى 1420هـ 2000م.
67- تهــافت الفلســفة عن درك الحقيقة المطلقة تــأليف: الأسـتاذ محمـود أبو الفيض المنـوفي الحسـيني دار نهضة مصر القاهرة.
68- تهـــذيب التهـــذيب للإمـــام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى 1404هـ 1984م.
69- تهـذيب السـنن للإمـام ابن القيم الجوزية تحقيــق: د. إســماعيل بن غــازي مكتبة المعــارف الريــاض الطبعة الأولى 1428هـ 2007م.
70- تهـذيب الكمـال للحافظ أبي الحجـاج يوسف بن زكي المـزي تحقيق د. بشـار عـواد مؤسسة الرسـالة بـيروت الطبعة الأولى 1400هـ 1980م.
71- تهـــذيب اللغة لأبي منصـــور محمد بن أحمد الأزهـــري تحقيق: د. عبد الله درويس الدار المصرية.
72- التوبة والاســـتغفار لابن تيمية تحقيـــق: محمد عمر الحاجي عبد الله بدران دار الكتاب العربي بـيروت الطبعة الأولى 1414هـ 1994م.
73- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السـعدي ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفـات الشـيخ مركـز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة الطبعة الأولى 1411هـ 1990م.

74- تيسـير العزيز الحميد في شـرح كتـاب التوحيد للشـيخ سـليمان بن عبد الله بن عبد الوهـاب دار الفكر بـيروت 1412هـ 1992.
75- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشـيخ مركـز صـالح بن صـالح الثقـافي بعنـيزة الطبعـة الأولى 1411هـ 1990م.
76- الثبات عند الممات للإمـام أبي الفـرج عبد الـرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجـــوزي، تحقيـــق: عبد الله الليـــثي الأنصــــاري، مؤسسة الكتب الثقافية بــــيروت، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت الطبعة الأولى 1406هـ
77- الثقــات للإمــام محمد بن حبــان بن أحمد أبو حــاتم البســتي تحقيق الســيد شــرف الــدين أحمد دار الفكر الطبعة الأولى 1395هـ 1975م.
78- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم للحافظ ابن رجب البغــدادي تحقيــق: شــعيب الأرنــؤوط إبراهيم بـاجس مؤسسة الرسـالة بـيروت، الطبعة الأولى 1419هـ 1998م.
79- جـامع بيـان العلم وفضـله للإمـام أبي عمر يوسف ابن عبد البر دار الكتب العلمية يروت.
80- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتّوح بن عبد الله الأزدي، الدار المصـرية 1966م.
81- الجرح والتعديل للإمام الحافظ أبي محمد عبد الـرحمن بن أبي حــاتم دار الكتب العلمية بــيروت الطبعة الأولى 1372هـ 1953م.
82- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خـير الأنام للإمام ابن القيم الجوزية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت.
83- جناية التأويل الفاسد على العقيـدة الإسـلامية د. محمد أحمد لــوح دار ابن عفــان، الخــبر المملكة العربية الســعودية الطبعة الأولى، 1421هـ 2000م.
84- الجواب المفيد في الفرق بين التغـني والتجويـد فضـيلة الشـيخ عبـد الـرحمن بن محمـد الدوسـري توثيـق وتعليـق: أ. د. سعود بن عبد الله الفنيسان دار اشبيليا للنشـر والتوزيـع الطبعـة الأولى 1420هـ 2000م.

85- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح أو صفة الجنة لابن القيم الجوزية تحقيق: علي الشربجي وقاسم النوري مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الثالثة 1424هـ 2003م

86- حاشية السندي على النسائي تأليف : نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية ، 1406 – 1986، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة.

87- حجة الله البالغة للإمام الشيخ أحمد المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي عناية الشيخ محمد شريف سكر دار إحياء العلوم بيروت الطبعة الأولى 1410هـ 1990م.

88- حلاوة الإيمان (مقالة) محمود فرج العقده مجلة الأزهر 2 صفر 1375هـ، 1955م مركز الملك الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض رقم: 018365

89- حلاوة الإيمان (مقالة) أحمد عبده الشرباصي مجلة لواء الإسلام 7 ربيع الأول 1385 هـ، 1965م. مركز الملك الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض، رقم: 035434

90- حلاوة الإيمان (مقالة) للأستاذ موسى محمد علي مجلة الأزهر 10 شوال 1401 هـ ، 1981م مركز الملك الفيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض رقم: 018673

91- حلاوة الإيمان في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة تأليف: سليم الهلالي، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة 1412هـ 1991م.

92- الحوادث والبدع للإمام أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوسي تحقيق: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد دار ابن الجوزي الطبعة الثالثة 1422هـ.

93- الخشوع في الصلاة للحافظ ابن رجب الحنبلي ضمن مجموع رسائله، تحقيق: ناصر النجار، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

94- الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن قيم الجوزية تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية القاهرة ومكتبة العلم بجدة ، الطبعة الأولى 1417هـ 1996م دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى 1996م.

95- الدر المنثور للحافظ جلال الدين السيوطي دار الفكر بيروت 1993هـ.

96- الدعاء المأثور وآدابه أبوبكر الطرطوسي الأندلسي تحقيق: د. محمد رضوان الراية، دار الفكر المعاصر بيروت.

97- الدعاء فضائله وآدابه عبد الله سراج الدين الطبعة الأولى 1405هـ 1985م.

98- الـدعاء ومنزلته من العقيـدة الإسـلامية أبو عبد الـرحمن جيلان بن خضر العروسي مكتبة الرشد الريـــــاض الطبعة الأولى 1417هـ 1996م.

99- دلائل النبوة للحافظ أحمد بن الحسـين بن علي أبو بكر البيهقي تحقيــق: د. عبد المعطى قلعجى دار الكتب العلمية ودار الريان للتراث، الطبعة الأولى 1408هـ 1988م.

100- ديــوان المتنــبي أحمد بن الحســين الجعفي الكنــدي، راجعـه: يوسف البقـاعي، دار الكتـاب العـربي بـيروت، 1426هـ، 2005م.

101- الذكر وأثـره في دنيا المسـلم وآخرته تـأليف: د. محمد صدقي بن أحمد البورنو 1408هـ.

102- ذم الدنيا لابن أبي الدنيا تحقيق وتعليق مجـدي السـيد إبراهيم، مكتبة القرآن.

103- ذم الهــوى للإمــام أبي الفــرج عبد الــرحمن بن أبي الحسن الجوزي تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة الطبعة الأولى 1381هـ 1962م.

104- الرحلة في طلب الحـديث للخطيب البغـدادي تحقيـق: نور الدين عتر الطبعة الأولى 1395هـ 1975م.

105- الرسالة التبوكية للإمام ابن القيم الجوزية تحقيق: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السلفي مكتبة الخراز دار ابن حـزم الطبعة الكاملة الأولى 1419هـ 1998م.

106- رسالة التوحيد للعلامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغني الــدهلوي الشــهيد، تعليق وتقــديم: أبو الحسن علي الحســيني النــدوي، المكتبة اليحيوية ســهارنفور الهند مكتبة نــدوة العلمــاء لكهنؤ (الهند) الطبعة الثانية 1398هـ 1978م.

107- الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم بن هــوازن القشيري دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1418هـ 1998 م.

108- رسالة في الكلام على قوله تعالى: ﭽ ۋ ۋ ﭼ [فاطر: ٢٨] للحافـظ ابن رجب الحنبلي ضـمن مجمـوع رسـائله، تحقيق: ناصر النجار، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.

109- الرسالة في تحقيق التوبة ضمن جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق: د. محمد رشـاد سـالم مطبعة المـدني الطبعة الأولى 1389هـ 1969م.

110- رسـالة في تحقيق الشـكر لشـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله ضـمن جـامع الرسـائل تحقيق د. محمد رشـاد سـالم مطبعة المدني الطبعة الأولى 1389ﻫ 1969م.
111- رسائل في إعجـاز القـرآن حققها وعلق عليهـا: محمد خلف الله أحمد دار المعارف بمصر الطبعة الثانية.
112- الرقة والبكـاء لابن أبي الـدنيا تحقيـق: محمد خـير رمضان يوسف دار ابن حزم الطبعة الأولى 1416ﻫ 1996م.
113- رهبان الليل د. سيد بن حسين العفاني مكتبة معاذ بن جبل، الطبعة الحادية عشر 1423ﻫ 2002م.
114- روح المعـاني في تفسـير القـرآن العظيم والسـبع المثـاني للإمـام أبي الفضل محمـود الألوسي، دار إحيـاء الـتراث العربي بيروت.
115- الـروح للإمـام ابن القيم الجوزية تحقيـق: كمـال علي الجمل مكتبة الإيمان مصر.
116- روضة المحـبين ونزهة المشـتاقين لابن القيم الجوزية تحقيـق: د. السـيد الجميلي دلر الكتـاب العـربي الطبعة الثامنة 1422ﻫ 2002م.
117- الريـاض الناضـرة والحـدائق الزاهـرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ مركـز صـالح بن صـالح الثقافي بعنيزة الطبعة الأولى 1411ﻫ 1990م.
118- زاد المسـير لأبي الفـرج عبد الـرحمن بن علي بن الجوزي المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثالثة 1404ﻫ.
119- زاد المعـاد في هـدي خـير العبـاد للإمـام ابن القيم الجوزية تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1418ﻫ 1997م.
120- الزهد لعبد الله بن المبـارك وهو أبو عبد الله عبد الله بن المبـارك بن واضح المـرزوي، تحقيـق: حـبيب الـرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت.
121- الزهد للإمـام أحمد بن حنبل الشـيباني دار الريـان للتراث، مكان النشر القاهرة 1408ﻫ
122- الزهد والورع والعبادة لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق: حمـاد سـلامة محمد عويضة مكتبة المنـار الأردن، الطبعة الأولى 1407ﻫ.
123- سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الـدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض.

124- السنة لابن أبي عاصم تأليف: عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى1400هـ.
125- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال دراسة وتحقيق الدكتور عطية الزهراني دار الراية الطبعة الأولى 1410هـ 1989م.
126- السنة للإمام عبد الله بن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيباني تحقيق: الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، رمادي للنشر الدمام الطبعة الرابعة 1416هـ 1996م.
127- سنن ابن ماجه محمد بن يزيد أبو عبد الله ابن ماجه القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الحديث القاهرة 1414هـ 1994م.
128- سنن أبي داود للإمام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد دار الفكر.
129- سنن البيهقي الكبرى للإمام أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز - مكة المكرمة 1414هـ 1994م.
130- سنن الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي بيروت.
131- سنن الدارمي تأليف: الإمام عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي بيروت، تحقيق : فواز أحمد زمرلي , خالد السبع العلمي، الطبعة الأولى 1407هـ.
132- سنن النسائي للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الطبعة الثانية 1406هـ 1986م.
133- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي مشرف تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة الطبعة الحادية عشرة 1419هـ 1998م.
134- السيرة النبوية عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد تحقيق: طه عبد الرءوف سعد دار الجيل بيروت 1411هـ.
135- السيرة النبوية للإمام أبي الفدء إسماعيل ابن كثير تحقيق: مصطفى عبد الواحد مكتبة الجامعة الإسلامية، 1384هـ 1964م.

136- شأن الدعاء لأبي سليمان حمد بن محمد الخطابي تحقيق: أحمد يوسف الدقان دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى 1404هـ 1984م.
137- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي دار إحياء التراث العربي بيروت.
138- شرح أصول اعتقاد أهل السنة و الجماعة لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن المنصور الطبري اللالكائي تحقيق د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي دار طيبة الطبعة الرابعة 1416هـ 1995م.
139- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية للنووي، شرح الإمام ابن دقيق العيد دار ابن حزم الطبعة الثانية 1423هـ 2002م.
140- شرح السنة لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي تحقيق: الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية 2003م، 1424هـ.
141- شرح السيوطي لسنن النسائي عبد الرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية حلب، الطبعة الثانية 1406هـ 1986م.
142- شرح العقيدة الطحاوية للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة الطبعة التاسعة 1417هـ 1996م.
143- شرح العقيدة الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين إعداد: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان دار الثريا للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1419هـ 1998م.
144- شرح حديث "لبيك اللهم لبيك" للحافظ ابن رجب الحنبلي ضمن مجموع رسائله، تحقيق: ناصر النجار، مكتبة أولاد الشيخ للتراث.
145- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله مدار الوطن للنشر الرياض 1426هـ.
146- شرح سنن ابن ماجه للإمام جلال الدين السيوطي، وعبد الغني، وفخر الحسن الدهلوي قديمي كتب خانة كراتشي.
147- شرح سنن أبي داود للإمام أبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني، تحقيق: أبي المنذر خالد بن

إبـراهيم المصـري مكتبة الرشد الريـاض، الطبعة الأولى 1420هـ 1999م.

148- شرح صحيح البخاري لابن بطـال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك مكتبة الرشد الريــاض الطبعة الأولى 1420هـ 2000م.

149- شرح صحيح مسلم للإمام أبي زكريا يحـيى بن شـرف بن مري النـووي دار إحيـاء الـتراث العـربي بـيروت الطبعة الثانية 1392هـ.

150- شـرح قصـيدة ابن القيم المسـماة توضـيح المقاصد وتصحيح القواعد في شـرح قصـيدة الإمـام ابن القيم أحمد بن إبراهيم بن عيسى تحقيق: زهـير الشـاويش المكتب الإسـلامي بيروت الطبعة الثالثة 1406هـ.

151- الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجـري تحقيـق: الوليد بن محمد بن نبيه سـيف النصر مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى 1417هـ 1996م.

152- شـعب الإيمـان للـبيهقي أشـرف على تحقيقه مختـار أحمد النــدوي الــدار الســلفية بومبــاي، الطبعة الأولى 1416هـ، 1995م.

153- الشفا بتعريف حقوق المصـطفى لأبي الفضل عيـاض بن موسى اليحصبي تحقيق: عامر الجزّار دار الحديث القاهرة.

154- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تأليف: إسـماعيل بن حماد الجوهري تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّـار دار العلم بـيروت الطبعة الثانية 1399هـ 1979م.

155- الصــحة النفســية دراســات في ســيكلوجية التكيف تأليف: د. مصطفى فهمي مكتبة الخانجى بالقاهرة

156- الصحة النفسية في المفهـوم الإسـلامي د. هـانم بنت حامد ياركندي دار عالم الكتب الطبعة الأولى 1421هـ 2000م.

157- صحيح ابن حبـان للإمـام محمد بن حبـان بن أحمد أبو حــاتم التميمي البســتي، تحقيق: شــعيب الأرنــؤوط مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية 1414هـ 1993م.

158- صـــحيح البخــــاري للإمـــــام أبي عبد الله محمد بن إسـماعيل البخـاري تحقيق د. مصـطفى ديب البغا دار ابن كثـير اليمامة بيروت الطبعة الثانية 1407هـ 1987م.

159- صحيح الترغيب والترهيب للشـيخ محمد ناصر الـدين الألباني، مكتبة المعارف الرياض الطبعة الخامسة.

160- صـحيح الفقيه والمتفقه للخطيب البغـدادي اختصـره وعلق عليه: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف العزاري دار الوطن الرياض الطبعة الأولى 1418هـ 1997م.
161- صـحيح سـنن ابن ماجـه للشـيخ محمـد ناصـر الـدين الألبـاني مكتبـة التربيـة العـربي لـدول الخليج الريـاض، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ 1986م.
162- صـحيح سـنن أبي داود للشـيخ محمـد ناصـر الـدين الألبـاني مكتبـة التربيـة العـربي لـدول الخليج الريـاض، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 1409هـ 1989م.
163- صـحيح سـنن الترمـذي للشـيخ محمـد ناصـر الـدين الألبـاني مكتبـة التربيـة العـربي لـدول الخليج الريـاض، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ 1988م.
164- صـحيح سـنن النسـائي للشـيخ محمـد ناصـر الـدين الألبـاني مكتبـة التربيـة العـربي لـدول الخليج الريـاض، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الأولى 1408هـ 1988م.
165- صـحيح مسـلم للإمـام مسـلم بن الحجـاج القشـيري النيسـابوري تحقيق محمد فـؤاد عبد البـاقي دار إحيـاء الـتراث العربي بيروت.
166- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزياداته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي.
167- صفة الصفوة للإمام أبي الفرج عبد الـرحمن بن علي بن الجوزي تحقيق: محمـود فـاخوري، د.محمـد رواس قلعـه جي دار المعرفة بيروت الطبعة الثانية 1399هـ 1979م.
168- الصـفدية لشـيخ الإسـلام ابن تيمية تحقيق : د. محمد رشاد سالم الطبعة الثانية 1406هـ.
169- الصـــواعق المرســـلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية نحقيق الـــدكتور علي بن محمد الـــدخيل الله دار العاصمة الرياض الطبعة الأولى 1408هـ.
170- صيد الخاطر للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض تخريج: أحمد إبراهيم زهـوة دار الكتاب العربي بيروت.
171- طبقـات الحنابلة للإمـام محمد بن أبي يعلى محمد بن الحسين دار المعرفة بيروت.
172- الطبقـات السـنية في تـراجم الحنفية تقي الـدين بن عبد القادر التميمي الداريّ الغزِّي المصري الحنفي، تحقيق: عبد

الفتــاح محمد الحلــو، لجنة إحيــاء الــتراث الإســلامي القــاهرة 1390هـ 1970م.
173- طبقات الشــافعية للإمــام أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شــهبة، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خــان، عالم الكتب ، بيروت الطبعة الأولى 1407 هـ.
174- طبقـات الصـوفية لأبي عبد الـرحمن السـلمي يسـره ورتبه: أحمد الشرباص مطابع الشعب 1380هـ
175- الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنـوار في طبقـات الأخيــار تــأليف: أبو الوهــاب عبد الوهــاب بن أحمد بن علي الأنصاري المعروف بالشعراني الطبعة الأولى 1373هـ 1954م.
176- الطبقات الكبرى للإمام محمـد بن سـعد بن مـنيع أبـو عبد الله البصري الزهري دار صادر بيروت.
177- طريق السعادة الـدكتور مقـداد يـالجن الطبعة الأولى 1407هـ 1987 الرياض.
178- طريق الهجـرتين وبـاب السـعادتين للإمـام ابن القيم الجوزية تحقيق: أحمد إبراهيم زهوة، دار الكتاب العربي بيروت.
179- عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي للإمـام الحافظ ابن العربي إعداد الشيخ هشام سمير البخاري دار إحيـاء الـتراث العربي بيروت الطبعة الأولى 1415هـ 1995م.
180- العاقبة في ذكر الموت عبد الحق بن عبد الـرحمن بن عبد الله الإشــبيلي أبو محمد، تحقيــق: خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى الكويت، الطبعة الأولى 1406هـ 1986م.
181- العبر في خبر من غـبر للحافظ شـمس الـدين محمد بن أحمد بن عثمــان الــذهبي، تحقيق د. صــلاح الــدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1984م.
182- عـدة الصـابرين وذخـيرة الشـاكرين للإمـام ابن القيم الجوزية تحقيــق: الشــحات أحمد الطحــان جامعة الأزهر مكتبة زمزم مصر الطبعة الأولى 1421هـ 2000م.
183- عقيـدة السـلف أصـحاب الحـديث للإمـام أبي عثمـان إسـماعيل بن عبد الـرحمن الصـابوني دراسة وتحقيق د. ناصر بن عبد الرحمن بن محمد الجديع دار العاصمة الطبعة الثانية 1419هـ 1998م.
184- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري للإمام بــدر الــدين أبو محمد محمـود بن أحمد بن موسى العيـني دار الفكر 1399هـ 1979م.

185- غريب الحديث للخطابي تحقيق : عبد الكريم إبـراهيم العزباوي، الناشر جامعة أم القرى مكة المكرمة 1402هـ.
186- فتح البـاري شـرح صـحيح البخـاري للحافظ ابن حجر العســقلاني دار الريــان للنشر القــاهرة الطبعة الثانية 1407هـ 1987م.
187- فتح القدير الجـامع بين فـني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي الشوكاني دار الفكر بيروت.
188- فتح المجيد لشــرح كتــاب التوحيد عبد الــرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهـــــاب تحقيـــــق: د. الوليد بن عبد الـرحمن آل فريـان طبعة وزارة الشـؤون الإسـلامية والأوقـاف والدعوة والإرشاد الطبعة الرابعة 1419هـ 1999م.
189- الفتــوى الحموية الكــبرى لشــيخ الإســلام ابن تيمية مكتبة حراء جدة الطبعة الأولى 1411هـ 1991م.
190- الفرق بين الفرق للإمـام عبد القـاهر البغـدادي، عنايـة: الشيخ إبراهيم رمضان، دار المعرفة بـيروت، الطبعة الأولى 1415 هـ.
191- فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال محمد بن أحمد بن رشد الحفيد مكتبة التربيـــة، بـــيروت لبنـــان 1987هـ.
192- فوائد قرآنية عبد الــرحمن بن ناصر الســعدي المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت الطبعة الأولى 1389هـ.
193- الفوائد للإمــام ابن القيم الجوزية تحقيــق: الشــحات أحمد الطحان مكتبة المنار مصر الطبعة الأولى 1417هـ 1997م.
194- فيض القــدير شــرح الجــامع الصــغير تــأليف : عبــد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى مصر، الطبعــة الأولى 1356هـ.
195- القاضي أبو يعلى وكتابه مســـــائل الإيمـــــان دراسة وتحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف دار العاصمة الرياض النشرة الأولى 1410هـ
196- قاعدة في المحبة لشيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله تحقيق : د. محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي القاهرة.
197- القـاموس المحيط للفـيروز آبـادي دار إحيـاء الـتراث العربي بيروت الطبعة الأولى 1417هـ 1997م.
198- قطر الولي على حـديث الـولي أو ولاية الله والطريق إليها للشوكاني تحقيق: د. إبراهيم هلال دار إحياء التراث العربي بيروت.

199- القواعد الحسان لتفسير القرآن للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة الطبعة الأولى 1411ه 1990م.
200- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد د. عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر، دار ابن عفان الطبعة الأولى 1417ه 1997م.
201- القول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة الطبعة الأولى 1411ه 1990م.
202- القول المفيد على كتاب التوحيد شرح فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله جمع وتخريج: د. سليمان بن عبد الله أبا الخيل، د. خالد بن علي المشيقح دار ابن الجوزي الطبعة الأولى 1418ه 1997م.
203- القيامة مشاهدها وعظاتها في السنة النبوية د. محمد أربيب صالح المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الأولى 1415ه 1992م.
204- كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين الجويني تحقيق: د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد مكتبة الخانجي مصر 1369 ه 1990م.
205- كتاب الزهد الكبير أحمد بن الحسين بن علي أبو بكر البيهقي، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر مؤسسة الكتب الثقافية بيروت 1996م.
206- كتاب الزهد لابن أبي عاصم تأليف: للإمام أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، دار الريان للتراث القاهرة، الطبعة الثانية 1408ه.
207- كتاب الصلاة وأحكام تاركها للإمام ابن القيم الجوزية حققه وقدم له: الشيخ زهير شفيق الكبي دار الكتاب العربي بيروت 1425ه 2005م.
208- كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفرهيدي تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي.
209- كشاف القناع عن متن الإقناع للشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي المتوفى 1051ه، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن إسماعيل الشافعي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1418ه 1997م.

210- كشف الغطـــاء عن حكم ســـماع الغنـــاء لابن قيم الجوزية تحقيـــق: ربيع بن أحمد خلف مكتبة الســـنة القـــاهرة، الطبعة الأولى 1411هـ 1991م.
211- كشف القنـاع عن حكم الوجد والسـماع لأبي العبـاس أحمد بن عمر الأندلسي القرطـبي تحقيـق: الـدكتور عبد الله بن محمد بن أحمد الطريقي الطبعة الأولى 1411هـ 1991م.
212- الكلام على مسألة السـماع لابن القيم تحقيـق: راشد بن عبد العزيز الحمد دار العاصـــمة الريـــاض، النشـــرة الأولى 1409هـ.
213- الكليات معجم في المصطلحات والفـروق اللغوية لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية 1419هـ 1998م.
214- لــذة العبــادة تــأليف: خالد ســيد روشه دار الصــفا والمروة بالإسكندرية الطبعة الثانية 1426هـ 2005م.
215- لذة العبادة حقيقتها وأسباب تحصـيلها تـأليف: الشـيخ ســـعد الصـــالح، مكتبة دار الحميضي الريـــاض، الطبعة الثانية 1413هـ 1993م.
216- لسـان العـرب لابن منظـور تحقيــق: أمين محمد عبد الوهـاب دار إحيـاء الـتراث العـربي بيـوت الطبعة الثانية 1417هـ 1997م.
217- لســـــان المـــــيزان للحافظ ابن حجر أحمد بن علي العســـــقلاني دائـــــرة المعرفة النظامية الهند مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت.
218- لطــائف المعــارف فيما لمواسم العــام من الوظـائف للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي تحقيق إياد بن عبد بيت الأفكار الدولية.
219- لوامع الأنـوار البهية وسـواطع الأسـرار الأثرية للعلامة الســفاريني مؤسسة الحــافقين ومكتبتها الطبعة الثانية 1402هـ 1982م.
220- لوائح الأنوار السنية للعلامة محمد بن أحمد بن ســالم الســـــفاريني دراسة وتحقيق عبد الله بن محمد بن ســـــليمان البصيري مكتبة الرشد الرياض.
221- الماتريدية دراسة وتقويما للبـــاحث أحمد بن عـــوض اللهيبي الحربي دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى 1413هـ.

222- مار القلوب في المضاف والمنسوب لأبي منصور عبد الملك ابن محمد الثعالبي تحقيق: محمد أبو الفضل إبـراهيم دار المعارف القاهرة.
223- مبـادئ الفلسـفة أ. س. رابـورت ترجمـة: أحمد أمين دار الكتاب العربي.
224- المجروحين لأبي حاتم محمد بن حبـان البسـتي تحقيق محمود إبراهيم زايد دار الوعي حلب.
مجلة الدعوة الرياض عدد 1906.
225- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نـور الـدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت 1412ﻫ 1992 م.
226- مجمـوع فتـاوى شـيخ الإسـلام ابن تيمية جمع وتـرتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم طبعة وزارة الشـؤون الإسـلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد 1416ﻫ 1995م.
227- المحجة في سـير الدلجة للحافـظ ابن رجب الحنبلي ضمن مجموع رسائله، تحقيق: ناصر النجـار، مكتبـة أولاد الشـيخ للتراث.
228- مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي تحقيق: محمود خاطر دار الفكر بيروت 1401ﻫ 1981م.
229- مختصر منهـاج القاصـدين للإمـام أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي تحقيـق: محمد وهـبي سـليمان علي عبد الحميد دار الخير الطبعة الأولى 1414ﻫ 1994م.
230- مدارج السالكين بين منـازل إيـاك نعبد وإيـاك نسـتعين لابن قيم الجوزية دار الكتب العلمية بيروت.
231- المدهش للإمـام أبي الفـرج عبد الـرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجـوزي، تحقيـق: د. مـروان قبـاني، دار الكتب العلمية بـيروت، دار الكتب العلمية - بـيروت الطبعة الثانيـة، 1985م.
232- مـذاهب الإسـلاميين الـدكتور عبد الـرحمن بـدوي دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثانية 1983م.
233- المستدرك على الصحيحين للإمـام محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري تحقيق مصطفى عبد القادر عطا تعليـق: الإمـام الـذهبي دار الكتب العلمية بـيروت الطبعة الأولى 1411ﻫ 1990م.
234- المسند للإمام أحمد بن حنبل مؤسسة قرطبة مصر

235- مشكاة المصابيح تأليف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق : تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة 1405هـ 1985م.
236- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للشيخ العلامة أبي العباس أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفَيُّومي اعتنى به عادل مرشد.
237- مصنف عبد الرزاق تأليف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ.
238- المصنف في الأحاديث والآثار تأليف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي تحقيق : كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض الطبعة الأولى ، 1409هـ.
239- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر دار ابن القيم الطبعة الأولى 1418هـ 1997م.
240- معالم السنن للإمام أبي سليمان محمد بن محمد الخطابي وهو شرح سنن أبي داود المكتبة العلمية بيروت الطبعة الثانية 1401هـ 1981م.
241- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها د. عواد بن عبد الله المعتق، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثانية 1416هـ 1995م.
242- معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات د. محمد بن خليفة التميمي دار إيلاف الطبعة الأولى 1417هـ 1996م.
243- معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين تأليف: د. محمد بن عبد الوهاب العقيل أضواء السلف الرياض الطبعة الأولى 1422هـ 2002م.
244- معجم البلدان ياقوت بن عبد الله الحموي دار الفكر بيروت.شفاء العليل
245- المعجم الصغير للإمام سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي, دار عمار بيروت, عمان، الطبعة الأولى 1405 1985م.
246- المعجم الفلسفي الدكتور جميل صليبا دار الكتاب اللبناني بيروت لبنان 1979م.

247- المعجم الكبير للطبراني للإمـام أبي القاسم سـليمان بن أحمد بن أيـوب الطـبراني، تحقيق : حمـدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلـوم والحكم الموصل، الطبعة الثانية 1404هـ 1983م.
248- معجم المصـطلحات الصـوفية د. أنـور فـؤاد أبي خزام مكتبة لبنان ناشروف الطبعة الأولى 1994م.
249- معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثية للعلامة الشيخ أحمد رضا دار مكتبة الحياة بيروت 1377هـ 1958م.
250- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فـارس بن زكريـاء تحقيـق: عبد السـلام محمد هـارون دار الفكر 1396هـ 1979م.
251- المعرفة والتـاريخ لأبي يوسف يعقـوب بن سـفيان الفسـوي تحقيـق: أكـرم ضـياء العمـري مطبعة الأرشـاد بغـداد 1394هـ 1974م.
252- مفاتح تدبر القرآن والنجـاح في الحيـاة د. خالد بن عبد الكريم اللاحم الطبعة الأولى 1425هـ 2004م
253- مفتـاح دار السـعادة ومنشـور ولاية أهل العلم والإرادة لابن قيم الجوزية طبعة دار الإفتاء بالرياض.
254- مفـردات ألفـاظ القـرآن للعلامة الـراغب الأصـفهاني تحقيـق: صـفوان عـدنان داوودي دار القلم دمشق الـدار الشـامية بيروت الطبعة الأولى 1412هـ 1992م.
255- المفهم لما أشـكل من تلخيص كتـاب مسـلم للإمـام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبـراهيم القرطـبي تحقيـق: محي الدين ديب ستو، وأحمد محمد السيد، ويوسف علي بدويوي دار ابن كثير دار الكلم الطيب الطبعة الأولى 1417هـ 1996م.
256- مقـالات الإسـلاميين واختلاف المصـلين لأبي الحسن علي بن إسـماعيل الأشـعري تحقيـق: محمد محي الـدين عبد الحميد مكتبة التخصصـية المصـرية الطبعة الثانية 1389هـ 1969م.
257- مكمل إكمـال الإكمـال شـرح إكمـال الإكمـال للأبي تـأليف: الإمـام محمد بن محمد بن يوسف السنوسي الحسـيني ضـبطه وصـححه: محمد سـالم هاشم دار الكتب العلمية بـيروت، الطبعة الأولى 1415هـ 1994م.
258- الملل والنحل للأبي الفتح محمد بن عبد الكـريم الشهرسـتاني تحقيق الأسـتاذ أحمد فهمي محمد دار الكتب العلمية بيروت.

259- مناقب الإمـام أحمد للحافظ أبي الفـرج عبد الـرحمن بن الجـوزي، تحقيـق: د. عبد الله بن عبد المحسن الـتركي، هجر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1409هـ 1988م.
260- مناهل العرفان في علـوم القـرآن محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
261- المنتقى النفيس من تلبيس إبليس للإمام ابن الجوزي بقلم علي حسن علي عبد الحميد دار ابن الجـوزي الطبعة الأولى 1410هـ 1990م.
262- منظومة أصـول الفقه وقواعـده النظم والشـرح لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1426هـ.
263- منهـاج السـنة النبوية لشـيخ الإسـلام ابن تيمية رحمه الله تحقيـق: د. محمد رشـاد سـالم، مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى ، 1406هـ.
264- المنهاج في شعب الإيمان للشيخ الإمـام أبي عبد الله الحسـين بن الحسن الحليمي تحقيق حليمي محمد فـوده دار الفكر الطبعة الأولى 1396هـ 1979م.
265- منهج الإسلام في تزكية النفس د. أنس أحمد كـرزون دار ابن حزم بيروت الطبعة الثالثة 1421هـ 2001م.
266- المـوالاة والمعـاداة في الشـريعة الإسـلامية تـأليف: محمـاس بن عبد الله بن محمد الجلعـود الطبعة الأولى 1407هـ 1987م.
267- المـواهب الربانية من الآيـات القرآنية للشـيخ عبد الـرحمن بن ناصر السـعدي ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفـات الشيخ مركـز صـالح بن صـالح الثقـافي بعنـيزة الطبعـة الأولى 1411هـ 1990م.
268- موسوعة أعلام الفلسفة إعداد: محمد أحمد منصور دار أسامة الأردن عمان الطبعة الأولى 2001م.
269- الموسـوعة الحديثية مسـند الإمـام أحمد بن حنبـل: المشـرف على إصـدار الموسـوعة الكتـور عبد الله بن عبد المحسن التركي، المشرف على تحقيق المسند: الشـيخ شـعيب الأرنـؤوط مؤسسة الرسـالة للطباعة والنشر الطبعة الثانية 1420هـ 1999م.
270- موسـوعة الفلسـفة د. عبد الـرحمن بـدوي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان الطبعة الأولى 1984م.

271- الموسوعة الفلسفية المختصرة نقلها عن الإنجليزية فؤاد كامل جلال العشري عبد الرشيد الصادق اعتنى به الدكتور زكي نجيب محمود مكتبة الإنجلو المصرية 1963.
272- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة.
273- موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم إعداد: مجموعة من المختصين بإشراف: صالح بن عبد الله بن حميد وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن ملّوح دار الوسيلة للنشر والتوزيع جدة الطبعة الثالثة 1425هـ 2004م.
274- الموطأ للإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي مصر.
275- نزهة الأسماع في مسألة السماع للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي تحقيق: وليد عبد الرحمن الفريان دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى 1407هـ، 1986م.
276- النفس انفعالاتها وأمراضها وعلاجها تأليف: د. علي كمال بغداد الطبعة الأولى 1967م.
277- النكت على ابن الصلاح لابن حجر العسقلاني، تحقيق: د. ربيع المدخلي، طبعة الجامعة الإسلامية، الطبعة الأولى 1404هـ.
278- نهاية الأرب في فنون الأدب شهاب الدين أحمد النويري مصور عن دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
279- النهاية في غريب الحديث والأثر تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية - بيروت ، 1399هـ - 1979م.
280- نوادر الأصول في أحاديث الرسول تأليف: محمد بن علي بن الحسن أبي عبد الله الحكيم الترمذي، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى 1992م.
281- نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي عناية د. عبد الحميد عبد الله الهرّامة دار الكاتب طرابلس الطبعة الثانية 2000م.
282- الهم والحزم لابن أبي الدنيا تحقيق: مجدي فتحي السيد دار السلام القاهرة، الطبعة الأولى، 1412هـ 1991م.

283- الوابل الصـــيب من الكلم الطيب للإمـــام ابن القيم الجوزية اعتنى به: صالح أحمد الشامي المكتب الإسـلامي بـيروت الطبعة الأولى 1418هـ 1997م.
284- الــوافي بالوفيــات خليل بن أيبك الصــفدي تحقيــق: مجموعة من المحققين، دار النشر فررانز شـــتايز، فيســـبادن، ألمانيا، 1404هـ 1984م.
285- وجوب التعاون بين المسلمين للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السـعدي ضـمن المجموعة الكاملة لمؤلفـات الشـيخ مركـز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة الطبعة الأولى 1411هـ 1990م.
286- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة للشيخ عبد الـرحمن بن ناصر السعدي ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ مركز صالح بن صالح الثقافي بعنيزة الطبعة الأولى 1411هـ 1990م.
287- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس شمس الــدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكـان، تحقيـق: الـدكتور إحسان عباس دار صادر بيروت.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
ڇ □ ٻ ٻ ٻ پ ٻپڇ	92	220
ڇ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ڤ ڇ	102	1
ڇ □ □ □ □ □ ڇ	131	299
ڇ ٹ □ □ □ □ □ ڇ	170	239
ڇ □ □ □ □ □ □ ی ی ی ڇ	173	324،141
ڇ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڦ ڇ	175	124
ڇ ۂ ہ ۃ ڇ	179	333
ڇ ں ں ڻ ڻ ڻ ڇ	185	290

{النساء}

الآية	رقمها	الصفحة
ڇ □ ٻ ٻ ٻ ٻ پ ڇ	1	1
ڇ ۂ ہ ۃ □ ڇ	19	409
ڇ ڎ ڎ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ڇ	41	453
ڇ ۈ □ ۋ ۋ □ □ ڇ	65	280
ڇ □ □ □ □ ڭ ڭ ګ ګ ڱ ۇ ڇ	77	286
ڇ ۂ ۂ ہ ۃ □ □ □ □□ ڇ	78	312
ڇ ڃ ڃ ڃڃ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڇ	82	178
ڇ ۂ ہ ۃ □ □ □ □ ڇ	100	151
ڇ ں ں ڻ ڻڇ	103	212
ڇ ۆ ۈ ۈ □ ۋ ۋ□ ڇ	104	124
ڇ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڇ	115	404
ڇ ڃ ڃ ڃ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڇ	124	329
ڇ ک ک گ گ گ گ گ ڳ ڇ	125	330 ،113
ڇ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڇ	136	259
ڇ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڇ	150	265
ڇ ڃ ڄ ڄ ڃ ڇ	164	260

{المائدة}

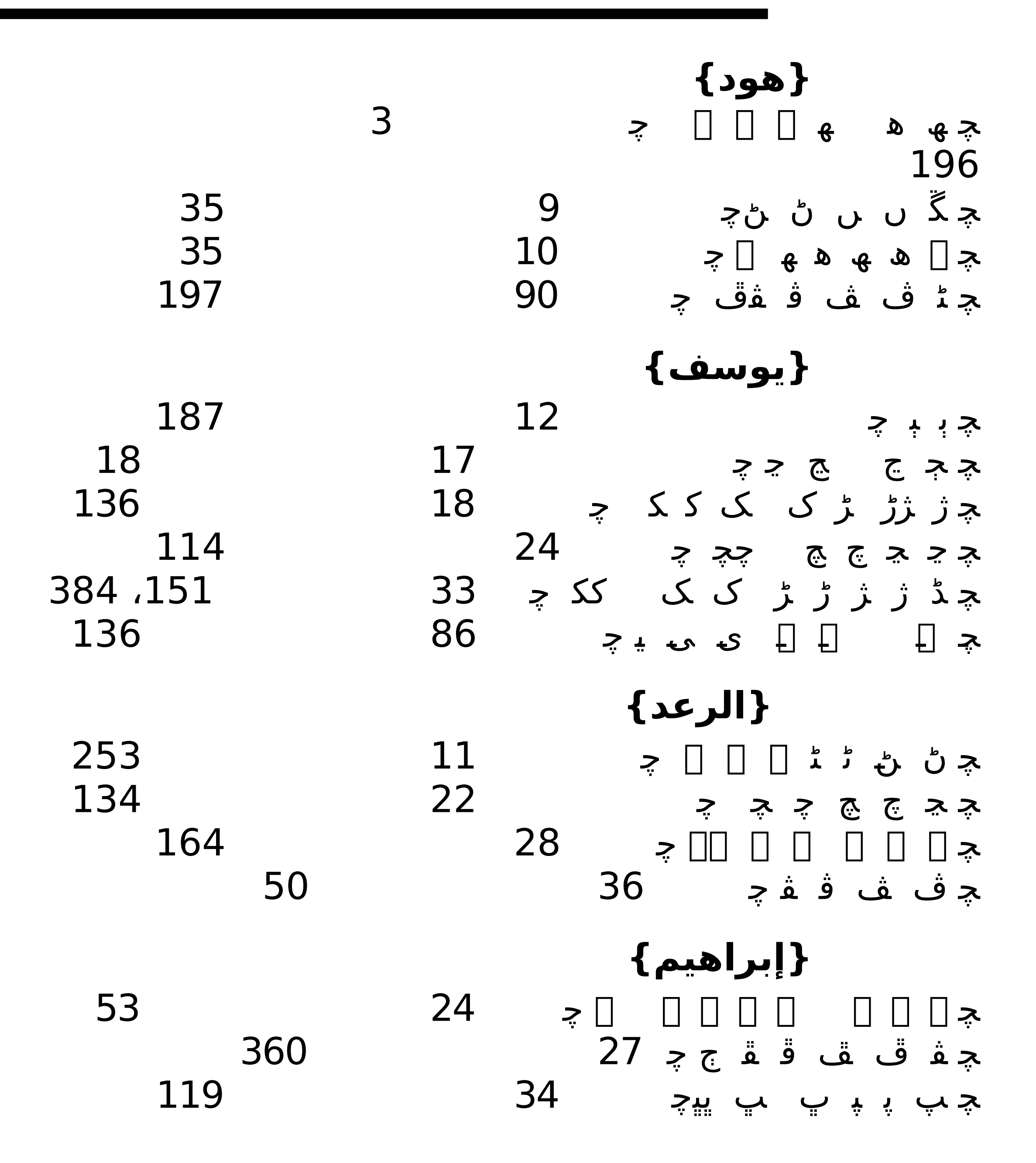
الآية	رقمها	الصفحة
ڇ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃ ڃڇ	3	128
ڇ ڳ گ گ گ گ ڇ	27	330
ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڇ	44	260
ڇ گ گ گ گڇ	44	124

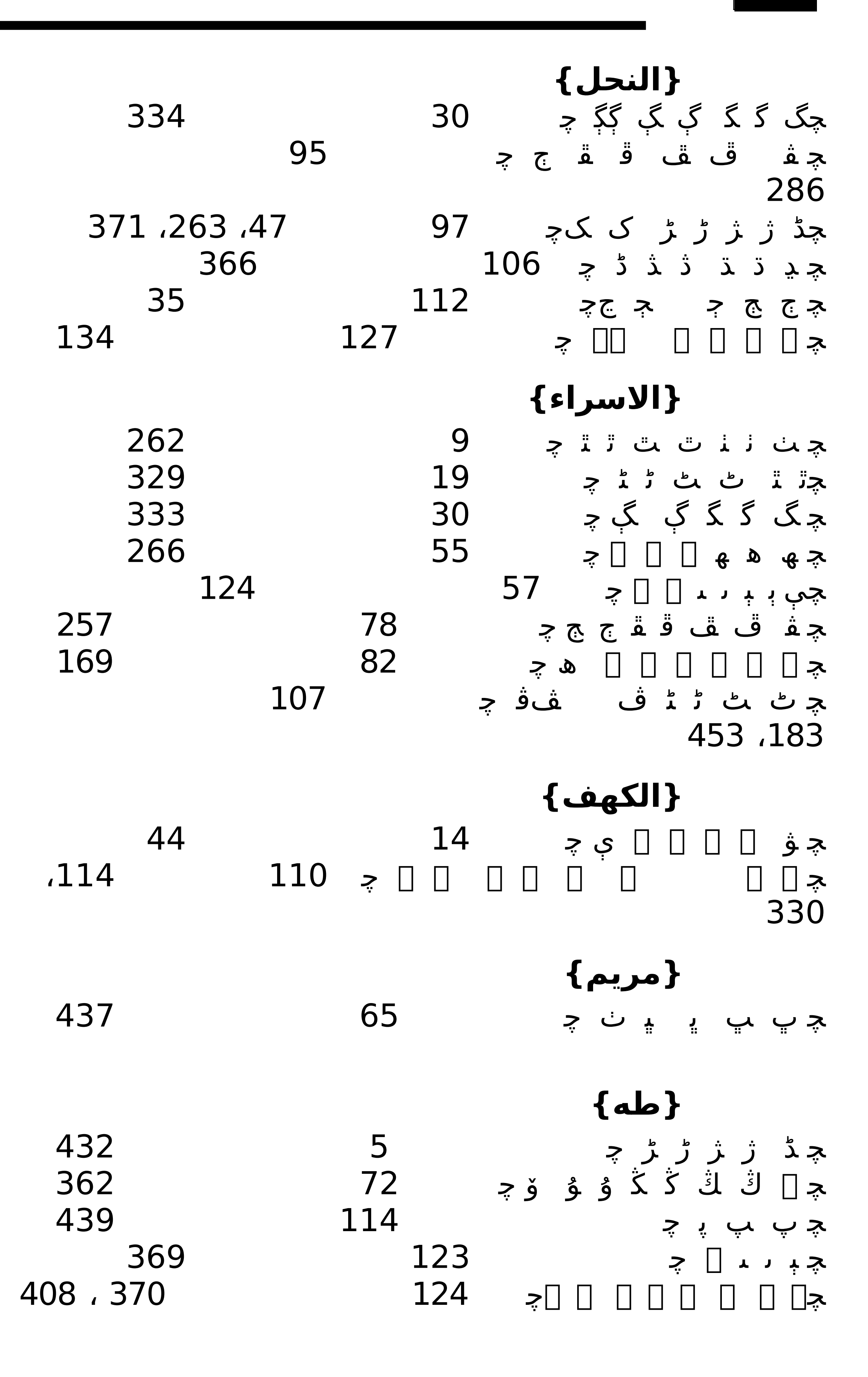
{الأنعام}

الآية	رقمها	الصفحة
ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭽ	30	35
ﭼ ﮠ ﮡ ﮢ [illegible] [illegible] [illegible] ﭽ	32	154
ﭼ ﯛ ﯜ ﯝ [illegible] ﯡ ﭽ	72	212
ﭼ [illegible] ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭽ	82	370
ﭼ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﭽ	90	266
ﭼ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﭽ	122	261
ﭼ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﭽ	124	266
ﭼ [illegible] ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭽ	125	106
ﭼ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭽ	162	111
ﭼ ﯕ ﯖ ﯗ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﭽ	164	95

{الأعراف}

الآية	رقمها	الصفحة
ﭼ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ﭽ	34	290
ﭼ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ [illegible] ﯞ ﯟ ﭽ	49	156
ﭼ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭽ	88	150
ﭼ [illegible] [illegible] [illegible] ﭽ	120	361
ﭼ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭽ	145	260
ﭼ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭽ	157	262
ﭼ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭽ	158	268
ﭼ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﭽ	180	100
ﭼ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﭽ	189	209
ﭼ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ [illegible] ﭽ	204	452





فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث
رقم الصفحة

فهرس الآثار عن أئمة السلف

فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم
رقم الصفحة

فهرس الموضوعات

الموضوع

رقم الصفحة

بيان معنى حلاوة الإيمان وتعريف المفردات المتعلقة بها

أدلة حلاوة الإيمان وبيان معانيها وحقيقتها ودرجات الناس وأحوالهم فيها

موجبات حلاوة الإيمان

دلالات حلاوة الإيمان وآثارها

الرد على الانحرافات المتعلقة بحلاوة الإيمان